المنزع اللطيف
في مفاخر
المولى إسماعيل ابن الشريف

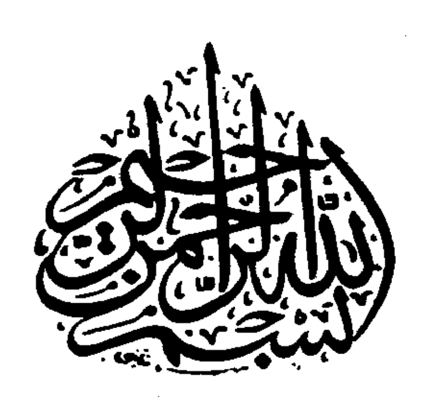
لمؤرخ الدولة العلوية

مولاي عبد الرحمن ابن زيدان

تقديم وتحقيق

د. عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

الطبعة الأولى 1413 - 1993 مطبعة «إديال» - الدار البيضاء



المنزع اللطيف

في مفاخر

المولى إسماعيل ابن الشريف

لمؤرخ الدولة العلوية

مولاي عبد الرحمن ابن زيدان

تقديم وتحقيق

د. عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

الطبعة الأولى 1413 - 1993 مطبعة «إديال» - الدار البيضاء

صاحب الجلالة
الملك الحسن الثاني
راعي العلم والعلماء



كلمة لابد منها

حينما خطر ببالنا نشر كتاب «المنزع اللطيف»، كنا على تام الوعى بكل الصعوبات التقنية التي ترافق نشر عمل من نوع «المنزع». وكان تشبثنا بالفكرة برا بالوالد وفكره ، ومحاولة للسيرْ على طريقه في نشر تاريخ بلادنا والتعريف به، والتزاما بنهج اتباع الخلف للسلف في السيرة والاخلاص .

وما كان لنا أن نحقق هذا العمل ونخرج به إلى حيز الوجود، لولا عناية صاحب الجلالة والمهابة الملك الحسن الثاني رعاه الله وأدام نصره وعزه، حيث أصدر جلالته أمره المطاع بطبع الكتاب رعيا من جلالته للعلم والعلماء كما هو دأبه، وعناية بالمغرب وتاريخه كما هو دينه.

كما أن عمل التحقيق والاخراج، كما هو معروف، عمل شاق يتطلب بجانب الكثير من الصبر، معرفة بتقنيات التحقيق، وإحاطة بتاريخ البلاد ومعرفة أكيدة «بالمنزع اللطيف»، وقد حمل كبر هذا العمل زميلنا الدكتور عبد الهادي التازي، فكان عمله في التحقيق والمطابقة والتصحيح في مستوى ما عودنا في كل أعماله العلمية من تثبت ورصانة. فليجد في هذه الكلمات تعبيرا عن اعترافنا بفضله.

إن كل عمل من طبيعة تحقيق «المنزع» يقتضي عددًا من الأعمال التمهيدية كان أصعبها إخراج مسودته من صورتها الأولى المخطوطة، إلى صورة مرقونة يسهل على غير المختص تصفحها. وقد ساهم في هذه العملية عدد من الرجال، نذكر منهم عبد الهادي معتصم، وأحمد بصري وعبد الواحد عدنان ومحمد أبو عبد الله وعبد الرحمان الحمدي وعلال العيساوي... وليجد الجميع هنا شكرنا على مساهمتهم .

ولقد حظى كتاب المنزع اللطيف بتنوية الأستاذ أحمد بنسودة، مستشار جلالة الملك حيث قدمه وحلاه في مقالة عنونها ب «**شيخ المؤرخين عبد الرحمان بن زيدان**» صدرت أخيرا ضمن التأليف الذي

خص به الأستاذ عبد الحي العمراني الأستاذ **أحمد بن سودة** وسماه «**مختارات**»، كما قدم الأستاذ **محمد المنوني** كتاب «**المنزع**» في مجلة «**دعوة الحق**» ...وإننانستغل هذه المناسبة لنشكر لهما اهتمامهما، ونذكر فضلهما في تعريف القراء بقيمة كتاب «**المنزع اللطيف**».

سلامة ابن زيدان



بين يدي الكتاب

د. عبد الهادي التازي

عندما تحدث «**صطيفان كزيل**» المؤرخ المتخصص في تاريخ المغرب القديم عن الأمير المغربي «**ماسينيسا**»، وجد له شبيها في ثلاثة ملوك برزوا فيما بعد ظهور الاسلام بالمغرب ويتعلق الأمر بالملوك الثلاثة **يوسف بن تاشفين، عبد المؤمن بن علي، ومولاي إسماعيل**.

والحقيقة أن الذين كتبوا عن تاريخ المغرب مطبقون على أن السلطان المولى إسماعيل يرجع له الفضل كل الفضل في إرساء معالم الدولة بالمغرب الأقصى في وقت كانت فيه البلاد مهددة بالتمزق والتفكك والضياع.

لقد أمسى المغرب عند ظهور الدولة العلوية عام 1660 سبعة مغارب إن لم نقل أكثر من ذلك، فهناك مملكة تافيلالت ومملكة الريف ومملكة سوس ومملكة مراكش ومملكة القصر الكبير ومملكة فاس علاوة على جانب مهم من شرقه إمتدت إليه يد الأتراك الذين كانوا يحتلون الجزائر، وعلاوة كذلك على سبتة التي كانت تحتلها إسبانيا بالاضافة إلى المعمورة والعرائش وأصيلة... وعلاوة على طنجة التي تحتلها انجلترا، ومدينة الجديدة التي كانت تحتلها البرتغال.

ولم يكن هناك من منقذ للمغرب من ذلك الوضع الخطير غير المولى إسماعيل الذي يتحدث عنه هذا التأليف.

وهكذا فعلى صعيد تحرير الثغور المغربية من الهيمنة الأجنبية وجدناه يسترجع المعمورة من إسبانيا سنة 1092-1681، ويحرر مدينة طنجة عام 1095-1684 من سيطرة إنجلترا، ووجدناه عام 1100-1689 يفتح مدينة العرائش ويتبعها عام 1102-1691 بمدينة أصيلا...

وهو على فراش الموت كان يوصي أولاده بإبقاء الجيش في إتجاه

الثغور التي ما تزال محتلة لارهاب المحتلين وإشعارهم بأن أصحاب البلاد غير غافلين عن أي شبر من أرضهم...

أما على الصعيد الداخلي فقد ضبط السلطان مولاي إسماعيل البلاد شرقا وغربا، شمالا وجنوبا وكان على صلة دائمة بالعمال والولاة وكان يطلب إليهم أن لا يعتمدوا في تصرفاتهم مع الشعب على أساس ما يصلهم من تقارير يحررها الآخرون ولكن عليهم أن يقفوا بأنفسهم على الحقائق ويراقبوا الأحوال عن كثب وأن يرفعوا الحجاب بينهم وبين من يريد الاتصال بهم... تماما على نحو ما حضرناه ونحن نستمع لوصايا الملك محمد الخامس لولي عهده الأمير مولاي الحسن... الأمر الذي سنمر عليه.

فهذا التأليف حرص فيه مؤلفه على إبراز طائفة من الجوانب التي خفيت على عدد كبير ممن تناولوا حياة السلطان مولاي إسماعيل سواء من المغاربة أو الأجانب...

وأحب أن أثير الانتباه هنا إلى أن جرأة مولاي عبد الرحمن بن زيدان على هذا التأليف في العشرينيات والاستعمار الفرنسي في بداية تمكنه كان ظاهرة تستحق الوقوف عندها... لقد أخذ يقرأ ويسمع عن بعض المؤلفات الأجنبية وهي تنال من سمعة المغرب وماضيه المجيد... ولم يكن أحد ليستطيع أن يقدم على التحرك عن طريق التأليف غير النقيب ابن زيدان، فقد كان مركزه من الأسرة الملكية، وفي الأوساط العلمية يحميه من أن يتعرض لمعارضة أو مضايقة، وكذا فإن توفره على العدد الكبير من الوثائق المتصلة بالموضوع كان مما قوى معارفه وجعله يثق بنفسه في الأخذ بمعالم الطريق المرسوم.

وخلافا لما قرأناه عند بعض الكتاب المغاربة من أن النقيب ابن زيدان إنما كا يردد ما وقف عليه عند الأخرين... فإن هذا الرجل كان له وجوده المتميز بين ثنايا المعلومات التي قدمها في الكتاب فقد كانت عيوننا تقف بين الفينة والأخرى على كلمة : (قلت) أي إنه بعد أن يقدم رأي الآخرين يعقب عليه أحيانا بقوله (قلت)، ومعنى هذا أن له رأيه في الموضوع المطروح.

فعلا لقد ظهر للنقيب ابن زيدان ــ وقد وقف على ما تحدث به بعض السابقين عن المغرب من أمثال الزاياني واكنسوس وابن الحاج... وقد وقف كذلك وهذا شيء يستحق الاشادة والتنويه ــ على ما قاله بعض المؤرخين الأوربيين من أمثال **الكونط دوكاستري**، ظهر له أن من واجبه أن يبرز بعض العناصر التي أغفلها من سلفه من هؤلاء وأولئك ...

والنقيب ابن زيدان علاوة على هاجسه التاريخي يتمتع بحس أدبي رفيع فهو مهتم بالاستدلالات الشعرية، وهو يؤمن بدور الشعر في تسجيل الحدث كيفما كان هذا الحدث ولو كان سياسيا أو دبلوماسيا، ولهذا اشتمل كتابه هذا على عدد من القطع الشعرية التي تعتبر مرجعا من مراجع التاريخ الدولي للمغرب، فمن شعر القاضي مورينو :

تراع الروم والأتراك مما　　　رأوا أنْ بلغوا حربا دهاها!!

ومن شعر الحراق :

ومن عجب تروم الروم حربا　　　بسهل أو حزون أو جبال

ومن شعر البوعناني :

وثغر للعرائش قد تبدى　　　لقدركم على الشعرى الظهور

وقول جسوس :

رفعت منازل سبتة أصواتها　　　تشكو إليكم بالذي قد هالها

وقول آخر :

مليك تصدّى للصليب وحزبه　　　فعطل أصنام الخبائث والكفر

أريد التأكيد على أن الحاسة الأدبية للنقيب ظلت حاضرة في عدد من الفصول والأبواب التي احتوى عليها الكتاب...

وبالاضافة إلى هذا لا ينبغي أن ننسى أن النقيب من رجال الفقه ومن هنا لا نستغرب إستطراداته لتحليل موضوع فقهي... وقد كان النقيب في معظم استطراداته يهدف إلى ربط الماضي بالحاضر وربط

التشريعات المغربية بعضها ببعض وإرجاع الحاضر منها إلى أصول السلف على ما سنرى...

وهنا نذكر خصلة من الخصال التي لازمت مسيرة النقيب إبن زيدان، ويتعلق الأمر بالأمانة في الرواية، فهو بعد أن يبحث ويمعن في البحث لا يتردد اذا غاب عنه الأمر في أن يمسك عن الاسترسال... وفي أن يعرب عن تحفظه في القول .

ومن خلال معالجته لبعض الفقرات نكتشف بعض اختياراته المذهبية الأخرى... فهو ضد الشعوذة وضد الالتجاء إلى الأضرحة والاستنجاد بالمقبورين فيها، ولكأنك مع تأليف **أبي العباس ابن تيمية «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»**... فهو سلفي صريح وقد أطنب الكلام حول زيارة القبور وبنائها وتقبيلها وتمريغ الخدود عليها... وقد فضل أن يأتي بالنص الكامل لخطاب وجهه السلطان المولى إسماعيل إلى خطباء الجمعة حول الموضوع...

ومن هنا تبرز روح النقد في أعمال النقيب... وفي هذا الصدد - وهو يهتم بالمعالم الأثرية ويهتم بالخزائن العلمية، لا يخفي إمتعاضه من إهمال السلطات الفرنسية وموقفها من آثار مكناس التي كانت إلى الأمس القريب تذكر عندما تذكر **فيرساي**... وفي معرض حديثه عن أثر ضائع من آثار مكناس الأمس لم يتردد في المجاهرة بكلمة الحق قائلا :

«...وطالما ناديت فلم أجد مستمعا وطالما شكوت فلم أجد مسليا ولا متوجعا...!!»

وقد تتجاوز تعقيباته الذين يشرفون على الآثار من رجال الحماية الفرنسية إلى موضوع أكثر حراجة ودقة، ذلك تعريفه بسلوك بعض الذين يوجدون على رأس بعض الوظائف السامية ممن لا يستحقون تلك الوظائف، فالنقيب ابن زيدان وهو يتحدث عن وظيفة الوزير أو الحاجب أو الناظر يغتنمها فرصة ليقارن ويفارق بين الذين كانوا يتولون بالأمس هذه الوظائف وبين من يتولونها اليوم!!

فماذا عن باقي المعلومات التي تضمنها «المنزع اللطيف» ؟

لا أريد أبدا أن أقطع الطريق على القارىء وأحرمه من الانكباب فورا على الكتاب، ولكنني أقصد فقط إلى إثارة الانتباه إلى بعض النقاط التي رأيت فيها نوعا من الاتحاف والاطراف...

أذكر بادىء ذي بدء أن النقيب ابن زيدان رحمه الله ــ وقد قرر أن يفرد **السلطان مولاي إسماعيل** بهذا التأليف، كان يخاف – كعدد من العلماء – أن لايهبه الله من العمر ما يمكنه من ذلك فعمد في كتابه (الاتحاف ج 2 ص 74) إلى تقديم تصميم لكتابه (**المنزع**) هذا حتى يلفت النظر للتأليف القادم .

والواقع أننا أمام معلومات جد طريفة لم يكن غير النقيب ابن زيدان مؤهلا للحديث عنها والخوض فيها أنذاك... معلومات متنوعة تتناول مختلف جوانب حياة **السلطان المولى إسماعيل** الذي تملك طوال جيل كامل... فالذي يؤرخ لهذا الملك يؤرخ للمملكة المغربية في سائر مناحيها وسائر وجهاتها...

فالحديث عن التعريف **بمولاي إسماعيل** لا بد أن يستدعي الحديث عمن يحيط به وعن تنظيم ملكه وعن الجيش الذي كان يحمي ذلك التنظيم... كما يتطلب الأمر الحديث عن علاقاته مع الخارج... بما في ذلك العالم الاسلامي والعالم المسيحي وبما في ذلك جرد سفرائه إلى الدول القريبة والنائية... هذا إلى ذكر رجال الفكر والأطباء الذين كانوا يزاولون المهنة في أيامه، وكل هذا إسهام جليل في كتابة تاريخ المغرب في ذلك العصر... ومن هنا أصبح الكتاب لاغنى عنه للدارسين والمتطلعين لمعرفة الحياة السياسية في البلاد والحياة الأدبية والحياة العلمية والحياة الاجتماعية...

ومن باب العلم بالأشياء أن نذكر هنا أن التصدي للتاريخ الدولي للمغرب كان هاجسا لعدد من القادة والعلماء الذين مرّوا بالساحة المغربية... ومن غير أن أذهب بعيدا إلى مطامح لسان الدين ابن الخطيب أو رغبة السلطان مولاي إسماعيل نفسه. فقد يكون من البرور

بالتاريخ أن أذكر العاهل المغربي **السلطان المولى عبد الحفيظ** الذي ظهر أنه اطلع على المجلدات الأولى من موسوعة **دوكاستري بعنوان** : **Les Sources Inédites de l'Histoire du Maroc** حسبما تنبيء عنه مخطوطة له بالخزانة الحسنية... لكن النقيب ابن زيدان كان أكثر شعورا بسد هذا الفراغ المهول سيما وقد وقف ــ كما وقف **مولاي حفيظ** على بعض المؤلفات الأجنبية ــ، وقد تجلى هذا الشعور في النقيب عندما كان يؤلف كتابه «**العز والصولة في معالم نظام الدولة**» عندما ذكر أن الكتب التاريخية طافحة بأخبار العلائق السياسية بين الدول المغربية، وبين الدول الأجنبية على إختلاف أجناسها وذلك ما رفع رأس المغرب العزيز عاليا بين الدول الأخرى وجعلها تتنافس في التودد إليه والذي كان يدعو بإلحاح زائد إلى الاهتمام بالتاريخ الدولي للمغرب بإعتباره العنصر الأساس الجدير بالدرس المستفيض وحتى ينبه القراء أكثر لهذا الجانب لم يتردد في القول بأن كل ما كتبه ويكتبه كان يعني أنه يقول للجيل الناشيء : «**إن لك لمجدا عريقا وأن لك لعزا مكينا وأنك كنت في يوم من الأيام علما شامخا تستعصي على من أرادك بسوء أو أذى ، وإن أساسك لمتين لا يزال يغالب العصور والدهور فاجتهد في البناء عليه بناء قويا يطاول الدهور والعصور لتصل بين عملك وعمل سلفك الصالح الذي عبد لك الطريق، وسوى لك السبيل للتمشي على بينة ورشاد**».

وهناك نقطة أخرى أثارت إنتباه النقيب رحمه الله في باب العلاقات الدولية للمغرب، تلك أن ما يتصل بالعلاقات مع العالم المسيحي كان محل اهتمام من الأوربيين على العموم لكن ما يتعلق بصلة المغرب بباقي أطراف العالم الاسلامي ظل مهملا... وأنه لولا وجود دبلوماسيين مغاربة اهتموا بتسجيل مذكراتهم عن مهماتهم لضاعت تلك الأخبار...!

أردت بالتركيز على هذا الجانب من الكتاب أن أنبه بدوري إلى أن على الذين يبحثون في تاريخ المغرب أن لا يبحثوا عنه في المنعرجات

المحلية ليعرفوا فقط مصرع هذا الزعيم أو ثورة ذالك القائد... ولكن علينا أن نكتب تاريخ المغرب من خلال حضوره المتميز على الساحة الدولية عندما كان يقوم بمساعيه الحميدة بين الدول وعندما كان يلقن الأمم الطريقة المثلى للتَّعامل بين الأمم...

وهكذا فإننا سنشعر بالغبطة ونحن نقرأ الباب الثالث من كتاب «**المنزع اللطيف**» عن صلة المغرب بالحرمين الشريفين وعلاقاته المباشرة بمختلف الايالات السائرة في ركب العثمانيين، علاوة على ذلك الجسر الذي يمتد بين المغرب وبين الاستانة...

وسنشعر بالمتعة ونحن نستعرض الباب الثامن في العلائق السياسية **للسلطان مولاي إسماعيل**، علاوة على الباب الخامس عشر الذي يتضمن عرضا للسفراء المغاربة إلى الدول الأوربية وغيرها ولو أنه أي ابن زيدان لم يستوعب أسماء سائر المبعوثين الذين تركوا لهم بصمات في بعض البلاطات الأوربية... ولو أنه لم يستوعب كذلك سائر الدول التي كان لنا معها آنذاك إتصال...

وإن من أبرز ما يلفت النظر في حياة المملكة المغربية على هذا العهد أن البلاد في شخص ملكها العظيم **السلطان مولاي إسماعيل** دأبت على رفع شعار العروبة صريحا وواضحا، فالعاهل في جل مراسلاته الدبلوماسية، وفى معظم إتفاقياته كان يحرص شديد الحرص على أن يبرز الشخصية المغربية وهي تعتمد على قاعدتين إثنتين **العروبة والاسلام**... ومن ثمت فلاخطاب غير الخطاب المكتوب باللغة العربية ولا إتباع لمبدأ غير مبدأ الاسلام... ويكفي أن يلقي المرء نظرة على ما تختزنه الأرشيفات الأوربية من وثائق... ليحس ذلك الاعتزاز بالانتساب إلى العرب... وليرى رؤيا عين أن **السلطان مولاي إسماعيل** ظل يسلم على رؤساء الدول الأوربية بمثل ما سلم به نبي الاسلام على **كسرى وهرقل : (السلام على من إتبع الهدى)** !

إن من المبادىء الأولى للاستراتيجية الاسماعيلية... الاعتماد أولا على ترميم البيت المغربي من الداخل قبل أن يفكر في القيام بأية مبادرة تهدف للاتصال بالخارج ...ومن ثمت لاحظنا أن المغرب كان بطيئا

في الاستجابة لمن يمد له اليد من وراء البحار قبل أن يكون على ثقة تامة من الأرض التي تقع عليها قدماه!!

وقد كان من المظاهر التي أثارت إنتباه النقيب في حياة **السلطان مولاي إسماعيل** وهذا على ما نعلم من تمسك متين بالعربية وحجاب سميك إزاء كل ما يهدد الدين، أنه أي **السلطان مولاي إسماعيل** كان يعلم بعض أولاده اللغة الأجنبية حرصا على أن يكونوا على صلة بما يتجدد... وأنه كان لايتردد في الاستعانة بالأجانب في الأمور التقنية التي لم تصل إليها مدارك مواطنيه.

وكل أمر له قوم به عرفوا فاندب لكل مهم أهل بلواه !

ومن باب الحديث عن سياسة الدولة وجدنا النقيب ينقل ما ردده أحد الدبلوماسيين البريطانيين عندما تساءل عن السر الذي يمكن في الاستقرار والأمن الملاحظين في البلاد من أقصاها إلى أقصاها... ومؤكدا أن ذلك يكمن في أن الرعية تظل منشغلة طوال أيامها، فمن حركة إلى أخرى ومن مشروع إلى آخر... وقديما سمعنا عن الحكمة السائرة على السنة القادة : **إن لم تشغلهم شغلوك**»...

ويبرز النقيب خاصية ظلت تواكب الحياة السياسية في بلاد المغرب منذ أن اعتنق الاسلام... تلك هي اللجوء إلى العلماء والفقهاء لأخذ رأيهم حول ما يجد... لقد كانوا فعلا وراء السياسة والقرار... ومن هنا وجدنا **للسلطان مولاي إسماعيل** مجلسا للفتوى يرجع إليه كلما دعت الحاجة، ليس فيما يتصل بالعلاقات مع الخارج فقط، ولكن أيضا في قضاياه الشخصية والعائلية كذلك .

وقد كان العلماء أحرارا في أن يجهروا بما يمليه اجتهادهم دون خوف ولا إرهاب وأمامنا في هذا التأليف حجج ناطقة على أن حرية الرأي كانت مضمونة بالكامل لكل رجال الفكر... مع التذكير بأن **السلطان مولاي إسماعيل** كان يتمتع بسلطة واسعة... ولكنه ظل أمام أهل العلم... رجلا متواضعا يلتمس الوصول إلى الحقيقة...

والكتاب الذي بين أيدينا تاريخ للجانب العسكري في حياة **السلطان مولاي إسماعيل** فيما يتصل بالدفاع عن إستقلال المغرب ومقوماته وشخصيته، وإنك لتجد فيه عدد الحصون والقلاع التي كانت تنتصب على كل ربوة وأكمة لتضمن الأمن والاستقرار للمواطنين ولتحمي البلاد من الفوضى والعدوان. وإنك لتجد فيه مئات الجسور والقناطر التي تربط بين أطراف البلاد حتى لا تتعثر طريق ولا يعوق سبيل...

ومن الملفات الساخنة التي فتحها النقيب ابن زيدان والتي ظلت على مدى بضعة عشر عاما مشغلة للمغرب قمة وقاعدة الملف الذي يتضمن مسألة العبيد، ونحن نعلم أن هناك ثلاث قضايا إهتزلها المغرب أيام **السلطان مولاي إسماعيل** : **قضية العبيد وقضية اليهود** الذين حاولوا تزوير التاريخ، **وقضية إجتماع بعض المغاربة بالنبي صلى الله عليه وسلم...**

ولابد أن يتتبع المرء ما كتبه ابن زيدان عن قضية العبيد وعن مضاعفاتها وعن الفرق بين موقف العالمين الجليلين **جسوس وبردلة** من القضية... ثم ماذا كان من موقف عامل فاس رحم الله الجميع...

ولم يفت النقيب أن يعلق بما كان يراه مناسبا على الأخبار التي تناقلتها الوثائق الفرنسية عن خطبة **السلطان مولاي إسماعيل** لأميرة فرنسية من **الملك لويس الرابع عشر**... لقد كان النقيب يستبعد أمر هذه المحاولة من العاهل المغربي، لكنه لم يلبث أن عاد ليقول : «وعلى فرض أنه حصل فأي عار عليه في ذلك؟!

لقد كنت أشعر بمتعة زائدة منذ أن وقع هذا المخطوط بين يدي قبل أزيد من ربع قرن عندما كنت أبحث عما قاله النقيب ابن زيدان عن **محمد بن حدو** سفير **السلطان مولاي إسماعيل** لدى **شارل الثاني** ملك بريطانيا... وعندما كنت أبحث عن الأميرة أم **عبد الله** التي توسل بها السفير البريطاني **ستيوارت** لانجاح مهمته لدى **السلطان مولاي إسماعيل**، لقد كانت استطرادات الكتاب وإعاداته التي تقلق

الآخرين مما حبب إلى الكتاب، وإنه لايسعني اليوم إلا أن أشكر الفرصة التي أتاحت لي أن أكون ذلك «الأحد» الذي تمنى النقيب في خاتمة تأليفه، أن يأتي ليقرأ الكتاب قراءة جديدة.

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا **محمد** وآله.
الحمد لله الملك الديان، على عظيم الامتنان بحفظ الآثار بعد الاعيان، على تعاقب العصور والأحيان، مخصص من شاء بالملك الكبير، والتوفيق لصواب السياسة والتدبير، والتأييد بالنصر العزيز، والتمكين من مصاعد الظهور والتبريز والتعضيد على إنفاذ أوامره ونواهيه، بالعون المستحيل مناهضه ومضاهيه مشرف هذه الممالك المغربية، بخلافة ذوي السيادة والنفوس الأبية، والهمم العلية القوية، صفوة السلالة العلوية الغني شرفها عن التوضيح والبيان. **والصلاة والسلام** على سيدنا ومولانا **محمد** خير الخليقة، ممهد المجاز الى الحقيقة، ممدن أمته بما اقتبست من مشكاته الأمم، وتضاءلت عن لحاق شأوه سوابق الهمم، المحفوظ في شريعته وعظيم مجده، وعترته من بعده، الباذل في نصيحة أهل اتباعه ووده، غاية جهده، وعلى آله وصحبه وعترته، وورثة هديه ونصرته، ماتعاقب الملوان. **أما بعد** فيقول خديم العلم والتاريخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن جد الملوك وفخر السلاطين مولانا اسماعيل بن الشريف بن علي الحسني، **لما** كان تدوين سِيَر الملوك وتصوين مآثر الأعلام، مما يجب أن تصرف إليه الأنظار وتعمل فيه الأقلام، كيلا يسحب عليها النسيان ذيله، ويرسل عليها الدثور سيله. **ولهذا** الملحظ الفاخر، تنافس في هذا المقصد النفيس الأول والآخر، فاتوا بما جلا لعيون الأفكار، ما غاب عنها من أخبار أبناء العصور وأنباء الأمصار، على سبيل الاسهاب أو على طريق الاختصار، ليعتبر أولوا البصائر والأبصار. **وكان** من جملة ذلك ما رصعت التواريخ بدرره العالية، وطيبت المهارق بأرواحه الغالية، من سير ملوك العائلة العلوية الشريفة، المختصة بأحقية الخلافة المنيفة، خصوصا مولانا الجد الأفخم، السلطان الجليل الأعظم، مؤسس الدولة، باهر السطوة والصولة، محضر المملكة، مُوثر العدل فيما سلكه، موطد الأمن بسيفه الصقيل ورأيه الأصيل أمير المؤمنين **مولانا إسماعيل** قدس الله روحه، وجلل بحُلل الرضوان ضريحه، على أن الجل لم يقدروه حق قدره، كأنما أغشت

أبصارهم أنوار بدره، ولو انصفوا لم ياتوا نكرا، ولا عدموا شكرا، بل امتعوا من أنفسهم بصرا وفكرا. **وكان** من البر والسعي المحمود حفظ آثار الآباء والجدود، تدبني ذلك الملحظ إلى تدوين ما أنعم الله به عليّ، وجمعه لدي، مِمّا لم يكن مجموعا في ديوان، ولا مرتبا ترتيب تقريب واتقان من سير وانباء مولانا الجد المذكور، وما تعلق بها من ترجمة رائقة او فائدة فائقة، او نقل مشكور، ولا شك في ان استقلال ترجمته العزيزة بالتأليف، فيه مزيد استلفات وتشويق، فانتدبت لما ذكرته، واستعنت بالله على ما قصدته. **وسميته «المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف». ورتبته** على ابواب وفصول ليقرب الى كل غرض من اغراضه الوصول.

الباب الأول

في التعريف، بجنابه الشريف، وفيه اثنا عشر فصلا. الفصل الأول : في التعريف به. الفصل الثاني : في ذكر نسبه. الفصل الثالث : في ولادته. الفصل الرابع : في حاله. الفصل الخامس : في صفته الخَلقية والخُلقية. الفصل السادس : في مشيخته. الفصل السابع : في معلوماته. الفصل الثامن : في خشيته وخوفه من ربه. الفصل التاسع : في أحباسه على المعاهد الدينية. الفصل العاشر : في عدله وإنصافه. الفصل الحادي عشر : في شدة تواضعه. الفصل الثاني عشر : في حلمه وإغضائِه.

الباب الثاني

في سيرته وفيه فصلان : الفصل الأول : في سيرته في ليله ونهاره ــ الفصل الثاني : في شارته وتنظيم مملكته.

الباب الثالث

في شفقته على رعيته وكرمه واعتنائه بشأن العلم وذويه واسدائه لهم من عظيم نواله مايزيدهم تشجيعا ودؤوبا على التعاطي واغتباطا، ومحبته للأشراف والضعفاء وسَدَنَةِ الحرمين الشريفين ومايلحق بذلك وفيه فصلان : الفصل الأول : في إعانته الضعفاء والمساكين من إيالته. الفصل الثاني : في اعتنائه بشأن العلم وذويه.

الباب الرابع

في محبته لأهل العلم والفضل والدين واستنصاحهم وإلقاء الأسئلة عليهم والرجوع اليهم في كل ما يهم في الدين. وفيه فصلان. الفصل الأول : في إلقاء الأسئلة عليهم. الفصل الثاني : في شغفه بالعلم والعلماء.

الباب الخامس

في صدق فراسته.

الباب السادس

في سيره في جيوشه الوافرة.

الباب السابع

في فتوحاته.

الباب الثامن

في علائقه السياسية.

الباب التاسع

في اهتمامه بتحقيق أحساب وأنساب ساكني حضرته المكناسية، وأمره بتدوين ذلك في ديوان خاص، وفيه فصلان. الفصل الأول : في ترجمة أولاد العرب. الفصل الثاني : في تقييد ما اشتملت عليه الحضرة العلية من البلديين.

الباب العاشر

في قضاته

الباب الحادي عشر

في خلفائه من اولاده.

الباب الثاني عشر

في وزرائه.

الباب الثالث عشر

في نقبائه.

الباب الرابع عشر

باب جامع لذكر عماله وولاة أمره من أمناء وحجاب ونظار.

الباب الخامس عشر

في سفرائه الى الدول الأروبية وغيرها.

الباب السادس عشر

في أطبائه.

الباب السابع عشر

في شعراء دولته.

الباب الثامن عشر

في بناءاته وآثاره ذات البال، وفيه ستة فصول، الفصل الأول : فيما بناه من المساجد. الفصل الثاني : فيما جدده من المساجد والمدارس. الفصل الثالث : فيما بناه من القلع والمعاقل والقصبات. الفصل الرابع : فيما بناه من القناطر وجلبه من المياه للمساجد والمدن وأجراه بسقايات السبيل وما يلحق بذلك. الفصل الخامس : فيما بناه او جدده من الاضرحة. الفصل السادس : فيما بناه من القصور والدور.

الباب التاسع عشر

فيما غرسه من الجنات والبساتين.

الباب العشرون

في عدد ما خلفه من البنين والبنات والأحفاد وبعض الأزواج والسراري.

الباب الواحد والعشرون

في عدد ما خلفه في سجونه من الأسارى وأرباب الجرائم.

الباب الثاني والعشرون

في محبة رعيته له واغتباطها بأيامه الزاهرة.

الباب الثالث والعشرون

في بعض ما قيل فيه من الأمداح.

الباب الرابع والعشرون

في وفاته،

ومن الله أسأل التوفيق. والعون الذي هو أقوى معتمد ورفيق. وبه سبحانه أصول. وعليه أعتمد فأقول :

الباب الأول
في التعريف بجنابه الشريف

الفصل الأول :

في التعريف به : هو بهجة المملكة وعضدها والساعد، فخر سلاطين البسيط وأعدلهم وأتقاهم وأزكاهم وأذكاهم أبو النصر واليمن والإقبال الذي أطفأ الله بسيف عدله نيران الفتن والأهوال سيدنا الجد الأعظم مولانا اسماعيل بن الشريف.

قال أبو الحسن علي مصباح في تحليته مانصه : السلطان الجليل، الهمام الأثيل، ذو العلاء المولدي، والشرف الهاشمي العلوي، إمام الدين والدنيا، وكعبة كل مزية وعليا، ظل الله في أرضه، وسره المودع في طول خلقه وعرضه، مَن قلده الله أمر عباده، وملكه مفاتيح أرضه وبلاده، ورعاه باحسن المراعات، وجعل طاعته ثالثة الطاعات، حيث قال جل من قائل : «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم». خليفته الشديد باعباء الخلافة كاهله، المنتضا في صرامة الحق مناصله، المقسط في القضية، القاسم بالسوية، العادل في السرية، السائر في الرعية، بسيرة بكرية عمرية، الجدير بالابيات النّمرية :

ان المكارم والمعروف أردية	أحلّك الله منها حيث تجتمع
إذا رفعت امرءًا فالله رافعه	ومن وضعت من الأقوام متضع
من لم يكن بأمير الله معتصما	فليس بالصلوات الخمس ينتفع
إن أخلف القطر لم تخلف أنامله	أو ضاق امر ذكرناه فيتسع

الملك الذي ضرب لقبة مملكته اوتاد العدل فاستقلت، ومحت قواضب هداه من الأرض طغاة الجور فاضمحلت، وحمى حمى الشريعة السمحة من أولي الزيغ والجرائم، ولم يخف في الله منذ اسعد الله بخلافته الدنيا لومة لائم، ملاذ الإسلام، وعصمة سنة النبي عليه السلام، الذي أعز الله به الدين القويم، وهدى به الصراط المستقيم،

ورفع به للسنة الحنيفية كل منار، فأصبحت كأنها علم في رأسه نار، وأخلى الأرض من كل بدعة وضلال. وألبس الدنيا من التوحيد ألف جلال، فغدت به الشريعة وهي تنشد بلسان الحال :

دنت المنى وأجابت الآمال   وصفا الزمان وساعد الإقبال

وأحيا الله به العلم في سائر البلاد. بعد ان كانت سوقه لعبت بها أيدي الكساد، ونودي فيها على جماعة العلماء موتوا فما لكم من معاد، وضرب الجهل فوق الافاق سرادق وأطنابا، وغلق دون التعلم والتعليم كوى وأبوابا، فأصبح العلم اليوم بحمد لله كأنه بحر فاض على الدنيا فترك فيها الجداول والأنهار. أو أنجم السماء تساقطت على الأرض فأصابت جميع الأقطار، فاعتز العلم وحملته وذل الجهل وشوكته. وأنام الأنام في ظل الامان. ورد القرار إلى الأجفان، وقصر ممدود أهل العتو والطغيان، ومهد البلاد والأوطان، ورأى الناس أيامه كأنها الخيلان، في وجنات الزمان ورأوه أحق الناس بقول شاعر بني سلمان :

أطاعته حتى العصم في قنن الربى   وهشت الى تاميله الأنجم الزهر
وأمَّن بالسلم البلاد وأهلها   فلاظبة تعرا ولاروعة تعرو
وعادت بذاك المجد فانصرف الردى   ولاذت بذاك العز فانهزم الذعر
فأصبح ثغر الدين يبسم ضاحكا   وقد كان مما نابه ليس يفتر
خلافته العظمى ومن لم يدن بها   فإيمانه لغو وتأميله نكر

أعظم ملوك المغرب الذي دانت له سائرالأمم، وخضعت لجلاله سلاطين العرب والعجم، وغدت سدته ملتثما لشفاه الأقيال، ومناخا لرجاء الآمال، وساحلا لأصداف الإحسان والإفضال، ومحط رحال الأفاضل، وكعبة تطوف بها عقائل القصائد والرسائل.

ومابلغ المهدون للناس مدحة   وان اطنبوا الا الذي فيه أفضل
ولا بلغت كف امرىء متناولا   من المجد الا والذي نال أطول

وطار صيته في أقاليم الدنيا بأسرها، برها وبحرها، سهلها ووعرها،

المتخذ لتشييد قباب السنة والدين، ولجهاد الاعداء في سبيل رب العالمين، ولاستيصال شأفة الملحدين المعتدين، ولنصرة بيضة الاسلام، ولقصم ظهر الشرك وعبدة الأصنام، ولتطهير أرض الله عز وجل من كل من يأكل رزقه ويعبد غيره، ولايسلم للقدر حلوه ومره وشره وخيره، ولإعلاء كلمة الله حتى تكون هي العليا. وكلمة الذين كفروا هي السفلى، جيوشا يسير النصر حيثما ساروا، ويطير معهم طير اليمن والظفر حيثما طاروا، أمنهم الرحمن كل هزيمة، وأغناهم في مجال الذعر والروع عن كل عودة وتميمة. وجعل أكبر همهم في البيض الرقاق والسمر العوالي، وقرابيص المذاكي والغزو المتوالي. وسمك فوقهم رايات معقوداً عليها الفلاح والنجاح. يخالون فوق ليالي العتاق الدهم شموس الإصباح، ويخالون من شدة الإقدام في معارك الحروب أندية السماح. وما منهم الا وهو يتمثل عند اصطلاء لظى الحرب بقول بكر بن النطاح :

وإنا لنلهوا بالحروب كما لهت	فتاة بعقد أو سخاب قرنفل
ومن يفتقر منا يعش بحسامه	ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وإنا وصفنا دون كل قبيلة	ببأس شديد في الكتاب المنزل

أولئك قوم اعتزت بهم الدولة المنصورة، وأصبحت بهم ممدودات الطغاة والبغاة والعتاة والعداة مقصورة، وفتحت بهم للمسلمين حصون ومدن. وأغرقت بهم من المشركين فلك وسفن. فأكثروا لأهل الإسلام الفتوحات العظيمة، وبشروهم بالبشائر الجسيمة وسكنوا روعاتهم. وستروا عوراتهم. فاخضر غصن عيشهم الرطيب. وازهر روض عافيتهم الخصيب. وانشدوا في هذه الجيوش السعيدة قول محمد بن الخطيب :

ومن دون ماتبغيه يامالك العلا	جياد المذاكي المحجلة الغر
وأسد رجال مقدمين أعزة	عمائمها بيض وآسالها سمر
عليها من المادي كل مفاضةٍ	تدافع في أعطافها اللججُ الخضر
هم القوم إن هبوا لكشف ملمةٍ	فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر

وان سمعوا العوراء فروا بأنفس حرام على هاماتها في الوغى الفر
وتبسم مابين الوشيج ثغورهـم ومابين قصب الدوح يبتسم الزهر

وانفقوا انفسهم النفيسة في مرضات أمير المومنين. وفي حياطة ثغور المسلمين، فقرت بهم أساس مملكته، ورسخت في أرض الأمن والأمان أركان دولته. وأغمدت الأسياف في أجفانها، ووسدت كفها ونامت ملء أجفانها، وأمنت غائلة كل ماكر. من ظالم أو خارج أو باغ أو عاد أو كافر.

وألقت عصاها واستقر بها النوى، كما قرَّ عينا بالإياب المسافر، الهمام الذي لو تجلت هيبته للشهب لخرت، أو إلى الأفلاك لقرت، أو الى ثبير لزلزل، أو إلى الدهر لذلل. تخرس بين يديه الألسنة الفصاح وتسقم من غير علة الأفكار الصحاح. ويلبس بين يديه الشاعر الكمي، رداء الحصر والعي. لو مثل بين يديه سحبان لعاد باقلا، او زهير لأنشد قائلا :

قابلتُـه فملئت منـه مهابـة شغلت علي فصاحتي وبياني

من أعاد ديار السماحة ربوعا. بعد أن كانت اطلالا تبكي أهلها تضرعا وخشوعا. ورحل لجدواه الأرامل والأيتام. وكفى الناس يوم المحل كل غمام. وانسى عطاياه الجزيلة حاتما ومن تلى. وأحيا «نعم» وأمات «لا». يتهلل للعصاة محياه. وكان الخوارزمي لم يعن بقوله إلا إياه :

غريب على الأيام وجدان مثله وأغرب منه ـــ بعد رؤيته ـــ الفقر
فلا حر إلا وهو عبد نوالـه ولاعبد إلا وهو في عدله حر
فلو لامس الصخرَ الأصمَّ بكفه لفجر نهرًا فائضا ذلك الصخر
عجبنا له لم يلبس الكبر حلة وفي الناس ان جازوا على بابه كبر

فلم يزل متعرفا للناس بمعروفه الجزيل. وعاطفا للدهر وقلوب بنيه بفعل الجميل، يفيدهم ما استفاد، ويوثرهم في كل ناد، إيثار الأمهات للأولاد، في حياء عظيم وتواضع جسيم، وميسم وسيم، وسمت حسن، وأدب مستحسن، وعقل ثاقب، ورأي صائب، وتدبير جزل، وقول

فصل، وحكمة عامة، وسياسة تامة، ووقار وحلم وجلال وعلم، حتى فدوه بالآباء والأمهات، وصار ملبّى متى قال : «هات»، وودوا أن لو يزاد في حياته من أعمارهم، لما نالوه في مدته الغراء من مرادهم وقضوه من أوطارهم، ورفعوا أكف الضراعة الى الله مبتهلين، وقاموا في أجواف الليالي متبتلين، داعين الى الله عز وجل أن يطيل حياته فيهم، ويرفع به عنهم خطوب الأعادي ويكفيهم، وينشدون في ذلك الحال، بلسان المقال :

عتك قلوب المسلمين وأخلصت وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الأكف ضراعة فقال لهن الله : قد قضي الأمر

وحتى أذعن الدهر لعظيم سلطانه. وانقاد لحكمه يجر أذيال هوانه. وقبل التراب بين أقدامه. راغبا منه أن يكون من خدامه. يلبيه إذا هو دعاه. وينتهي إذا هو نهاه. ويناديه بقول زياد يفاغر به فاه :

فانك شمس، والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب
ألم تر أن الله أعطاك صورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فيجيبه هو أيده الله بأعلى عقيرته منشدا من فكره وقريحته غير مدع في ذلك فندا. والله وملائكته وإنسه وجنه على صدق دعواه شهدا :

نشرتُ على البلاد بنود ملكي مؤيدة بمن خلق البلادا
وما بقُوى العباد نصرت لكن حباني النصر من خلق العبادا
أبنت الدين حتى عاد صبحا يسدد دون رائده القتادا
وجاهدت العدا حفظا وخوفا على دين الذي فرض الجهادا
وما بطرت بي النفس التي لو تروم البدر كان لها مهادا

وهو مولانا أمير المؤمنين اسماعيل بن الشريف بن علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف بن الحسن بن محمد بن حسن بن قاسم بن محمد بن الحسن ابن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمد الامام المهدي ذي النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن

حسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هـ وقال في وصفه الكاتب الشهير العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الغساني في كتابه المسمى : «رحلة الوزير، في افتكاك الأسير». ما نصه : سيدنا الإمام. السلطان المظفر الهمام. ذو الشيم التي أنست مآثر الأوائل والأواخر، والمزايا التي فاضت على الانام ولا فيضان البحور الزواخر. والهمة التي لم تزل تراقب المعالي وتصرف الكلية لحماية البلاد والعباد والدين والدنيا بالبيض والسُّمر العوالي. ويحمي بيضة الاسلام. ويحيي سنة جده عليه الصلاة والسلام الماجد الأصيل الغطريف. ظل العدل الوريف. مولانا إسماعيل بن الشريف. هـ

وقال في حقه صاحب زهر البستان أبو عبد الله محمد بن العياشي : فرع الدوحة الزاهرة. وتاج العصابة الطاهرة، والقطب الذي عليه المدار. والفخار الذي أوما إليه الملك وأشار.

ولقد علمت بأن ذلك مِعْصَم ماكان يتركه بغير سوار

وماظنك بمن أقامه الله لإصلاح دينه. واختاره من سلالة مصطفاه وأمينه، فخر السلاطين وناصر الملة والدين أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين، أبا النصر مولانا اسماعيل أيد الله أوامره. وأبد مجده ومفاخره.

وقال أبو عبد الله اليفرني في «روضة التعريف» مانصه : من أنسي بحسن سيرته جميع الدول وتردى من مكارم الأخلاق ما لم يخطر ببال أحد في العصر الأول. ومهد بجيش مدده للسائرين سبلا فجاجا. من خرج لإقتناء المفاخر مقدمة أول رعيل، أبا الطاهر مولانا اسماعيل. بن موالينا الذين جعل الله محبتهم لسقام الانام علاجا :

ملك إذا قابلت منه جبينه فارقتُه والنور فوق جبيني
وإذا لثمت يمينه وخرجتُ من أبوابه لثم الملوك يميني

لازالت كؤوس عدله للشاربين لا فيها غول. ومرضية ايام حياته

مؤسسة بالعدل. ولازال الملك فيه وفي أعقابه لايرى الناس فيه اعوجاجا. هـ وحلاه أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي بقوله : مركز المجد والسناء. ومأرز الحمد والثناء. وينبوع المحاسن والمفاخر. ومجمع المحامد والمآثر. السلطان الأعظم. الأجل الأفخم أبو الثناء مولانا اسماعيل بن الشريف. الغني بارتفاع قدره عن التعريف هـ. وحلاه الشيخ أبو عبد الله محمد المرابط بن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدلائي بقوله : الحضرة الإمامية. والمثابة الهاشمية الهمامية. ايدها الله بسيرة العمرين. كما أحاطها بتعاقب الملوين. وأسبغ عليها سوابغ إجماله. كما أفرغ عليها سحاب إجلاله. ووقاها مقاحم الأخطار. كما أتاها بنغائم الأطيار. المقام الذي انثالت إليه وجوه الميامين تتهلل. كما تمايلت إليه المكرمات تتهادى وتململ. ودانت له رقاب الأمم إعظاما. كما ازدهت في معالم المعارف إكبارا وإكراما. وطابت به الأماني. كما دامت به التهاني ووسع امتنانه البدو والحضر. كما استخدم سلطانه ربيعة ومضر وأقام عمود المملكة بعد اشرافه. كما استنقذ أسيرها بعد اسلامه وايجافه. إذ تفرع من شجرة شماء، أصلها ثابت وفرعها في السماء.

وأنتهج الحنيفية البيضاء حسا ومعنى. فانبرى مثابة للناس وأمنا. وصار من كل إنسان بمنزلة إنسانه من أوسانه، وأقرب للسانه من أوسانه، وبيانه من بَنانه. وفي شمائله ينشد :

هو البدر والناس الكواكب حوله وهل يشبه البدرَ المنيرَ الكواكب

أنظر «البدور الضاوية»

وقال الشريف سيدي هاشم بن احمد العلوي في منظومته :

ومنهمُ ذو المجد ثم الشرف وهو أمير المؤمنين فاعرف
ذو العز اسماعيل والقدر العلي والده الشريف والجد علي
المتواضع لرب العالمين فشفع اللهم فيه الصادقين
معظم الحديث والكتاب كتاب ربنا العلي الوهاب
رأيته وفي التراب يسجد لله ربنا جزاه الصمد

خيرا على مر الليالي والشهور وحفظ الملك له مر الدهور
اذا مساكن رأى تواضعا وإن هم قد سألوه طاوعا
وان رأى ظلمةً ارتفعا ومستحق السيف فيه وقعا
حتف المحاربين والبغاة ثم الجبابرة والطغاة

وقال أيضا واصفًا سجلماسة :

منها أمير الأُمَرَا وفخرُهم تاج الملوك ثم أيضا عزهم
ذو المجد اسماعيل فضله ظهر وفي بلاد الله شاع وانتشر
بحر العطا شمس الضحى ليث الوغى كهف المساكين وحتف من بغى
لو لم يكن فيها سواه لكفى مجدا وفخرا وعلا وشرفا
غزا النصارى ومدائن فتح ونشر الإسلام فيها فاتضح
فاق ملوك الأرض بالتواضع لربنا أكرم به من طائع
وفاقهم فاعلم بأمنه السبل أمنه الله العظيم بالرسل
معظما لآل طه المصطفى فلو قبيحا فعلوا عنه عفا

وقال أيضا في حق والد المترجم وبنيه :

ثم الشريف وهو ذو القدر الشهير فاغفر له اللهم يا بر قدير
بنوه كالأسد وكالبيزان تخصيص ربنا العلي الرحمان
ضراغم في الحرب ثم في العطا أبحُر ما كان على هذا غطا
إن لبسوا الدرع عوابس بدور إن لبسوا التاج وكلهم شكور
لربنا عليهم مدى الزمان سلام ربنا كذلك الأمان
مفرقون كالسباع في البلاد آمرهم ذو المجد خالق العباد
أشد من قسورة هم اسمعا ما ولد السبع قط ضبعا
كذلك البازي فما قطْ ولدا حبارة ماكان هذا أبدا

الفصل الثاني

عمود نسب المترجم الشريف. الغني عن البيان والتعريف. فوالده — كما تقدم — المولى الهمام. الأسد الضرغام. سيدنا الشريف بن سيدنا علي بن محمد ابن علي بن يوسف بن علي الشريف بن الحسن بن محمد بن حسن بن قاسم ابن محمد بن ابي القاسم بن محمد بن

الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي[1] بن حسن بن أحمد بن اسماعيل بن أبي قاسم ابن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول بنت مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الامام النسابة الحجة الثبت الثقة أبو محمد عبد السلام ابن الطيب الشريف الحسني القادري في «الدر السني» لما ذكر السلسلة المتقدمة مالفظه : وعمود نسبه هذا لم يزل هكذا عند بنيه محفوظا عدده، موصولا سنده، كما أوصله المولى الحسن القادم على سجلماسة رضي الله عنه إليهم محفوظا موصولا، وتداولت رسمه الأعلام فرأيته عند غير واحد منهم كالسيد الفقيه المؤرخ الضابط سيدي أحمد بن يحيى الشريف العلمي جد الشرفاء الشفشاونيين فيما قيده بخطه. والشيخ العلامة المتفنن أبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي في كتابه «مرآة المحاسن» وغيرهما هـ.

وقد نظم النسابة القادري المذكور جميع السلسلة المتقدمة سالكا طريق الترقي بقوله :

أبو ملوكنا الشريف بن علي   محمد علي يوسف يلي
علي الشريف ثم الحسن   محمد بن حسن المستوطن
فقاسم محمد فالقاسم   محمد الحسن ذو المكارم
فعابد الله أبو محمد   فعرفة فحسن ذو السؤدد
ثم أبو بكر علي فحسن   أحمد اسماعيل قاسم ومن
محمد المهدي فعبد الله   فالحسنان فرسول الله

وانما قال ملوكنا لكونه من أهل عصرهم، وكأنه قصد بالجمع زيادة على التنوية إدخال الأميرين أخوي المترجم قبله المولى محمد فتحا والمولى الرشيد. وقد نظمه أيضا حفيده النسابة المؤرخ الثبت أبو عبد

---

(1) سقط اسم (علي) من الشجرة التي كتبها بخطه السلطان مولاي سليمان وأثبتها في مذكراته علي العباسي

ذ. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 9 ص 10 ــ 1408 = 1988 ــ رقم الايداع القانوني : 1986/25 مطابع فضالة ــ المحمدية ــ المغرب.

الله محمد الطيب بن عبد السلام القادري متوسلا به إلى الله تعالى لنيل مناه وسالكاً طريق التدلي إلى إمام وقته سيدنا محمد بن عبد الله في قوله :

يارينا بالمصطفى الكريم — وقربه من ربه العظيم
وبنته الزهراء وزوجها علي — وبابنها الحسن ذي الفضل الجلي
وبالمثنى نجله الأواه — وبإبنه الكريم عبد الله
وبالرضى محمد المهدي — والقاسم المعظم الزكي
ثم بإسماعيل درة الشرف — وأحمد إبنه يتيمة الصدف
فحسن ثم علي إبنه — ثم أبي بكر العلي في شأنه
عرفة الأرضي الكريم السؤدد — ونجله الفضل أبي محمد
ونجله يارب ـ عبد الله — بالحسن الأسمى الرضى الأواه
محمد فنجله فالقاسم — فالحسن الأعظم وهو القادم
محمد فحسن الأزكى الحنيف — فابنه مولاي علي الشريف
فيوسف ثم بنجله علي — وبابنه محمد الأرضى العلي
وبأبي ملوكنا الشريف — من لم نزل في ظله الوريق
مولاي اسماعيل تاج الدنيا — رتبته واحدة في العليا
يارينا وبالعظيم الجاه — سيدنا مولاي عبد الله
رب ونجله أمير المؤمنين — من أيد الله بفتحه المبين
سيدنا محمد شمس الزمان — وروح عالم الأنام في الأوان
ظل الاهنا على العباد — وغيثه لحاضر وباد
ورحمة الله على المسكين — وفضله لذي القوى والدين
رب بهذا النسب المطهر الـ — مقدس المعظم المنور
أدم لنا وجوده وحفظه — وهب لنا رضاك كل لحظة
واجعل علينا حرمة النبي — بجاهه المعظم العلي
صلى عليه الله مادام الدوام — في كل ماله ابتداء واختتام

وممن نظم عمود هذا النسب الطاهر ايضا النسابة المنصف المطلع ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الدلائي في «درة التيجان» ودونك لفظه :

فمن بني القاسم اشراف الورى   أعيان وقتنا الملوك الكبرا
أهل سجلماسة بيت الشرف   قد ورثوه خلفا عن سلف
دار السيادة نجوم الحسب   والفضلاء الصرحاء النسب
نور النبوءة عليهم وضحا   في وجههم كالشمس رونق الضحى
فضلهم للناس ليس ينكر   ومجدهم من كل ذاك أكبر
أول من حل بهذا الافق   ولاح منهم من سما بالمشرق
جدهم الأكبر مولانا الحسن   فطاب منه العرق والفرع الحسن
فمن سماه لاحت الانوار   وطلعت في المغرب الأقمار
آباؤه الى محمد الزكي   خمسة عشر كنجوم الفلك
من ينبع النخيل سره سرى   وذاك في العلم الذي تصدرا
طاب به المكان والأوان   وعبقت من نشره الأكوان
وشرفت بالساكن الديار   وعز من آل الرسول جار
وبارك الله بهذا النسب   فجاء منه كل فرع طيب
والقادم المذكور مولانا ولد   محمدا ما ان سراه من ولد
وهو قد ولد مولانا حسن   سيدنا سمي جده حسن
وهو قد خلف من سناه   اثنين كانا قمري سماه
فعابد الرحمن أعلى سنا   سيدنا بالبركات يكنى
ثانيهما وهو شمس القمرين   لاح سناه من سماء النيرين
سيدنا الشريف مولانا علي   الصالح الرضي لدا الرب العلي
حج وجاهد، وبر صدقا   لله ما أعطى، وماتصدقا
فهو نظام سلك ذاك الشرف   ودرة تفتقت من صدف
وأعقب الله لهذا السيد   ابنين خلف بغير زائد
سيدنا الأسنى الرضى محمد   وفرعه السامي كريم يحمد
سيدنا أبو الجمال يوسف   ونسله بكل خير يوصف
وانقسم البيت الى بيتين   وصارت الأشراف فرقتين
بنو محمد الى ذاك الأب   واليوسفيون لهذا النسب
ومنهم ذو البيت والجاه العلي   سليل مولانا الشريف بن علي
بيت الإمارة وملك المغرب   والشرف الخالص من بيت النبي

بركة عمت فما أسناه حتى اضاء الغرب من سناه

وكذا نظمه سيدي هاشم المذكور آنفا وهو ابن أحمد بن محمد بن عبد الواحد بن علي بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن علي الشريف من طريق أحد أنجال السيد يوسف المذكور وهو الحسن بادئا بوالد نفسه فقال :

والدنا العبد الفقير أحمد رحمه الله العلي محمد
والده هو لعبد الواحد قد انتمى أكرم به من ماجد
ينمى الى علي بن طاهر المنيب وذا إلى الحسن ذي الفضل اللبيب
سليل يوسف الزكي ابن علي المرتضى الشريف ذي القدر العلي
والده الحسن ذو فعل حسن ابن محمد الزكي بن الحسن
من انتمى لقاسم الممجد ابن الرضى العدل التقي محمد
ابن ابي القاسم سلوة النزيل محمد الوالد ذو قدر جليل
ينسب للحسن ثم الوالد عبد الإلاه راكع وساجد
وذا الى محمد قد سبا وهو في جمع الحدود حسبا
والده عرفة وذا النبيل للحسن انتمى له قدر أثيل
ابن أبي بكر الزكي بن الولي علي ذي الفضل وفضله جلي
ينمي الى الحسن ذي المجد التقي أكرم به الى العلا من مرتقي
هو بن احمد بن اسماعيلا من قدره تجاوز الاكليلا
وهو لقاسم انتمى وذا سليل محمد الزكي ذي الفضل الجزيل
والده عبد الإلاه الكامل ابن المثنى المرتضى والفاضل
الحسن التقي بن سبط المصطفى الحسن الذي بعهده وفى
سليل فاطمة بنت أحمدا رسول ربنا وصاحب الهدى

والشريف العلامة الثبت أوحد أهل زمانه مولانا عبد الهادي ابن عبد الله ابن علي متوسلا ولفظه :

أحمد مولى غمرت آلاؤه وشملت كل الورى نعماؤه
مصليا على الرسول المجتبى محمد أسنى، وأسمى مرحبا
صلى عليه الله ما دام علاه وزين الطروس تسطير حلاه

هذا، واني اذ طفت عيوبي وقيدت بمغرب ذنوبي
وجدت أوثق العرى معتمدا في نسب منمى الى بدر الهدى
اذ كان كل نسب وسبب منقطعا الا المضاف للنبي
لذا مددت الكف للسؤال وقلت راغبا لذي الجلال
رب توجهت إليك بالحبيب ونسب يدلي به العبد الكئيب
الى المقام النبوي الأحمد سر الوجود والكريم المحتد
بين مرامه أزل شجونه وجد بسكنى طيبة الميمونة
بالحبر عبد الله ثم بعلي وطاهر بن الحسن بن المعتلي
يوسف ثم بعلي بن الحسن وبمحمد وبالمولى حسن
وقاسم وبمحمد الجليل وبأبي القاسم سلوة النزيل
وبمحمد وبالحسن من ينمى الى عبد الإلاه المؤتمن
وبأبي محمد بن عرفة وبعلي الحسن زين المعرفة
وبأبي بكر الهمام بن علي وبالرضى الحسن ذي القدر العلي
ثم بأحمد واسماعيلا من قدره تجاوز الاكليلا
بقاسم المجد محمد التقي سليل عبد الله خير مرتقي
وبالمثنى حسن وبالحسن ذي الشرف الباذخ والفعل الحسن
ابن علي السيد الهمام باني عماد سلم الأنام
فلذة سيد الورى المختار نور القلوب وضيا الابصار
فاطمة ذات العلى القديم والفخر ثم الحسب الصميم
صلى عليها الملك العلام ماميحت بحبها الاثام
أو دفعت بذكرها أهوال أو ختمت بمدحها أقوال

وقد نظم بعضهم أيضا سلسلة هذا النسب الطاهر العلي القدر الباهر متوسلا به الى الله في نيل رضاه حسبما أورده صاحب «روضة التعريف بمفاخر مولانا اسماعيل بن الشريف» ولفظه :

توسل الى الرحمن في السر والجهر تنل كل ماترجو من الفضل والخير
وناد باسماعيل نجل شريفهم سليل علي ذي المكانة والقدر
هو ابن الجواد الأريحي محمد سليل علي شمس ابنائه الغر
هو ابن الرضى بحر الفضائل يوسف هو ابن على ارغب الناس في الأجر

هو ابن رفيع القدر والحسن اسمه ... ووالده المولى محمد كالبـدر
سليل الرضى مصباحنا الحسن الذي ... أتانا من الينبوع بحر من السر
أبوه المفدى قاسم بن محمد ... وقاسم ياتي من محمد في الذكر
كذا حسن عبد الإلاه أب له ... سليل الفتى المولى محمد ذي الصبر
هو ابن الذي يدعونه عرفة وذا ... الى حسن ابن للمكنى أبي بكر
هو ابن علي الرضى، الحسن الذي ... لأحمد اسماعيل أصل له فادر
كذا قاسم ابن الامام محمد ... ووالده عبد الإلاه بلا نكر
هو ابن المثنى واسمه حسن وذا ... من الحسن السبط استعار حلا الفخر
هو ابن علي ثم بنت محمد ... عليه صلاة الله في السر والجهر
إلاهي توسلنا إليك بجاههـم ... اغثنا، اغثنا، واكفنا كل ذي شر
ونور بنور الدين ليل قلوبنا ... ولاتخزنا يارب في موقف الحشر
واحبابنا والمسلمين وكن لنا ... وليا وأوزعنا نوالك بالشكـر

قلت وماجرى عليه هؤلاء من وصل القاسم بالنفس الزكية هو الذي جرى عليه ايضا أبوالعباس الشفشاوني، وابن القاضي في «منتقاه» و «درته» و «جذوته» والفشتالي في «مناهل الصفا» وأبو حامد العربي الفاسي في «مرآته» وأبو زيد الفاسي في «ابتهاجه» واليفراني في «نزهة الحادي» وكذا جرى عليه في «التقاط الدرر» و «درة المفاخر» وغيرهم. وهو الحق الذي لا عوج فيه ولا امتا، وهو المحفوظ عمن تفرع عنه بالمغرب من مولانا الحسن الداخل ووجد بخطه في خزانته بعد وفاته وهو الثابث في الرسم الذي شهد فيه علماء سجلماسة وعدولها ووجهائها لمولانا علي الشريف قيد حياته وذلك لما عزم على الرحلة الى الديار المشرقية لحج البيت العتيق الذي جعله الله مثابة للناس وأمنا. بصحة نسبه للجناب النبوي وكونه من الذرية الحسنية وقفت على فروع من فروعه مكتوب كله بالذهب المحلول بخط شرقي بارع مسجل على قضاة سجلماسة وفاس ومكناس ءاخرهم قاضي الحضرة الاسماعيلية في حينه وخطيب منبرها الاعظم السيد عبد الوهاب بن محمد العرائشي بتاريخ أواسط قعدة عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف وهذا الفرع ثوارته الابناء بسجلماسة عن الآباء

والاجداد تاريخه في العشر الاول من ذي القعدة (691) أحد وتسعين وستمائة وهو في أسني وأسمى الدخائر الممتازة التي حلى بها جيد المكتبة الزيدانية وقد كان المولى علي الشريف الجد الاكبر المذكور اتخذ هذا الرسم عمدة لما عزم على الرحلة المذكورة ، وكذا اعتمده أخواه بعد أبو البركات وأبو محمد الحسن حسبما في بيان ذلك كله بتسجيل الفرع المذكور وعلى مقتضاه درج حفاظ علماء أحفاذ هذا الجد كالامام الحافظ الضابط المتقن الحجة مولانا عبد الله بن علي ابن طاهر وولده مولانا عبد الهادي وهما من هما. والدراكة مولانا التهامي بن مولانا عبد الله. والعلامة أبي عبد الله محمد بن السيد المدغري. والعلامة الحيسوبي الفرضي ابي العباس احمد بن علي البلغيثي، وقاضي الجماعة بمكناس النسابة الثبت الواعية مولانا عبد القادر المحمدي وقاضيها ايضا المطلع المتحري مولانا أحمد بن علي، والثبت النسابة الثقة مولاي الطايع بن محمد بن هاشم البلغيثي.

قال في «الشجرة الزكية» في حق هؤلاء الأشراف المذكورين : وكلهم ممن يقتدى به في غير نسبهم، أحرى وهو، لأن أهل مكة ادرى بشعابها. وممن جزم بهذا العمود أيضا العلامة الهلالي، وصاحب «الدرة المكنونة الغالية في وصف أهل الدولة العلوية العالية». وهو الشيخ العربي بن عبد السلام المعروف بدفين طيبة، اذ قال بعد أن عدد في رفع هذا العمود عددا من الأجداد مانص الغرض منه أن الاشراف قد تناسبوا من كلا السبطين مولانا حسن المثنى ومولاتنا فاطمة بنت مولانا الحسن فولدا السلطان الفاضل أبا عامر مولانا عبد الله الكامل، مدوخ الأقطار بالمرّان الذابل، فتلاه العارف العالم أبو عبد الله سيدي محمد النفس الزكية فنجله مولانا قاسم. فتلاه الحلاحل الوقور النبيل ابو الوليد مولاي اسماعيل. وبهذا نعلم أنه لا التفات لمن غلط في هذا العمود الطاهر وخلط وأوقع نفسه في الطعن عليه والتيه والشطط. وزعم ان في هذه السلسلة الذهبية انقطاعا، وأن الصواب في زعمه هو ان يزاد بين قاسم والنفس الزكية ثلاث وسائط بأن يقال بعد قاسم بن الحسن بن محمد بن عبد الله الأشتر بن النفس الزكية مستندا

في زعمه المذكور الى أن النفس الزكية لم يخلف ولدا اسمه قاسم وذكر بقية العمود الى الجد الاعظم المولى إسماعيل المترجم وذاك وهم فادح وقصور وجهل واغترار بكون مصعب وابن حزم لم يذكر قاسما في أولاد النفس الزكية وقد وهم ذلك من وجهين أحدهما غفلته عن كون النسب لقاسم بن النفس الزكية لا تتوقف صحته على تأخر قاسم في الوفاة عن أبيه إذ كم من فرع سبق أصله في الممات وترك فرعه بالحياة وهو الواقع هنا كما تأتي ثانيهما ظنه أنه لا معلوم إلا ما علمه ابن حزم ومصعب وهما لم يذكرا قاسما فيمن خلفه النفس الزكية من الاولاد وغفلته عن كون علم البشر وان بلغ ما بلغ لا انفكاك له عن النقص ولم يتنبه لكون المذكورين وان كانا من علية الحفاظ فقد وقع منهما في هذا المقام وغيره مالا يشك في وهمهما فيه، فقد عد ابن حزم من أولاد النفس الزكية ستة، وعدهم مصعب خمسة، وعدهم النسابون الاثبات سبعة وفي مقدمتهم قاسم الذي لم يذكراه ونصوا على ان والده كان به يكنى وهو اكبر اولاده ثم عبد الله الاشتر وفيهما البيت والعدد كما عد الاثبات ايضا من اولاد النفس الزكية الحسن مكبرا ووهم ابن حزم فجعله مصغرا كما عدوا ايضا منهم احمد واسقطه مصعب وقد استدركه عليه ابن حزم نفسه وابراهيم والطاهر قال في ذرة التيجان :

محمد فرع المعالي قد سما ولد سبعا كالثريا في السما
فمنهم القاسم فيما ذكروا وعابد الإلاه وهو الأشتر
وفيهما العقب والأنساب والبيت والشرف والأحساب
ثم علي والحسين الباهر أحمد ابراهيم ثم الطاهر
وذلك بالدر السني ماذكر عددهم سبعا وفي ذاك نظر

ولما قال العلامة الثبت المؤرخ النسابة أبو محمد عبد السلام ابن الطيب القادري الشريف الحسني في كتابه الدر السني : وولد محمد النفس الزكية ويلقب بالأرقط أيضا من الذكور عبد الله الأشتر وفيه اللقب وعليا وحسينا بالتصغير وطاهرا وأحمد وابراهيم والقاسم، ومن ولده شرفاء سجلماسة الذين منهم شرفاء ملوك وقتنا هذا هـ. كتب

عليه حفيده النسابة المتقن ابو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام ما نصه : مامشى عليه سيدنا الجد رحمه الله من أن القاسم من اولاد النفس الزكية مباشرة بدون واسطة صحيح خلافا لبعض العلماء الأكابر الذي اعترضه بأنه لم يذكره ابن حزم في اولاده وكذا غيره وبان الذي عند غير صاحب الدرّ أنّ القاسم هو ابن الحسن بن محمد الكاملي ابن عبد الله الأشتر وهو ابن النفس الزكية ولهم اعقاب كثيرة هـ. لكن مع كونه صحيحا لاينافي أن قاسما آخر من اولاد النفس الزكية مباشرة من غير واسطة وهو الذي عند هذه الشعبة السجلماسية ذات المجد الصّميم والحسب الأصيل المشتهرة اشتهار الشمس بين الضحى والأصيل وهم أولى فأهل مكة ادرى وأعرف بشعابها وقد مر عليه جمع من العلماء منهم صاحب المرآة وغيره لما استطردُوا ذِكْر عمود هذه الشعبة ذكروا أن القاسم ولد النفس الزكية مباشرة وقد وقفت عليه في غير مسطور وتواردت عليه قرائح أئمة صدور وهو موجود في رسوم واصدقة لاتحصى متداولا بين اعيان كل زمان من ظهورهم إلى الآن وقد يحصل من جميع ذلك لمستقريه التواتر الخاص المستوفي لشروطه وصرح به غير واحد من الأئمة المعول عليهم في هذا الشأن لأنه لاتذكر قبيلة من مشاهير شرفاء المغرب الا وتذكر هذه الشعبة وهذا مستند صاحب الدر السني فكلامه لاغبار عليه ولاغرابة في عدم استيفاء ابن حزم وغيره جميع ابناء النفس الزكية وقد ترك مصعب بن الزبير احمد من ابناء النفس الزكية أيضا وترك أيضا عليا من أبناء جعفر الصادق وذكرهما ابن حزم وغيره وذكر أن عليا قام بالبصرة ومثل هذا كثير ويقع في كلام الحفاظ يتحققه من مارس كلامهم وذلك اما لقصور في النقل او ذهول. وليس واحد منهما مستحيلا في حق البشر. **ومعنى** التواتر الخاص أن يحصل القطع بشيء عند بعض العلماء دون بعض وبعض الناس دون بعض ومثل ذلك للقاضي عياض بأن أصحاب مالك تواتر عنهم إجزاء النية في اول رمضان خلافا للشافعي في ايجابه لها كل ليلة. وايجاب مسح جميع الرأس واشتراط الولي في النكاح خلافا لأبي حنيفة **قال** وتجد الجم الغفير من الفقهاء لا يعرف ذلك من خلافهم فضلا عمن لم ينظر

في الفقه وهو واضح هـ. وكذا يقطع كثير من العلماء أو كلهم بأن نافعا هو مولى ابن عمر وربيعة هو شيخ الامام مالك والبويطي هو صاحب الشافعي وكثير من العامة لا علم له بوجود واحد منهم فصح ان التواتر يكون خاصا وعاما ولايقال لا يصح التواتر في مسألتنا لأن شرطه عدد كثير حالت العادة .تواطؤهم على الكذب عن مثلهم بحصول العلم بطرفيه واستنادهم الى الحس لأنا نقول كل ذلك ممكن هنا أو واقع على أن الذي نص عليه القاضي ابو بكر الباقلاني وامام الحرمين والغزالي والأبياري وغيرهم من محققي الاصوليين أن علامة التواتر هو وجود العلم وحصول القطع عند ورود الخبر. فمن راجع نفسه فوجدها مطمئنة جازمة لا يخالطها شك فذلك هو التواتر وهو الواقع ان شاء الله في مسألتنا وفي جمع الجوامع وحصول العلم آية اجتماع شرائطه هـ. لفظه من خطه بواسطة ومانقله عن عياض واستوضحه قد سبقه الى نقله واستحسانه الحافظ ابن حجر في علامات النبوة من فتح الباري فالتحقيق ما جزم به صاحب الدر السني وغيره مما تليت عليك نصوصهم من الاثبات الثقات من النسابين من كونهم سبعة وان كان عدهم مصعب خمسة وابن حزم ستة فقد عدهم أبو زرعة الرازي وأبو عبد الله الحسين الديار بكري سبعة. والقاعدة ان المعتمد الذاكر فيما ذكر لا التارك فيما ترك مع ان مصعبا وابن حزم انما تعرضا لأولاد النفس الزكية الذين خلفهم بعده والقاسم توفي قبله عن ولده اسماعيل قال أبو عبد الله الديار بكري توفي القاسم بن محمد النفس الزكية في حياة والده وجده وتزوج شقيقه عبد الله الأشتر بزوجته بعد ان وضعت حملها من القاسم وهو اسماعيل ابن القاسم فكفله عمه الأشتر فلما وقع ما وقع بالامام محمد النفس الزكية فر عبد الله الأشتر بزوجه وابن اخيه اسماعيل الى السند وتحصّن بمدينة كابولة فكان الناس ينسبون اسماعيل لعمه المذكور ويقال له اسماعيل ابن عبد الله ونشأ في كفالة عمه الأشتر وحضانة امه مع اخوته للأم فدعا عبد الله الأشتر لنفسه بمدينة كابولة فتحيل عليه العباسيون الى ان قتل بها وبعث برأسه الى الرشيد وترك أولاده هناك مع ابن أخيه ربيبه اسماعيل بن القاسم بن محمد

بن عبد الله الكامل فرجع اسماعيل ابن قاسم من السند واستوطن الحجاز ينبوع النخيل قال وبقيت اولاد عبد الله الأشتر بالسند بمدينة كابولة وهم بها مشهورون هـ. وفيه التنبيه على فائدة اخرى وهي سبب الوهم ايضا وهي ان اسماعيل بن قاسم كان ينسب لبنوة عمه عبد الله الأشتر لكفالته له وتزوجه بأمه على ان مصعبا وابن حزم لو فرضنا انهما نفيا ان يكون للنفس الزكية ولد يسمى قاسما أصلا لما ساغ لذي معرفة ان يلتفت الى نفيهما لأن من حفظ حجة ولأن من اثبت مقدم، ولأن اهل كل بيت أدرى بالذي فيه وكيف لا والقصور شأن علم البشر ولذلك تجد مصعبا وابن حزم يقع لهما في غير موضع من الانساب النبوية، اسقاط ما هو ثابت، واثبات ما هو ساقط من الفروع والوسائط كما سبق التنبيه على بعض ذلك ومن العجيب اغترار المسناوي فيما نقل عنه بذهول ابن حزم ومصعب في هذا المقام حتى ظن الانقطاع في هذه السلسلة مع اعترافه هو وغيره بان هذا النسب الكريم، اعز جانبا من ان يتطرق اليه ادنى تشكيك بالاجماع وقد صرح غير واحد من فحول العلم المقتدى باقوالهم وافعالهم قبل تملك هذه السلالة العلوية الطاهرة، وبعده بان نسبتهم اصرح الانساب قال ابو حامد العربي الفاسي نسب شرفاء سجلماسة للبيت النبوي اظهر واشهر من شمس على علم لأن الشرف بالمغرب ينقسم بحسب القوة في الثبوت الى خمسة اقسام من اعلاها شرفاء سجلماسة تافيلالت فهم فيما بينهم كالحلقة المفرغة لايدري أولها من آخرها بحيث، من كان منهم لايسعهم اخراجه ولو بلغ من الفاقة ما بلغ ومن لم يكن منهم لا يسعهم ادخاله ولو بلغ من الغنى مابلغ. هـ وقال العلامة النسابة الحجة الثبت سيدي عبد السلام القادري في الدر السني، في بعض من بفاس من اهل النسب الحسني : واما بنو محمد النفس الزكية رضي الله عنهم فمنهم بفاس بعض شرفاء سجلماسة المدعوة بتافيلالت، وهم من صرحاء الاشراف نسبا، وافضلهم حسبا، وكبرائهم أقدارا، وعظمائهم اشتهارا. طلعوا في سماء المجادة بدورا وفي محافل السيادة صدورا وتساموا في المشارق والمغارب ظهورا وحملوا من المهابة والجلالة لواء منشورا. هم في علو الهمة

ونفوذ المعرفة منصب لايضاهى. ومرقب لايباهي أبية نفوسهم طيبة غروسهم. عزيز جارهم محمي ذمارهم. كريمة سجاياهم عظيمة مزاياهم. تلقاهم في المكاره ليوثا. وفي المكارم غيوثا. الى آخر كلامه فانظره فيه وقال ابو علي اليوسي : ان شرف ساداتنا اهل سجلماسة مقطوع بصحته كالشمس الضاحية وقال أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار بمحضر ابي المحاسن الفاسي وقد وقعت مذاكرة في بعض الأشراف، ان الشرفاء الذين لايشك فيهم كثيرون كالجوطيين من الحسنيين الادريسيين وكشرفاء تافيلالت من الحسنيين المحمديين. وقال ابو العباس احمد الوزير الغساني سمعت شيخنا سيد احمد بن محمد بن عبد الله معن صاحب المخفية يقول ما ولي الملك بعد الأدارسة احد أصح نسبا من شرفاء تافيلالت انتهى، ولما قسم ابو محمد عبد القادر الفاسي شرفاء المغرب الى خمسة أقسام بحسب القوة والضعف مثل للمتفق عليه بشرفاء تافيلالت ونحوه لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي في ابتهاج القلوب. وممن جزم بايصال هذا النسب العلي الفاخر ابو محمد عبد القادر المدعو عبو الشبيهي نقيب الأشراف العارف بانسابهم المرجوع اليه في تحقيقها وضبطها واتقانها في تقييد لـه في الانساب في نحو مائة صحيفة رفع فيه نسب المترجم الى القاسم الى خير الأنام عليه الصلاة وأتم السلام. وعدهم ابو الربيع سليمان بن محمد الحوات النسابة الشهير في التواتر من انساب الأشراف الذين بالمغرب في القسم الثالث من كتابه السير الظاهر قال : ان شرف كل فريق منهم يختلف فيه اثنان من اهل قطره ومن يعرفه من غيرهم لتواتره عنهم الى غير هذا مما يطول. على انه يتعين التنبه في هذا المقام لأمر باطني هو ثابت ثبوت شمس الظهيرة وهو ان المسناوي وإنْ جل قدرا لكنه من اعيان اهل الدلاء الذين كان القضاء على ايامهم وعلى زاويتهم بواسطة هذه الدولة العلوية والشرع الكريم قرر وراثة العداوة بمعنى انه قبل كون المفسدة التي تنشأ من مباشرها تنشأ ايضا من وارثه، وطرح كل طعن جاء من قبل عدو على عدوه وان بلغ الغاية في طبقات التبريز. وبهذا السبب مع ماقرر سابقا تعين ان يطرح المنقول عن المسناوي في هذا المقام في زوايا الاهمال، وان لا يعرج على شيء منه

بحال مع الاعتراف بان حرمة علمه وتحقيقه في غيره قائمة والله المرشد بمنه.

الفصل الثالث في ولادته

ولد بسوس على ما في البستان عام وقعة القاعة، بالقاف المعقودة التي وقعت بين اخيه مولاي محمد وبين اهل زاوية الدلاء قال في البستان وقد وقفت عليها مؤرخة في بعض رسائل مولانا محمد المذكور سنة ستة وخمسين والف. واصله في روضة التعريف زاد الضُّعَيِّف، انها كانت ضحوة يوم السبت ثامن عشر ربيع النبوي من السنة المذكورة وحدثني من وثقت بخبره من مبرزة عدول أبناء عمنا الاشراف المسنين سكان تافيلالت أنه ولد بتافيلالت وأن محل ولادته بقصر أبحار أسفل وادي يفلي لناحية الغرفة لا زال معروفا عند سائر الطبقات بالاستفاضة لا يمتري ذكر منهم ولا أنثى هـ. وما في تاريخ الضعيف من ان ولادة المترجم كانت اواخر ذي القعدة الحرام عام واحد واربعين وألف وَهْمٌ لا يلتفت اليه فقد نص غير واحد من محققي المؤرخين ان والد المترجم لبى داعي مولاه سنة تسع بتقديم مثناة وستين بتاخير المثناة عن الستين وألف وان عمر صاحب الترجمة اذ ذاك ثلاث عشرة سنة وأمة مباركة ابنة يرك المغفري الاوديي المتوفاة سنة ثمان وسبعين والف. قبرها بروضة الاشراف يمين الداخل لقبة ضريح مولانا عبد الله بفاس حسبما قرأت ذلك منقوشا في رخامة ملصقة بالجدار الجنوبي من القبة المذكورة عند رأس قبرها جدد الله عليها شئابيب الرحمة والرضوان واليك لفظه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا الاولين والاخرين مولانا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور، وهذا ضريح الحرة المصونة. المرعية الميمونة. والدة الامام المظفر العادل المتولي من الرتب أعلا المراتب أمير المؤمنين. المجاهد في سبيل رب العالمين

مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف الحسني وهي مباركة بنت يرك المغفري الاودبي برد الله ضريحها وسقاه صوب الغمام توفيت رحمة الله عليها سنة ثمان وسبعين والف هـ. كان أعطاها لوالده أبو حسون أيام اعتقاله له كما أفصح بذلك صاحب البستان وغيره، وتلك الامة من مماليك أولاد يحيى بن ديمان قال أبو محمد الشرقي ابن محمد الاسحاقي في رحلته. لما ذكر المغافرة وانهم من العرب الذين لازالوا على زيهم وشماخة أنوفهم ما نصه : وهم أخوال مولانا السلطان حقيقة لأن امه منهم بل من صميمهم وأخوال والده مولانا اسماعيل لأن امه مملوكة لهم، لأولاد يحيى بن ديمان منهم وكان يعني المترجم رحمهُ الله يقول : المغافرة كلهم اخوالي كما قال المامون العباسي في اهل خراسان انهم اخواله لما ان امه مجلوبة من بلاد خراسان وحكايتها معروفة، ومن اولاد يحيى بن ديمان تصيرت ام مولانا اسماعيل قدس الله روحه لبعض كبار اولاد جرار ومنهم تصيرت الى السيد الأجل الأمير بنواحي سوس في وقته سيدي علي بن محمد بن الولي الصالح سيدي احمد وموسى أحد الطوافين نفع الله به، ومن دار هذا السيد تصيرت الى مولانا الشريف بن مولانا علي رحمه الله ليقضي الله امرا كان مفعولا، وامرُها كما قال الصحابي الجليل أحد دهاة العرب سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه للذي سأله عن امه وهو يخطب فقال : امي اسمها حريملة تلقب النابغة من بني عنزة ثم أحد بني جلان اصابتها رماح العرب في الجاهلية، وبيعت بسوق عكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها منه عبد الله بن جدعان ثم صارت الى العاصي بن وائل فأولدها وولدت فأنجبت، أذهب فخذ جعلك، لأن هذا السائل كان جعل له الف درهم على ان يسأل السيد المذكور عن أمه على وجه التعنيت، ولله در الشاعر.

لاتنقص المرءَ شيئًا ان تكون له ام من الترك او سوداء عجماء
فانما امهات قوم أوعية مستودعات وللاحساب آباء

والشيء بالشيء يذكر والحديث شجون ولعله لايخلو من فائدة، ومعرفة الشيء خير من جهله ولا سيما ما يتعلق بالملوك واهل

المناصب الدينية فان النفوس اليه تواقة. والى سماعه مشتاقة هـ. وبهذا نعلم قصور ابى القاسم الزياني ومن تبعه وسقوط لمزهم للمترجم وابيه.

الفصل الرابع في حاله

نشأ في حجر والده عظيم الجاه أورع أهل زمانه وأتقاهم وأنقاهم وأزكاهم وأذكاهم وأفخرهم المجمع على فضله ودينه وصلاحه واقباله على مولاه في سره ونجواه في صون وعفاف ونزاهة ولما بلغ الثالثة عشر من عمره لبى والده داعي مولاه فتولى كفالته صنوه الموفق الرشيد ابو الفتح والاقبال مولانا الرشيد واذ كان احب بني ابيه اليه لما خصه الله به من الحياء والحنان والعلم والحلم والنباهَة والنجابة وتوقد الذهن والنزاهة والسياسة والكياسة والصفح والاغضاء ولين العَريكة والثباث والنجدة والشجاعة والامانة وكامل المروءة ومتين الديانة والحزم والعزم والتحلي باخلاق ابيه المصطفية والتخلي عن كل وصمة تشين وطهارة الذيل ونقاء السريرة والاقبال على كل صالح يقربه الى الله زلفى. ولم يزل بسبب ذلك يكبر في عينيه ويجتبيه ويصطفيه ويرشحه لمعالي الامور ويرقيه، ولما جلس على اريكة الملك ودانت البلاد والعباد. واحبه وتيامن به كل حاضر وباد، استخلفه على مكناسة الزيتون ثم ضم اليه خلافة فاس واسكنه بها بعد ان زوجه احدى الحظايا من بنات ابناء عمهم الملوك السعديين وأو لم لعرسه وليمة لم ير الراؤون مثلها في الضخامة والأبهة والمهرجان حسبما لصاحب الظل الوريف قال ابو محمد عبد السلام بن الخياط الشريف الحسني القادري المولود في ربيع الثاني عام خمسة وعشرين ومائة والف كانت الوليمة المذكورة يوم الأحد خامس عشر ذي القعدة الحرام عام ثمانين والف والذي للزياني في الترجمان المعرب ان العرس كان في شوال من السنة المذكورة، زاد انه كان بدار ابن شكرة. وعلى ما للقادري جرى صاحب الدر المنتخب وزيف ما للزياني في ترجمانه ثم لما لبى المولى الرشيد داعي مولاه وذلك عاشر ذي الحجة عام اثنين وثمانين

والف بمراكش بسبب عود نارنج اصاب رأسه فهشمه اجمع اهل الحل والعقد من الاشراف والعلماء ورؤوس القبائل على بيعة المترجم ولم ينازع فيها أحد وكانت مبايعته بعد وفاة أخيه الرشيد بستة ايام وذلك في الساعة الثانية بعد الزوال يوم الاربعاء سادس عشر ذي الحجة متم السنة المذكورة بمحروسة فاس وحضر بيعته فطاحل الاعلام الشيخ أبو محمد عبد القادر الفاسي والشيخ أبو علي اليوسي وأبو عبد الله محمد بن علي الفلالي وأبو العباس احمد بن سعيد المجيلدي وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي وأبو زيد عبد الرحمن الفاسي وأبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي وأبو مدين السوسي وغيرهم حسبما افصح بذلك اليفراني في نزهة الحادي وروضة التعريف وكذا غيره من الاثبات النقاد وكان سنه يوم البيعة ستا وعشرين سنة. قال العلامة ابو الحسن علي مصباح اليصْلوتي في سنا المهتدي الى مفاخر الوزير أبي العباس اليحمدي مالفظه وهو ابقاه الله في جميع المدة ملتزم للعدل في الرعية أي التزام. وناصبٌ خوف الله الذي ملكه اياها بين عينيه في حالي الحلم والانتقام. لايملكه الغضب. ولايستخفه الطرب فحمدت الناس ايامه. وتمنت على الله بقاءه ودوامه. وكثرت العلماء وحفاظ القرآن في ايامه السعيدة فكم من رجل ولد وقرأ وصار عالما من علماء المسلمين وولد له من صار عالما ايضا كل ذلك في ايامه المباركة وكثر على الناس فيها الخصب والرخاء وأنواع الخيرات والعافية والأمن التام في جميع ارض مملكته ورأت الناس تلك المدة السعيدة على طولها مرت كلمح البصر أو هو اقرب. انتهى الغرض منه، ووافقت بيعته من السنين المسيحية سنة سبعين وستمائة والف ولما تمت له البيعة نهض بأعباء الخلافة وأحسن السيرة وضبط الأمور وتمهدت له البلاد ودان له قريبها وبعيدها وبعث البعوث للاقطار. فقدم عليه وفود اهل المغرب ببيعاتهم وهداياهم من سائر البوادي والامصار. قال الشيخ ابوراس : وتمهدت له البلاد وأطاعته العباد حتى استولى على تخوم السودان وبلغ الى قرب الصعيد في المشرق والى الزاب حيث بلغ ملك الذهبي وبلغ في التلول الى أقصى المغرب وبالمشرق الى مازونة ومنداس. هـ ورزق من بركة العمر ما الحق الاحفاد بالاجداد

وكان فيه حياة الاغوار والانجاد. وذكر اليفراني في روضة التعريف أنه لم يتقدم في ملوك المغرب من اسمه اسماعيل غير المترجم وذكر عن بعض الصالحين انه قال : إن وجود مولانا اسماعيل امان للمغرب من الغلاء وسبب في الخصب والرخاء لان المَلَكَ الذي بباب سماء الدنيا اسمه اسماعيل كما ذكره السيوطي وغيره وهو لايقصر مع رعيته ومن تسمى باسمه كذلك لان العادة جارية بميل الانسان لمن تسمى باسمه ونقل عن برهان الدين الحليمي في نور النبراس في شرح سيرة ابن سيد الناس أن معنى اسماعيل بالعبرانية عطية الله. هـ ثم ان لفظة اسماعيل كما ينطق بها باللام ينطق بالنون موضع اللام وكلاهما لغة فصيحة كما نص على ذلك أبو منصور الجواليقي اللغوي الشهير هـ.

الفصل الخامس في صفته الخلقية

صفته الخلقية : جميل الصورة ربعة نحيف الجسم يظهر على البديهة غليظ الجسم وبعد التأمل يظهر ان غلظه انما هو من تعدد لباسه ابيض مشرب الى السمرة اسود العينين فرّاقهما يظهر الحلم منهما قليل لحم الخدين اقنى الانف صغيره محدب الذقن غليظ الشفتين طويل اللحية. مفروقها من الذقن حادّ الذهن نشيط لايعرف مللا ولاكسلا خفيف الحركة ماهر في الفروسية والألعاب الرياضية متجلد في الحوادث لاتزعزعه العواصف ولايفت في عضده طروق الملمات حتى إنه كان اذا اخبر بكيد عدو لايتغير وجهه ويجيب بأنه اذا أراد الله بقاء ملكه فلا سبيل لاحد عليه، بهذا وصفه عدوه اسيره مويت الفرنسي في قصة اسره صحيفة 150 [1] معربة بقلم السيد القاسمي مدير مدرسة زرهون العربية الفرنسية ورينولد لاريط دو لاشاريير في مقالته المعنونة بمولاي اسماعيل والبرنسيس دوكنتي التي نشرها في مجلة فرانس مروك

صفحة 35 من «المنزع اللطيف»

(1) الاشارة الى جيرمان مويت G. Mouette الذي قضى أسيرا في المغرب زهاء احدى عشرة سنة ويحمل تأليفه الذي ظهر عام 1683 عنوانا طويلا هكذا :

«Histoire des conquêtes de Moulay Archy, connu sous le nom de roy de Tafilet, et de Moulay Ismaël ou Seméin, son frère et son successeur à présent régnant, tous deux rois de Fez, de Maroc, de Tafilet, de Sus, etc...» De Castries : S.I.H.M. — S.2. France Tome 2 P. 1.

I

HISTOIRE DE MOULAY ER-RECHID ET DE MOULAY ISMAIL[1]

[ÉPITRE DÉDICATOIRE]

A Monsieur le marquis de Torcy[2].

Monsieur,

Quoy qu'il n'y ait point de misère égale à celle de l'esclavage, je n'oserois plus me plaindre de celuy dont la Barbarie m'a veu éprouver les rigueurs, puisqu'il me donne lieu de vous marquer aujourd'huy mon zèle, en vous présentant l'histoire moderne des royaumes de Fez et de Maroc, que j'ay composée pendant le temps que j'y ay esté retenu captif. Elle contient le règne de Moulay Archy, dernier roy de cette partie de l'Affrique, assez connu en France par ses conquestes sous le nom de roy de Tafilet, et celuy de Mouley Ismaël ou Seméin, son frère et son successeur, dont vous avez vu depuis peu l'ambassadeur[3] à la Cour, et mesme dans

1. L'ouvrage publié par G. MOUETTE, que nous reproduisons ici, a pour titre : *Histoire des conquestes de Mouley Archy, connu sous le nom de roy de Tafilet, et de Mouley Ismaël ou Seméin, son frère et son successeur à présent régnant, tous deux rois de Fez, de Maroc, de Tafilet, de Sus, etc., contenant une description de ces royaumes, des loix, des coustumes et des mœurs des habitants, avec une carte du païs, à laquelle on a joint les plans des principales villes et forteresses du royaume de Fez, dessinées sur les lieux par le sieur G. Moüette, qui y a demeuré captif pendant onze années. — A Paris, chez Edme Couterot, ruë S. Jacques, au Bon Pasteur. M.DC.LXXXIII, avec privilège du Roy.* DE CASTRIES.

2. Jean-Baptiste Colbert, marquis de Torcy (1665-1746); envoyé extraordinaire en Portugal (1684), en Danemark (1685), en Angleterre (1687), secrétaire des Affaires Étrangères en survivance (1689), puis titulaire (1696-1715).

3. El-Hadj Mohammed Temim. V. 2e *Série*, France, t. I, pp. 551-667.



عدد 10 في 16 اكتوبر سنة 1917[1] المعربة بقلم الاديب ابي عبد الله محمد الناصري، وما وصفاه به ينطبق تماما على صورته اليدوية المنقولة بالفتوغراف ـ وجاء في صحيفتي 29/28 من المؤلف المعنون بإسماعيل الاكبر لمؤلفه (دوفونطان مكصانج) طبع باريز في وصف مولاي اسماعيل ما ترجمته : اسمر اللون ذو لحية مفترقة في الذقن نحيل الجسم معتدل القامة نشيط له خفة عند ركوب الخيل لا تدرك، مقدام شجاع لا يلحق له شأو في ذلك، حاذق، سياسي، يستعمل الحيل عند الضرورة ويتخذ الوسائل للاستطلاع على أخبار الرعية من متعدد الطرق حتى لا يغيب عنه شيء من أحوالها ليعلم ما يأتي ـ وما يبرز ـ في تدبيرها يصور الامور العظام في أحسن الصور ويبرزها في أكمل زي وأحسن منوال ـ أحق من يدعى بالوطني ـ فقد كان لا يفرق بين مصلحة البلاد وبين مصالح الشخصية لا يتصور ان يضحي بالاولى في سبيل الثانية وكان تقيا تلك التقوى الشديدة التي حملت راية الرسول من شواطىء البحر الاحمر الى شواطىء البحر الاطلانتيكي... وكان يجلس على الارض متربعا ويلبس عمامة بيضاء وبرنسا يتلثم بجناحه. وإذا جلس يقف عند رأسه عبدان صغيرا من سود العبيد بيد أحدهما مظلة ويجلس كاتبه أمامه جلوس القرفصاء متأبطا لكتاب ويحضر مجلسه سبعة أو ثمانية من أعيان الدولة عارية رؤوسهم غير مشملين وحرس من العبيد لا يتجاوز الثلاثين .

وجاء في صحيفة 35 من المؤلف المعنون بحكايات حوادث بالمغرب على عهد لويس الرابع عشر لمؤلفه الاب (بيسنو) في وصف المترجم ما ترجمته متقد الفكر مستحضر الجواب موجزه يدرك ما يروج في ضمير مخاطبه قبل أن ينطق بمراده، صريح القول حاد الذهن صاحب حيل يعرف الأساليب التي توصله لغايته بصبر بعواقب الامور ءاخد بالأحوط في موقع الحوادث شجاع يمرد الرماية في أخطر المواقف صبور ذو شبات وتجلد عند الملمات. وفي صحيفة 60 لايسند تدبير

صفحة 36 من المنزع اللطيف سنة 1917

(1) Reynolde Laareit de Lacharrière, Moulay Ismaïl et la Princesse de Conti - Revue France-Maroc 7 - 15 Oct. 1917

أموره لغيره من قواد وكتاب ولكن يستشيرهم فيما عزم عليه فيحبذون وكان يعلم ما يدبره ولاته وما يبذلونه من الجهود لايقاد نار الفتنة كما كان يعلم ما يقع بينهم من التنافر وكان مع ذلك لا يظهر أكثراتا بأمورهم ولا يعيرها التفاتا في الظاهر بل شاهدنا في ثورة مولاي محمد الفتنة منتشرة في أهم نقط المملكة وكنا نتوقع حدوث ثورة عامة. كل هذا وهو لا يظهر لهم اكثراتا بل يشتغل بأموره ويقابل الزوار الاجانب ويشرف على بناء محاله كأنه من مطلق الرعية لا يهتم الا بأموره وبينما نحن نرى ان الكل كاد أن يضيع من يده اذ نهض بجد وحزم من دون أن يجهز أو يعقد مؤتمرات أو يبذل جهودا فخلا له الجو ممن عكروه عليه بعد أن مزقهم وأودعهم السجون... وجاء في صحيفة 66 منه ما ترجمته : كان مقتصدا في أكله وكان كثيرا ما يقتصر على الارز مع الحمام أو الدجاج زكانت الاواني التي يتناول فيها الطعام من عود أو نحاس أصفر... وكان نساؤه لا يتناولن الطعام معه. وكان شرابه من الماء يجبى اليه من نحو اثنى عشر كيلومترا. وفي صحيفة 69 وكان رقيق الشعور يلاطف أولاده ويحملهم في ذراعه وقت فراغه تحننا ومداعية... وفي صحيفة اثنين وستين منه ما ترجمته وكان ينسب انتصاراته على الأعداء لعناية خاصة من الله ورسوله وكان يلقب نفسه حبيب الله ويصرح بأنه انما هو منفذ لاوامر الله في كل ما يصدر منه... وكان شديد التمسك بأمر دينه قائما بواجباته من صيام وصلاة ونحو ذلك بتمام الضبط ويحتفل بالاعياد... وكان دائما يجعل المصحف الكريم أمامه وهو طريقه ومقتداه... لايفر لسانه عن ذكر الله وذكر نبيه حتى في أوقات غضبه هـ وقال صاحب الدر السني وكان يعني المترجم عاقلا هينا لينا حازما ضابطا له همة عالية ونفس ابية فكم له في الرعية من الاحسان معظما لكتاب الله محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم متواضعا لربه خائفا من ذنبه وقال أبو الحسن علي مصباح : ملتزم للعدل في الرعية أي التزام وناصبٌ خوف الله الذي ملكه اياها بين عينيه في حالي العلم والانتفاع لايملكه الغضب. ولايستخفه الطرب.

الفصل السادس في مشيخته

أخذ عن وزيره اليحمدي حسبما قال ذلك هو عن نفسه ففي الجيش العرمرم ان المترجم لما ولى ولده مولاي المامون على مراكش امره ان يذهب الى رئيس الحضرة وإمام الكتبة الفقيه الكبير ابي العباس اليحمدي ليأخذ منه رسم التقليد ويسمع وصيته ويعمل بها وكان مولاي المامون يكره اليحمدي اشد الكراهة فتوجه إليه كرها وأخذ المكاتب منه وسمع وصيته جبرا عليه وعاد الى والده وقال له يامولاي ان اليحمدي ينقصك ويزعم أنه هو الذي علمك الدين وانك جاهل لاتعرف الفرض والسنة فقال له السلطان والله انه لصادق ان قال ذلك هو الذي علمني ديني وعرفني بربي هـ. كما أخذ عن غيره.

الفصل السابع في معلوماته

آية اعجاز في معرفة علوم الحديث والأدب والتاريخ والأنساب والسير وايام الناس أقر له بذلك علماء وقته منهم أبو عبد الله محمد الصغير الافراني المراكشي المؤرخ الشهير وهو من اعلام عصره في كتابه الظل الوريف مانص الغرض منه : وكثيرا ماتدور بمجلسه غرر المسائل فاذا تكلم فيها أبهت الحاضرين واذهل المتكلمين وأما مسائل التاريخ ومعرفة الأنساب فهو ابن بجدتها والعارف برسائلها يعرف القبائل العربية والشعوب البربرية ويميز كل واحد بقعدده ولم يكن في وقته أعرف منه بالانساب كأنها جمعت اليه فهو ينظر اليها. واما علم السير ففي يده كيمياؤه وله فيه اليد الطولى وكم مرة يسأل علماء عصره بمجلسه عن نسب أحد من الصحابة أو واقعة وقعت له او منقبة وسم بها فلا يجد معهم شيئا من ذلك وربما أفادهم بفوائد من ذلك ما خطرت لهم على بال وقال وله من المحاضرات مع كتابه والمباسطة معهم في القطع الادبية ما يبخس قطع الرياض. ويزري بعيون الحدق المراض. فمن ذلك انه خرج يوما وخلفه جارية وسيمة حاملة لسيفه فاستفتح قرائح كتابه في وصفها فقال في ذلك خاتمة اهل الأدب، وسراج من تهذب وتأدب. ابو محمد عبد الحق السحيمي.

حملت سيوف الهند وهي غنية   عن حملها بلواحظ الأجفان
حسب الفتاة جلالة ومهابة   عز الجمال وهيبة السلطان

ومن الابيات التي كان يتمثل بها كثيرا.

وجرّبت الأمور وجربتني   كاني كنت في الأمم الخوالي

وقد طلب من أدباء الوقت التذييل على هذا البيت فقالوا في ذلك مقطعات كقطع الرياض تركنا ذكرها اختصارا. هـ قال في الدر المنتخب بعد ان نقل ماتقدم متصرفا فيه من غير نسبته مانصه فمنها ماأنشده الأديب الكاتب ابو حفص عمر الحراق من قصيدة وذلك بعد فتح العرائش.

ومن عجب تروم الروم حربا   بسهل او حزون او جبال
وقد شهدوا العرائش يوم جاءت   بها الأجناد تزحف للقتال
وجربت الأمور وجربتني   كأني كنت في الأمم الخوالي

وهي طويلة وقد أجازه السلطان عليها بجائزة سنية وخلع عليه من ثياب العز أردية ومن الابيات التي كان يتمثل بها قول النابغة :

فمن اطاعك فانفعه بطاعته   كما اطاعك وادْلُله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة   تنسي الظلوم ولاتقعد على ضمد

هذا ولم يكتف من العلم بالقشر دون اللباب بل نال القدح المعلى وبلغ الغاية القصوى في ذلك التي هي العمل والتخلي لمقتضياته خشية وخوفا من ربه وعدلا واحسانا وانصافا وغير ذلك من الاخلاق المصطفية. وجاء في صحيفة 62 من كتاب الاب ـ بيسنو ـ المنقول عنه انفا أن المترجم كان أخطب أهل زمانه وله شغف بالخطابة في مسجده هـ.

الفصل الثامن في خشيته وخوفه من ربه

أما خشيته وخوفه من ربه ومراقبته اياه في السرّ والعلانية فامر مستفيض بلغ مبلغ التواتر عند من لم يصب بداء الحسد ومن لم يكن في قلبه مرض قال ابو عبد الله اليفراني : في (ظله) واما تواضعه فامر

مستفيض يشهد به الخاص والعام ولاسيما تواضعه لرب العزة جل جلاله فاذا تفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى ادركته خشية الله سجد على الارض وعفر خديه وجبهته بالتراب وربما ادركه وهو في طين فيخر ساجدا لله عز وجل ولايبالي بتلوث ثيابه. وقد بلغني انه سأل عن سجود الشكر هذا هل يفتقر الى طهارة ام لا فأجابه الفقهاء الى انه لايحتاج الى طهارة، وقد جرى على ذلك غير واحد من العلماء وما جرى عليه من سجود الشكر هو الذي صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فعله روى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه أمر سره خر ساجدا قال ابو عيسى : والعمل عند اكثر اهل العلم عليه ولم يره مالك. **وقال** ابن العربي : ولم يره مالك، والسجود لله دائما هو الواجب فاذا وجد ادنى سبب للسجود فليغتنم هـ. فعلى هذا جرى عمله على ان الكراهة التي في المذهب غير منافية للجواز على ان حداق متأخري المالكية على التعلق باذيال المحدثين في مسائل الآداب، وقد كان هذا دأبه في المسائل التي يشكل عليه حكمها فانه يراجع علماء العصر فيها مع ان له من الفهم الثاقب والعقل الراجح مايحير عقول العلماء هـ. وذكر الوزير اليحمدي في المجلد الرابع من كناشه صحيفه 60 أن الشمس كسفت يوم الاربعاء الاخير مفتتح ثمانية عشر بعد مائة وألف انكسافا كليا حتى صار المهار ليلا ودهش الناس وماج بعضهم في بعض **قال** : وصادفنا الحال اذ ذاك مع مولانا السلطان مولانا إسماعيل بن الشريف وهو بارجاء الحضرة العلية فمال إلى مضمين من الارض وتوضأ فأحسن الوضوء واستقبل القبلة يصلي وهو يدعو فما لبث أن تجلت الشمس فسبحان من لا يزال بعباده لطيفا وما نرسل بالايات الا تخويفا ملخصا. وأكبر شاهد على مراقبته لمولاه في سرّه ونجواه وكثرة تبتله واشتغاله بعبادة ربه ما شيده في قصبته المولوية بمكناسة من المساجد فانك لاتكاد تجد بيتا من البيوت التي يأوي اليها الا وبإزائه مسجد زيادة على المساجد العامة داخل القصبة وخارجها بل وفي سائر إيالته المغربية والعيان اكبر شاهد. ولما نزل بأدْخِسَان عام تسعة وتسعين والف واجتمع بالاشراف الذين بأرْكُوا قال لهم دلوني على رجل صاحب فقه ودين

يؤمني في الصلوات فقالوا له : ليس بهذا الجبل اتقى من سيد علي بن ابراهيم فاتوا به فكان امامه في المحلة ولما قفل أخذه معه بأولاده الى مكناسة حسبما افصح بذلك ابو القاسم الزياني حفيد سيدي علي المذكور قائلا هذا سبب نقل جدنا من أركوا الى الحضر هـ. وهذا مما يدل على اعتنائه بأمر دينه وتحريه فيه جهده وطاقته وقد وصفه بكثرة المجاهدة في العبادة غير واحد من اعلام وقته الأثبات والى ذلك الاشارة بقول صاحب الانيس المطرب في قصيدة طنانة مدحه بها :

يبيت بمحراب العبادة قانتا فكل الليالي عنده ليلة القدر

ومما هو مستفيض عند الخاصة والعامة من خوفه من ربه ومراقبته في سره وعلنه وشفقته على رعيته انه جمع اولاده يوم الأربعاء الثامن من جمادى الاولى عام ثمانية وعشرين ومائة وألف وقد اشتد به المرض ولما مثلوا بين يديه وأدوا واجب التحية اللائقة بمكانة الأبوة قال لهم انتم اقرب الناس إلي وأرغب الناس فيما لدي وقد علمتم ماوقع على هذا الأمر وما لاقينا عليه من الشدائد والضر حتى اطمأن واستقر ولم يبق منازع ولامعارض من غيركم واعلم أني اذا مت لابد من الخلاف والتنازع بينكم فتلهكون ويهلك المسلمون بسببكم وربما تغلب العدو الكافر على الاسلام بسبب ما يقع بينكم من الاختلاف وعدم الالتئام فيقع كما وقع في الاندلس حتى استولى عليها العدو الكافر في اقرب مدة بعد ماكان لايطمع لهم في كراع شاة ويتحصن جهده فاياكم والمخالفة وهذه وصيتي اليكم والله خليفتي فيكم وحافظكم ومن كل شرٍّ يقيكم فصلوا الرحم وأعينوا الضعيف وراعوا حق المظلوم واجتنبوا الجور وأهله وحسنوا الظن وقوموا بالحق في الرعية وتفقدوا احوالهم ولاتولوا عليهم من يسيء السيرة فيهم فانكم مسئولون عنهم ومواخذون بهم وان الملك لله يؤتيه من يشاء من عباده فحسنوا ظنكم بالله واعلموا انه لايصل اليكم الا ماقدره الله لكم وان الله لايولي من ولاه على الخلق ليكون سيدهم وانما يوليه عليهم ليكون امامهم يقتدون به ويتبعون قوله ولا يخالفونه في سرهم ونجواهم ولتكن ذخيرتكم في تفريق المال لتعمير بلاد الاسلام وتفقد ثغور المسلمين

واتركوا الجيش مقابلا لسبتة فان فيه ارهاب الكافرين ثم سكت طويلا حتى هم انجاله بالقيام فاشار اليهم بالجلوس فجلسوا ثم قال لهم ماسمعتم من وصيتي ليس خاصا بواحد منكم او من غيركم وازيدكم بان من ولاه الله يجعل الشيخ والدا والمصاحب اخا والصغير ولدا ولايجالس حاسدا ولايقربَنّ فاجرا ولا يأمَنَنَّ عدوا ولايصدقنّ نماما ولايقولنَّ باطلا ولايخلفن وعدا ولايغمضن عينيه عن ظلم ظالم ولو كان من اقرب الناس اليه واخص اولاده وأصدقائه وليكثر من مشاورة العلماء ومجالستهم ومزاحمتهم في مجالسهم فهم اهل الله الدالون عليه لولا العلم ما عبد الله وعليه بمشاورة العقلاء واهل التجربة ولايدخل في مشورته اهل الدنيا فانهم ذئاب في ثياب يغرونه بحلاوة السنتهم وهم انما يجلبون النفع لأنفسهم وعليه بالتأني في الأمور واياه والاسراع فان عاقبته غير محمودة وان السبل لاتؤمن الا بالعدل في الرعية وليسهل الحجاب ويراقب الله تعالى في الأفعال والأقوال ويعلم انه واقف بين يدي الله تعالى وسائله عن القليل والكثير ولايؤخر عمل اليوم لما بعده وان ولى أحدا فلا يتهمه حتى يتبين امره ولا يطيل عمل وال على ولايته الا اذا احسن السيرة ويدبر الأمر قبل وقوعه ويحسن الظن باصحابه ويباشر الأمور بنفسه ولا يتكل على غيره ويقيم حدود الله بما امر الله ولا يتعدى الحد ويلازم السنة ويتجنب البدعة ويتيقن ان الجود افضل الاعمال وانفع في جلب القلوب ويسلط الحق على نفسه ولا يسارع الى اراقة الدماء فأمرها عند الله عظيم ويتخذ أمين صدق يخبره بامر عماله فانه المواخذ بافعالهم ويستخير ربه في الأمور ويقدم الأحرار ويلازم الابرار ويفرد يوما او وقتا للقي الضعيف والمسكين وذي الحاجة ويظهر عند اللقاء بشره ويهش ويبش ويخاطبهم بلين كي تزول مايعروهم من الدهش فيتوصلون الى النطق بما ارادوا ويفرغ سمعه لما يرد عليه من الأخبار ويجاوب في الحين واسأل الله لي ولكم ولجميع المسلمين التوفيق في الأمور كلها هـ. ثم امرهم بالانصراف هكذا في بعض التقاييد الموثوق بصحتها. وقد نقل صاحب الدر المنتخب ذكر الوصية بعينها الا انه زاد فيه التصريح بالعهد بالخلافة لمولاي احمد الذهبي وتوجيه جل الخطاب اليه وقد سبقه للتصريح بالعهد لمولاي

احمد ابو القاسم الزياني وذلك وهم لأن الصحيح المعول عليه ان سيدنا الجد لم يعهد لأحد من اولاده حسبما صرح بذلك السلطان العادل مولانا سليمان ونقل ذلك عنه ابو عبد الله اكنسوس في الجيش العرمرم قال : كان يعني مولانا سليمان يحكي لنا مرارا ان مولانا اسماعيل لما ايقن بالموت دعا رفيقه وعالم حضرته ابا العباس اليحمدي واكد عليه في ان يشير عليه بمن يصلح للولاية على المسلمين من بعده وكان آخر الأمر بعد الممانعة التامة قوله ياMolانا اعلم انه ليس لك ولد ولاولد لك فقال له السلطان صدقت والله وودعه وخرج ولم يعهد لأحد ثم قال واما قول الزياني ان مولاي احمد ولي العهد فليس كذلك ومن العجب انه قال سمع هذه الحكاية من مولانا سليمان كما سمعناها منه ولا بعد فيه ثم يقول انه ولي العهد هـ الغرض.

ومن ذلك انه في أوائل شعبان عام ثمانية وتسعين والف أمر بالنداء بالأزقة والأسواق بان لايوضع على الارض كتاب ومن خالف ووضعه ينكل ويعاقب. ومن ذلك انه لما بلغه ما ارتكبه الخياط الزرهوني من الجور والفجور بفاس وغيرها حتى انه افضى به العتو والتنطع الى ان صار يجلس لسامعي الوعظ بالقرويين ويقبض عليهم ثَمَّ، ويضرب عليهم المغارم ولايسرح واحدا منهم الا بعد أداء ما وظف عليهم من المغرم أصدر كتابه بمجرد ماطرق سمعه ماذكر الى عامله القائد أبي علي الروسي برسالة مضمنها : وليتك أمر المسلمين لتنظر اليهم بعين الشفقة والرحمة وتسعى في المصالح فإذا بك اطلقت عليهم في كل حومة سفيها ابن زنى يأكل لحمهم ويمص دماءهم ومن سلمه الله منه يتبعه للمسجد الأعظم ويقبض عليه فيه ويسجنه فان كان هذا عن علمك فسترى مني ان شاء الله ما تكره وان لم يكن عن اذنك فعلي بهؤلاء فان تركت منهم أحدا فانك مكانه وكلكم راع ومسؤول عن رعيته فقبض القائد أبو علي الروسي على جميعهم وسلسلهم وكبلهم في الحديد الا الخياط الزرهوني افلت منهم فزاوك[1] في مولاي ادريس فاجلس من يرتقبه حتى يخرج الى الميضأة فاتبعوه ووثبوا عليه

(1) تعبير دارج يعني التجأ الى ضريح مولاي ادريس طالبا العفو

في الميضأة وقبضوه وفتحوا فيها نقبا واخرجوه منه خارجا عن الحرم وسلسلوه وكبلوه مع هؤلاء وسار بهم أبو علي الروسي الى السلطان فأمر بهم فضربت أعناقهم بين يديه وضمت أموالهم وغرقت ذمتهم وبيعت اصولهم وضم جميع ذلك لبيت المال وأمر عامله ابا علي ان لايزيد على جاريين احدهما على اللمطيين والاخر على الأندلسيين وان لا يعطي الجاري سوى موزونتين ولجاري الحبس سوى موزونة واحدة ولعون الشرع سوى نصف موزونة فمن يريد الزيادة على ذلك تضرب عنقه قاله في الدر المنتخب من ذلك شدة تحفظه واحتياطه في الفروج فقد شاع عنه ذلك وذاع حتى بلغ مبلغ التواتر عند العام والخاص قال صاحب كتاب الأنوار وله نصره الله من التحفظ على نسله ما شاع وذاع حتى انه اذا اراد ان يتزوج حرة احتاط غاية الاحتياط واذا اراد ان يتسرى بامة بالغ في الكشف عنها والبحث عن أمرها حتى يتضح له الحال ولايقربها الا بعد اعمال الواجب الشرعي حدثني ذو الوزارتين الكاتب البارع ابو الربيع سليمان الزرهوني بذلك وقال لي ربما كنت أحد الشهود هـ. بنقل صاحب روضة التعريف ومن ذلك تثبته وتحريه فمن يوليه أمر الايالة وخصوصا الولايات الشرعية وسؤاله من له وثوق بأمانته ودينه عمن يصلح للترشيح للخطط السامية فانه لما اراد نصب قاض للمدينة البيضاء فاس الجديد حيث دار الملك توقف مدة الى ان اتفق ورود شيخ السنة الرجل الصالح ابي العباس احمد الناصري الدرعي لشريف اعتاب المترجم وعند لقيه له استشاره فيمن يصلح للخطة المذكورة فاشار عليه بالعلامة النزيه الورع ابي العباس احمد بن العربي بن الحاج السلمي المرداسي فسر المترجم بتلك الاشارة سرورا عظيما وخاف ان لايقبل المرشح تلك الخطة، ولما اصدر الامر باسناد خطة القضاء للمذكور وفق اشارة الشيخ وامتثل المرشح الاوامر العالية وقبل مارشح له سجد المترجم لله شكرا وابتهج ابتهاجا ليس عليه من مزيد وكتب للقاضي المذكور ظهيرا بالثناء عليه والتنويه بقدره وشكر فعله دونك نص لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف : الى الفقيه العلامة الصدر الفهامة المدرس البركة الحجة القاضي الأعدل محبنا أبي البركات السيد

احمد بن الحاج حفظه الله ورعاه ونفعنا بمحبته آمين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته لا تعرف بحمد الله الا الخير والعافية ونعم الله السابغة الضافية نحمده تعالى ونشكره ونستزيده من خزائن نعمائه الوافية، وبعد فانه قد ورد على ابوابنا العالية بالله الرجل الصالح السيد احمد بناصر بقصد الزيارة وحين التقينا معه طلبنا منه بذل النصيحة والدلالة على رجل من اهل الظاهر وسر الباطن نستعين به على امر ديننا ودنيانا وما نحن بصدده من امور الخلافة واكدت عليه في ذلك وحين فهم الرغبة منا والجد دلنا عليك وقال لنا فيما يرويه عن والده اخبرني والدي سيدي محمد بن ناصر رحمه الله وان العارف بالله الفقيه السيد احمد ابن العربي بن الحاج رجل من بيت كبير علما وصلاحا وزهدا، رجل من أهل السر الباطن متبحر في العلوم الدينية واللدنية يتولى خطة القضاء بالمدينة البيضاء أواخر عمره نجل الولي الامام العارف الصالح الرباني صاحب الكرامات أبي اسحاق ابراهيم البلفيقي السلمي دفين مراكش ينتمي نسبه الى العباس بن مرداس وقد كان أخبرني بهذا العلامة الهمام السيد الحسن اليوسي عن شيخه المذكور وسمعته من غيرهما فلاح لنا من ذلك ان السر من اصله والدر من معدنه الله اعلم حيث يجعل رسالاته فنحمد الله الذي جمع لنا فيه ما نحبه شرف العلم وعلو النسب فاسهمنا من دعائك الصالح في خلواتك وجلواتك وابذل لنا النصح الواجب لنا عليك، وقد شكرنا لكم صنعكم لكونكم امتثلتم امرنا وساعدتمونا على توليتكم تلك الخطة واطعتم الله بطاعتنا فبارك الله فيكم ذلك الظن بكم والمعتقد من صالح محبتكم فقد كنت مهتما من عدم قبولكم لتلك الخطة ويتغير خاطرنا عليكم فحين وصلني قبولكم لها وامتثال امرنا سجدت لله شكرا ووالله ما حملني على توليتكم لتلك الخطة الا احياء شعائر الدين من بعد غربته كما قال عليه السلام بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء وانت منهم وتقررت عندنا سيرتك الجميلة ووصفت لنا اوصافك الحميدة الجليلة الغريبة التي عز وجودها في هذا الزمان فهي التي تدل على علو نسبك وحسبك ودينك وخصوصيتك من بين اهل زمانك نفعك الله ونفع بك وأسعدنا بمعرفتك ونفعنا بمحبتك، وقد

اخبرت ان اهل الذمة اخزاهم الله اتوك بما وظفناه عليهم من كسوة القاضي التي يخطب بها خطبة العيد فضربت بها وجوههم وابيت قبولها منهم فانهوا الأمر لشيخهم بعد ان عزمت على عقوبتهم اشد العقوبة فجزاك الله عنا خيرا فمثلك في هذا الزمان وجوده اعز من الكبريت الأحمر، واخبرنا خديمنا الناظر رضوان بأنك امتنعت من قبض ما كان يقبض امثالك من الاوقاف وانما قبلت من ذلك شطره مع ماأنهي الينا من تحريك في الأحكام وتوقفك في المسائل وردها لغيرك مع غزارة علمك وتضلعك في الفقه فالحمد لله على ما انعم علينا بوجود امثالك في دولتنا نستعين به على امر الدين فالله سبحانه يعيننا على القيام بحقوقك الواجبة لك علينا آمين... ووقع محو في اسطر من هذا الظهير الشريف من اجل سقوط ماء عليه وفي اخره وهذا الخطاب عام لولاة أمرنا القائمين بخدمتنا فنأمرهم باحترام دارك وقرابتك ومن له ادنى انتساب اليك فدارك جعلناها حرما وزاوية فمن لاذ بها واحترم فعليه امن الله وأمننا. ومن تعدى امرنا في ذلك فقد خلع ذمة الله وخالف امرنا والله سبحانه يتولى هداك وينفعنا بمحبتك ولنا عليك مزيد الدعاء في خلواتك وجلواتك وتوجهك لنا بقلبك فالله سبحانه يوفقنا لطاعته وامتثال أمره آمين يارب العالمين والسلام وبه كتب اواخر صفر الخير عام خمسة ومائة والف.

الفصل التاسع
في احباسه على المعاهد الدينية

وأحباسه على المعاهد الدينية شرقا وغربا ملأ طنين صداها الآفاق وحفظت رسومها لنا وجنات الأوراق رغما عما اصيبت به من التخريب والاضمحلال اللذين كانا اكبر سبب في تصبيحها ببيداء النهب والاختلاس.

الفصل العاشر
في عدله وإنصافه

ومن عدله وانصافه ومراقبته وخضوعه للحق سهره الليالي ذوات

العدد على مصالح رعيته وذودُه كل اذى جهده وطاقته عن ساحتهم وسعيه آناء الليل واطراف النهار في اخماد نيران الفتن وتوطيد الأمن وكل مايضمن راحة البلاد والعباد فقد كان لايحتجب بداره عن شريف ولامشروف ولاقوي ولاضعيف يسمع المظالم وينصف بنفسه المظلوم من الظالم لايتكل في ذلك على غيره ولايهمل من حقوق الرعية حقيرا ولا جليلا قال ابو عبد الله اليفراني : في الظل الوريف ولو لم يكن فيه الا خصلة واحدة لكفت في عدله وذلك انه لايحتجب عن الناس بداره كما كانت عادة من قبله من عظماء الملوك يحتجبون عن الرعية بشهواتهم ويقطعون جل الأوقات في لذاتهم كان المتظلم يمكث بباب الأمير الأشهر الكثيرة والليالي ذوات العدد يرتقب خروج سلطانه اليه فلا يجد اليه سبيلا وهو يبرز في كل يوم وفي كل وقت حتى يصل اليه من اراده قويا أو ضعيفا شريفا او مشروفا من غير حاجب يحجبه ولاصاد يصده وسمعت جماعة من اشياخنا من علماء فاس وغيرهم يقولون هذه المنقبة مما اختص بها مولانا اسماعيل واكتسى بها من الملوك سرا وشرفا وفخرا. وما أحسن قول الكاتب الذي حلى جيد العصر بدرر افكاره. وطار طير البيان من اوكاره أبي محمد عبد الحق السحيمي حيث يقول :

يباشر في كل الامور أموره بقلب نقي للمكارم منبع

وهذا البيت من قصيدة له طنانة، ومن اقوى البراهين على شدة تذلله لخالقه واضطراره اليه ورجوعه اليه خروجه في لفيف الرعية لطلب الاستسقاء مكشوف الرأس حافي القدمين لابس رث ثياب المهنة المؤذنة بغاية العبودية والتذلل والانكسار. قال الأسير مويت الفرنسي في عام ثمانين وستمائة والف مسيحي كان القحط فامر السلطان الفقهاء والصبيان بالتطوف على اضرحة الصالحين ومواطن الخير من مساجد وغيرها بخشوع واضطرار ففعلوا ولم ينجع ذلك. وفي سابع عشر مارس من العام المذكور خرج السلطان في لباس رث مؤذن بالانكسار من قصوره وفي معيته حاشية ملكه وعامة اهل البلد وطافوا على المساجد والأضرحة وكان خروجهم بكرة اليوم المذكور ورجوعهم

في الساعة السابعة عشية انتهى.

الفصل الحادي عشر
في شدة تواضعه

ومن شدة تواضعه رحمه الله ورضي عنه، منعه للخطباء من ذكره على المنابر مقرونا بلفظ السيادة والمولوية وأمره لهم بذكر إسمه مجردا عنهما فقد وجدت في بعض الانقال ما نصه : وجد بخط من نقل من خط الفقيه البركة سيدي محمد غيلان قدس الله روحه وأسكنه من الجنان فسيحه ما نصته نسخة كتاب مولوي نصه : الى كافة الفقهاء الخطباء بمحروسة تطوان سددكم الله ووفقكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد فاذكرونا في الخطب بمجرد إسمنا إسماعيل بن الشريف من غير زيادة مولانا ولا سيدنا فقد استحييت ان تذكر الخلفاء من الصحابة الاجلاء والتابعين واتباعهم رضوان الله عليهم بأسمائهم وكناهم ونذكر نحن بأزيد من ذلك وأن أبدى بعض العلماء وجها وبالغ في الثناء فالحياء غلبنا ومنعنا من الالتفات اليه والسلام وفي مهل ذي الحجة الحرام عام احدى وتسعين وألف هـ وعن ذلك مباشرته تخطيط قصوره ومساجدها وربما عمل فيها مع العملة قال الأسير مويت كان المولى اسماعيل هو المتولي لهندسة بناءاته يباشر ذلك بنفسه وربما اعان بنفسه في خدمة البناء بمحضر الخدمة كانه واحد منهم حتى يظن انه ليس هو السلطان. وقال : كان يناول للعملة الجير والأنقاض بيده في بعض الاحيان هـ. وهذا غاية في التواضع وهضم النفس وخلع لباس التجبر والتكبر والتعاظم، وقد جاء في صحيفة تسع وعشرين ومائتين في الجزء الخامس من شرح الاحياء للشيخ مرتضى المطبوع بمصر في باب آداب الضيافة ما يزيد بسبب الاجتماع والمشاركة في الاكل لدى قول المتين روى أن هارون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال : يا أبا معاوية أتدري من صب على يدك فقال لا، قال : صبه

أمير المومنين فقال انما أكرمت العلم وأجللته فأجلّك الله وأكرمك كما أجللت وأكرمت العلم وأهله. وحكى لي من اثق به من المغاربة ان مولاي اسماعيل بن مولاي الشريف جد ملوك المغرب الآن دعا علماء عصره وفيهم ابو الوفاء اليوسي وقدم اليهم الطعام فلما فرغوا صب على ايديهم الماء يعني المترجم فامتنع ابو الوفاء فغضب يعني المترجم من امتناعه من ذلك هـ. وهذا غاية في التنزل والتخلق بالاخلاق النبوية. ومن ذلك انه لما اراد ان يوجه ولده المامون خليفة عنه بمراكش كلف رئيس حضرته وامام كتبته العلامة أبا العباس اليحمدي ان يسلم اليه صك التقييد بالخلافة وان يوصيه بسلوك سنن صالحي سلفه مع الخواص والعوام فيما رشح به واسند النظر اليه فيه شأن وصية امثاله لمثله وكان المامون ذا انفة وانحراف عن الوزير المذكور واباية من الخضوع لاوامره فمشى اليه كرها ولما استلم منه عقد الولاية واستمع لما اوصاه به طبق اوامر والده عاد الى والده المترجم وقال يامولاي ان اليحمدي ينقصك ويزعم انه هو الذي علمك دينك وانت جاهل لاتفرق بين الفرض والسنة فقال له السلطان والله انه لصادق ان قال ذلك فهو الذي علمني ديني وعرفني بربي قال صاحب الجيش حدثني بهذه الحكاية السلطان العالم العلامة الحجة مولانا سليمان رحمه الله تعالى ضمن كلام يمدح به مولانا اسماعيل. وقال صاحب البستان انه سمع ذلك منه ايضا قال صاحب الاستقصا بعد نقله الحكاية المذكورة عمن ذكر وهي منقبة فخيمة للمولى اسماعيل في الخضوع للحق والاعتراف به رحم الله الجميع هـ. والحق ماقال.

الفصل الثاني عشر
في حلمه واغضائه

وأما حلمه واغضاؤه وصفحه عمن فوق اليه سهام الاذى فشيء فوق الحسبان وليس الخبر كالعيان. قال ابو عبد الله اليفراني المراكشي في الظل الوريف لايخفى على الناظر بعين الانصاف واللائح ببصر البصيرة

ان مولانا اسماعيل لم ير الناس مثله في حلمه وصفحه عمن جنى عليه وذلك شائع ذائع مستفيض على لسان الخاص والعام وكان يشق عليه العصا اهل كلّ وينكثون بيعته ولايزال يسايرهم برفق ولين واغضاء عن عثراتهم الى ان يتمكن منهم وتكون يده فوقهم فيظهر لهم من الصفح والحلم مايملأ به قلوبهم ويستميل به نفوسهم وذلك امر واضح مشهور.

وليس يصح في الأذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

ولما فتح مراكش جاءه اهلها كبارا وصغارا وهم في روع كادو ان يتمزقوا خوفا ورعبا فازال روعهم في الحين حتى كاد ان يعانقهم ويبكي معهم، قال : ويحكي انه حلف لئن دخل مراكش ليحوزن اهلها من تحت السيف فلما دخلها دخلته الرقة والرحمة فاستفتى علماء الوقت فافتوه بان يجعل سيفه في موضع ويمرون تحته ففعل ذلك وقال عند تعرضه لمحاربة الخضر غيلان وتعزيز اهل الفحص له ومآل اليه الأمر من الظفر بهم وقتل غيلان موقد نيران تلك الفتن حسبما هو مبسوط وصفح عن اهل القصر واحوازه ورفع عنهم الملامة نصره الله لأنه لين العريكة صفوح عن الجرائم، وقال عند تعرضه لواقعة حصار فاس وفتح المترجم لها تاسع عشر رجب عام اربع وثمانين والف بعد حصاره لها خمسة عشر شهرا فتلقاهم نصره الله بالبشر والترحاب وبسط عليهم جناح رحمته وحلمه، ومن ذلك عفوه عن اخيه المولى الحران الذي كان قابل احسان المترجم بالاساءة حتى وقع في مهواة بغيه وجيء به من الصحراء يرتع في القيود والاغلال فلما مثل بين يديه لم يؤنبه وقابله بالعفو والاغضاء وافاض عليه احسانا جما واعطاه خيلا واقطعه مداشر بالصحراء رسرحه الى حال سبيله وقال صاحب البستان : في عام احد عشر ومائة والف بلغ السلطان ان عبد الخالق الروسي قتل احد عبيد الدار دخل عليه بغير اذنه فوجه ولده المولى حفيد ليأتي به من فاس مقيدا فاستشفع له بالفقهاء والشرفاء فتوجه به مسرحا ولما وصل للحضرة السلطانية عفا عنه ورده لفاس هـ. وفي رحلة ستيوارت الانجليزي المعنونة بالسفر الى

A JOURNEY TO *MEQUINEZ*;

The Reſidence of the Preſent

EMPEROR OF *FEZ* and *MOROCCO*.

ON THE

Occaſion of Commodore *STEWART*'s Embaſſy thither for the Redemption of the *Britiſh* Captives in the Year 1721.

LONDON:
Printed for JACOB TONSON in the *Strand*.
MDCCXXV.

مكناس سنة احدى وعشرين وسبعمائة والف المطبوعة سنة خمس وعشرين وسبعمائة والف ان اسيرا رام قتل السلطان المولى اسماعيل فضربه ببندقتين فسلم الله السلطان بحيث لم تصبه واحدة فقابله السلطان بالعفو والاغضاء فاعتنق ذلك الأسير دين الاسلام بسبب ما رأى من حلم السلطان ولم يزل بالقصر السلطاني الى أن وظفه السلطان[1] هـ. ولا حلم أعظم من حلم من عفا مع قدرته عمن سعى في اعدام ذاته الكريمة تلك والله شنشنة نبوية ووراثة مصطفوية هـ.

---

(1) A journey to Mequinez, the Residence of the Prefect Emperor of Fez and Morocco on the Occasion of Commodore Stewart's Emballv thitfer for the Redemytion of the British Captives in the year 1721 — London - MDCC XXV

الباب الثاني في سيرته

وفيه فصلان **الفصل الأول** في سيرته في ليله ونهاره

قال أبو حامد العربي بن عبد السلام دفين طيبة الطيبة في الدرة المكنونة الغالية مانص الغرض منه : إن أردت المجادة فهو مكانها، أو العفو والسماحة فهو انسانها وحديقتها وبستانها لما أيده الله جل جلاله بالنصر والظفر. وبلوغ القصد والوطر، ألهمه بشكر المنعم عليه بسوابغ الامتنان. وعوارف الاحسان. فاستعمل الشكر لله بلسانه وفعله وإحسانه، فطافت به الأماني، وارتاحت لفوارقه وجوه التهاني وفاضت على الاشراف والرعايا منحه، وفاقت سواكب الغمام نفحه. فاوقاته بما يقربه لربه من أعمال الطاعة معمورة، ونفسه النفيسة مسخرة في أوامر الله تعالى ومامورة. فصباح نهاره صلاح. ووسطه فلاح. وآخره نجاح. فيخرج أول صباح يومه على جلالة قدره مع سعة ملكه، لما عجزت عنه الملوك الماضية، في القرون الخالية، بجيوشهم وخدامهم. ولم يقدروا على عشر معشاره في أوقاتهم في مواليهم وغلمانهم. من التحصّن على المسلمين والنظر بعين السداد في أمور المومنين. يتفقد أهل البناء والركز، لِيَلاّ يدركهم الملل والعجز، فيطوف بثوابتها ويمعن النظر في اتقان صناعتها فيدخل البساتين ليحصي عليهم خدمة الأشجار، وسقيها لتنمو الثمار. فيأتي ارباب الصنائع على اختلاف افعالها ومراجعها وضروب الصنائع ووشيهم خوف اعوجاجها ثم يقف وقوف خاضع متواضع لربه، واقفا عند كتاب الله وسنة جده، فتجيبه الوزراء والقواد ورؤساء الاجناد، وتنصب الموائد. لمآكل القرباء والاباعد، فاذا طعموا وادلى بحججه من ادلى، وسعها فضلا وعدلا. وارضى المظلوم وزجر الظالم الغشوم. وخرج الكل لسبيله. قام مجتهدا في صلاح عباد الله لمتين دينه، ولم يتكاسل بالعجز المذموم، الذي صار صاحبه من خير الدنيا والاخرة محروم ولم تطمئن نفسه بغيره على الرعية حذر حلول بلية، وربما خرج لباب القصر للمظالم وانتصاف المظلوم من الظالم لايمل في القر والحر، ولا تواني عنده في جلب مصالح المسلمين ودفع الضر فاذا انصرف كل في شكاية بمراده

وخلا كل كسلان لرقاده قصد جهة العرب والعجم. ليحضهم وهو واقف على قدم. بحسن خطاب ولين جواب وربما دعاهم باولاد. وواعدهم نيل المراد جلبا للخواطر. شنشنة آبائه الأكابر. وربما ظلل من حرارة الشمس على رأسه. وغبار الخدمة على ثوبه الى ان يذكر مؤذن الظهر تعظيم ربه. والثناء على جده فيقوم بحزمه وعزمه سيرة جده. فيتوضأ وضوء اشراف الملأ. ليؤدي فرضا لم يشغله عنه زهو الملك ولاشرف المعالي والعلا، ويجلس لتدبير مصالح الجند والرعية وابن السبيل والسقيم واستعمال الفكر في سبب هناء الراحل والمقيم، فان جاءته من الثغور رسالة تلقاها باليمين تعظيماً لاسم الجلالة قبلها وجعلها على رأسه تبركا باسم الله تعالى واسم نبيه فان وجد فيها خيرا شكر الله وسجد، وان كان غيره طلب اللطف من الله والمدد. فاذا استؤذن على اهل الهدية اذن فيتلقاها بوجه قبول واقبال. ويجبر خاطر مهديها بقبوله لها مع غنائه عنها وينزله ليضفي عليه ملابس الانعام والافضال، الى ان يشيعه بالجزاء لأولاده على وفق مراده ويأخذ المال من وجهه، ليصرفه في حقه، فيميل لقواده وخاصة كتابه بسياسة مالوفة، وسيرة حميدة معروفة، لفعل السداد. وامر الرشاد وحميد السعي وتثمير الرعي. ان ابعثوا العدة والمؤنة لأهل الرباط الفلاني. وانزلوا بني فلان على الطريق الفلانية ليلاً اسمع عن مسلم في سبيله ما عناني. واعطوا الخيل لبني فلان لنجدتهم. وانزلوا بني فلان لخشتهم. وابنوا قنطرة ذلك الوادي. وجددوا مسجد ذلك النادي واكتبوا لأهل المدن والقرى والاصقاع من حاملي راية الفقه واعلام الهدى في التوحيد يستغرقون فيهما اوقاتهم اذ ليس عنهما غنى ولا محيد فلا يشغلهم الاعتناء بالأدب. عن تحصيل الطلب، فيتفرغ لاعطاء الخيل للجيش. والتوسعة على من ضاق عليه العيش. فتجدهم ينقدون عتاق الخيل : هذا كبير سنّه، هذا شأنه عظم الشظى هذا قطوف وبقلة الجري موصوف. فيعاملهم بحلمه، ويرضيهم من خيله وهكذا في قبض السلاح فعلهم، وفي أمر الكسوة وصفهم، وفي حالة التزويج بين عبيده وامائه تشاهد مواهب الله السنية فيه من كثرة محاسن اخلاقه ولين جانبه وخطابه بملاطفته لوصفائه ومساعدته لهم واسعافه، وبعد ان

كساهم وزوجهم امتنانا، امدهم بمعونة رحمة منه، واحسانا وحنانًا، فيميل بجلب خواطر الذين يخفضون الجناح امامه، ويبْرونه بري القلم وراءه. ثم يقصد أرومة الصافنات الجياد. ويحضر الموكلين بها من القواد فيبحثهم عن أجناس خيله ويفسر لهم اب كل فرس وجده. وجدته وأمه. على اختلاف اوصافها واسنانها. والوانها ثنياتها وربعانها. وقراحها ويعرفهم بأنسابها. وربما هددهم وضيق عليهم غاية التضييق، ليلا يستفزهم غلو الطمع لبيع فرس عتيق، ويحضهم على صرف البال، لعلفها والبراقع والجلال، والكل نصب عينيه لايتكل في الأمر على غيره، وربما قرىء عليه تاريخ العرب وايامها. وذكر شعوبها وقبائلها وافخاذِها. واوصاف جدودها وذكر حروبها. فاذا صلى العصر سار لشأنه، وابتغاء مرضاة ربه. وحذر مظلمة خارج القصر بجواره أو غبن لاحق ضعيفا من خلق الله لم يتات له دخول الشكاية حالة اشباهه فتجده ينشد الحجاب. واهل الابواب. هل مظلوم ينصف، هل لهفان يتكلم لايخف. إنما أنا احد عباد الرب. لاشهوة لي في مخلوقات ولاغضب. من اتى حسنا فنحن اخوة في الدين ومن افترى ذنبا لايسعني الا اقامة حدود رب العالمين. فاذا فضَّل الأقربين. قصد بهمته العليا الأبعدين. فاذا رآه الانام. تسابقوا سبق فرسي رهان لهذا الامام رجالا وولدانا ونساء. وموالي وعبيدا واماء، فاذا استقر الهول وحق القول وادلى بحجته من ادلى وسعها فضلا وعدلا واصلح ذات بينهم واقامهم على مؤاخاتهم وأُخوتهم مغسول القلب من حقدهم وحسدهم، فاذا صرم حبله منهم، ونأى عنهم فرغ لتأديب من معه من اولاد المسلمين، وتهذيبهم ليكثر بهم جنود المؤمنين تأييدا واعزاز للدين وتهيئا لمحاربة أعداء الله المشركين لا لقصد تفريج عن كرب البطالة او بحظوظ نفس ولعب لهو كالملوك امامه فاذا رأى في الأرض قرطاسا اوحبة زرع رفعها رفعا لقدرها وتعظيما لحرمتها ومراعاة للحديث، لقط الفِنا يورث الغنى ويرجع لقصره ببغام صوت جعبة رجوع الهلال لشرق فيلته والصقر لوكره فيصلي صلاة المغرب ويجلس مع التقي والمعرب. من خاصة الكتاب والندماء والسمار الفضلاء فيخبرون بالخفيات والجليات وربما قال له احدهم ادلالا عليه بقربه

منه وطمعا في اثرته على الغير : ان ولدي سيدي جاء من سجلماسة شاكيا او يريد عطاء من السلطان فيجيبه : القريب والبعيد عندي في حق الله سيان يرجع لبلاده وخدمة املاكه كإخوانه وأعمامه فان شفقتي لا أخص بها اهلا ولا ولدا والعطاء لا أوثره به وحده ابدا. فاذا صلى العشاء وشفع واوتر واخبر عما غبر بصحيح النقل عن اهل الصدق والفضل. دخل القصر يروم نعاسه وربما غفلت الموقتة عن ثلث الليل الاخر نقر الباب ياقوتة او مرجانة قلن سيدي صلاة الصبح حان وقتها فتنشط نفسه النفيسة مع تعب أمسها لأداء اوامر ربها لأن له نصره الله مؤقتات ومؤقتين رغبة في الدين ذات يوم نام عن صلاة العشاء فانتبه وانشأ يقول.

رب انت بحالة العبد ادرى وعليم بكل قول وفعل
فاذا نام عن صلاته عمدا كيف يطمع قلبه بالتسلي

وانه حزم وعزم كله طبعه على غير الفضل والسماحة لايدله يلبس الناس من ملبسه. ويفسح لهم في مجلسه. ولطالما يقف وقوفا للفصل بين العباد بلا ضجر ولازجر ولاتخويف ولاطرد ولا بعاد. واقفا عند كتاب الله والسنة. يتجرع صبره في مصالح المسلمين جنة. اذا غضب ثبت في اموره. واذا رضي اغنى بكرمه وجوده واذا اتي اليه بالمسيئين. بدت عين كرمه فتلحقهم بالمحسنين. ما أصدقه بين الملأ ان حدث. واشرق انوار وجهه ان سكت، ان تكلم فالبحكم والبيان وان سكت فتفكر في امور عباده الرحمان، اخصب للمسلمين جنابه. واعذب لهم شرابه. وحكم بين اولاده وعباد ربه بالسوية ولم يفرق بينهم في القضية. وربما عزل اولاده على وجه الظنون وما عسى ان لايكون سن يوم عاشوراء ميقات العطايا. من ذا يطيق عشر معشاره مما يكابد فيه مع الاشراف والعلماء والرعايا. لم يرفع نفسه حالة العطاء عن عبد ولا أمة ولاضعيف. ولاقوي ولانحيف كم نفس ساخطة ارضاها. وكم مزية اولاها. وكم جلب الخواطر. وكم جر ذيل احسان للمساكين والأكابر. وكم حسن ملاقة وبرور. وكم اكثر فرحا بالمسلمين ووجه سرور. وكم من لبانة قضاها. وكم حقوق محبة اداها وكم قطع عن مسلم

منصوب الشباك. وكم غزل عن مومن تهيئا للشراك وكم نعمة سكبها. وكم هفوة غمضها. وكم أعطى العطايا. وكم احسن للأشراف والعلماء والصالحين والرعايا. وكم غفر الزلات. وكم اقال العثرات. وكم تجاوز عن اهل الجرائم بكرمه ولم يأخذهم بحقه. وكم حصلت لضرير منه معونة وكم كفى مقعدا مؤونة. وكم سيد لاهل الدين اعلام الحمد. وكم وفى بالعهد. وكم ثار الترك ببلاده. فعفى عنهم بجوده واحسانه. وكم خانت ابا حسن كعابه اذا اراد محاربة من ايد الله بالنصر والظفر سلطانه. وكم رجعوا فأناط بهم اناطة القلادة بالنحر فوهبهم اموالهم وخيلهم وسلاحهم وعفى عن زيد وعمرو. وكم ترك قلع النصارى قفرة وكم فتح حصونها عنوة خاضع متواضع لله في المحارب أسد رابض لدى قرع الكتائب هـ. منه **وقال** : في نشر المثاني واما امره في الحلم والجود والشجاعة وعلو الهمة وغير ذلك من خصال الكمال فمما لايعبر عنه بلسان.

الفصل الثاني في شارته وتنظيم مملكته

من القى نظره في حياة مولانا اسماعيل ونقب عن آثاره وتتبعها بالفحص ثم التفت الى التنظيم الجاري في العصر الحاضر لايرتاب في ان جل مايهتبل به المتمدنون الآن انما هو مستمد مما شيده مولاي اسماعيل مقتبس من انظاره الراقية. **ولعمري** لأقف مبهوتا حين اريد تتبع آثاره واستيعاب مآثره فماذا عسى ان يبلغ القلم من اوصاف مدينته واظهار تفوقه على كل من عاصره من ملوك الاسلام واساطين اوربا وهذه آثاره تكاد تنطق بنبوغه وعلو كعبه وسعة معارفه وأنى يمكن لي ان احيط بجليل أعماله وبعد شأوه وهذه فطاحلة المؤرخين وعشاق الآثار تعترف بدهائه وسديد افكاره كقول المؤرخين هاردي واريس في تاريخهما(1) إن المولى اسماعيل بآثاره ودهائه يساوي الملوك العظام بفرنسا فليس على الباحث الا ان يلتفت الى التنظيمات الحادثة والتحسينات الجارية ثم الى حالة المغرب في العصر الاسماعيلي. فلا

(1) - HARDY (G), le Maroc, appud Histoire des Colonies Françaises et de la France dans le Monde, Paris, 1931, p. 73-120.
- HARRIS (W.B.), The Land of an African Sultan. Travels in Morocco 1887, 1888 and 1889, Londres, 1889.

يخلص له بعد تسريح النظر وطرق ابواب المشكلات الا ان الفاتح الأكبر ينشر السلم والمعارف ويبث روح التمدن وتوطيد الأمن بعد ان اسود لباس الانسانية وتخللت الفتن بديار المغرب هو المولى اسماعيل برد الله مضجعه، كانه رحمه الله كان لأروبا مثال المدنية في المغرب والقدوة الذي يجب ان يساير في أعماله فلو اقسم الباحث ان جل ما نراه من مبتكرات العصر الحاضر، في زعم بعض أهله، انما هو خيال في مرآة المدنية التي كانت في العصر الاسماعيلي او شعاع نفذ الى اوربا من احدى منافذ النور المنبثق في ذلك العصر لكان بارا في يمينه جاريا على سنن المنصفين بهذا التمدن الذي نرى اروبا تفتتن به الآن وتمنحه اكثر من حقه، ومنه ان ذلك من مولدات افكار ابنائها رغما عن ان المغربيين لم ينالوا ذلك الا من احتكاكهم بالشرقيين وبالأخص في الحرب الصليبية لو قسناه باعمال المولى اسماعيل نجد ان اوربا لم تكتسب مدنيتها الا من مثل مولانا اسماعيل وممن كان على شاكلته من ملوك الاسلام وعظمائه فان كانت المدنية تعرف بضخامة البناء وتشييد الآثار والتفنن في الصناعات والحرف فما حفظه التاريخ لمولانا اسماعيل واستفاض عنه فيما يرجع لهذا الفصل بالخصوص يغني عن الاعتناء بتتبعه بل ينسي الآثار الرومانية ويذكرنا اصحاب الأهرام، وقد اعترف مؤرخو اوربا بذلك زيادة على ان تواريخ مؤرخي الاسلام مملوءة بذلك حتى ان المؤرخ(1) ستيورت الانجليزي والكومندور استيفان الانجليزي ايضا حسبما حكاه جوهن ويندوس الانجليزي في رحلته المعنونة بالسفر الى مكناس سنة 1721 ميلادية قد حكيا من ذلك ماتنحل به حبوة المطالع، وبالأخص الثاني فقد تعجب من كثرة ما شاهد من البناءات واستغرب عجيب الصنع واعترف بمهارة العاملين حتى حكي ان عدد المشتغلين بالقصور ثلاثون الف شخص يحملون على عشرة آلاف بغل، ناهيك باشتغال هذا العدد مع حزم المولى اسماعيل وضبطه وعدم اشتغاله بالبطالة. وقد ذكرفيلسوف المؤرخين العلامة ابن خلدون في مقدمة العبر ان الهياكل العظيمة جدا

---

(1) هنا تساهل في هذا اللقب... راجع المصدر صفحة 59 من هذا الكتاب

لاتستقل ببنائها الدولة الواحدة لضعف القوى البشرية واحتياج البناء الى التعاون هـ. فلولا همة المولى اسماعيل التي خلدت لنا آثار مملكته وتركتها من الآثار المدهشة التي يندهش لمرآها كل زائر لها من اوربيين وغيرهم رغما على توالى القرون وقطع مواصلة الترميم ونقل الانقاض من عصر مشيدها الى الآن لارتبنا في نسبة ذلك الى اعظم ملك من ملوك الاسلام وجزمنا بان مثل ذلك تنقطع عن الوصول اليه دولة خاصة اللهم الا اذا القينا القياد الى الهمم واعترفنا بانها هى الفعالة سيما اذا انضاف اليها مثل ذكاء المولى اسماعيل ونبله فلم يبق داع للتعجب وان كانت المدنية بكثرة الفتوحات وضخامة الملك وبعد الصيت وتوطيد الأمن فما عرف به مولانا اسماعيل اظن ان المجلدات لاتفي بتفاصيله ومجمل القول انه نبغ في عصر تقارنت فيه الفتن مع الاهواء فلم يمض عليه شطر من حياته، حتى اصبحت اروبا تهابه وتهاديه، وتسعى في عقد المهادنة معه لما رأت انقياد ديار المغرب كلها اليه بعد ان كانت اختلت بعض مدنه وتشوفت الى احتلال الشواطيء ومباغتة الديار وان كانت المدنية تعرف بغير ذلك فنحن لانعرف من المدنية الآن الا ما علمناه من ترجمة مولانا اسماعيل حاشا بعض المخبئات التي اكتشفها حداق اوربا كالكهرباء وغيرها من مولدات العصر ومستبدعاته فقد نظرنا اولا الى شخص مولانا اسماعيل حسب الاوصاف المنقولة لنا فتخيلناه مثال النبل والدهاء والزعامة والشجاعة كأن كل جارحة بشهامته شاهدة وكأن الله قارن الهيبة والخوف بكل حرف من اسمه، ثم نظرنا في لباسه الرسمي فرأيناه لا يهوى بعد ان يرتدي كساءه وعمامته الا سيفه المرصع بالجواهر كانه يشير الى ان تنفيذ الحق واذهاب الباطل هو منتهى عزه وغاية أربه، ثم نظرنا الى مسكنه فرأينا ماله من القصور التي لا يزال بعض أنقاضها يسكب من العبرات ينسينا في قصور بني الأحمر بالاندلس والسعديين بمراكش مما يعرفنا بضخامة ملكه ومطمح أنظاره، ثم نظرنا الى موكبه فرأيناه أعظم من كل محفل رسمي يقام لاعظم ملك مما يبلغنا او نراه الآن بحيث كان اذا ركب تحدق به اشراف واعيان دولته وعبيده ويحلقون عليه وقاية له وهيبة منه حتى ان الحشم المهيئين لخصوص أمثال هذه

الخدمة لجنابه كان من ادبهم عدم الانتعال بمحضره، ثم نظرنا الى شدة احتياطه فرأيناه اذا كان في ساحة الحرب كان الاسد الذي يهاب الموت كانه يعتقد ان الله لم يخلقه الا للجهاد، واذا خلا بنفسه اتخذ الوقاية الكاسرة لشوكة الرعاع حتى ان أسوار قصوره كانت مملوأة بالعسس للحراسة على العادة المألوفة الآن دفعا لشر الاشرار وصيانة لابهة الملوك وتعليما لمن لا يهاب كوارث الايام، ثم نظرنا الى احتفاله باستعراض الجيوش وتنظيمها فلما تتبعنا بعض ما له في هذا الباب وفحصنا في كيفية تنميقه للجيش اندهشنا من ذلك الفكر الذي ساد به على كل معاصر له من جميع الملوك وتحيرنا من تلك التربية التي تنسينا في كل ما يطرق سمعنا الآن حتى انه قدس الله روحه اتخذ لتفقد الجيش واستعراضه يوما مخصوصا في الاسبوع وهو يوم الاربعاء اهتماما بشأنه واظهارا لعواطف الولاء له وحثا له على مواصلة العمل مع حسن التنظيم فكان يركب لما ذكر بعد شروق شمس يوم الاربعاء بنحو الساعة وكانت العلامة في وقت ركوب جلالته هو ان بعض الخدام المعين للنداء لما ذكر يخرج فينادي جهارا على فرس جلالته فاذا سمع الناس نداء الخادم اصطفوا يمينا وشمالا وتراصوا صموتا اجلالا وخضوعا لجلالته فاذا اشرق نوره تبادوا الى تقديم مراسم التحية الملوكية أعيان دولته من عمال ووزراء وكتاب وذوي الجاه والنفوذ، ثم أصحاب الحرف الملوكية والحربية على اختلاف حرفهم وتباين صنعهم كل حرفة يترجل القيم عليها امام جلالته فيعرفه بها ثم يتوجه الى المحل المعد لاستعراض الجيوش لا يمر على كل فرقة من فرق الجيوش الا وتؤدي التحية المرسومة لها من رئيسها فاذا حل موكبه الشريف واستوى على كرسي عزه يقوم صاحب المشور فيقدم الى جنابه كل فرقة برئيسها طبق التنظيمات المأمور بالسير عليها وزير حربيته فتمسك جلالته دفاتر الجيوش كوزير حربيته ولا يزال يستعرض كل فرقة على حدتها الى ان يتم الاستعراض مطابقا للدفترين معا : الدفتر الذي عند جلالته والدفتر الذي عند وزير حربيته فيلوي العنان مصحوبا بالعناية الالهية قافلا الى قصره المنيف في موكبه الشريف طبق اتيانه حسبما وقفت على ذلك في كناشة لبعض اعيان جيشه بخط من

وثقت بخبره ومن الكناشة المذكورة نقلت : وله قدس الله روحه وبرد ضريحه في جمع الجيوش وتنظيمها وتدوينها اعظم اسوة وسلف من نجوم الاهتداء ومن بهم يصح الاقتداء الذين زكاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجد، ففي المجلد التاسع من كناشة الوزير اليحمدي نقلا عن كمال الدين ابي سالم محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي العدوي من اهل القرن السادس مانصه الطبقة الثالثة كتابة الجيش : اجمع ارباب الدراية لتدبير الممالك ومن انتصب لايضاحها بايضاح الطرق والمسالك ان من حراسة المملكة وسياسة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ احوال الجند فإنه قصب مدارها وسبب استقرارها فيتعين الاعتناء به والنظر في وظائف أموره فان شأنه ارفع وديوانه أجمع وعمله اوسع لاسيما في دولة فسيحة الاطراف واسعة الاكناف قد فدلكت جرائد جيشها على الألوف للايلاف فتحتاج الى ترتيب منازلهم على اقدار طبقاتهم وضبط مقادير اقطاعاتهم ونفقاتهم ورعاية مبادى مددهم وأوقاتهم وتمييزهم بالأسماء والكنى وتعريفهم بالاوصاف والحلى واعتبارهم واختيارهم وانتقادهم والتيقظ لهذا الأمر والتحافظ فيه من أعظم الأغراض وقد قرر المتقدمون في ذلك اوضاعا وضعوها وانواعا شرحوها فيتعين الاقتداء بسلوك طريقتهم ويجب في ذلك اتباع نجازهم وحقيقتهم وأول من دون الدواوين في الاسلام وضبط الأمور على الانتشار وحاط الأحوال بيد الاستظهار ونزل ارباب الأرزاق على مراتب الاقدار وجعل ما قرره من العطا والقرار متصفا بمقدار مولانا امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه لما اتسعت خطة الاسلام وامتدت اقطاره وظهرت آثاره وكثرت انصاره وصارت ترد على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه حمول الأموال من جهات الولاة والعمال شاور فيما يعتمده رعاية لما هو الاحوط وعناية باقامة ما هو الأنفع والأغبط فما ذو رأي من الصحابة رضي الله عنهم الا قال ما عنده وبذل في المناصحة جهده حتى قال خالد بن الوليد يا أمير المؤمنين اني كنت رأيت ملوك الشام قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون انت ديوانا وجند جنودا فبادر عمر رضي

الله عنه واستدعى عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا أنسب قريش وقال اكتبوا الناس على منازلهم فقالوا بمن نبدأ فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ابدأ بنفسك فقال عمر رضي الله عنه اني حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبدأ ببني هاشم وبني عبد المطلب فبدأ عمر بهم ثم بمن يليهم من قبائل قريش بطنا بعد بطن حتى استوفى قريشا ثم انتهى الى الأنصار فلما استقر ترتيب الناس في الديوان على منازلهم فضل بينهم في العطاء فجعل ارزاقهم متفارقة بقدر سابقتهم في الاسلام فقيل له كيف تفاوت بينهم وقد تساووا في الاسلام فقال كيف اساوي بين من هاجر الهجرتين وصلى الى القبلتين وبين من اسلم عام الفتح خوف السيف وليس من قاتل النبي صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه، ثم قرر وضع الديوان وزاد بالسابقة وفضل كل من شهد بدرا في عطائه، وفضل علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وفرض لنفسه مثل واحد منهم والحق بهم العباس بن عبد المطلب والحسن والحسين رضي الله عنهم بمكانهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل في ذلك ما هو معدود من العدل والاحسان وجعل ترتيب المرتزقة وتنزيل قرارهم من قواعد الديوان فاقتدى الناس بعده بطريقته وعملوا في ذلك بمقتضى سنته، ثم نظرنا في مستعمراته والكيفية التي كان يمكن له ان يتوصل بها الى توطيد السلم فوجدناه أكبر شيخ لأوروبا في المغرب فقد كان قدس الله روحه اذا فتح بلدة من البلاد أو قرية من القرى سواء كانت بعيدة أو قريبة أعظم شيء يقدمه في أعماله هو بناء رباط يحتوي على عدة دور ودكاكين للتجارة ومعامل للحرف والصنائع وأبراج متينة وأسوار تحوط الجميع غالبا وبيوت لخزن المؤن والسلاح والبارود فكان المسافر ربما يمر على البلدة وهي قفرة خالية عن العمارة مخوفة فيرجع عليها وقد أمست مأوى الهناء والأمن مملوأة بالتجارة والحرف والمساجد والمدارس كأن الأرض غير الأرض والرجال غير الرجال حتى إنه يشك هل أخطأ الطريق أم لا لكثرة ما يشاهده مما لا عهد له بالأمس ولا رآه قط بل ربما انقدح في ذهنه

أن ذلك ليس من أعمال البشر ولا أن قدرهم تستطيع ان توجد مثل ذلك في أقرب مدة وأقلها فيمر عليها وهو خائف استعظاما لشأن ما شاهد وافتتانا به فكان تأثير اختطاطه الرباطات في نفوس أهل الزيغ والفساد أعظم سلاح يمهد به المولى اسماعيل البلاد ويوسع به المملكة ولم يزل هذا دأبه قدس الله روحه في جل البلاد التي فتحها في حياته أو كان يتوقع الفتنة من أهلها الى ان قبضه الله اليه ولا شك ان مايحتفل به الغربيون الآن ويشيدونه في المغرب انما هو جري على سنن الآثار الاسماعيلية بل شطر المراكز الحربية المختطة الآن كانت هي نفسه المراكز الاسماعيلية كآزرو والحاجب وعين اللوح وغير ذلك مما يؤدي الى الطول تتبعه وقد ذكر جماعة من المؤرخين ان المراكز التي اختطها المولى اسماعيل اكثر من سبعين مركزا دون ما كان له من المدن وكلها كانت مملوأة بالرجال والسلاح مانعة من تطاول اليد العادية اذا كانت فتنة في ناحية بادر الى اخمادها جل المراكز المدانية لمحل الفتنة فلا يمر الزمن اليسير الا وقد شتت الله شمل البغاة وتطهرت البلاد منهم. وهذا نهاية مايكون من الحزم والضبط وحسن التنظيم سيما اذا انضاف الى ذلك معرفة المراكز التي كان يختطها المولى اسماعيل بل يتحقق ما كان للمولى اسماعيل من المهندسين وعلماء المساحة مع ماجمع الله له من وفور العقل وحدة الذهن وثبات الجأش والتوفيق الالهي الذي هو أعظم ما يعتمده الانسان ويستمد منه. وعلى كل حال ان شهرة نبوغ سياسة المولى اسماعيل بهذه الميادين تغني عن اطالة الوصف فيها فمن اراد ان يشخص المدنية الاسلامية التي كانت في العصر الاسماعيلي الزاهر ويعرف دهاء المولى اسماعيل وعظيم مملكته فما عليه الا ان يلقي نظرهُ في جل ما استخرجه العلم في العصر الحاضر فيرى ان ذلك انما هو تشخيص لبعض اعمال المولى اسماعيل ومرآة مكبرة تعرب عما كان في ذلك العصر الزاهر مما نراه من زخرفة المباني ووضع المتاحف للآثار العلمية والسلاحية والحيوانية وبناء المراكز الحربية وتنمية الجيوش واستعراضها وتنظيمها وفتح المدارس وترويج الحرف والصنائع وفتح أبواب التجارة واستخدام الاسارى وتشييد الآثار والاهتبال بها كله كان في العصر الاسماعيلي كما عرفنا ذلك مما ترجمه به مؤرخو اوربا

والاسلام، وقد زاد في تنظيم مملكته زيادات الى الآن لم يبلغ اليها متمدنوا العصر الحاضر حتى انه قسم ايام الاسبوع الى تقسيمات وتحديدات الى الآن تتعجب من حسن ترتيبها فاتخذ يوم الجمعة لصلة الرحم بأقاربه وتفقد شؤونهم ومواصلة بائسهم بعد اداء الشعيرة الاسلامية في ابهة ملكه على سنن الترتيب الجاري الآن. واتخذ يوم السبت للصيد مع جيوشه تنشيطا لهم ومشاركة لهم في الفرح واظهار الولاء لهم واتخذ يوم الأحد والثلاثاء لمقابلة المظالم وفصل الخصوم بحيث ينادي على وزير الشكاية فيحضر قائمة اسماء المترافعين باسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم واسم المتولي عليهم ثم يصطفون بباب المشور كل واحد وراء الذي قبله على نمط القائمة التي بيد جلالته الشريفة والأسبقية، فينادي جلالته على اسم الشاكي فاذا اجابه على مقتضى القائمة التي بيده يوقع على اسمه بما يجب له او عليه الى ان يأتي على آخرهم فاذا فرغ المتظالمون انفض المجلس وهكذا يوم الثلاثاء يقابل المظالم بنفسه خوف فشوا الظلم من وزرائه وولاته ومن يقيمه للفصل بين الخصوم في باقي ايام الاسبوع واتخذ يوم الاثنين لتعليم الرماية وتفقد الشؤون الحربية وتدريب الجيش على التعاليم الجارية الآن فكان يركب بنفسه في موكبه المهيب وينظم جيوشه على احسن التنظيمات وأبدعها وهكذا يشغل يومه فيما ذكر الى ان تصل الساعة المعينة لركوبه فيرجع في موكبه الشريف كما أتى تاركا الالسنة رطبة بالثناء على همته. واتخذ يوم الأربعاء لاستعراض جيشه كما تقدم واتخذ يوم الخميس للراحة والنزهة وهكذا كانت ايامه مضبوطة مختصة بما عينه لها لايصده عن ذلك صاد ولا يمنعه مانع غير مؤثر، هذا والمظالم ترفع الى مشوره السعيد صباحا ومساء كل يوم والأشغال المخزنية كلها قائمة على مهيعها المألوف والمهمات كلها تعرض على سديد آرائه ويوقع عليها بيمناه والأوقات كلها معمورة مصروفة فيما يحمد عقباه، فاعجب لهمة المولى اسماعيل وذكائه واخضع لذكره وشهامته فإنه المشيد للمدنية الاسلامية بالمغرب بعد اضمحلالها والباث لروح العلم والرقي الحقيقي فنرجوا من الله ان يقدس روحه وان يوالي على جثمانه الشريف فضله ورحمته آمين.

الباب الثالث

في شفقته على رعيته وكرمه واعتنائه بشأن العلم وذويه واسدائه لهم من عظيم نواله مايزيدهم تشجيعا ونشاطا ودؤوبا على التعاطي واغتباطا ومحبته للاشراف والضعفاء وسدنة الحرمين الشريفين وما يلحق بذلك، وفيه فصلان.

الفصل الاول في اعانته الضعفاء والمساكين من ايالته

فمن المتواتر في ذلك انه كان أصاب الناس قحط ومجاعة عظيمة في بعض الأعوام عدمت فيها الاقوات او كادت ففتح خزائن القمح وأمر بتوزيعها على الضعفاء والمساكين في سائر ايالته وجعل العيون على المكلفين بالتوزيع حتى لاتقع محاباة ولايخفى شيء قل أو جل، اما في عاصمته المكناسية فقد باشر هو بنفسه توزيع ذلك ولم يتكل في تفريق المكيلة على غيره وفي سنة خمس وثلاثين أو اربع وثلاثين فتح ايضا مخازن القمح ووزعه على الاشراف والعلماء وجيش العبيد النازل بمشرع الرملة والضعفاء والمساكين وذوي العاهات وفرق أموالا لها بال على جميع الجيوش واتته قبائل الاعراب والبرابر فاكرم مثواهم وأفاض عليهم من نواله ما كفاهم به صولة القحط العام ووصلهم واطعمهم وكساهم وواصل مساواة الاشراف والعلماء والايتام والارامل وقد تكرر منه هذا العمل مرارا كما في الدر المنتخب وغيره. ولما اصابه ما اصابه من الالم عام ثمانية وعشرين ومائة والف امر بتفريق خراج كل بلد على اشرافها واعلامها والضعفاء والمساكين الحالين بها واخرج من بيوت الأموال التي بعاصمته المكناسية اموالا لها بال وامر باعطائها للمستحقين لها ثم بعد ان أبلّ مِن مرضه أعطى للشرفاء عطايا وافرة.

الفصل الثاني في اعتنائه بشأن العلم وذويه ومايلحق بذلك

وكان يبحث عمن أراد من العلماء ان يختم كتابا من الكتب التي تدرس فيواسيه ويصل اهله ويمنحه ما يصيره في طعام الختمة ويجيز

الخادمين لهم بالجوائز السنية **قال** في الدر المنتخب إن العلامة سيدي محمد المشاط لما اراد ختم المختصر الخليلي نوه به المترجم وامر من كان بفاس من البساط الملوكي وذوي الحيثيات بحضور ذلك الختم وقال لو كنت هنالك لحضرت مجلسه واعطى للفقيه المشاط أموالا للطعام وهيأ له الأمور العظام وأعطى أرباب القصائد عطايا سنية ومما قيل في ذلك الختم من الامداح قول أبي الحسن علي مصباح من قصيدة تحتوي على واحد وثلاثين بيتا :

نسيم الصبا بلغ الى ام خالد تحية صب في لظى الحب خالد
فتاة يغير الغصن لين قوامها مقرطة هيفاء تيماء ناهد
تُميت اذ جرت ذيول وصالها وتحيى اذا ما انجزت بالمواعد

كان يجري على الفقهاء والعلماء الجرايات الهامة فلما وصله جواب علماء فاس الآتي بعدُ، عن كتابه لهم بالدؤوب على الجد والاجتهاد ونفع الحاضر والباد المؤرخ بخامس عشر جمادى الثانية عام خمسة وعشرين ومائة والف، وصلهم وبالغ في اكرامهم والاحسان اليهم، وجعل ذلك على حسب مراتبهم العلمية ورسمه في الدفاتر الرسمية و لم يزل ذلك دأبه معهم الى ان نقله الله اليه. وقد اجاز العلامة الاديب سيدي علي مصباح على قصيدته التي مدح بها سيدي محمد بن احمد المسناوي حين ختم عليه نجل المترجم العلامة مولاي محمد فتحا كتاب الشفا بكسوة ومائة مثقال وذاك اذ ذاك من العطاء الباهظ ونص القصيدة.

يأأهل ودي هل لديكم من شفا فما غدا منه الفؤاد على شفا
أم هل ترون لمدنف ان ينثني عن حب من يهوى وان قل الوفا
هذا فتى يشكو الصبابة او شكت منها شموس حجابه ان تكسفا
عانى الهوى من غرة فغدا على جثمانه معني السقام فانحفا
ومليحة سحت عليَّ عيونُها من سحر آيات الطبابة أجرفا
حاولت امْحوها ففاضت أدمعي فارته في صحف الخدود مؤلفا
ياحرما منها أخبت أضلعي وجدا يذيب حشاشتي مهما خفا
ماان ظفرت لها بوعد منجز الا اذا كانت مواعدها الجفا

كم قمت في جنح الدجا كلفا بها ما ان أرى غير المدامع مسعفا
والشوق وار في الجوانح زنده قاض على قتل المعنى مذهفا
والبرق في حلل الظلام مطرز وشيا من النور الصفي مرصفا
والنسر فوق الثور يخفق موشكا ان يرتميه بمخلبيه فيخطفا
والبدر قد دارت به ثرياته كمحمد المسناوي اذ ختم الشفا
شيخ الجماعة تاج كل سميذع وأجل حبر في البرية مقتفى
لم يأل جهدا في انتشار العلم حـ تى عاد منه ريضا ماقد عفا
ورث العلوم عن الأولى شادو العلا قدما وأورثها سلافا قد قفا
ياارائدا عرج لمحمل درسه اوسل به تر مالكا ومطرفا
وتخاله عربي نطق لست تسـ مع منه حرفا في الكلام محرفا
حاز العلوم فلا يكاد عنانها عنه لآخر غيره ان يصرفا
كم زاهر وسط السما فاذا بدت شمس الضحى اصبحن طرا خسفا
يروي لنا منها الغريب بديهة فيصير مأنوسا لنا ومعرفا
كالنحل ترعى المر من نور الرّبى فتحيله عسلا يكون به الشفا
ياتي الجواب فلا يراجع هيبة وتخاله انسى ابن قيس احنفا
ماذا عسى يثني البليغ على فتى طارت مناقبه وقد برح الخفا
وافتك ياعلم الزمان خريدة ماكان مهديها لكم متكلفا
قد هزها الاجلال منك فكن لها ولمدحك المحفوف فيها منصفا
هذا امير المؤمنين أنا لكم مرغوبكم اكرام ختمكم الشفا
نادى برفع مقامكم وجلالكم انتم حماة الدين اصحاب الشفا
وامنن علي بدعوة فلعلها تمحو الذنوب فان فضلك قد كفى
وعلى شمائلك العظام تحية منضوضة الأرجا بآيات الشفا

ولما اكمل المترجم بناء مدينة الرياض واستقر بها كتاب حضرته وذوو الحيثيات في دولته وهنأهم كاتبه الشعرور أبو حفص الحراق بقوله.

أكتاب الامام لقد سعدتم بآثار لسيدنا سديدة
دنوتم من قصور أبي المعالي وقد كانت منازلكم بعيدة
ومادار تقرب منه إلا مباركة بلا ريب سعيدة

أجازه باربعمائة مثقال، ومن أعظم البراهين الواضحة على وافر كرمه

مانقله الشريف العلامة الثبت الثقة مولاي الوليد بن العربي العراقي في بعض كتبه من ان المترجم دفع لابن عمه المولى ادريس العراقي ياقوتة عظيمة يبلغها للروضة الكريمة على صاحبها افضل الصلاة والسلام، لتعلق هنالك وقد شرحت القضية في ترجمة المولى زين العابدين في اتحاف اعلام الناس فانظره (3، 73) قال العراقي المذكور وقد رأيتها يعني الياقوتة فما رايت مثلها في الصفاء وزنها رطل وست اواق وعليها شباك من ذهب مرصع باليواقيت وجعل لها سلسلة لعلاقها وجعلت في صندوق من الذهب سترة لها اهديت اليه يعني المترجم من بلاد النصارى وقد قومت باربعة وعشرين قنطارا من المال فوصلت وعلقت هناك وكان لما سافر مرة أخرى قيل أعطاه ياقوتة وهي اصغر من الاخرى قومت باربعة عشر قنطارا في كل قنطار ألف مثقال من الدراهم وهما الآن معلقتان بالروضة المباركة هـ. ومن إمارات تعلقه بالجناب النبوي الشريف ما في كناشة العلامة **أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن الحاجي السلوي** ونصه : ومما كتب به شيخ شيوخنا العلامة قاضي الجماعة أبو شعيب سيدي محمد أبو مدين ابن حسين المنبهي نائبا في ذلك عن أمير المومنين وناصر الدين أبا النصر مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف نصره الله الى سيد الاولين والاخرين مولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما الى ذروة المجد وهضبة الاحسان وقنة السيادة التي ما حام حولها مَلك ولا انساب ولا قدر على استيفاء تفاصيل مفاخرها الانيقة لسان. ولو اشتهر بترصيع القلائد وتسميط الفرائد الحسان وجرى في حلبة الاجادة تبر له هالة وحساب. مقام مولانا سِرُّ الوجود ومنبع الكرم والجود والسبب الاتم في اعداد كل موجود. السلام عليك يا رحمة الله المهداة ونعمته السابغة المسداة ومقر حكمه الباهرة المبداة، السلام عليك يا من أرفض عنها لمهابته البراق وانقض لمسراه روح القدس يخترق به السبع الطباق، وانفتحت منها لاستفتلحهما الاغلاق وءاض لامته بعد الاستيثار بحضرة القدس من امهلت التكاليف... من نفائس الاعراف السلام عليك وعلى نديمي ضجعتك وسميري هجعتك وعلى ءآلك الاطهار وصحابتك الاخيار، وخصوصا المهاجرين والانصار

وفق كما عدتك التي تفوق الاحصاء، وتمتنع عن الاستيفاء والاستقصاء من رفيق انعامك وغريق بحر فيضك واكرامك المتواضع لذكرك المعترف بالعجز عن أداء واجب شكرك عبدك وابن عبدك المتمسك من سنتك الشريفة بعروة عهدك المتطارح بمراكب شوقه على سدتك العلية ومغناك الجميل الممتلىء توقا وشوقا عبدك اسماعيل. ضاعف الله في ذلك الجناب الارفع اشتياقه، والى اقتفاء سيرته الغراء ومنهجه الابلج استباقه، وان العبد حيث لم يسعه في الوقت الامكان بنقل خطاه الى أطيب بلد وأشرف مكان. اشتغالا بما طوق في رعاية امتك، وحياطة ملتك الغراء واحياء معالم سنتك. وجه أحد عبيدكم من صغار أولاده، واستنابه في الفراعة بين أيديكم بفدية وسعي ونهاية اجتهاده لما جاء في سنتكم الطاهرة بان لا يبلغ عن المرء الا ءاله الأدنون واحقهم بذلك أفلاذ أكباده، وايثار الصغير لمزيد اهتمام منكم بأمره. وبياض صحيفته لما سقط عنه قلم الخطاب في نهيه امره. فنحن جميعا يا أكرم مبعوث وأشرف منعوت، نلوذ بجنابك، ونستضيء بثاقب شهابك، ونستجير بجوارك، ونقتبس بأضواء أنوارك والسلام. انتهى الكتاب المبارك من خط الحافي بواسطة ولا تاريخ له. وقد ذكر بعض المؤرخين أن المترجم كان وجه ولده مولاي عبد الحفيظ صبيا صغيرا مع ركب الحاج للحرمين الشريفين فيحتمل أن يكون هو المذكور في الكتاب.

ومن أجل البراهين على كرم سيدنا الجد المترجم ماجاء في كتاب الأسير مويت الفرنسي من انه كان يأتي لسلطان فاس يعني المترجم من البلادات التي بيد النصارى من النصارى يعني رقابهم أن يأتوا بأنفسهم : الذين يعتنقون الاسلام والذين يطلبون خدمته مع بقائهم على دينهم اكثر مما تاسره عسس السلطان البحرية وذلك لما يلحقهم من ظلم كبرائهم والاجحاف عليهم بما يشبعون به بطونهم من الاكل هـ. وماذاك الا لكون خيراته كانت فائضة على رعيته وعلى الأخص خدمته حتى استمالت الاجانب الى الرغبة في خدمته دون بني جلدتهم.

من ذلك ماجاء في الرحلة المعنونة بالسفر الى مكناس التي ألفها جوهن ويندوس الانجليزي سنة إحدى وعشرين وسبعمائة والف مسيحية بمناسبة بعثة الكمندور استيفان للمفاوضة في مبادلة الأسرى أثناء

كلامه على القصر السلطاني أنه لما ذهب لمشاهدة دار السلاح وجد السلطان المترجم راكبا على فرسه قريبا من دار السلاح المذكورة وحراس تلك الدار عشرون بحريا من أسرى الانجليز وأن بعض الأسرى المذكورين تقدم الى أمام السلطان وقبل الارض بين يديه وحياه بتحية الملك قائلا : الله يبارك في عمر سيدي، ولما أخبروا المترجم بأنهم أنجليز وذلك بعد أن سألهم عن جنسيتهم منّ عليهم ووهبهم للسفير والحال أنه كان لاتسمح نفسه بفدائهم بالأموال الطائلة، ومن ذلك ماجاء في تاريخ انقلابات دول المغرب ونقله مختصرُه ونقله الكاتب هنري طيراس أحد المدرسين حينه بالمدرسة العليا من رباط الفتح، واقره من ان قرصان سلا قبض جملةً من الأسارى منهم الانجليزي توماتلون دام البحري قال لما أشخصوا بين يدي المترجم بمكناس دفع للقرصان الذي أتى بهم خمسة دوكا سكة ذهبية، وأنه لما رجع مولاي الشريف نجل المترجم من حركة درعة بعد استئصال شافة من عاث وسعى في الارض الفساد سر المترجم بذلك، وأعطى لكل جندي عشرين دوكة سكة ذهبية مجازاة لهم على ماقاموا به من اخماد نار الفتن الملعون موقدها هـ. ومن ذلك إنعامه بأسير اصبنيولي على امرأة لاذت بجنابه في انعامه عليها به يكون فداءً لولدٍ لها أسره الاصبان فأسعف رغبتها وأصدر أمره العالي لعامله خديمه أبي عبد الله معنينو بإعطائه اياها، ودونك نص ظهير الانعام بعد الحمدلة والتصلية والطابع الشريف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني كان الله له : خديمنا الحاج محمد بن علي معنينو سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فاعلم ان عجوزا زوجة القباج الفاسي الكباص جاءت لمقامنا العالي بالله وذكرت بان ولدها أسير بلاد النصارى بقالص وطلبت منا هذا النصراني حامله الذي اسمه منويل كيرس الذي صفته ابيض للطول أحول من جنس اصبنيون وذكرت أن أخا هذا النصراني هو الذي اشترى ولدها، ولما احضر خديمنا عبد القادر بن عبد الرزاق هذا النصراني كان امامنا ورأيناه التزم اخراج ولدها محمد القباج ويزيد اربع مائة ريال موزونة بوجهها على المسلم امرنا خديمنا ابن عبد الرزاق ان يتولى الكلام مع النصراني ويقبض

منه المسلم المذكورَ والأربع مائة ريال المذكورة وانعمنا بالنصراني منويل المذكور والموصوف صدره على هذه المرأة لوجه الله تعالى وابتغاء ثوابه الجسيم لتخرج به ولدها الأسير المذكور واطلقنا سراح هذا النصراني فاذا جاء كتابنا هذا اسماه الله فلا تمنعه من الركوب والجواز الى بلاده ولياتك من النصراني براءة خديمنا بن عبد الرزاق الذي أمرناه ان يتولى قبض الفدية منه والمسلم والسلام وكتب في الثامن عشر من صفر الخير عام ثمانية وثلاثين ومائة وألف، ومن ذلك قطعة الارض ذات البال المتسعة الاكناف الجيدة التربة التي لاتقل عن ألف زوج الواقعة بسلفات من مزارع شراردة للشريف الأصيل ابي عبد الله سيدي محمد بن النقيب الانزه سيدي عبد القادر الحسني الادريسي الشبيهي حسبما بظهير المترجم المختوم بطابعه الكريم ودونك لفظه : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني الله لة : كتابنا هذا اسماه الله وأعز أمره وأطلع في سماء المعالي بدره يستقر بين ماسكه الشريف الاحظى الأقرب نقيب الأشراف السيد محمد بن المقدس المنعم المرحوم بفضل الله النقيب عمنا سيدي عبد القادر بن عبد الله الجوطي الحسني يتعرف الواقف عليه أنا صرفنا عليه جميع الارض التي بسلفات الحائزة روضة الولي سيدي محمد بن موسى التي تجاوز الساقية وكدية علي ابن محمد وروضة سيد احميد البدري والبسابس والقطار الى الجبل صرفا كليا وانعاما تاما قطعا وملكناها له ملكا على الدوام والاستمرار وبسطنا يده عليها بسطا كليا في جميع الاحوال من غير منازع ينازعه ولامعارض يعارضه بحول الله وقوته والواقف عليه يعمل بمقتضاه ولا يخالف سبيله ولايتعداه والسلام وفي السادس من رمضان عام اربعة وعشرين ومائة والف، وقطعه ايضا ولجة السقي الأرض الهائلة النفع الكائنة بسيدي علي المخفي من مزارع مكناسة الزيتون للنقيب المعظم سيدي عبد القادر بن عبد الله الجوطي والد سيدي محمد المذكور حسبما وقفت على ظهير التنفيذ بالاقطاع لمن ذكر ولفظه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الشريف

المطاع الأوامر بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني الله له ثم مسطورنا
هذا يستقر بيد الشريف المنيف الحسيب الأصيل السري الأثيل محل
ودنا وحبنا ولحمة نسبنا والآخذ بزمام لُبنا عوض الوالد العضد
والساعد المقدم في حلبة دولتنا خلد الله أوامرها على الأول والآخر
أبي نصر سيدي عبد القادر بن عبد الله الجوطي الادريسي الحسني
يتعرف منه ويعلم الواقف عليه أننا صرفنا عليه جميع الولجة السقي
الكائنة بسيد المخفي وهي المقابلة لروضته نفعنا الله به يحدها شرقا
الطريق الممرور عليها لأبي فكران والجهات البواقي الحجر الممزوج
بالدوم المقوس على الولجة المذكورة مبدؤه من مشرع سيدي المخفي
ومنتهاه دافع السدرة وقد اشتملت على سواقي ثلاث ساقية الريبة
وساقية الشرفاء وساقية مسعودة ومن جملتها السويطة البعل التي بين
الحد المقوس والساقية وكذا القطعة التي بين الطريق المذكورة والوادي
الذي هنالك ومتصلة بالمشرع المذكور وكما ابقيناه ايضا على قبض
أعشار كل من... أهل البلد... صرفا تاما محفوفا بالرضى
والقبول طيبة به أنفسنا منعمين به عليه وحبا وكرامة مادامت ايالتنا
العلوية بهذه الأقطار المغربية أسمى الله منارها وأيد بمنه عزها وفخارها
وليس هذا مما يبلغ أصغر ماله لدينا من الحظوة والمكانة ولكنه قل
من كثر وغيض من فيض ولتغمرنه بحول الله بحار نعمائنا ولنضفين
عليه من فضل الله ملابس آلائنا وعلى الله المعتمد في إكمال المقاصد
وإنجاز المواعد والسلام وقيد بتاريخ ثمان وعشرين من جمادى الاولى
سنة... عرفنا الله خيره آمين هـ. ومن ذلك إنعامه على طبيب
حضرته الخاص العلامة الحكيم الماهر السيد عبد الوهاب بن العلامة
النزيه الحكيم السيد أحمد أدراق بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة
القاطنين بالحضرة المكناسية وذلك إذذاك قدر لاتسمح به نفس غير
الذي عجنت طينته بالكرم الذاتي، فقد وقفت على الظهير المتضمن
للأنعام المذكور وهو بمكتبتنا دونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة
والطابع الكريم كتابنا هذا أسماه الله وأعز امره بيد خديمنا الفقيه الأجل
الحكيم الأنبل السيد عبد الوهاب بن الفقيه النزيه الحكيم الوجيه السيد
احمد أدراق يتعرف منه بحول الله وقوته أننا انعمنا عليه بعمالة الجزية

الحمد لله   ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد خديمنا الفقيه الأجل
الحكيم الأفضل السيد عبد الوهاب ابن الفقيه النزيه الحكيم
الوجيه السيد أحمد أدراق يتعرف منه بحول الله وقوته أننا أنعمنا
عليه بعمالة الجزية الواجبة على أهل الذمة القاطنين بملاح
مكناسة حرسها الله وزد فاله في الحال بها إعانة له على
ما هو بصدده من ملازمتنا وخدمة جنابنا العالي بالله على
مقتضى حكمته وتشريف صنعته إنعاما تاما والواقف عليه
يعمل به والسلام وفي الرابع من صفر الخير عام سبعة وثلاثين ومائة وألف

الواجبة على أهل الذمة بملاح مكناس حرسها الله وأذنا له في قبض ذلك... بها إعانة له على ما هو بصدده من ملازمتنا وخدمة جنابنا العلي بالله على مقتضى حكمته وشريف صنعته إنعاما تاما والواقف عليه يعمل به والسلام وفي الرابع من صفر الخير عام سبعة وثلاثين ومائة والف هـ. ومن ذلك إجراؤه على أهل الدلاء الجرايات كل سنة حسبما وقفت على التنصيص على ذلك بخط بعض الاعلام العدول المطلعين الأثبات في كناشة له ولفظه كتب بعض السادات البكريين للسلطان مولانا اسماعيل في كتاب جواب صدقته التي كان يبعثها في كل عام لهم رحمهم الله.

إني نظرت فما وجدت هدية تهدى اليك سوى الدعاء الناجح
فجعلته لك بعد كل فريضة وقرنتـه لك بالثنـاء الصالح

ومن ذلك انعامه بمستفاد دار السكة بالحضرة المراكشية ومستفاد القاعة بها على الشريف المولى محمد بن عبد القادر العمراني فقد وقفت على ظهير الانعام عليه بما ذكر ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني الكريم جددنا بحول الله تعالى وقوته لحامله الأرضى مولاي محمد بن عبد القادر الشريف المريني العمراني على مابيده من ظهيرنا الشريف أسماه الله المتضمن انعامنا عليه لدار السكة في مراكش صانها الله فقد ابقيناه يتصرف فيها وأقررناه على قبض واجبها يستعين بذلك على قراءة العلم وتعلمه وزدناه قاعتها وأنعمنا عليه بها فنامر مملوكنا الأقرب الباشا غازي ان ينفذ له دار السكة والقاعة ولايترك من يتعدى عليه فيهما تجديدا تاما وحسب الواقف عليه يعمل به ولايتعداه والسلام خامس ربيع الثاني عام اثنين وثلاثين ومائة وألف. ولما لبى داعي مولاه مولاي محمد المذكور منعما عليه أقر المترجم ولديه من بعده وهما المولى عبد الهادي والمولى عبد السلام على المنعم به المذكور بظهير سلطاني دونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة : جددنا بحول الله وقوته لحملته محاجيرنا مولاي عبد الهادي بن مولاي محمد الشريف الحسني العمراني المدعو الشيخ المريني وأخيه مولاي عبد السلام على ما بيده من ظهائرنا الشريفة المتضمنة إنعامنا على والده

رحمه الله بدار السكة من مراكش حرسها الله وقاعتها فقد أبقيناهم على ما كان يقبضه والدهم فيهما وأقررناهم على ذلك وزدناهم بحضرتنا العلية بالله اربعة أوسق من القمح واثنان عروض وأربعين مثقالا يقبضون ذلك في كل سنة من عند خديمنا القايد علي ويشّي فنامر خديمنا المذكور ان يدفع لهم ماأنعمنا عليهم به من الزرع والعروض والدراهم ومن تعرض لهم هذا يخاف منا على نفسه وليبعث حتى لصاحب مراكش خديمنا الباشا حمدون الروسي أن يعتني بهم في قبض واجب دار السكة والقاعة وحسب الواقف عليه يعمل به ولايتعداه ولابد والسلام ثامن المحرم الحرام عام سبعة وثلاثين ومائة وألف وهذه الظهائر توجد أصولها بين الشرفاء العمرانيين الملقبين بالمرينيين الساكنين الحرم الادريسي من محروسة فاس وهم محققوا النسب أما غيرهم فلعلهم من بقايا بني مرين برابره ومن ذلك ما أورده سيدي الوليد العراقي في دره النفيس من أن المترجم كان يبعث للسادات البكريين مع الركب في كل سنة عشر سبائك من الذهب في كل واحدة مائة مثقال ذهبا بالميزان الكبير ويبعث مع ذلك بالمئين من المقافل من الذهب مطبوعة ويكاتبهم ويطلب منهم الدعاء ولم يزل أولاده على ذلك. وقد زاد على ذلك أمير وقتنا الفاضل الأجل مولاي عبد الله نصره الله وأمده بمعونته زيادة كبيرة حسبما أخبرني بذلك من أثق به هـ. لفظه وفي زهر البستان ولم يزل أيده الله يوجه كل سنة للحرم الشريف من عميم ظله ووابله ويجعل ذلك من أهم مسائله ويهدي لخدمة الحرم الشريف والاغوات ويتعاهدهم بالعطايا ويسأل عن الصلحاء والعلماء بالحرم الشريف ويواصلهم بالصلات ويهدي لأولاد سيدنا ومولانا أبي بكر الصديق رضي الله عنه في كل سنة ماجرت به عادته الكريمة معهم من الذهب الابريز الذي يقنعهم وينتفعون به في معاش سنتهم هـ. ومن ذلك مزيد إهتباله وشامل اعتنائه وتعظيمه وإجلاله لمن يرد عليه كل سنة من الأغوات سدنة الروضة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم تسليم فلقد كان يعد لنزولهم أشرف المحلات ويتأنق ماشاء في فرشه وأوانيه وتهيئة كل مايحتاج اليه من حاجيات البيت وأسباب الراحة ويوالي عليهم أنواع

الموائد ووافر الصلات والعوائد مدة مقامهم بشريف أعتابه ويتبعهم متواصل كرمه حيث ساروا حسبما أشار لذلك صاحب زهر البستان. والقصد من هذا ذكر مايستدل به اللبيب من كرم المترجم في أماكنه اللائقة به على ماوراءه مما هو بحر لاساحل له ليعلم بذلك إن ما وصفه به عدوه عموما وخصوصا بإسره له وهو مويت الفرنسي بقوله : أنه من أبخل الملوك يتحفظ على صفائح الخيل ومساميرها والعقاقير والسمن والعسل وغير ذلك مما يكون في خزائنه وذلك من شأن العطارين لا من شأن الملك الكبير مثله هـ. إن صح فهو من مناقب المترجم لأنه نائب عن الله في أمواله وأمين عليها والأمين شأنه وضع الأشياء في محالها وصيانتها عما فيه ضياعها والاسراف فيها وهذا هو الشق الذي لم تر من المترجم عين هذا العدو الخاص سواه ولكن عين السخط تبدي المساويا. له كما أن شأنه بذله في محل البذل ولمستحقه وصرفه فيما يتعين من طريقه، وهذا هو الذي قدمناه عن غيره من فتح الخزائن عند الأزمات وتعميم العطاء في الشدائد والملمات دفعا لضرر الرعية ووقاية لها من عام البلية وذلك شأن حكماء الناس وأئمتهم المسند اليهم أمورهم وهل العدل إلا وضع الأشياء في محالها وهذا منه. والأسير الجاهل أعانه جهله وعداوته على أن جعل مناقب المترجم مثالب وذلك كاف في طرح كلامه وإهماله، وقد تطلف في هذا المقام إستيورت النجليزي في رحلته فقال واصفا للمترجم مقتصد يبني بدون لزوم صائر دراهم ويحارب بدون فلوس كذلك هـ. وكفى بالاقتصاد وخصوصا في هذين الموطنين اللذين عهد الاسراف في الاموال فيهما منقبة وحزما وقوة واقتدارا. ولنختم هذا الفصل بظهير كريم دل على كرمه العظيم وإليك لفظة الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني وليه الله وبدائره اليمن والاقبال وبعد ذلك كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره يتعرف منه بحول الله وقوته أننا أعطينا لوصيفتنا إبنة بومعيدة الشاوية بلاد مومن بن حم التي بالعزانية سقيا وبورا وجميع مافيها من جنان وغيره من غير منازع ينازعها ولا معارض يعارضها فنامر من بها أن يرتحل لهم منها والواقف

عليه يعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا بد والسلام وفي السابع عشر من ذي القعدة عام اربعة وثلاثين ومائة والف هـ. من أصله.

الباب الرابع

في محبته لأهل العلم والفضل والدين ولاستنصاحهم والقاء الأسئلة عليهم والرجوع اليهم في كل مايهم في الدين وفيه فصلان.

الفصل الأول

في إلقاء الأسئلة عليهم والرجوع اليهم في كل مايهم في الدين وهو شيء طالت به الركبان، ودونك شذرات من ذلك **منها**سؤاله عن حكم التنازع في نازلة يفهم من فحواها تحريه في دينه، ودونك نص السؤال سيدي رضي الله عنكم جوابكم في قضية رجل وقعت بيده أمة في انصاف من قبيلة أهلها فأصابها الرجل المذكور، هل وطؤه إياها ينشر الحرمة بينها وبين أقاربها كابنتها مثلا أم لا، **فأجابه** الفقيه القاضي أبو مروان عبد المالك التجموعتي بقوله ان إصابة المشار اليه في السؤال للأمة المأخوذة من أهلها على الوجه المنبه عليه إصابة ملغاة في نشر الحرمة في أصولها وفصولها فلا يرتب شيء من لوازم الوطء الشرعي فيحل وطء ابنتها مثلا بالملك أوالنكاح، وعليه درج الامام مالك في الموطإ وكفى به قدوة وحجة، وما وقع في المدونة محمول عند بعض العلماء على الكراهة وعليه فالخطب في المسألة سهل والله أعلم، وكتب فلان **وأجاب** القاضي أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن المجاصي رحمه الله فقال الجواب أعلاه صحيح ومانقل عن الامام في الموطإ قال الحافظ : عليه جل أصحابه بل قد قال غير واحد ان جميعهم عليه قال سحنون ولا اختلاف بينهم، وبما تقدم عن الامام جَزَم مالك زمانه إبن أبي زيد هذا هو المشهور وتشهير مقابله لم يقف المحققون بعد البحث عنه عليه، والاغترار بكلام التهذيب مدفوع بكلام عياض على الأصل، وبالجملة قول الامام السابق هو المعول عليه ويؤيده من جهة النظر أن المعدوم شرعا كالمعدوم حسا حسبما تقرر في القواعد وكتب فلان ؛ تم أجاب الشيخ أبو علي اليوسي رضي الله عنه بما نصه ينبغي ان ينظر الى حال السائل عند مواقعته الامة المذكورة فإنه لايخلو ساعتئذ من ثلاث حالات الأولى ان يطأها معتقدا لحريتها

مقتحما لذلك بلا وجه ولاشبهة وهو الزنى المحض الذي يترتب فيه الحد وينتفى الولد، الثانية ان يطأها معتقدا للحلية متمسكا بوجه شرعي عنده بأن يرى لنفسه صحة الملكية على الأمة المذكورة بسبب يعتبره اما كون المال المأخود مثلا في الحقيقة خراجا وإن سماه إسما آخر وكون ذلك من المصالح العامة المرسلة التي ينضبط بها أمر الناس او من العقوبات بالمال لأجل ذلك ويدين بمذهب من يرى شيئا من ذلك في المذهب أو خارجه أو أنما المأخوذ غصبا إنما هو النقد والأمة مشتراة اشتراء صحيحا لايتعلق الغصب بعينها بل يترتب ثمنها فقط أو نحو ذلك من التأويلات ثم يرى أنها اذا حصلت بذلك الوجه وصارت في عدد المال كان له حق في المال فلتكن هي ذلك النصيب أو بعضا منه ويكون في هذا كله قد نظر لنفسه في المسألة إن كانت له مشاركة أو قد أفتاه مفت برضاه فقلده، الثالثة ان يطأها معتقدًا للحلية لابوجه ولكن جهلا منه بتلك الصورة وظنا منه أنها من جملة المباح له، فأما في الحالة الأولى فالمسألة هي مسألة الموطإ المشار اليها في الأجوبة فوقه لأنها إنما فرضت عند الامام مالك وغيره في الزنى وهو وطء من لا ملك له على الاتفاق بلا شبهة ولا غلط ولا جهل للحكم ولا للعين كما تخفي حقيقته وماأجاب به السادة فوقه أصلحهم الله وأبقى وجودهم للاسلام صحيح يعمل به ولامزيد عليه، **واما** في الحالة الثانية فالحرمة تنتشر بين الموطوءة وأصولها ولاسبيل للوطء الى ابنتها لأنه يرى أنه وطيء أمها بملك اليمين وذلك ينشر الحرمة وكون تلك الشبهة لايلتفت اليها في نفسها ولاتجوز الفتوى ولاالعمل بمقتضاها في المذهب لايقدح في هذا لان المطلوب فيه مجرد الوجه المخرج عن الزنى الموجب للحد دليلا كان أو شبهة وقد حصل وهذا أمر واضح لا نزاع فيه حيث يقع الوطء كمسألتنا وانما التفصيل في غيره، واما في الحالة الثالثة فلم يقبل إدعاء الجهل اعتبارا بالغالب أو بأن ذلك من الحرام الواضح الذي لايقبل فيه الجهل مطلقا فالحكم حكم الحالة الأولى ولا إشكال، وإن قيل إدعاء الجهل اعتبارا فانه الأصل في كل صورة حتى يقع الخروج عنه فيها ببيان وبان الأمر المذكور ليس مسلما وضوحه ولاسيما فيمن علم منه الاستيلاء والجور

والملك الحسي والاعتداء بما جرت به عادة من قبله في ذلك مع ان في القدر في الواضح قولين في المذهب فالحرمة أيضا تنتشر في الأمة المذكورة لأن الوطء حينئذ شبهة وأنه لا فرق في المسألة بين جهل الحكم إذا قبل وبين جهل العين والنصوص في جهل العين معلومة وأنه إذا وطيء امرأة يظنها زوجته أو أمته تحرم عليه بناتها وأمهاتها على المشهور كما قال إبن عبد السلام بعد حكاية هذا القول إنه إنما هو على أن الزنى لايحرم الحلال وإما على أنه يحرم فلا إشكال أن وطء الاشتباه ينشر الحرمة هـ. وهو واضح لأن كل من يعتبر الزنى فهو يعتبر الشبهة بالوجه الاحرى وقد بنوا الخلاف على المكره على كونه زانيا او معذورا لأنه حصل منه انتشار عمدًا وعلم ان الزنى هو الضابط وكلما قصر عنه فمعتبر ويدخل في ذلك الغلط والسهو والجهل بالعين أو بالحكم كما قررنا وقرر بعض المتأخرين مسألة بن التبان بأن يلتذ ولا يطأ فان وطيء فهو شبهة ووطء الشبهة ينشر الحرمة على المشهور وهو كلام شامل بجانبيهما العين والحكم والله الموفق، وإذا علم السائل حكم حالته فهو بصير على نفسه فيما أقدم عليه أولاً فيبني عليه والله المستعان وهذا ما حضرني في الوقت بلا كبير روية للاستعجال الحامل ولامراجعة المظان لخلو يدي من الكتب فمن طالع من السادات بعدُ فأصاب علما آخر موافقا أو مخالفا فليضمه الى ما سطر إفادة ونصحا فإن الدين النصيحة والمؤمن كالبناء[1] يشد بعضه بعضا، وكتب مسلما على السادات وعلى كل من يقف عليه بخمس بقين من شعبان ثاني وصول السائل الحسن بن مسعود كان الله له سنة خمس وتسعين وألف هـ. من خط من نقل من خط العلامة الطرنباطي، وناهيك بهذه الصراحة عن هذا الايمان وسلوكه مسلك أهل الثبت والصراحة في الدين من غير مبالاة وذلك مما زاده عند المترجم السائل حظوة ومكانة، ويكفي دليلا على ذلك ماأورده في الأزهار النامية ان المترجم لما قال : علماء الوقت على أربعة أقسام قسم لايخاف الا من الله ولايخاف منا يعني نفسه، وقسم يخاف

---

(1) زاد الناسخ (المرصوص) فشطب عليها المؤلف، وهو الصحيح لأن (المرصوص) غير منصوص !

من الله ومنا، وقسم يخاف منا ولايخاف من الله، وقسم لايخاف من الله ولامنا مثل للقسم الأول بالامام اليوسي وهو مما يبين منزلته عند المترجم رحم الله الجميع بمنه، **ومن ذلك** سؤاله له أيضا واليك لفظه : جوابكم فأنَّا اردنا منكم الاعلام لنا بما عمل سيدنا عثمان رضي الله عنه في ذلك المغنم الذي أعطى مروان بن الحكم في افريقية هل كان الخمس فقط أو واجب الغنيمة كلها وما قصد بذلك في اعطائه له وما وجهه من الاجتهاديات ومأأراد بذلك هل على مصلحة اوصلة رحم وما قال له الصحابة في ذلك وما اتفق عليه رأيهم وماصح في هذه المسألة بينوا لنا ذلك بيانا شافيا تعريفا وكتبا وإيضاحا والسلام **فأجاب** بقوله الحمد لله هذه الوقعة معروفة عندنا ولم يحضر عندنا تواريخها في الوقت لنذكر توجيهاتها وتفصيلاتها، وغاية المحفوظ منها وهو ثمرتها ان الناس أنكروا على سيدنا عثمان فيها وقالوا ان هذه المسألة هي مبدأ الفتنة على عثمان رضي الله عنه ولابد ان يُعتقد أنه لم يتعمد فيها بل اجتهد في مصلحة، وهو غير معصوم من الخطإ فلا إثم عليه ولا تبيع بل قول الجمهور أولى ثم إنا اليوم على مذهب الامام مالك مقلدون له في قواعده ومتبعون له في مذهبه فليس لنا أن نتعلق من اقوال السلف وافعالهم الا بما وافق مذهبنا، ومذهبنا والحمد لله متقرر في هذه وغيرها ولايجوز لنا الفتوى الا بالمشهور والراجح منه وتتبع الرخص لايجوز لنا قولا ولاعملا والله تعالى يعصمنا من الزلل ويوفقنا لصالح القول والعمل وكتب العبد الضعيف الحسن بن مسعود اليوسي وفقه الله تعالى هـ. من المجلد الثالث من كناشه الوزير اليحمدي.
ومن ذلك سؤاله له أيضا بما يظهر من الجواب ونصه : وعلى سيادة سيدنا الامام الأعظم الهمام ظل الله على الانام ومحل التبجيل والاكرام مولانا اسماعيل ازكى السلام ورحمة الله وبركاته على الدوام أما بعد وفق الله مولانا وأصلح أمره وأعز نصره ونوَّر به عصره فقد أتانا كتاب سيدنا الكريم فحمدت الله على عافيته وتوالي نعم الله عليه ومنته لديه وفيه أنه استوحش من الأمة المذكورة لما انتهى اليه من أنها أعطيت وأنها من قوم لم يعاملهم بالشر فحمدت الله لمولانا على مامنحه من النزاهة وطهارة الساحة وتوقي الشبهات وقمع الشهوات

وقد قال مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشبهات من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن أخذها كان كالراتع حول الحمى يوشك ان يواقعه بل حمدت الله لنفسي ولسائر الرعية فبصلاح الرأس يصلح الجسد وإن الرعية على دين الملك فمتى صلح الملك صلحت الرعية ومتى وقع وقعوا. وقد وضع بساط كسرى بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنظر اليه فقال إن الذي أدى هذا الأمين.. يريد أن أصحابه لم يخونوا فيكتموه فقال بعض الجلساء ياأمير المؤمنين منك جاءت الأمانة ولو رتعت لرتعوا ؛ نسأل الله تعالى ان يلهم مولانا رشده ويصلح به وعلى يديه ويجعل الأعمال الصالحة وسائر الخيرات منثالة عليه آمين، وقد أرهقنا مولانا الفتوى و لم تكن من شأننا قط ولا كنا أهلا لها في أدنى شيء فكيف في هذا الجناب الأعظم و لم يكن لنا بد من إسعاف السلطان فنقول : إنه حيث اشتهر في هذه الأمة من الشك ماذكر فحق السلطان ايده الله ان يقف عنها حتى يستقصي أمرها بما يذكر من التفصيل وذلك أن أباها الذي ذكر أنه أعطاها أما أن يكون حين إعطائها مملوكا للسلطان بشراء صحيح أو نحوه أو مملوكا للغير أو لا ملك عليه أصلا وإنما هو حرطاني. ثم بنته المذكورة أيضا حينئذ إما أن تكون مملوكة للسلطان بما ذكر او مملوكة للغير أو غير مملوكة أصلا وانما هي حرطانية، فان كانت هذه البنت مملوكة للسلطان يوم العطية فالعطية باطلة والفرض انها لم يبن بها الذي اعطيت له حتى تحتاج إلى استبراء فهي حلال للسلطان بالملك، وإن كانت مملوكة للغير فالعطية أيضا باطلة الا أن يأذن مَالكها وإن كانت حرطانية غير مملوكة نظرنا إلى أبيها المذكور فإن كان مملوكا للسلطان أو لغيره فلا عطية له إلا بإذن السيد وإن كان حرطانيا لاملك عليه وهي كذلك أو أذن سيده وسيدها فالعطية تصح بشروطها الباقية ولابد أن ينظر الى الزوج وهو حر إن كانت أمة هل توفرت شروط إباحة نكاح الأمة ثم متى صحت العطية فلا بد أن يبحث عن الزوج فإن كان قد مات وخرجت من عدة وفاته فهي تحل بالملك ان كانت أمة وبالتزوج إن كانت حرطانية وإن كان حيا فلا تحل الا بالطلاق والخروج من العدة إن بنى بها والا فلا عدة عليها. وقد حصل من

هذا التقسيم أنه لابد أن يسأل عنها وعن أبيها وعن العطية هل وقعت
ام لا ثم إن كانت مملوكة هل دخلت في ملك السلطان ام لا. أما
الأم فلا مدخل لها في العطية ولابد في كل ذلك من البينة الشرعية
فما ثبت عمل عليه كما فصلنا. وأما ما وقع بالتقييدة من خبر الرجلين
فإن كانا من الأحرار العدول قبلت شهادتهما وإلا لم يلتفت اليها ثم
ان جهل الأمر بعد البحث الصحيح ولم يوقف على أنها أعطيت أم
لا ولا على أنها دخلت في ملك السلطان أم لا فالجاري على القواعد
أن يقال أن الأصل عدم العقد فتحمل على أنها خلو من الزوج، ثم
الأصل أنها لم تدخل في ملك السلطان فلا بد حينئذ من البحث عنها
حتى يظهر مالكها وإنه أخذ ثمنها عن رضاه فتحل بالملك أو يأخذه
الآن فتحل أيضا بعد استبرائها من الوطء الواقع أو يظهر أنها حرطانية
غير مملوكة فتحل بعد بالتزوج بعد الاستبراء أيضا ولابد من الرجوع
الى وليها وان لم يكن لها ولي خاص او تعذر فالقاضي يعقد عليها
أو جماعة المسلمين ان لم يكن قاض والله الموفق، ومتى كانت أمها
يوم ولادتها أمة فهي أمة تبعا لها ولا التفات الى ابيها مالم يحدث لها
عتق بعد ذلك والله المستعان، وهذا ما كتبنا على حسب مارأينا في
السؤال علي غاية الاستعجال لاستعجال الحامل لنا بلا مراجعة المذهب
ولاكبير تأمل، فإن بقي شيء من الاحوال لم نتعرض له فنحن
نستدركه بعد ان شاء الله وكتب غبار نعال أهل البيت الطاهرين
الحسن بن مسعود كان الله له آمين. **ومن ذلك** سؤاله للعالمين الجليلين
سيدي العربي بردلة وأبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي عن قوله
صلى الله عليه وسلم (ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد
مرجت عهودهم وخربت أمانتهم) **فأجاب** الأول بما نصه بعد الحمدلة
والصلاة والتحلية اللائقة بشريف مقامه هذا وقد جاءنا كتاب مولانا
نصره الله وأيده وأدام للمسلمين أيامه وجنده وماتضمنه من ذلك
الحديث الشريف وما أمر به نصره الله من النظر في معنى الحديث
ومقتضى دلالته فنظرنا وتأملنا وبحثنا عن أصله فوجدناه ضمنه الحافظ
السيوطي في جامعه الكبير ولم ينسبه إلا لأبي نعيم في الحلية بلفظ
ستغربلون حتى تصيروا في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم

وخربت أماناتهم. قال قائل فكيف بنا يارسول الله قال تعملون بما تعرفون وتتركون ماتنكرون بقلوبكم هـ. وهذا مخالف في بعض اللفظ ولم يتم الحديث، واتى به القرطبي في التذكرة عن أبي نعيم عن محمد بن كعب أن الحسن بن أبي الحسن حدثه أنه سمع شريحا يقول وأتى بالحديث بلفظه بتمامه وقال في آخره غريب من حديث محمد بن كعب والحسن وشريح ماعلمت له وجها غير هذا. وقال في التذكرة أيضا عن النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصبعيه فقمت إليه فقلت كيف أصنع عند ذلك يارسول الله جعلني الله فداك قال ألزم بيتك وخذ ماتعرف ودع ماتنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة **وقال** في التذكرة أيضا عن ابن ماجة وأبي داوود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي فيغربل الناس فيه غربلة تبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وخفت أماناتهم فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين أصابعه فقال كيف يارسول الله إن كان ذلك الزمان قال تأخذون بما تعرفون وتدعون ماتنكرون وتقبلون على خاصتكم وتدعون أمر عامتكم **ثم قال** في التذكرة فصل قوله يوشك معناه يقرب وقوله فيغربل الناس فيه غربلة عبارة عن موت الأخيار وبقاء الأشرار كما يبقي الغربال من حثالة مايغربله والحثالة مايسقط من قشر الشعير والأرز والتمر وكل ذي قشرة اذا نقي وحثالة الدهر تفله وكأنه الرديء من كل شيء ويقال له حثالة وحفالة بالفاء والتاء معا هـ. وقال غيره مرجت أي فسدت والظاهر ان معنى قوله خفت أماناتهم أي قلت مأخوذ من قولهم خف القوم اي قلوا هـ. ثم الظاهر المتبادر من لفظ الحديث من قول الراوي كيف بنا يارسول الله وقول عبد الله بن عمر في حديث النسائي كيف أصنع يارسول الله جعلني الله فداءك أن المقصود بالحديث الشريف اولا أنهم هم المخاطبون وان النبي صلى الله عليه وسلم أنذرهم بما سيدركونه وقد أدركوا الطائفة المصرية والطائفة الكوفية الذين تألبوا على سيدنا عثمان رضي الله عنه قال

الأئمة لم يكن فيهم صحابي فسكتوا قبل موت سيدنا عثمان وانكروا ذلك بقلوبهم رضي الله عنهم وأدرك كثير منهم فتنة المختار بن أبي عبيد وما كان عليه في آخر أمره من انسلاخه من الدين وغير ذلك وقضية أبي شريح مع عمرو بن سعيد مشهورة في البخاري وغيره وان كان هذا الحكم يعم غيرهم لأنه صلى الله عليه وسلم بعث لتقرير الدين ولذلك ترجم البخاري كما يفهم العموم قال ابن حجر قوله في باب إذا بقي أي المسلم في حثالة من الناس اي ماذا يصنع وهذه الترجمة لفظ حديث أخرجه الطبراني وصححه بن حبان من طريق العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف بك ياعبد الله بن عمر اذا كنت في حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فصارو كذا وشبك بين أصابعه قال بما تأمرني قال عليك بخاصتهم ودع عنك عامتهم قال ابن بطال اشار البخاري الى هذا الحديث ولم يخرجه لأن العلاء ليس من شرطه هذا وفي تذكرة القرطبي بعد الأحاديث السابقة عنه عن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنى في زمان من ترك منكم عشر ماأمر به هلك ويأتي على الناس زمان من عمل منهم بعشر ماأمر به نجأ قال حديث غريب وقال الشامي في سيرته مما اختصت به أمة محمد صلى الله عليه وسلم أنها مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره، قال بن حجر مثل أمتي مثل المطر لايدرى أوله خير أم آخره حديث حسن له طرق وعمد يرتقي بها إلى درجة الصحة **وروى** ابن ابي شيبة من حديث عبد الرحمان بن جبير باسناد حسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدركن المسيح أقوام إنهم لمثلكم أو خير ثلاثا ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها، **وروى** أبو داوود والترمذي من حديث ابي ثعلبة يأتي أيام للعامل فيها أجر خمسين قيل أمنهم أم منا يارسول الله قال بل منكم قالوا وهو شاهد لحديث أمتي مثل المطر والسلام الكريم العميم على مولانا ورحمة الله وبركاته من عبد الله العربي بن احمد بردلة كان الله له قال : في الدر المنتخب هذا ماوجد منقولا من خطه نفعنا الله به آمين، ثم كتب تحته مصححا

لما قاله العمدة الامام أبو عبد الله محمد ابن احمد المسناوي مانصه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية المنبئة بما للمترجم من شفوف المكانة واليد البيضاء عليه وعلى ذويه هذا وإنا لما وقفنا على كتاب مولانا الذي شرفنا به ببديع خطابه وخصنا فيه بالذكر بين حملة العلم من أهل طبقتنا وطلابه منة وفضلا وإن لم نكن لذلك أهلا سارعنا للامتثال أمره العزيز المطاع وبالغنا في البحث والفحص عن الحديث الكريم وما للأئمة فيه بقدر المستطاع مع قصور الباع وقلة الاطلاع فلم نعثر في ذلك على أكثر مما كتبه قاضي الحضرة، وقيده بعد إمعان النظر وأعمال الفكرة والبضاعة أعزك الله مزجاة لاتقوى على التصرف في الأحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام بغير دليل ولاتستطيع الخوض فيها باسناد نصوص الأئمة الهادين سواء السبيل اللهم الا ان يحصل فتح إلاهي لبعض الناس يامن فيه وقوع وهم او إلباس فلا حرج عليه في الكلام ولابأس، مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها فالمطلوب من مولانا أدام الله تاييده وتوفيقه وتسديده مقابلة قصور العبيد بعمم إغضائه وحملهم بعظيم حلمه كما هو المعتاد منه مع كافة رعاياه فإنَّ أكثر من تسمع به مُعيدي، والناس كإبل مائلة، لاتجد فيها راحلة.

بقيت بقاء الدهر ياكهف أهله وهذا دعاء للبرية شامل

والسلام على الحضرة المولوية من مملوك إحسانها محمد بن أحمد المسناوي كان الله له آمين هـ. **ومن ذلك** طلبه من الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي بيان الدليل على قول والده جوابا للمترجم عن أسئلة ألقاها عليه من قلد عالما لقي الله سالما **فأجابه** بما نصه بعد الحمدلة والصلاة مولانا أمير المؤمنين جعله الله لأهل الكلمة العليا وجمع له بين الآخرة والدنيا سلام كريم على المقام العالي ذي النسمات معطر النفحات محفوف بالرحمة والبركات، هذا وقد وصل كتابكم الأعز مشتملا على البحث عن المسألة التي تكلمتم بها مع الوالد رحمه الله وأردتم منا زيادة بيان في معناها فلم يكن بد من امتثال الأمر وإن كنا قاصرين فنقول وبالله

نستعين إن شاء الله تعالى كلف عباده بطاعته وليس ذلك الا بامتثال أمره ونهيه وواصل اليهم علم ما به أمر وما عنه نهى على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم. وقال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا، فتلقى ذلك العلم وأخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحابته الأكرمون رضوان الله عليهم ثم أخذه عنهم التابعون وأخذه عن التابعين تابع التابعين ثم العلماء طائفة بعد أخرى إلى هلم جرًّا. فكان العلماء واسطة بين الله وبين خلقه بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاسبيل لقطع الواسطة وإهمالها فمن إنقطع عنها إنقطع عن الله ورسوله فوجب على من لايعلم أخذ مايحتاج اليه في دينه عن العالم الوارث لعلم النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن على شريعته في تبليغ دين الله الى عباده قال صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولادرهما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر، وفي طور هذا الحديث في رواية عنه صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيها علماً سهل الله له طريقا الى الجنة **قال** الامام ابن العربي : لا خلاف ان طريق العلم طريق الى الجنة بل أوضح الطرق اليها قال بعض الأئمة ويدخل في ذلك الذاهب الى المفتي يسأله عن مسألة **قال** : حافظ المغرب الامام أبو عمر بن عبد البر ولم يختلف العلماء ان العامة عليها تقليد علمائها وأنهم المراد بقول الله عز وجل فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون، واجمعوا على أن الاعمى لابد له من ان يقلد غيره ممن يثق بميزه في القبلة اذا أشكلت عليه وكذلك من لاعلم له ولابصر بمعنى ما يدين به فلابد له من تقليد عالم وكذلك لم يختلف العلماء ان العامة لايجوز لها الفتوى وذلك لجهلها بالمعاني التي يؤخذ منها التحليل والتحريم والقول في العلم هـ. **وقال** القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك ان المتعبد بأوامر الله تعالى ونواهيه لابد له من معرفة مايتعبد به وما يأتيه من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فهما الاصلان اللذان لاتعرف الشريعة إلا من قبلهما ثم اجماع المسلمين مرتب عليهما فلا

يصح ان يوجد وينعقد الا عنهما، وهذا كله لايتم إلا بعد تحقيق العلم بذلك والطرق والآلات الموصلة اليه من نقل ونظر وجمع وحفظ وعلم ماصح من السنن واشتهر وما به يفهم من علم العربية واللغة ومعانيها ومعاني مقاصد الشرع ونص الكلام وظاهره وفحواه وسائر مناهجه وهذا كله يحتاج الى مهلة ثم الواصل الى طرق الاجتهاد قليل، وأقل من القليل بعد الصدر الأول والسلف الصالح، واذا كان هذا فلا بد لمن لم يبلغ هذه المرتبة من المكلفين ان يتلقى ماكلف به ممن ينقله له ويعرفه به وهذا إسم التقليد ودرجة عامة الناس، وإذا كان هذا فواجب تقليد العالم الموثوق به في ذلك كما ذكر أكثر العلماء الأعلم فالأعلم وهذا حظ المقلد من الاجتهاد لدينه ولايتجاوز في تقليده الأعلم والعدل الى غيره واذا كان مشتغلاً بالعلم فيسأل عما لايعلم حتى يعلمه كما قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون. وإذا تقرر هذا فالعبارة المبحوث عنها وهي من قلد عالما لقي الله سالما معناها صحيح لايحتاج الى بيان وتفسير وتقييد أو تخصيص فالذي يجب عليه التقليد هو من لاقدرة له على الاستدلال بادلة الكتاب والسنة لنفسه، والله سبحانه وتعالى يقول فاتقوا الله مااستطعتم وفي استطاعته ان يسأل العالم عما به يتقي ليكون ذلك كافيا له والعالم المسؤول اما مجتهد مشتغل بالاستدلال لنفسه والآخذ من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واما دون ذلك فهو كما هو مقرر فيمن يصلح للاستفتاء وقد نصوا على انه لم يبق من مذاهب المجتهدين اليوم الا الاربعة المشهورون وعلمهم عند حفاظ مذاهبهم والناقلين عنهم، وقد قسّموا الى مجتهد مذهب أو مفتي او دون ذلك ولعله الموجود في زماننا هذا فإذا سأل هذا العامي الذي يتعين عليه التقليد فلا يعمل الا على قول من تطمئن اليه نفسه لشهرة عدالته وديانته ووجود علمه وعقله وقيام الامارة على صدقه وامانته. وقد قال الامام ابن العربي وغيره لايجوز لأحد الاستفتاء الا اذا غلب على ظنه ان الذي يفتيه من أهل العلم والدين والورع وقد نظم هذا بعض الأئمة فقال :

شرطُ الذي يمكن ان يستفتى ويُقتدى بقوله إن أفتى
دِينٌ قويم وتُقي مشتهر وفقه ذهن هذبته الفِكَرُ

وإذا كان هكذا فان السائل قد يسأل بعض أهل العلم ويبقي في نفسه حزازة إما من جهة أن المسؤول لم تطمئن اليه النفس لاستشعاره عدم تثبّته او مخالفته من هو أكبر منه علما او دينا او شك السائل في كون المفتي أتى بجواب مطابق لصورة الواقع، وقد يتشكك السائل لاجراء المفتي على ما يحكم به من النية أو حصول مايتوقف الحكم على حصوله كأن يقول له إن قصدت كذا فالحكم كذا وإلا فالحكم بخلافه فقد يتشكك في الوجه الذي يناط به الحكم فمن هذه الجهات يكون المقلد مطالبا بالتثبت في نفسه والتحري لما يخلصه مع ربه، ولعل هذا هو الذي أراد والدنا رحمه الله في تخصيص ذلك الكلام قصدًا لامحاض النصح وتحذيرا بما حذر منه العلماء ونبه نبينا صلى الله عليه وسلم عليه. **قال** الامام ابو عبد الله بن مرزوق وإنما يدخل الفساد في الدين على العامة من تقليدهم الجهال من المنتمين للعلم التابعين لأغراض الدنيا ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من قلوب العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، وروي عن عمر رضي الله عنه ماخان أمين قط ولا أئتمن غير أمين إلا خان، وفي الحديث يأتي زمان فيصدق فيه الكاذب ويكذب الصادق ويخون الأمين ويأتمن الخائن وتنطق الرويبضة والرويبضة تصغير رابضة، الصغير الحقير من كل شيء، وعن ابن مسعود رضي الله عنه لايزال الناس بخير ماأخذوا العلم من أكابرهم فإذا أخذوه من صغائرهم هلكوا. **قال** أبو الوليد الباجي رحمه الله، الصغير من لاعلم عنده وفي العتبية عن مالك قال بلغني ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وشاور في أمرك من يخاف الله وعن عمر رضي الله عنه، قد علمت صلاح الناس وفسادهم فإذا جاء الفقه من قبل الصغير استعصى عليه الكبير واذا جاء من قبل الكبير تابعه

الصغير فاهتديا. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله الحديث. وفي حديث آخر لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله. وفي حديث أن من أشراط الساعة أن يقل العلم ويكثر الجهل فتحصل من مجموع الأحاديث ان العلم يقل ولاينقطع رأسا بفضل الله وان الأرض لاتخلو من قائم لله بحجته والله سبحانه وتعالى أعلم والسلام التام معاد على مقامكم ورحمة الله وكتب العبد الحقير الذليل الفقير لرحمة مولاه العلي الكبير محمد بن عبد القادر الفاسي كان الله له هـ.، **ومن** ذلك أيضا سؤاله المجيب المذكور عن قول والده أبي محمد في محادثة كانت بينه وبينه أعني المترجم (قلد نفسك) وكان المترجم لم يبحثه اذ ذاك عن المراد من الجملة المذكورة ولما مات سأل ولده أبا محمد المجيب آنفا فأجابه بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والتحلية اللائقة بعظيم المقام وبعد فقد ورد الكتاب الكريم متضمنا للاعتناء بشأن العبد الضعيف بما يعجز عن مكافأته وفي إلقائه البحث عما سمعه أمير المؤمنين من الشيخ الوالد رحمه الله من قوله (قلد نفسك) وها نحن نوضح معناه على نحو ما أمكن في الحال مما ليس عندنا فيه شك ولا احتمال وذلك أنه أراد ماثبت في حديث رابصة بن معبد رضي الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر قلت نعم قال استفت قلبك وفي رواية نفسك البر مااطمأنت عليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك في النفس وتردد به الصدر روى هذا الحديث غير واحد من الأئمة قال العلماء رضي الله عنهم في معناه أنما قال لهم ذلك لأن المفتي إنما يفتي على ظاهر الأمر دون باطنه وقد يكون عند السائل من حقيقة نازلة مالم يطلع عليه المفتي فتقع في نفسه حزازة واضطراب من ذلك. وقد يكون للسائل أيضا شعور بعدم تثبت المفتي أو ميله لهوى النفس أو عدم تحقيقه للحكم لقصوره في العلم وعجزه عن دفع ما هنالك من معارض أو شبهة أو نحو هذا من الوجوه الموثرة للشك والتشكيك في نفس السائل فيطلب حينئذ ما يخلصه مع الله. **وقال** صلى الله عليه وسلم دع مايريبك الى مالا يريبك. ومن المعلوم قطعا ان ليس المراد رجوع الانسان الى مافي نفسه

من غير استناد لدليل شرعي فإن هذا لايقوله أحد إذ المدار كله على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واقتفاء آثاره **وقال** تعالى وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله، الآية. **وقال** تعالى : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، الآية. الى ما في معنى ذلك إلا مادل عليه الكتاب والسنة والاجماع فليس فيه خلاف ولانزاع فتحصل أن الكلام وهو قولك استفت قلبك وما في معناه انما هو في جزئيات خاصة مما أشرنا الى بيانه ونحوه واما ماكان فيه نص الشرع جليا ظاهرا فليس فيه الا طاعة الله ورسول فيقبله المومن بانشراح صدر واذعان وقبول **وقال تعالى** : فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، الاية. هذا ماتيسر للعبد الضعيف كتبه مع وهن الجسم وانهاك المرض والله سبحانه يبقى أمير المؤمنين مؤيدا بالتوفيق معتنيا بالبحث عن الحق والتحقيق ويجعله رحمة لعباده ونورا مشرقا في أرضه وبلاده والسلام وكتب العبد الفقير الى رحمة الله محمد بن عبد القادر الفاسي لطف الله به أمين هـ. ومن ذلك كتابه الى علماء مصر وأهل الفتوى منهم والتدريس في الجامع الازهر في شأن شرائه المماليك وتجنيدهم وفيه يبين الاسباب الداعية لذلك مع أجوبة علماء المغرب طالبا منهم الاجابة لما يقتضيه طريق الحق ونصه بعد البسملة والصلاة نقلا عن بعض المجموعات المحفوظة بخزانتنا «من عبد الله المتوكل على الله» (يكمل صحيفه 1 من المجموع، عدد 2087).

الفصل الثاني في شغفه بالعلم والعلماء

وأكبر دليل وأوضح برهان على شغفه بالعلم والعلماء كتابه لعلماء فاس بالحض على الدؤب في الاجتهاد في بث العلم وصرف نفائس الأنفاس في نفع العباد وإحياء البلاد، ونص ذلك الكتاب : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله الائمة الاعلام والحاملين شريعة الاسلام، سلام عليكم ورحمة الله وبعد فأنتم عالمون ماورد في فضل التعلم والتعليم وماهدى الله به الامة الى الصراط المستقيم وقد جعلكم الله نظاما لهذا الدين القويم وتوجكم وفتح بصائركم وصرف همتكم

الى مايرضي مولاكم وجعل ماأنعم به عليكم من العلم غير قاصر على أنفسكم فاجرى النفع لعامة المسلمين وخاصتهم كبيرهم وصغيرهم شريفهم ومشروفهم وصار بكم ليل الجهل نهارًا وصرتم شموسًا يستضاء بها واقمارا وبذلتم جهدكم في اتباع السنة وقمتم في انتشارها أحسن قيام و لم تأخذكم في ذلك سِنة واتبعتم ماورد في ذلك من الآثار الواردة عن خير الأبرار فاجتهدوا في تعليم العلم لأهله واغتنموا ماورد في فضله ورغبوا فيه بالقول والعمل لتحمدوا عاقبة ذلك عند حلول الأجل فقد ورد تعلموا العلم فان تعلمه خشية وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد والفكرة فيه تعدل الصيام ومدارسته تعدل القيام وتعليمه لمن لايعلمه صدقة وبذله لأهله قربة لأنه منار سبيل أهل الجنة والأنيس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح عند الاعداء والقرب عند البعداء يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم للخير قادة هداة يقتدى بهم وأئمة في الخير تقتبس آثارهم وترضي أعمالهم وينتهى إلى رأيهم وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمنحهم وكل رطب ويابس يستغفر لهم حتى الحيتان في البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلب من العمى ونور الابصار من الظلمة وقوت الأبدان به تبلغ منازل الأبرار ومجالس الملوك والدرجة العليا في الدنيا والآخرة به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يعامل وبه يحمد وبه يوحد وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام العمل والعمل تابعه يلهمه الله تعالى السعداء ويحرمه الاشقياء. العلم خير من المال العلم يحرس صاحبه، المال تنقصه النفقة والعلم ينمو بالانفاق، منفعة المال تزول بزواله والعلم تكتسب به الطاعة في الحياة وجميل الذكر بعد الوفاة خازن المال ميت وهو حي وصاحب العلم حي ما بقي الدهر العلم حاكم والمال محكوم عليه، **وسئل** الخليل بن احمد هل العلم أفضل أو المال قال العلم، قيل له فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الملوك والملوك لايزدحمون على أبواب العلماء، قال لمعرفة العلماء بحق الملوك وجهل الملوك بحق العلماء، ولست والحمد لله من هذا القبيل وليس لي إلى سلوكه سبيل فإني أعلم أن

الملوك حكام على الدنيا والعلماء حكام على الملوك وأعلم أن العالم في الأرض كالنجم في السماء، من ترك العالم ضل ومن غاب عنه النجم تحير وإن العالم كالسراج من جاء اقتبس من نوره ولاينقص من علمه شيء، واعلم أن بالعلم ساد من ساد وانتظمت مصالح الدين والدنيا والمعاد وبه تتنور بصائر أهل العرفان ويتضح الحق من الباطل ويتبين الرشد من الغي ويظهر الايمان وبه يحصل التقدم في المحافل وترفع به الدرجات في العاجل والآجل وبه تنكشف للأذهان معان تطرب بها الأرواح وتنشرح لها النفوس في الغدو والرواح لاتبتغي بدلها بيضاء ولا صفراء ولا فرائد ونفائس ولادرا، لاكن العالم اذا لم يعمل بعلمه مرت موعظته على القلب كما يمر الماء على الحجرة الملساء والكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان، العالم من اتقى الله وانتم علماء المسلمين وأئمة الدين طرق سمعنا انكم اشتغلتم باللذات واتبعتم الشهوات واتبعت العامة والخاصة طريقكم وسلكوا سبيلكم وبلغني انه حصل منكم تقصير في التعليم حتى كاد أن يضيع العلم من فاس وهي أم مدن المغرب فيكون في غيرها أضيع فنأمركم ان ترجعوا لما كنتم عليه من الاجتهاد ونفع الحاضر والباد واعملوا بما ينفعكم يوم المعاد وستعمكم منا عطايا تعم المعلم والمتعلم متبوعة بغيرها من غير ألم الانتظار والابعاد ولا تسويف ولا تخصيص زيد أو عمرو نعم من ظهر منه الجد في المطلوب والمراد أخصصه بصلات وزيادة رفع القدر وينال مرغوبه في كل أمر وتحمد عاقبة اجتهاده في السر والجهر ومن بقي على تقصيره ولم يراع كتابنا ولأمره تركناه على حاله ولانراعيه في أقواله ولأفعاله والسلام صدر بذلك أمرنا في خامس عشر جمادى الثانية عام خمسة وعشرين واحدى عشرة مائة. **ونص** جواب علماء فاس وكان ذلك عقب جيش كان أرسله المترجم لبعض البرابر المتمردة ففرق أحزابهم شذر مدر وبدد آراءهم ولم يقر لهم مستقر : الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله فخر الملوك والسلاطين إمام الأئمة المقسطين محيي سنة امام المرسلين ومبيد الطغاة العاصين الممتطي من المكرمات ذراها ومن المفاخر أعلاها حامل ألوية العدل أدناها وأقصاها رافعا

لطريق الحق منارها مبديا جمالها وبهائها وأسرارها قطب رحى العلوم وشمس ضحاها وطودها وحامل لواها وسماؤها وبدرها ونجمها ومطرز حللها وفاتح اكمامها ورافع راية أهلها وناشدهم الله في الاجتهاد في دوام نقليها واظهار نورها وابرازه للحاضر والباد والوعد على ذلك بما ينفع يوم التناد فجرت عليه شموس المعالي والمجادة والفضل ذيولها وحلاها وسبح في بحرها وارتقى ذروة سنامها وسماها المورد العذب السلسبيل أبو النصر مولانا اسماعيل نحيي مولانا بتحية الاقبال والعز والنصر والتمكين والسعد ونقبل ثرى بساطه تقبيل تذلل وخضوع وبذلك ننال علو المنزلة والمجد **هذا** وانه بلغنا كتاب أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين فقرأناه على الخاصة والعامة وبينا ما قصده مولانا وأمَّه واجبنا داعيه وشرفنا بسماعه الآذان القريبة والنائية وعمرنا المجالس بالاقراء بكرة وعشية وظهر العالم والمتعلم بفضل مولانا في الأقطار المغربية خصوصًا هذه الحضرة الفاسية المجبول أهلها على مايرضي الحضرة العالية ومأأجبنا مولانا الا بعد ما رأينا من الاجتهاد في السر والعلانية والمبالغة فيما أمر به مولانا من غير مهلة ولا تأخير ولو من عاجزنا فنطلب الدعاء بالاعانة من سيدنا اذ دعاء الأمير مستجاب كما ذكره أئمتنا وأن يتفقد الأمير أحوال المتعلمين وأحوالنا فإننا يجب على بيت المال مواساتنا بل نص بعض العلماء انهم يقدمون في بيت المال على غيرهم وأن الواجب كفايتهم فقد ورد أن الفضيل بن عياض رضي الله عنه سأله سائل عما يقوم به الدين فأجابه بأنه يقوم بأمرين بالملوك والعلماء اذ هما صلاح العباد والبلاد والعلم لايقوم الا بالتعليم وبإجراء الأرزاق على المعلمين والمتعلمين فيكثر العلم وينتشر في أقطار الأرض فقبله السائل بين عينيه وقال له مثلك من يكون عالم المسلمين، وقد قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فرِّغوا طلبة العلم لما هم بصدده وأجروا أرزاقهم وليجلسوا لنشر العلم حتى يتعلم من لايعلم فإن العلم لايهلك حتى يكون سرا. وقد قرر الشيخ زروق في شرح الحكم ان طالب العلم بخير على كل حال وان كان الشيطان يفسد على المعلمين والمتعلمين قصدهم ونيتهم بما يسول لهم من الطموح الى الرياسة وجمع الدنيا والحرص عليها وقد تصلح

احوالهم اذا أخذوا في مطالعة حقائق العلم ومآله وأقل درجاتهم أن يفلحوا لبيان الحلال من الحرام وأن يصححوا الاعتقاد فلابد أن يردهم العلم إلى الله وذلك شوهد في كثير فتجب مواساتهم والأخذ بأيديهم وتفقد أحوالهم اذ هم سفينة النجاة والسفينة لايمكن أن يسبح فيها في البحر الا اذا كانت سالمة لاتغيير فيها ثم ماطلبه مولانا أيده الله من النظر في مصالح هذه الأمة خاصتها والعامة فهو أولى الناس بذلك وأحق من سلك تلك المسالك أدام الله عزك وعلاك ومجدك وخلد في الصالحين ذكرك وابقاك لنصر الدين وملجأ للضعفاء والمساكين وتوجك بتاج سنة جدك خاتم النبيئين. وقد بلغنا قول مولانا عند إرادة خروج الجيش السعيد المنصور بالله تعالى على التأييد والله ما همنا شأن أنفسنا ولا يشق أمرها علينا ولكن شق علينا تشويش المسلمين وحركتهم قبل ان تسكن أنفسهم لاكن عسى الله أن يجعل عاقبة هذه الحركة خيرا فكان ذلك كما ذكر سيدنا سرا وجهرا والحمد لله فخرجت العساكر في ظل مولانا المنصور بالله وشقت البسائط والجبال واستأصلت المحاربين وقطعت دابر القوم المفسدين واجتمعت والحمد لله كلمة المسلمين وصدق ظن أمير المؤمنين الحمد لله على تزايد آلائه ونعمه والشكر على منه وكرمه ثم ان من أعظم الفوائد الحاصلة في هذه الحركة السعيدة والوجهة الموفقة الرشيدة تمرين الجند واختباره لأنه في راحةٍ هذه مدّة والماء الجاري يطول مكثه فيتغير وإن كنا نعلم والحمد لله أن جيش سيدنا مثل الذهب لايزيده طول المدة الا صفاء ولايصيبه الغير. وقد علمنا أن قصد مولانا باراحتهم تهيؤهم للعدو الكافر وتقويهم، فنظر مولانا في جلوسهم عبادة فكأنهم مرابطون في الثغور لنفع المسلمين على سائر السنين والشهور، ولقد كان بعض الصالحين والغالب على الظن أنه سيدي عبد الله بن حسون دفين سلا نفعنا الله به يخرج إلى جيوش المسلمين وينظر إليهم ويقول ان ذلك من أعظم القربات والطاعات وأجل العبادات. وقد كنا قبل اليوم نتمنى أن يرد مولانا وجهه إلى الجهاد والآن تحققنا حيث أمن الله البلاد والعباد وبدد شمل أهل البغي والفساد ونادى منادي الفلاح والرشاد يامعشر المسلمين هلموا إلى جزيرة الأندلس وفكوا أسرها

ولاتظنوا صعوبة أمرها وهواتف التوحيد تنادي في سرها وجهرها
ولاييأس من فتحها تطاول أسرها وضرها فقد فتح الله تعالى الشام
وخصوصا بيت المقدس على يد أيوب صلاح الدين بعد أن عبثت
بها أيدي الفرنج مائة وعشرين من السنين. وغير مستغرب أن يفتح
على بعض المتأخرين ماعسر على كثير من المتقدمين وما طارق الذي
فتحها أولا الا مثل بطل أو ركن واحد من أركان سيدنا نصره الله
وقد جال طارق في جميع جهاتها وطاف في عرصاتها وفض ختام بيت
مملكتها وحاز المائدة والدخائر السليمانية وكل ماجمعه الملوك من الأمور
التي لايمكن عدها ولم يخبر بعدتها أهل التواريخ الماضية فكيف سيدنا
المنصور بالله يخوض المفاوز بنفسه ويدخل أمواج البحار ولايخشى
الشجاع ولا الاسد الضار ولا يراقب الا الله الرحمن في السر
والاعلان فأنت والله خالد وقته شجاعة وقوة وماكان خالد يكترث
بجموع الروم ولو كانت ألوفا أشياخا وفتوة اذ كانوا عنها مثل الذباب
يدخل عليهم ولو غابوا في السراب وسيدنا له من الجند والقوة أكثر
مما للروم فكيف يتربص عن قتالهم وفضل الجهاد معلوم. فهذا سيدنا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه في أيام القادسية وحرب
الأكاسرة ماجاءوا به من القوة والجموع التي لاحصر لها ولا عد قال
والله لأرمين وجوه العجم بوجوه العرب فلم يدع خطيبا ولافقيها
ولاشريفا ولا من له فضل ولا من له دهاء الا رماهم به فأصابهم
وبدد شملهم وعند سيدنا والحمد لله ما لايلتفت معه الى جموع
الأعاجم وان كثرت أعدادها وتضاعفت أمدادها والنصر بيد الله
والعاقبة للمتقين فدم على نيتك ياأمير المؤمنين واقصد جهاد أعداء الله
الكافرين فقد قال أهل الرأي والاصابة : العامة تنظر إلى كثرة الأجناد
والخاصة تنظر إلى مزيد أهل الباس والشجاعة من الأنجاد وكلما زاد
أهل العدد والشدة كان الظفر من غير طول ولامدة والظهور على
الكافرين قربة والتقدم إليهم يوجب فرارهم وذلك على سبيل العادة
والتجربة. وقد أكثرنا على سيدنا لما نجد من حلاوة خطابه فانا وإن
نأت أجسامنا فنحن بحضرته الشريفة العالية القدر المنيفة وبالجملة
فنقول في سيدنا ماقاله القطب العارف بالله الشيخ أبو الحسن الشاذلي

رضي الله عنه قال نوديت في سري وقيل لي ياعلي ذهبت أيام المحن وأقبلت أيام المنن والسلام باختصار ومن شغفه بالمعلومات على اختلاف موضوعاتها وعدم إهماله لشيء منها تعليمه أولاده لغة الاصبان فقد جاء في كتاب مويت أن الأسير (برناربوسي) اتخذه المترجم لتعليم ولدين له لغة الاصبان، قال : وكان السلطان يحبه ويريد رفع قدره على غيره وكان يمنعه من ذلك ماهو عليه من دين النصرانية فعرض عليه الاسلام فلم يقبله هـ. الغرض. وبسبب شغفه بالعلم واعتنائه بأهله وحضه على نشره وانفاقه الأموال ذات البال في ذلك السبيل حيي العلم في زمنه وأزهرت رياضه وتفجرت حياضه وظهرت الفنون الغريبة والفهوم العجيبة وذلك بعد ان درست معالمها. **قال** أبو عبد الله اليفرني في روضة التعريف قد حدثنا غير واحد ممن طعن في السن من أشياخنا قال كنا في زمن الشبيبة نطلب العلم ونسأل عن مسائله وخصوصا العلم المعقول فلا نجد من يتقن مسائله على صورتها ولايلقى من تضلع في ذلك بل كانت الارجوزة المسماة بالسلّم المرونق لايعرفها بفاس الا رجل أو رجلان فلما مهد الله لهذه الدولة الاكناف وأسمى قدرها وأناف تدفقت على الناس العلوم وذللت صعاب الفنون والفهوم حتى عاد صغار الطلبة من أجاويد طلب العلم يعرف فنونا عديدة وله فيها عارضة مديدة، وقد تخرج في هذه السنة بل المدة السعيدة جماعة من الأعلام الذين لهم القدم الراسخ في العلم واليد الطولى في الاتقان وألفوا تآليف حسنة، ومنهم من فسر كتاب الله تعالى أو وضع تقييدا فائقا ومنهم من شرح موطأ الامام ومنهم من شرح الشفا للقاضي أبي الفضل عياض ومنهم من شرح مختصر أبي الضياء خليل ومنهم من شرح الالفية ومنهم من صنع حاشية على ابن هشام وغير ذلك من الشروح اليانعة الصروح وهؤلاء الذين ذكرت لهم من العارضة ما يتكلمون به مع الاقدمين ويقبلون من كلامهم ويردون قال وما من علم الا وألف فيه علماء هذه الدولة السعيدة وابدأوا وأعادوا وعثروا على الغوامض التي يعثر عليها من مضى. ولو لم يكن من أوضح البراهين على شغفه بالعلم واعتنائه بأهله وتبجيله إياهم الا جوابه الحافل للشيخ العالم الناسك الوارع أبي عبد الله محمد بن عبد

الله الخرشي عن شرحه لصغرى الامام السنوسي اذ كان وجهه اليه على وجه الهدية لكفى وإليك نص مادعت الحاجة اليه منه، وقد جلبه المؤرخ الثبت الحجة أبو عبد الله محمد ابن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني في نشر المثاني قال وفي صحبة هذا الكتاب بلغتنا نحلتكم الأثيرة ومنحتكم التي هي أنفع مكسب وأنفس ذخيرة وهي شرحكم الأزهر للعقيدة الصغرى التي هي من أجل العقائد وتحليتكم جيدها من غرر مباحث بما هو أجمل من درر القلائد فوقع ذلك منا موقع الاغتباط وارتبطت أغراضه بجواهر القلوب غاية الارتباط، فلكم معنى بعيد الى الافهام قريب وذي عجمة من الالفاظ المشائخ غريب ومبحث ناقص من مباحث المهمات كمل وجاد على المستفيد بأمتع مامنه أمل وكأين من تقرير تحرير طالما اغتاصت خباياه على الماجد النحرير ولطائف معان أزال عن جمال محياها اللثام إلى غير ذلك من المطالب اللطيفة والفوائد المستحسنة المنيفة تقبل الله تعالى في ذلك أعمالكم وبلغ من جميع الخيرات العاجلة والآجلة آمالكم آمين يارب العالمين غير أنه حفظكم الله ربما وقعت فيه بعض مسائل النظر فيها مجال وللبحث فيها موضع عند من أجاد النظر وأجال، وأرجو بحسب سلامة الطوية وكرم هاتيكم الأخلاق الطاهرة الزكية أن لا بأس بذكر الواحدة منها ليعرض على هاتيكم الأنظار ويختبر بمعيار الفكر مما حواه ساحكم الأحفل من جهابذة النظار، ففي مبحث أقسام الحكم العقلي بعد تعريف كل منها وذكر سر العدول فيها عن المصادر الى الاوصاف المشتقة منها كما ذكره المصنف في بعض كتبه مانصه أما ما وقع لأبي محمد عبد القادر من أن هذه المصادر لاتعرف كما صرح به علماؤنا فهو شيء غير معروف عندهم ولاندري من هؤلاء الذين يمنعون تعريف المصادر بل كتبهم مشحونة بذلك كتعريف المؤلف الألوهية بالاستغناء والافتقار فيه وهو مصدر تعريف ابن عرفة التقليد بأنه اعتقاد جازم بغير دليل وتعريف الزكاة بأنها مصدر إخراج جزء من المال وتعريف المازري وغيره الطهارة بأنها إزالة النجاسة أو رفع الحدث بالماء وتعريف النحويين التثنية بأنها ضم اسم إلى مثله وغير ذلك فإن هذا الكلام الانتقادي تتعلق به على وجه الاختصار في

الانتصار ثلاثة مباحث : **المبحث** الأول ما ذكره أبو محمد من أن هذه المصادر يعني الوجوب وقسميه لا تعرف هو الأمر المشهور المعروف التعاطي بين الخاص من أئمة الصناعة والجمهور، قال الشيخ أبو عبد الله بن عرفة رحمه الله ورضي عنه في الفصل الرابع من الباب الأول من الكتاب الأول من كتابه الذي حادى به طوالع البيضاوي ما نصه المسألة الأولى في تصوراتها يعني الوجوب وما معه من بديهة وفيها لا يمكن تعريف شيء منها الا ببيان دورية لا يمكن تعريف الواحد منها الا بسلب الآخر عنه هـ. وتتبع كل ما لائمة الفن في ذلك يطول فليراجع كلام الفخر في المباحث المشرقية وأقره ابن الرقام وفي الملخص وسلمه الأبهري وغيره وكلام السعد في المقاصد وشرحه والعضد في المواقف وغير ذلك وقد بلغت المسألة من الشهرة إلى أن كانت مذكورة في الحواشي الياسينية على شرح المصنف وما شأنه ذلك يجل عظيم قدركم عن اغفاله والتوقف فيه فضلا على التصميم على انكاره هـ. ماقصدناه من إيراد المكتوب السلطاني المذكور وذكر فيه بحثين آخرين طول فيهما فطوينا ذكرهما اقتصارا، وقد أجل السلطان المذكور مكان صاحب الترجمة وأطنب في مكاتبته تعظيما لقدره وتنويها بأمره فمن ذلك قوله في صدر الكتاب المذكور إلى كبير فقهاء عصره وامام أئمة الأقطار والأمصار لا خصوص قطره ومصره خاتمة المحققين وبغية سلف المؤيدين والموفقين قدوة المجتهدين ونخبة المنقطعين لخدمة المعارف والمتجردين النسمة الطاهرة والبركة الباطنة والظاهرة ذي السنن الأنوري والعرفان الابهري أبي عبد الله الشيخ محمد الخرشي المالكي الأزهري أعلا الله مقامه وأعانه على ما فيه من تهذيب المقاصد الدينية أقامه ومتع المسلمين باقتفاء آثاره ومن عليه من الكمالات العلمية والعملية لقضاء جميع وطره السلام عليكم أيها الفجر اللامع والبحر الذي طيب المعاطش وقرط المسامع ولازالت نفحات الفتوحات تترادف عليكم وتتوالى وأنوار عوارف معارف تتكاثف بهاتيكم الارجاء الأريحة وتتوالى، هذا وأنا أيها الماجد الدار والقطب الذي عليه بين أفاضل وقته المدار منذ ولانا الله أمور عباده وأقامنا فضلا منه لحياطة دينه وكلاءة بلاده لم نزل نجتهد في جمع الكلمة بحسب الامكان

ونجد في حسم مادة البغي بكل محل من هذه الآفاق المغربية ومكان ونحتفل بطهارة أديم الأرض من ضرر الشرك ونبتهل في استيصال شافة أهل الضلالة والجهالة والافك حتى أسعف الاسعاف والحمد لله بنيل ذلك المؤمل و لم يكن الا على حسن الثقة بالله في تحصيل ذلك الأرب المعول هـ. ماظهر لنا ايراده من المسألة المذكورة وهي طويلة جدا هـ. ماجلبه صاحب النشر بحروفه. **وكان** من عادته ان يسرد عليه كل يوم فصل من كتابٍ إلى أن يختمه ويبتدىء كتابا آخر وكل ما مر على أذنه من الحكايات الرائقة والأخبار المستظرفة لاينسى منه شيئا بل يستدل بذلك في موضع الاستدلال هـ. وكان من عادته قدس الله روحه أن يعلم من أحبه من أهل الفضل والدين والتمسك بسنة خير العالمين بمحبته له طبق الوارد عن النبي الأمين ويلتمس صالح دعائه له ولأحبائه، فقد كتب للولي الناصح الدؤب على نهج سلفه الصالح مولاي التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني بما نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إلى أخينا وابن عمنا الماجد الفاضل الأتقى السيد محمد الأصغر بن المحب السيد محمد بن عبد الله الشريف العلمي سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا عنك من حسن الخلق وجميل السيرة والمسكنة والعفاف والديانة والاقبال على مايعنيك مع الميل والهوى بقلبك وجوارحك لمحبة جانبنا العالي بالله وكثرة دعائك الصالح لنا في سائر أوقاتك فالحمد لله على ذلك وقد قيل وما أحسن قول من قاله (الانصاف من شيم الأشراف) فلا شيء أجمل لك وأليق بك من هذه المآثر الشريفة والنسبة الكريمة المنيفة التقوى والخوف من الله تعالى و لم يبق لك مع هذا كله الا أن تبذل النصائح لكل أحد خاص أو عام وأرشد الناس وأرهم مايجب عليهم في دينهمّ ودنياهم وآخرتهم ومحبة صاحب الوقت والدعاء الصالح له في جميع الأوقات لما ثبت عن الفضيل رحمه الله من كانت له دعوة صالحة فليخص بها أمير المؤمنين ونحن ماعندنا أحب منك وأنت على هذه الحالة الحسنة تنصح الناس وتخاف الله وتدعو لنا بصالح الدعاء في جميع أوقاتك، من يكون مثلك الشرف والتقوى، فمن مثل هذا تكون لنا المعونة عند الله تعالى

على ما أقامنا الله فيه من حمل هذه الأمامة والقيام بأعباء الحق في مسائل الخلق والنصرة على من عاداه وناواه كما وقع للمرحوم بالله أخينا مولاي محمد قدس الله روحه في مباشرته لقتال أهل الساحل من سوس حيث تالفوا عليه. بالحرب في تفيلالت فاجتاز يوما وهو في اقتحام ذلك على الرجل الفاضل الخير الودع الناسك مولاي العربي بن محرز بزاويته بالمراني وهو ابن عمنا فقال له مولاي محمد كيف أمولاي العربي بن محرز هذا كله يجري علينا ولاتعاونوننا فكونوا معنا بقلوبكم فإننا منكم وأنتم منا فقال له نفعنا الله به أنتم بسيوفكم ونحن بكفوفنا فانظر هذه الغيرة على الجانب من أهل الله ومن الأهل والأقارب **قال** تعالى ذرية بعضها من بعض فافهم ذلك واعرفه وكن فيه على بصيرة وسلم منا على والدك البركة والسلام وكتب في الرابع والعشرين من المحرم فاتح عام سبعة عشر ومائة وألف فأجابه مولاي التهامي بما لفظه : باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما المقام الذي أيده الله بوافر نصره وامده بمعونته وبره مقام المولى الماجد الأثيل أمير المؤمنين أبي النصر مولانا اسماعيل الحسني العلوي المفضال المولوي نصرك الله وأيدك وأشرق في سماء العناية والتوفيق بدرك وسلام عليك ورحمة الله سبحانه وبركاته ورضوانه الأعم وتحياته هذا وقد ورد على الغلام المغترف من بحر فيضه الهامي أسير ذنبه محمد التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف العلمي كتابكم الأرفع وخطابكم الأبدع فأما مااعتقدت ابقاك الله في الغلام من الاستقامة والديانة والزهد والعفاف والأمانة فذلك من جميل ظنك وحسن سيرتك وكرم نفسك وشرف خليقتك فالكامل لا ينظر الا بعين الكمال والرضى والصفح عن الجنايات والأغضاء، ومما يزيد على مافيك من المكرمة والتعظيم ماساقوا له على وجه التذكرة لاعلى وجه التعليم **قال** مولانا وهو اصدق القائلين وذكر فإن الذكرى تنفع المومنين أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لك وردا، وتكثر منها بقدر الامكان سردا بالعشي والابكار آناء الليل واطراف النهار، **ففي** الحديث بسنده مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه بها عشرا

الحديث فأنت ترى أعزك الله صلاة المولى على عبده المصلي على نبيه هل يعادلها شيء من العطايا أو يماثل هذه المزية شيىء من المزايا والمطلوب منك سددك الله أن تروى خاطرك على الغلام وطبيعتك وتسامحه في إساءة الأدب معك وهو مع هذا محتاج إلى دعائك أتم احتياج وملتاج إلى ملاحظتك كل الالتياج وانك إذا أعنته بجميل دعائك المقبول حصل من الرشاد والسداد على المامول. ولايخفى إن كافة الرعية مفتقرون من السلطان إلى الأدعية وان الناس تصلح بدعاء الأمير كما تصلح الأرض بالمطر الغزير. وأما ماذكرت ولك النصر التام والتأييد العام من أن الغلام منكب على واجب محبتك أي انكباب ومنصب للثناء عليك غاية الانصباب فأنت تعلم ان ذلك من الفروض الواجبة على كل انسان وبعد طاعة الله ورسوله تجب طاعة السلطان كما عليه الاجماع والسنة والقرآن قال مولانا جل ثناؤه وتقدست صفاته العلية وأسماؤه في محكم كتابه الحكيم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم، ولقد تعينت محبتك ابقاك الله من كل الجوانب حيث بلغت بالشرف والملك أرقى المراتب فالله يمهد لك من الخيرات كل مرام ويجعلك فيما يرضيه آخذا بزمام. وإما ماذكرت على مولاي محمد مع مولاي العربي قدس الله أرواحهما ونور ضريحهما فنحن على طريقتهم من الدعاء ومنوالهم مقتدون فيه إن شاء الله بأقوالهم وأفعالهم وأن والدي سيدي محمد لمعتكف على الدعاء التام إليك وطالبا من الله أن يفتح لك وعلى يديك وهو يسلم عليك ازكى السلام وأتمه وأطيبه وأنماه وأعمه والله يبقي نصرك ويديم وجودك وفخرك ويمطر على الرعية عدلك وجودك بمنه آمين وهذا ما وجب به الاعلام وعليك من الغلام أزكى التحية والسلام خديم أهل البيت النبوي محمد التهامي وكتب وفق الله الجميع في خامس صفر الخير المعظم عام سبعة عشر ومائة وألف.، وكتب لأبي عبد الله محمد فتحا بن عبد القادر الفاسي بما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف محبنا في الله الفقيه العلامة السيد محمد بن الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي أنعم الله صباحك وأبقى فيما يرضي الله تبارك وتعالى نجاحك سلام عليك

ورحمة الله وبركاته عن والحمد لله هذا ومما يجب به التأكيد عليك أننا نقدم لك شهادة الله تعالى ومحبتنا نحن فيك لا محبتك انت فينا فإننا نعلم علم يقين أن محبتنا فيك أكثر من محبتك... هذه شهور وأعوام ونحن نطلب ونترقب منك نصيحة الينا دينية نستعين بها ونعتمد مع الله تبارك وتعالى عليها في ديننا وماسمحت لنا بها محبتك فيها فهذا أقوى دليل وأكبر شاهد على أن محبتنا فيك أكثر ولذلك اقسمنا عليك بها انك إذا رأيت من يعطي من أهل فاس موزونة واحدة دون الاندلسي واللمطي الا ماتكلمت على ذلك وتبرأت ممن تصدى لهذه المسألة هنالك، فإن هذا المال الموظف إنما هو على الأندلسي واللمطي فقط وها نحن ألقينا إليك واعلمناك بها لتكون على بصيرة منها فلا تسكت إن رأيت غيرهم يعطي شيئا فتكلم وانصح ولاتسكت فإنه لاينبغي لعالم مثلك أن يكون في مدينة مثل مدينة فاس ويرائي أهلها ويستحيي من الحق ويراعي فيه هذا أندلسي وهذا لمطي فلا يحل لمومن يتحلى بالعلم والدين أن يكون على هذا المهيع فإن... العالم عز الدين ابن عبد السلام لما أن قيل له أن بيوت المال ضعفت ولم يبق بها مايعطي في أرزاق الجيش قال لهم أنظروا هؤلاء الاعلاج وهؤلاء المماليك يباع منهم من يباع ويستبيع نفسه من قدر عليها وتجتمع أموالهم ويدفع لبيت المال فقال له من أشفق عليه وتخوف من قربائه اتتكلم ياسيدي بهذا الكلام وهؤلاء الاعلاج والمماليك فيهم القواد والأكابر وأعيان الجيش ربما يصدر من بعضهم فيك شيء أو يقتلك فقال لهم ومن لي بهذه المزية حتى يقال إن عز الدين ابن عبد السلام مات على كلمة الحق وماراءى فيها أحدا وأنت وأبوك رحمه الله في تلك المدينة وما تكلمتم لهم بما ينفعهم في دينهم وهذه مدة مديدة والناس تعاين منكم كلمة حقيقية تصدعون بها لعامة الأهل وتنصحوهم بما يجب عليكم وتنفعونهم وتذودون عنهم مع الله تبارك وتعالى بهدايتهم وارشادهم للحق وتعرفونهم بأمور الخلافة ونفعها إياهم وشمول العافية بها عليهم واكتسابهم فيها من الهناء والأسباب والتجارات وجلب المرافق ونجح الأولاد وتقول لهم أنت هذه المدينة هي أحوج مدن المغرب كلها للخلافة فإنها ماكان يدافع عنها قبائل

المغرب الا الملك وماكان يستقيم حال معاشهم الا به وتحرضهم على محبته وان يعظموا ماعظم الله تبارك وتعالى من حرمته وحقه وأما إذا بقيت تلك المدينة للأندلسي واللمطي الذين يزعمون أنهم عمارتها فوالله ما كانوا يقدرون أن يدافعوا عنها حتى أولاد جامع الحياينة الذين كانوا يقتلونهم بأطراف المدينة ويسلبونهم من وراء السور ووقائعهم معهم لاتخفى عنك فذلك العام الذي خرجوا للشراكة من فاس بستين ألفا وأخذوهم في الخميس وتغلبوا عليهم... وأخرجوهم منه فما دار عليهم العام حتى اجتمعوا بخيامهم وتبرءوا... نزلتهم وكروا عليهم في المترب وقتلوا منهم مقتلة كبيرة وشمتوا بهم شموتية عظيمة مازال الناس يضربون بها المثل فهذه شرذمة من الشراكة مازال الناس يؤرخون بواقعتهم ويقولون (عيطة المترب) وأي شيىء هم الأندلس واللمطيون فوالله ماهم الا أحداث وأوجاس وأهل خزي وفسق وغدر فإذا لم تكن لهم الخلافة يستظلون بظلها فما هم الا سلب لكل وافد وطارق فكان من حقك حفظك الله أن تنصح أولئك وتكلمهم وتنفعهم بخطبك الدينية ومواعظك العلمية وتدافع عنهم بنصيحتك إليهم وتكون معينا لهم على الطاعة والخير فعلى هذه المسألة استشهدنا لك بعز الدين ابن عبد السلام وعليهاحرضناك بذكره وأما نحن فالله تبارك وتعالى ولينا وبفضله وكرمه كفيلنا فإذا نفعتهم... إذا استهديتم للخير واسترشدتم... تعالى عليهم وتربح ثوابهم... في الحق هـ. ما وجد منه والباقي مع المحال المبيضة أخنى الدهر عليه. **ومن ذلك مراسلته** ومكاتبته لأبي العباس أحمد بن عبد الله صاحب المخفية الشهير يطلب منه الدعاء ويستنصحه ويعرفه بما يليق به ويستشيره في أمر دينه ودنياه ولما بلغ السلطان على لسان وزيره أبي الربيع سليمان الزرهوني ان سيدي أحمد المذكور يدعو له بالسداد والتوفيق والجري على أقوم طريق سر سرورا عظيما ولما أطلعه الوزير المذكور على كتاب سيدي محمد بن عبد الله بما ذكر قبله بفيه ورفعه على رأسه ورضي بسببه على الكاتب الوزير المذكور الذي كان تغيظ عليه واجزل جزاءه وأعطاه فرسا جيدًا وقد بسط القضية أبوالطيب عبد السلام بن الطيب القادري رحمه الله في كتابه المقصد الاحمد في التعريف بسيدنا ابن

عبد الله أحمد وهذا غاية في كسر شوكة النفس والرجوع إلى الله والتعلق بأذيال أهل الخصوصية الدالين عليه سبحانه في السر والعلن هـ. وكتب لأولاد سيدي عياد الديوري القاطنين الآن بوادي اعريش بالقرب من وادي ملوية بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الصغير داخله اسماعيل بن الشريف الحسني دعاه الله وأعز نصره وخلد في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره بمنه امين وبتعرف منه بحول الله وقوته ونصرته ومعونته اننا أقررنا وأبقينا حملته متمسكين بالله تعالى ثم في المرابطين الخيرين أحباءنا أولاد السيد عثمان بن الوالي الصالح سيدي عياد الديوري نفع الله ببركته وهم أهل زاوية السيد الفضيل بن المسناوي والسيد محمد بن الباجي وجميع اخوانهم أولاد السيد عثمان أهل الزاوية على ماكانوا عليه من قديم فلا سبيل لمن يخرق لديهم عادة أو يحدث لديهم نقصا أو زيادة وهم محسوبون على الله وعلينا ومن جملة زوايا الصحراء فعلى بعهد الله وميثاقه وسيدنا محمد بن عبد الله ان تشكوا لنا بأحد كلفهم ولو بجرعة ماء حتى نقطع رأسه ونمثل به وماؤهم الذين بواد نون وعقبة العرائص يجرونه للولي وللزاوية المذكورة وكذلك جميع بلادهم المعروفة والمألوفة لهم والديور يتركهم من البناء في زاويتهم بالخوخات وليسوا منهم ومن بنى عندهم ولو بيتا واحدة سقط على رأسه إن شاء الله تعالى وعلى هذا يكون عملهم والواقف عليه يعمل ولايخالف ولايتعداه والسلام وفي السادس من شعبان المبارك عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف. وكتب لابي عبد الله محمد فتحا بن حمزة العياشي لما ورد على حضرته الشريفة بما نصه بعد الحمدلة والصلاة عن أمر عبد الله العلى الامامي السلطاني الاسماعيلي أمير المومنين المجاهد في سبيل العالمين الشريف الحسني أيده الله ونصره، وسنَّ له فتحا مبينا ويسره آمين... يستقر بحول الله وقوته هذا الظهير الكريم والامر المحتم العميم الخطاب الجسيم المتلقى بالاجلال والتعظيم بيد حامله محبنا الخير الدين الفقيه الاجل الافضل سيدي محمد بن الفقيه الاجل العالم الاوحد الولي الصالح الرباني المتبرك به حيا وميتا المرحوم بكرم الله سيدي حمزة بن العالم العارف بالله تعالى محبنا وخلاصة ودنا سيدي عبد الله بن محمد بن ابي بكر العياشي

افاض الله علينا من بحار ودادهم آمين يتعرف كل من يقف عليه بحول
الله وقوته لما ورد على حضرتنا العلية بالله مع اخوته وابناء عمه وتعزية
والده رحمه الله في جنابه غاية الفرح وكرمناه غاية الاكرام هو ومن
معه لما رأيناه من اهل الخير والصلاح واتباع السنة المحمدية ابقينا السيد
محمد بن حمزة جله يتصرف فيها بالخير والصلاح كما كان والده قبل
وأسبلنا عليهم أردية الستر والتوقير والاحترام والرعى الجميل المستدام
وعلى جميع من هو محسوب ومنسوب اليه وعلى زاويته من رعيانهم
وخماميسهم ووصفانهم وغير ذلك من سائر ما هو معلوم لهم من قديم
وحديث فلا يطالبهم أحد به ولا يقرب ساحتهم لا بوجد ولا بحال
ومن قربهم أو طاف بهم أو تعدى عليهم أحد في شيء بالله الذي
لا إلاه الا هو حتى ينتقم الله منه أشد الانتقام كائنا من كان وعليه
بتقوى الله في سره وجهره والاجتهاد في قراءة الفقه وفنونه وأصوله
وفروعه واتباع سنَّة نبيه وسنن أسلافه وأدعيته الصالحة لمن ولاه الله
أمر عباده وكذلك طلبنا منه أن يزورنا كل سنة عند ختمة قراءة
سيدي البخاري بحيث لا يتأخر عن القدوم ولا بد. في عشري صفر
عام **1130 هـ** وكتب للطبيب السيد الحاج عبد الواحد بن محمد
غريط بما نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني الكريم كتابنا
هذا أسماء الله تعالى وأعز أمره وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره
بيد ماسكه محبنا وأعز الأحباب لدينا الخير الدين المتطبب السيد الأبر
الحاج عبد الواحد بن المرحوم بكرم الله سبحانه السيد محمد غريط
الأندلسي يتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته إننا ابقيناه
على ماهو له من الاحترام التام المطلق الشامل العام وعلى التحرير من
جميع الوظائف كلها والتباعات بإسرها ابتغاء وجه الله العظيم وثوابه
الجسيم ومحبته فينا ومسكنته واشتغاله بما يعنيه واجتنابه لما لايعنيه
وكذلك أقاربه وأصهاره ومن أضيف اليه يسلك مسلكه في الاحترام
بحيث لايخرق أحد من ولاة الأمر جانبه بخرق عادة، أو يتوجه إليه
بما يخالف هذا الأمر الكريم من دواعي النقص والزيادة، رعيا لما وصف
به وتمسك به من الدين والجري على سنن أولي الخير المهتدين وحسب
الواقف عليه يعمل به ولايتجاوز عن كريم مذهبه ولابد والسلام في

ثاني عشر من ذي الحجة الحرام عام واحد ومائة وألف، وكتب من بعده لولده أبي محمد عبد السلام بما لفظه الحمد لله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم عن الأمر التالي الامامي السلطاني الاسماعيلي الشريف الحسني وبداخل الطابع اسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وبعده جددنا بحول الله وقوته ونصره وتأييده ومعونته هذا الكتاب الكريم ذا الأمر المطاع المحتم الصميم المتلقى بالدوام بالاجلال والتعظيم لخديمنا الفقيه السيد عبد السلام بن خديمنا السيد عبد الواحد غريط الأندلسي وأولاده السيد محمد العربي والسيد عبد الواحد المدعو الكبير والسيد محمد الطيب ومحمد على التوقير والاحترام والتنزه عن كل مسألة أو تِبَاعةٍ يخاطب بها العوام فقد اسقطنا عنه وعن أولاده جميع المطالب والكلف والوظائف والتبعات جلت أم قلت شملت أم عمت من غير متابع لهم ولامطالب في قلامة ظفر على الدوام وممر الليالي والايام والشهور والاعوام، جرناه وأولاده لوجه الله تعالى ولقراءتهم العلم وتدريسهم ومواظبتهم عليه ومحبتهم لجانبنا العلي بالله تعالى ونسئل الله تعالى ان يدخر لنا أجرهم وثوابهم آمين ونامر من يقف على هذا الكتاب الاسمى السعيد ان لا يخرق عليهم عادة من كافة أولادنا وفرهم الله وخدامنا ووصفائنا وأهل حضرتنا العلية بالله تعالى مكناسة الزيتون حرسها الله وان يتركوهم على ما انعمنا به عليهم من التوقير والاحترام والملاحظة اليهم بالمبرة والاكرام ومن رامهم باذاية أو سوء أو تابعهم في قليل أو كثير أو جليل أو حقير نخفر جدره ونقصم ظهره كائنا من كان والواقف عليه يعمل به بالدوام ولا يحيد عن كريم مذهبه والسلام وفي مهل شهر الله جمادى الثانية عام ستة وعشرين ومائة وألف سنة، وقفت على نسخ هذه الظهائر مسجلة على قاضي الحضرة المكناسية العلامة النقاد السيد العباس ابن كيران بتاريخ سادس عشر ذي الحجة الحرام متم اثنين وستين ومائتين وألف، وكتب لابي العباس احمد الخضر ءال الولي الاشهر سيدي مغيث دفين مكناسة الزيتون بما لفظه ومن أصله نقلت بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على

سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عن الامر العلي الامامي المؤيد المنصور الاسماعيلي أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني وبداخل طابعه اسماعيل بن الشريف الحسني الله له صدر هذا الظهير الزعيم والامر المطاع الجسيم وهو الذي أعلن لماسكه بالرتبة المخصوصة بالتنويه وشيد للمعتمد على الله وعلى مباني الاجتباء والتنويه من الاعتناء الامامي السلطاني الاسماعيلي الشريف أبرم الله معاقده وأجمل من إحسانه الجميل مساعيه ومقاصده آمين يارب العالمين يستقر بحول الله وقوته بيد الأرضى الأحظى المرضي الأبر الأحفل الأنبل خديم الجناب الأسمى والملاذ الأهمى أبي العباس أحمد الخضر بن الفقيه العدل أبي عبد الله محمد نجل الفقيه العدل أحمد بن عبد القادر دعي بزغبوش حفيد الولي الصالح الزاهد الناسك قطب المشايخ الاعلام وتاج الأولياء الصالحين الكرام سيدي مغيث نفعنا الله ببركاته وأفاض علينا وعلى بنيه من أسراره ونفحاته اقتضى له مايتوخى به الولاء الصريح والصفاء الصحيح من تكريم واضح الرسوم والايثار وتتميم لمواهب الاستصفاء الآمنة من الايثار اعتناء بقدره الذي سمت به رياسة أسلافه في أعلى المظاهر ومتت بطرق العلم والعمل والمحبة في جانب الخلافة المؤيدة بالود الباطن والظاهر فاتخذ حفظه الله هذا الأمر الكريم راية يتناولها باليمين لايعتريها بحول الله ومنه الانفصال إلى يوم الدين إنعاما عليه بالعناية والتوقير الذي لاينسخ حكمه ولايبيد بحول الله وقوته على تعاقب الأيام رسمه رعيا لما له من الخدمة والسبقية والنصيحة التي لاحت غررا في وجه الزمان البهيم والامور التي توسل بها أدام الله عليه نعمته في الحديث والقديم ومن كثرة الاعتناء بشأنه والتنويه بمقدار حكمه وفعله أيده الله بعد صلاة الجمعة من تاريخه بمحضر العلماء الجلة وفقهاء الملة والأشراف والكتاب والحجاب وأعيان القواد المتصرفين تصرف الحق في البلاد أن لاحكم عليه لأحد مدة حياته فبينه وبين مولانا الامام فيما عسى أن يكون من تصرفاته ولا كلام له مع أحد من القواد ولامن العمال والولاة بوجه من الوجوه اللهم اذا كانت بينه وبين أحد من الناس دعوى شرعية فأحكام الشرع العزيز تجري على كل مسلم بمقتضاها ولاسبيل لمومن

موحد أن يتعداها أو يتخطاها بهذا قضى وأمر صاحب الأمر المطاع وأمر أن يخط في الدواوين والرقاع حكما التزمه أيده الله برورا لخديمه المذكور فلا سبيل لمن يتعقبه على مر الليالي والدهور والواقف عليه يعمل به والسلام وكتب في العشر من رمضان عام ثلاثة ومائة وألف، **وكتب** للعلامة المقري خاتمة القراء الحفاظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن احمد بصري المكناسي ما لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف ومن أصله نقلت عن أمر عبد الله المتوكل على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين اسماعيل بن الشريف الحسني أيد الله أمره وأعز نصره وخلد في صحف المجد والحمد ذكره وأشرق في الصالحات شمسه وبدره يستقر كتابنا هذا أسماه الله بيد حملته أولاد ولي الله تعالى العارف بربه الصالح سيدي بصري نفع الله به وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى منهم إليه وخصوصا الفقيه الأجل السيد محمد بن احمد بصري وبني عمه وأولاده وأولاد أولاده ماتناسلوا ويتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه العميم وبركته اننا أسبلنا عليهم جلابيب الايثار والوقار وكسوناهم أردية الاحترام ونمارق الاجلال والاكبار وعاملناهم بما يجب ومايجمل بنظائرهم من السادات الأخيار ووقرناهم وحررنا جانبهم وأكرمنا مثواهم وحاشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم وأسقطنا عنهم كل مغرم أو تكليف وسلكناهم مسالك آبائهم وأجدادهم وأسلافهم من قبلهم وأنعمنا عليهم بمزيد اثرة وكريم خضرة على ذلك حيث هم بحمد الله من أولاد هذا الولي العارف المذكور ومن خيار أهل حضرتنا العلية بالله ومن لباب اللباب بها ومن أعيانها ومن ذو الحسب والمروءة والأصالة منها ولاسيما وفيهم ومنهم النشأة الطيبة والنخبة الزكية الجامع لأشتات خصال الفضل والمجد حامل راية الاقراء وخاتمة الحفاظ والقراء الفقيه الصدر العالم العامل السني أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصري وابن عمه الاحظى الأجل الانوه الفقيه النبيه الأمثل السيد أحمد ابن محمد فما عندنا أعز منه ومنهم فنحن منه وهو منا وفينا وإلينا ومحسوب على الله وعلينا والعلم والدين والسنة معه تجمعنا والجهل مع البدعة

لغيره يفرقنا والعلم والخلافة أخوان[1] وما هو لدينا في نفوسنا الكريمة الا من أعيان العصر وأهوان النصر والقلوب تتجازى فلا يقرب أحد ساحته وساحة أهله وبني عمه وأقاربه بما يسوءهم أويضرهم في نفوسهم أويشوشهم على أسبابهم ومعاشهم أو أمر من أمور دنياهم في هذا الأوان ولا فيما يأتي من الأزمان ما تعاقب الجديدان واختلف الملوان على الدوام وما توالت السنون والأعوام من غير منازع ولامعارض ولامرافع فيما قابلناهم به وحملناهم عليه واختصصناهم به وأردناه لهم واثرناهم به عمن سواهم لأننا جربنا الناس وبلوناهم فألفيناهم ليسوا كغيرهم وكفى بشهادة الناس فيهم والناس شهداء الله في أرضه وما علمنا في جملة أولاد سيدي بصري الا خيرا وضاحا ونجدة ومروءة وفلاحا وكيف يجهل قدرهم أو لا تراعى حرمتهم ولا نؤثرهم على من عداهم فنعهد بمسطورنا الكريم أعزه الله لكل من وقف عليه من أولادنا وولاة أمرنا وقوادنا ووصفائنا أن يعتقد فيهم معتقدنا وأن ينهج فيهم منهجنا حسب الواقف عليه العمل بمقتضاه ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه صدر به أمرنا المعتز بالله والسلام بتاريخ ربيع النبوي عام اثني عشر ومائة وألف. **وكتب** لمزوار المؤذنين بالجامع الاعظم من مكناس ابي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي لقبًا المكناسي دارا ومنشئا الشاوي أصلا المغراوي بما لفظه ومن أصله نقلت بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عن الأمر العلي الامامي المؤيد المنصور الاسماعيلي أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني اسماعيل بن الشريف أيد الله أمره وأعز بحوله وطوله نصره وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره آمين يستقر هذا الظهير الكريم والخطاب الجسيم والأمر المحتم الصميم بيد حامله الرجل الصالح الناسك المرابط الخير الدين الساعي للناس في المصالح أبي زيد السيد عبد الرحمن بن السيد محمد الفاسي لقبا المكناسي دارا

---

(1) وردت هذه العبارة في رسالة السلطان مولاي اسماعيل الى علماء مصر، حول قضية العبيد... التازي : في العلافات بين المغرب ومصر ندوة سلا، يوليه 1988.

ومنشئا وقرارا الشاوي أصلا المغراوي من أولاد عمارة أحد أولاد السيد يش بن حمدون الموقت مزوار المؤذنين بالجامع الأعظم الكبير من حضرتنا العلية بالله مكناسة الزيتون حاطها الله تعالى وجعلها محفوظة ملحوظة مقصودة وبعين الله التي لاتنام منظورة مرصودة آمين يارب العالمين يتعرف من يقف عليه اننا جددنا له حكم ما بيده من ظهائرنا الشريفة الطاهرة المنيفة وأقررناه على وظيفه الشريف الغني بشهرته عن التعريف وبسطنا يده على أمور وظيفه وتكليفه الديني على عادة المؤقتين والمزاوير قبله ليجتهد في شؤونه غاية الاجتهاد مستغرقا في العبادة والطاعة نهاره وليله جاريا في ذلك على قانون النقباء والمزاور السالفين في رعي الأوقات وأقام عمد الدين ونعهد له ونطلب أن لايخلي أوقاته من الدعاء الصالح لنا ولذريتنا بالخير والسداد والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وبسبب قيامه بهذا الوظيف الكريم والمنصب العظيم وملازمته موضعه المبجل الجسيم ومنصبه من المسجد العظيم وماعلم من صلاحه ودينه وأمانته وخيره وثقته أسبلنا عليه وعلى أولاده أردية التوقير والاحترام وحملناه على كاهل المبرة والاكرام وحاشيناه عما يتطرق للغير من وسائل العوام فلاسبيل لمن يصل جنابه بوظيف أو مغرم أو تكليف قوي أو ضعيف رعيا لوجه الله تعالى الذي ألهمه رشده للقيام بالوظيف المذكور وهو موقر محترم على مر الليالي والدهور ومن قرب جانبه بسوء أو مكروه لا يلومن الا نفسه ولا يضرب الا رأسه ونعهد الى خدامنا وجميع ولاتنا المتصرفين في هذه الحضرة العلية بالله عن أمرنا أن يوقروا هذا الرجل المبارك في نفسه وأولاده بحيث لا يناله ولا يعمه شيء مما عسى أن يعم أو ينال أهل بلاده وأن يعملوا بمقتضاه ولايتعدوا ما أبرمه الأمر الشريف وأمضاه والسلام في الثالث عشر من ذي الحجة الحرام وعام ثلاثة وعشرين ومائة وألف. **وكتب** للسيد أحمد صفندلة بتحديد حرم الولي الصالح المتبرك به أبي العباس أحمد بن خضراء بما لفظه ومن أصله نقلت الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما عن أمر عبد الله المتوكل على الله المفوض امره الى الله مولانا أمير المومنين ايده الله ثم الطابع بداخله اسماعيل بن الشريف الله وليه

وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا يستقر بحول الله تعالى وقوته وشامل يمنه وبركته هذا الظهير الكريم المحترم الجسيم بين ماسكه المتمسك بالله ثم به الخير الأرضى الدين المرتضي السيد أحمد بن عبد الواحد المدعو صفندلة يتعرف من يقف عليه من أولادنا حفظهم الله وخدامنا وقوادنا ووصفاننا وجميع ولاة أمرنا العالي بالله انا قلدناه بحول الله وقوته النظارة على أوقاف الولي الصالح المتبرك به أبي العباس سيدي أحمد ابن خضراء نفع الله تعالى به بحضرة حضرتنا العالية بالله مكناسة الزيتون حاطها الله كيفما كانت وحيثما تعينت وكذا مفتاح الربيعة المعدة لجمع الصدقات بضريح الولي المذكور وأقررنا حرم الزاوية المذكورة على ماعهد لها وعرف من قبل وذلك من درب الجنان إلى مسجد سيدي أبي يعزى المعروف الى سيدي زكرار الى زاوية سيدي محمد بن عبد الله الى سيدي مغيت بحيث لاسبيل لمن يخرق في الحرم المذكور المحدود عادة بنقص ولا زيادة يعمهم من التوفير والتسجيل والتكريم ماعم الزاوية المذكورة رعيا لوجه الله العظيم ومراعاة لذلك الولي الجسيم فعلى من وقف عليه من ولاتنا وأهل عمالتنا يعمل بما فيه ولايضرب عن يد من وليناه أمر ذلك على هذا إن شاء الله يستمر العمل مادامت الدولة العلوية وامتدت أغصان الدوحة الهاشمية النبوية شهر الله حجة الحرام عام اثنين وعشرين ومائة وألف. **وكتب** لأولاد أبي محمد صالح دفين آسفي بما لفظه ومن أصله نقلت الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل ابن الشريف الله وليه وبدائرته إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا جددنا بحول الله تعالى وقوته وشامل يمنه وجميل بركته لحملته المرابطين الخيار أولاد الولي الصالح البركة الواضح سيدي أبي محمد صالح نفع الله به آمين وهم السيد بوحسون بن محمد والسيد الحاج الخضر بن أحمد والسيد إبراهيم بن أحمد والسيد عبد الفضيل بن أحمد والسيد محمد بن الحاج والسيد عبد العزيز بن محمد والسيد محمد بن عبد العزيز وأخوه السيد عبد الله والسيد الحاج ابراهيم بن محمد والسيد علال بن الحاج والسيد أحمد بن محمد صالح

وأخواه السيد علي والسيد محمد والسيد الحاج أحمد بن ابراهيم على ما بيدهم من ظهائرنا الكريمة وظهائر الملوك الكرام المتضمنة دوام التوقير والاحترام على زاويتهم والرعي الجميل المستدام بحيث لاسبيل لأحد أن يخرق عليهم عادة ولا أن يحدث لهم نقصا ولازيادة كما وقرنا لهم جميع سكان زاويتهم المعروفة بالرباط بحيث لايلزم أحدا من سكانها مايلزم غيرهم من سائر الوظائف المخزنية والتكاليف السلطانية قلت أو جلت وكذلك أولاد عمه المرابطين المذكورين وهم السيد الحاج محمد بن عبد الله والسيد ابراهيم بن عبد الله والسيد الرضي والطالب علي وقرناهم واحترمناهم يلزمهم مايلزم إخوانهم المرابطين المذكورين ومن طاف بساحتهم يأخذه الله وكما جددنا لهم على كافة العشرين دارا المعروفة لهم بالرباط.وهم داوود بن ابراهيم وأولاد عيسى وأولاد اخديم وعلي بن عبد الدايم وأخيه وعلي بن مسعود أسكري وسعيد بن مسعود بويل ويحيى البكار وأخيه منصور وأحمد بن محمد الاستاري ومحمد ابن موسى وابن أخيه ومحمد بن ادريس التامري واحمد بن محمد الاساري وأحمد أخياط وأحمد بن محمد الجرطي وإخوانه مسعود بن عبيد وعلي بن أحمد ومبارك بن أحمد وداوود الخراز وعلي أبنالي وعلى توقيرهم واحترامهم مراعاة لتعمير تلك الزاوية المباركة والاعتناء بذلك الثغر السعيد وكما جددنا لهم على أولاد يزدان ومبارك بن لحسن وأحمد بن مبارك القاطنين معهم وأبقيناهم على حكم ماهم عليه من التوفير وأبقينا لهم أصحابهم أهل انكا على حكم ماكانوا عليه مع أسلافهم خلفا عن سلف تجديدا تام الرسم متصل الحكم لايزال بعون الله جديدا ولايزيده القدم الا تأكيدا وحسب الواقف عليه العمل بمقتضاه والوقوف عندما حده وقضاه دون معارض ولامداحض والسلام وفي منتصف ذي الحجة الحرام عام عشرين ومائة وألف وكتب للمرابط البركة السيد سعيد ابن عبد السلام حفيد الولي الصالح السيد سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين خارج باب وجه العروس أحد أبواب الحضرة المكناسية ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني الكريم يستقر هذا الظهير الكريم الذي حفظ نظام العز الشامخ البناء ولحظ المعتمد عليه من ذرية الصالحين

بعين القبول والارضاء وفسح له مجال العناية التي أصلها ثابت وفرعها في السماء وجدد مراسم الخطوة لأبناء الفضلاء المتوارث عن جلة الآباء أصدرناه تكميلا للمقاصد واجزالا لعارفة النعم الحميدة المصادر والموارد للمرابط الفاضل الخير الدين الأتقى الأزكى الأنوه المبرور الموقر المشكور السيد سعيد بن عبد السلام بن أحمد بن أبي بكر الشيخ البركة سيدي سعيد بن أبي بكر بن علي بن أحمد بن ابراهيم بن عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن داوود بن علي بن أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد بن الولي الكبير الجرس الشهير امام الطريقة وشيخ الحقيقة وسيلتنا الى ربنا سيدي أبي محمد صالح الدكالي الماجري القرشي المخزومي نفعنا الله تعالى ببركاته وأفاض علينا من بحور خيراته آمين أدام الله كرامته وتقواه وتولى اعانته على مايرضاه وأظهر عليه لبوس الايثار والحرمة وأبقى لديه موارد كل نعمة... يتجدد له بمعهود الاعتناء وأجراه من الكرامة على ماتوارثه الأبناء عن الآباء بما يحمل به على الكرامة والمبرة والرتبة السامية المستمرة والحماية التي تقي حماه المبارك وأهل بيته وذويه ضروب الضيم والمضرة وتعرفه في أحواله كلها عوارف المسرة حملا يستمر دوامه ويومن انقراضه وانصرامه وتثبت أوامره وتشيد أحكامه رعيا لما اشتهر به لدينا من صلابته في اقتفاء سلفه الكريم ومحبته ويتحاشون به هو وأهل بيته وزاويته وجميع من تمسك بحرم ضريح السلف الصالح واستظل بحمايته من سائر الوظائف الطارئة والكلف الناشئة محاشاة تتصل باتصال الأيام وتشتمل على الرعي المصاحب والاستماع بحيث لاسبيل لمن يطرق ساحة هذه الزاوية المباركة بهتك حرم أو خرق عادة أو يروم حماها الا منع بحدوث زيادة وليكن هو ومن تعلق به من أهل هذه الزاوية المباركة في ذات الله إخوانا وعلى دفع الأذى والضرر عن حرم الزاوية أعوانا ويتلقوا من التجأ لها لخوف من أهل الخطايا والجنايات الى التمسك بهذا الحرم بمناصرة تبرىء من الوجع ويسكن ماعسى أن يحل به من الجزع بحول الله وقوته وسبيل من يقف على هذا الظهير الكريم أن يؤدي المبادرة لامتثال فرض التفخيم والتكريم والعمل بمقتضاه على سبيل التقديم ويتلقى أوامره الكريمة بالتكميل والتتميم والسلام في شهر ربيع الأول

النبوي سنة اثنين ومائة وألف **وجدّد** له هذا الظهير أيضا بتاريخ رجب عام ستة وعشرين ومائة وألف غير أنه لم يرفع فيه النسب الى الشيخ أبي محمد صالح تركت لفظه اختصارا. **وهذا** باب مريد استقصائه يحتاج لمجلدات وما لا يمكن كله لا يترك كله.

الباب الخامس في صدق فراسته

فقد كان رحمه الله صادق الفراسة لاتكاد فراسته تخطىء أبدا : من ذلك ماذكره ابن دفين طيبة وغيره أنه رفع اليه رجلان ادعي عليهما معا أنهما قتلا رجلا بغير حق فلما مثلا بين يديه ونظر إليهما قال أما هذا فبريء من الدم الذي رمي وإن كانت فراسة المومن صادقة فهذا القاتل، وبعد أن تبين في القضية واستعمل البحث من طرقه تحقق أن الأمر كما قال. ومما حدث به الفقيه الثقة الثبت أبو عبد الله بن القاضي أبي عبد الله محمد بن ابراهيم التادلي من أنه حضر مجلس المترجم ذات يوم فأتت امرأة متعلقة برجل وهي تصيح وتقول هذا الرجل قتل ولدي والرجل منكر لذلك، ولما مثل بين يديه ونظر للرجل ولم يكن وقع بصره قبل عليه قال لاشك أنه قاتل الولد ثم قال للرجل ارجع إلى الله تعالى وتب مما صدر منك فان رضي الورثة بالدية أديتها عنك وان أبوا الا القتل فإنك تموت في حد من حدود الله والحدود كفارة إن شاء الله فأقر الرجل وقال : الرجوع إلى الحق فريضة وما قدره الله لابد من وقوعه. ومن ذلك ماحدث به الفقيه المذكور عن الفقيه أبي محمد عبد الله بن الحاج الفشتالي أنه بات في بعض الخيام من خيام عرب زعير في سفر له فاستضاف رجلا فأضافه وكان صاحب الخيمة من أهل المعالي وكانت زوجة صاحب الخيمة تحب ولد عم لها فدعت ولد عمها لقتل زوجها وتلطيخ ثياب الضيف الفقيه الفشتالي بالدم، وقالت إنه لا يسمح الزمان بمثل هذه الفرصة في هذه الليلة، فهجم ابن العم على الزوج وذبحه ولطخ ثياب الفقيه المذكور ثم صارت المرأة تصيح وتبكي وثياب الضيف بيدها وهي تقول إنه قتل زوجي فاجتمع عليه الحي وقبضوه وقيدوه وأتوا به الى صاحب الترجمة ولما أوقفوه بين يديه وقصوا عليه القصص نظر الى المتهم وقال له : هذا فعل اللئام رجل أضافك فجعلت جزاءه القتل، فاقسم بالله أنه ماقتله ولاعلم له بمن قتله وإنما هو ضعيف غريب ساقته الأقدار لمحل مضيفه فاتهم بما هو بريء منه والله يعلم صدق مقاله فأطرق المترجم مليا ثم رفع رأسه ونظر الى المرأة نظر مغضب وقال

ان كان المومن ينظر بنور الله وفراسته صادقة فإن الرجل ماقتل زوجك ولا أمر بقتله ولاعلم عنده بمن قتله وإنما قتلته انت أو أمرت بقتله فاصدقيني والا قتلتك فاقرت وأخبرت بالواقع في الحين وكشف الغيب بعد البحث حقيقة الواقع. ومن ذلك أن الفقيه أبا عبد الله المسكيني ذكر أنه جلس يوما عند السيد عبد الواحد بن الهواري فقال السيد عبد الواحد ياليت السلطان نصره الله أرسلك ياسيدي الهواري تأتي بالابل من المغرب وبعثني لناتي بالعودات من الحياينة وبعث سيدي محمد بن عبد الرحمن للقبلة صحبة مولاي أبي النصر ولده، وكانوا في موضع خال من الناس ليس به غيرهم يسمع كلامهم وقبل أن يتعرفوا أرسل المترجم لهم وأمر كل واحد بالتوجه للمحل الذي تمنى وكانوا من قبل يخفون عليه أمورا لا يعلمها غيرهم فيخبرهم بها كأنه حاضر معهم فيتهمون بعضهم بعضا في افشاء سرهم له فزال عنهم بهذه القضية الارتياب. ومن ذلك ماحدث به أبو محمد المذكور من أنه جاء يوما لزيارة السلطان فوجده قريبا من ضريح أبي زيد عبد الرحمن المجذوب فحياه بتحية الامراء وهش السلطان في وجهه وبش فأراد أن يقترح عليه أن يأمر له بأشهى طعام يأكله والحياء يغلبه فبينما هو كذلك اذ أمر المترجم بعض خدامه وهو عبد السلام للذهاب معه للبيت وتقديمه له الغذاء المعد له للمترجم وتماديه على ذلك مدة مقام أبي محمد المذكور بالحضرة السلطانية ثم قال المترجم مخاطبا لأبي محمد بلغتُ من تكلم في نفسه مأموله قال المحدث فخجلت من ذلك وزدت يقينا على يقيني لما سلف بيني وبينه من سلوك تلك المسالك، الى غير هذا مما يطول وليس فيه ما ينكره الشرع بل ورد مايؤيده ان لم يكن في أمتي محدثون أي ملهمون فعمر منهم اتقوا فراسة المومن فإنه ينظر بنور الله وذلك فضل الله يوتيه من يشاء فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر.

الباب السادس
في سيره في جيوشه الوافرة

وأما سيره في جيوشه الوافرة المظفرة فقد كان على نظام عجيب واعتناء غريب ففي فاتح المائة الحادية عشر أصدر أمره العالي لعبيده بالاتيان بمن بلغ من أولادهم عشر سنين الذكور منهم والاناث فيفرق الاناث على نسائه بداره المصونة لتهذيب أخلاقهن والتأدب بالآداب السلطانية وتعلم أنواع الطبخ والخياطة وسائر الأشغال البيتية الملوكية، ويفرق الذكور على الصنائع والحرف البنائين والنجارين والحدادين والفلاحين وغير ذلك من أنواع الحرف الرائجة بايالته المغربية ويلزمهم ركوب الحمر تدريبا لهم على الفروسية فإذا بلغوا الحادية عشر من السن ألزمهم ركوب البغال التي تحمل الجير والآجر والزليج لمباني قصوره الفخيمة فإذا بلغوا الثانية عشرة ألزمهم بضرب المراكب وخدمة ألواح البناء تدريبا لهم على تحمل الاعباء الشاقة حتى لا تركن نفوسهم الى العجز والكسل والميل الى الراحة فإذا أكملوا الثالثة عشر دفعهم الى الجندية وكساهم ودفع لهم السلاح واشتغلوا بالخدمات الجندية وتعلم فنونها راجلين فإذا بلغوا الرابعة عشر دفع لهم الخيل دون سروج وألزمهم ركوبها في كل بكرة وعشي يتعلمون الكر والفر والسباق فإذا تمرنوا على ذلك وبلغوا الخامسة عشرة دفعت لهم السروج وألزموا تعلم الكر والفر والسباق والرماية عليها فإذا بلغوا السادسة عشرة صاروا من جملة الجند تجري عليهم الجرايات ويكتبون في الديوان ويزوجهم للبنات اللاتي جئن معهم ويدفع للرجل عشرة مثاقيل وللمرأة خمسة مثاقيل ويعين واحدا من آبائهم الكبار للرياسة عليهم يأتمرون لأوامره وينتهون بنواهيه ويدفع لذلك الرئيس ما يبني لهم به الدور والنوائل ويوجه بهم لمشرع الرملة، ولم يقتصر في تأديب أولاد جنده البنات وتعليمهن مايلزم من أشغال البيت بل كان يقربهن ويبذل غاية جهده في رقيهن وتقدمهن في الصنائع والآداب والاخلاق ويوزعهن على ذوي الحيثيات العارفين بالتربية والاداب الملكية، وقفت على ظهير كتبه لخديمه الطاهر معنينو وكافة أهل سلا يحضهم على تربية

وتأديب آماء وجههن لهم وهو أكبر شاهد على ماقلناه، دونك لفظه ومن أصله نقلت الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الكريم بداخله اسماعيل ابن الشريف الحسني الله وليه وبدائرته العز والاقبال وبلوغ الآمال خديمنا الطاهر معنينو وكافة أهل سلا سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد فإن أولائك الاماء الذين بعثنا لكم على يد خديمنا الأنصح الحاج محمد معنينو بقصد التعليم والقراءة والادب والخياطة والرقم والطبخ وغيره فاتهلاوا[1] فيهم واحتزموا معهم بما أمرناكم به فإنه لولا ثقتي بصاحبكم وكبيركم خديمنا الحاج محمد معنينو ما بعثناهم اليكم فكان من حقكم ان تشكروا الله على نعمه التي أولاكم على يد عبده وتحتزموا في تعليمهم وتربيتهم ولايدع أحد منكم واحدة للخروج من غير فائدة ومن كانت عنده أمة منهم وتركها للخروج أو من غير تربية ولافائدة ولاأدب نقطع رأسه، وأدبوهم وأحسنوا تاديبهم وكونوا مثل أخيكم وكبيركم في الثقة والمحبة في خدمتنا وطاعتنا والسلام كما نامر خديمنا الطاهر أن يرسم كل أمة باسمها وسنها على من هي عنده ويحرضه على تعليمها وأدبها بالعدول وكل من ضاعت عنده أمة لتفريطه لها وقلة المبالاة بها نقطع رأسه ونحفر جذره والسلام في رابع ربيع النبوي المبارك المفضل عام سبعة وثلاثين ومائة وألف هـ. لفظه وعلى هذا جرى عمله مع جنده ومماليكه كل سنة الى أن ختمت أنفاسه. وقد بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا : ثمانون ألفا متفرقة في قلع المغرب لتوطيد الأمن وقمع عتاة القبائل المتمردة وسبعون الفا بالمحلة يركبون كأنهم رجل واحد وينزلون كذلك لايبالون بالملاحم العظام ولايكترثون بالموت الزؤام ولايقيمون لأبطال العتاة وزنا ولو بلغ عددهم ما بلغ. وكان السلطان هو الذي يتولى استعراضهم بنفسه ويعرف كل واحد منهم بعينه واسمه ونسبه ويدفع لكل واحد منهم راتبه يدا بيد **قال** في الدر المنتخب وهذا الجند الذي **جمعه مولانا**

---

(1) تهلاَّ : بالعامية المغربية تعني خذ بالك، يعني اعتنوا بهن... د. التازي : العامّي والفصيح بحث ألقاه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته لعام 1990.

اسماعيل من نوع واحد من المماليك لم يسمع من جمعه انتهى **قلت** وقد وجدنا العمل في المماليك الارقاء وأبنائهم لازال جاريا على بعض ماذكر، ففي حاضرتنا المكناسية يوجد محل خاص بسكناهم لايشاركهم فيه غيرهم وهو المحل المعروف بباب مراح جوار قصر المحنشة السعيدة أحد القصور الملوكية، ولكل وصيف دار يسكن بأهله وأولاده وكل من بلغ ولده الرابعة والخامسة من عمره يدفع لرئيس الطواشيين المكلفين بحراسة الدار العالية فيعرفهم على اخوته سدنة الأعتاب السلطانية المخصيين يؤدبونهم ويهذبون أخلاقهم ويربونهم على الأشغال المخزنية، وربما دفعوا للكتاب من تفرسوا فيه النجابة وقابلية التعلم فإذا بلغوا الخامسة عشر من السن يقدمون للخدمات السلطانية، منهم من يستعمل في الجندية وهم الحرس المولوي، ومنهم من يدرج في حرفة الجزارين الخاصين بالجناب المولوي ومنهم من يجعل في عديد خدمة الاروى[1] السلطاني ومنهم من ينظم في سلك المكلفين القيمين على خدمة الأخبية الملوكية وهم المعروفون بالفرايكية، ومنهم من يجعل في سلك أصحاب الوضوء السلطاني ومنهم من يستعمل في خدمة الأجنة الخصوصية وهكذا، أما البنات فمنهن من يدخل للقصور السلطانية ومنهن من يبقى لدى والديه إلى أن يتزوجن ومن توقف الغرض المولوي عليها منهن استعملها فيه، وبفاس المحل المعد لهم هو دار دبيبغ، وبمراكش باب أحمر، ولم يزل العمل جاريا على ماذكر إلى أن أفلت شمس الدولة العزيزية فاختل ذلك النظام وتفرقوا شذر مدر ولم يبق منهم بالمحل المعد لسكناهم بمكناس ومراكش غير نزر قليل كاد ان يعد على الانامل ووقع فيهم الدخيل أما فاس فلم يبق لهم محل يعرف لسكناهم.

---

(1)الأروى : الاسطبل

(1681 — 1092)
الباب السابع في فتوحاته

قد فتح الله على يد هذا الامام العظيم المقدار عدة مدن بالقطر المغربي استسلمها من يد النصارى بعد أن عمروها سنين عديدة من ذلك ثغر باديس من ثغور الريف على يد قائد تطوان البطل المجاهد المرابط المشاغر السيد عبد الكريم الخطيب فتحه عنوة في شهر رمضان عام واحد وتسعين وألف وأسر من كان به من الاصبان ووجههم لمكناسة الزيتون كما قاله بعضهم. وقد قال الاديب الشاعر الاريب السيد أحمد مُرْصَى قصيدة في إيقاع الخطيب بنصارى باديس تذكر لفائدتها التاريخية على ما فيها وأصلها عند الفقيه المؤرخ السيد محمد بن علي الدكالي. ومن ذلك فتح المعمورة المعروفة في العصر الحاضر بالمهدية كان أخذها الاصبان من يد المسلمين في حدود العشرين بعد الالف الى أن أجلاهم منها صاحب الترجمة واحتلها بجنوده المظفرة سنة اثنين وتسعين وألف، قيل كان فتحها بقتال وقيل بدون قتال قال الأسير مويت الفرنسي جاء نفر من اصبان المعمورة لحضرة السلطان فاسلم واخبر السلطان بأن عساكر الاصبان الذين بالمعمورة أضر بهم الجوع وأوهن قواهم الى أن صاروا يموتون بسببه وأنه إن اغتنم هذه الفرصة وغزاهم استولى عليهم بدون أدنى مشقة تلحقه، فأمر السلطان عامله عمرو بن حدو بتجهيز جيش ينتظم من أهل فاس ومكناس وتطوان وسلا وكبر مدينة القصر والزحف به على المعمورة وأمره بمنع الناس من السلوك في السبل الموصلة للاصبان لكي لا يشموا رائحة لهذا الخبر قبل وصول الجيش اليهم فامتثل أمره وتوجه الى أن وصل الى معقلي العسة قرب المعمورة وصعد اليهما بالسلاليم فوقعت مناوشة مع تلك العسس مات فيها من المسلمين خمسون نفرا ثم غنمت عساكر تلك المعاقل وكان عددها اثني عشر ألفا، فلم يقابلهم القائد عمار بما يروع ووجههم الى رئيس المعمورة بالسلم والأمان ان سلموا له البلاد بدون مقاومة والا فإنه لايبرح عليهم الى أن يأتي السلطان وإنه لايفلت أحدا منهم من القتل، كان عدد عساكر المسلمين اذ ذاك

عشرة آلاف فلما وردوا على كبيرهم بالمعمورة وأخبروه الخبر قضى العجب من تسريح المسلمين لهاؤلاء الذين كانوا بتلك العسس فاستحسن البعض ذلك الشرط وارتضاه لما لحقهم من تفاحش الضرر وفقد الراحة ومال لاستحسان هذا البعض الرئيس والبعض الآخر أبى ذلك ولكن لم تنفع تلك الاباية، ثم جاء الرهبان الذين كانوا هناك يبكون ويشجعون جندهم ويغرونهم على عدم الجنوح للسلم ويذكرون لهم عظمة ملكهم بمدريد وأنهم حتى اذا أسروا فإنه في مقدرة ملكهم استلامهم بالقهر والقوة. وأما المسلمون فإياكم والاغترار بقولهم لأنهم لاعهد لهم ولاريب إنهم ياسرونكم ويقابلونكم بما يقابلون به غيركم من الاسارى من الشدة والتكليف بعظيم المشاق ويصيرون بيعكم وصوامعكم مساجد لديانتهم وإنكم ان متم علي دينكم ربحتم الجنة والا ربحتم النار والهلاك دنيا وأخرى وربح الآخرة خير من ربح الدنيا على أنكم ان مكنتموهم من أنفسكم صار نساؤكم وبناتكم عبيدا لهم وذلك عليكم عهدته في الآخرة فلم يجد ذلك كله في العسكر وصمموا على عدم القتال، فلما رءا ذلك عاملهم نصب علما أبيض دلالة على طلب الصلح فوجه اليهم القائد عمار لما رءا العَلَم يستفهم عن مرادهم فأجابوه بطلب المفاوضة في شروط الصلح على وجه لامضرة فيه فتوجه حينئد قبطانان للمفاوضة مع القائد عمار في ذلك وقدما بين يدي نجواهم هدايا فعقدا معه صلحا على : أن عامل المعمورة وأهله وأقاربه وأمتعته تكون حرة ومثل ذلك يكون لقباطين ستة وراهب وحُلَل الكنيسة وحلاها ويذهب العامل ومن استثني معه يتوجهون في أمن لطنجة وحينئذ يستولي المسلمون على المعمورة ويكون من بقي بها في أسره، فأجابهم القايد عمار لذلك على أن يحضر السلطان ويمضي ذلك بنفسه ثم كتب حينا يعلم السلطان بذلك فجازي السلطان حامل هذا الكتاب اليه بمائة لويز ذهبا ثم ركب السلطان حينه في خيله ولم يسترح في طريقه حتى وصل المعمورة صباحا وبوصوله امضى الصلح وخرج رئيس المعمورة وقباطينها الستة لملاقاته فقبلوا انعامه ووضع السلطان وقتئذ يده على رؤوسهم ثم أمر الرئيس بإخراج ما في المعمورة من الجنود ليدخلها

ففعلوا ودخلها المسلمون فوجدوا بها ثمانية وثمانين مدفعا نحاسية وخمسة عشر مدفعا حديدية وعدة كثيرة حربية تزيد على ماكان بيد السلطان قبل هذا الفتح وغير ذلك من الدخائر التي حملت للسلطان حين عاينها على أن سجد لله شكرا وأعلن في ايالته باستغراق ثمانية أيام في الابتهاج بذلك والسرور وإقامة الأفراح، ثم لما طلب الرئيس التوجه لطنجة امنا كما اشترط في صلحه أمره السلطان أن يجعل طريقه على العرائش لكونها في يد الاصبان اذ ذاك فلم يسعه الا الامتثال وهو كاره لذلك فلما وصلوا العرائش قبضوا هناك بأمر واليها الاصباني ووجهوا لبعض مدنهم ليقضي فيهم سلطان الاصبان بنظره والمدة التي تملك الاصبان فيها المعمورة ودامت تحت ملكهم ست وستون سنة قال وكنت في هذه الوقعة بتطوان في جملة سبع وسبعين أسيرا ممن من عليهم مولاي اسماعيل بالفكاك ومعهم الرهبان الذين باشروا أمر تسريحهم : بيير مونيل وبيرنار ميح وإنياص بيرنيد(1) هـ. مترجما بقلم أستاذ المدرسة الفرنسية بزرهون السيد القاسمي الواسطي. والذي قال غيره في هذا الفتح أنه لما كان العام المذكور رشح المترجم لرياسة الجنود الموجهة لحصار المهدية خديمه الأنصح أكبر قواده وأكثرهم شجاعة ونجدة وحزما وعزما وتدبيرا وإقداما القايد عمار عمرو بن حدو الريفي وأمره بالزحف إليها والتخييم عليها فخيم عليها بجنود لاقبل بها للكفرة الذين عمروها وأصبحت المتطوعة تنسل إليه من كل حدب ثم زحفوا على القبيبات والفندق الذي كان فيه ذخائر النصارى وحالوا بينهم وبين المواد التي كانت تصل إليهم من المرسى ومنعوهم من البيئر التي كانوا يسقون منها فضاقت بهم الأنفاس وكاد التلف أن يستأصلهم بالعطش وقذف الله في قلوبهم الرعب ولما رأى المسلمون اعلام الفتح والنصر بادية طيَّروا الاعلام للسلطان ليشير عليهم بالكيفية التي يكون عليها عملهم في الفتح فجهز جيوشه المظفرة بمجرد وصول الخبر السار اليه ووصلهم بالصلات الضافية ونهض من عاصمته ومستقر عرش

---

(1) وقعت أخطاء عند انتساخ هذه الأسماء، والصواب هذا : Pierre Monnel. Bernard Mège, Ignace Bernède

مملكته يوم الاثنين وحل بجيوش الرباط على المهدية عشية يوم الثلاثاء وخيم بالمحل المعروف بام السمر وضربت فساطيطه وقبات قواده وسائر جنوده بتلك البطاح الفيحاء من البحر إلى البحر، وفي صبيحة يوم الأربعاء سار بنفسه وباشر الرمي بيده، ولما عاين النصارى من تسديد الرمي واصابة السهام وتواصل الهجمات بكل اطمئنان ونشاط ما لم يعاينوه قبل ذلك اليوم و لم يكن لهم في حسبان اشتدت حسرتهم وتزايد وجلهم وتيقنوا أن حصونهم الحصينة لم تغن عنهم من الله شيئا وخافوا أن يأتي الموت على آخرهم فعند ذلك استسلموا للأمير وألقوا اليه الانقياد وفتحوا المدينة وخرج القسيسون يطلبون الأمان من القتل لمن بقي من النصارى فأمنهم من القتل دون الأسر ودخل السلطان في ذلك اليوم بنفسه المهدية وهو حادي عشر ربيع الثاني عام ألف واثنين وتسعين. والذي في نشر المثاني أنه فتحها عند صلاة الجمعة بعد يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الثاني المذكور هـ. **والذي في بعض الدواوين أن السلطان أمَّن رئيس النصارى ومن معه وكانوا ثلاثمائة ونيف هـ. فائدة** سميت هذه المرسى بالمهدية لأن الذي بناها هو المهدي الشيعي على يد بعض عماله، وبعد فتح المهدية جمع السلطان كل ماكان بالمدينة وأمر بإخراج الخمس على الوجه الشرعي وعين لحيازة أربعة أخماس أمناء ووقعت المزايدة في ذلك إلى أن وقف على آخر زائد من غير بخس ولامحاباة، وقسم بين المجاهدين وفق الحكم الشرعي وحاز السلطان سائر الآلات الحربية من انفاض وبارود وغير ذلك بعد تقويمها تقويم سداد وصلاح لاضرر فيه ولاضرار، ثم رجع السلطان لعاصمة ملكه منصور الراية مظفرا الجنود وجاء بالاسارى معه على ماقاله بعضهم وكان عددهم ثلاثمائة وعشرين والله تعالى اعلم بحقيقة الواقع. ولما تم أمر فتح المهدية واستولى المترجم على عرش مملكته أمر القائد عمرو المذكور بالرحيل عنها والسير لحصار ثغر طنجة فتلقى الأمر العالي بالسمع والطاعة ونهض لحصارها في جنود كرارة لاتبالي بالموت الزؤام ولا اقتحام المعارك العظام منتظمة تلك الجنود من العساكر والمتطوعة فنزل عليها وحاصرها حصارا شديدا الى أن فتح حصن مرشان منها وهدم بعض أبراجها وضرب سورها ثم ترك

عمار المذكور القائد علي بن عبد الله الريفي على حصارها ووفد هو على السلطان لمكناسة بهدية سنية فمات بها قيل مسموما وقيل غير ذلك ودفن بضريح المولى عبد الله بن حمد خارج باب البراذعيين أحد أبواب المدينة فولى السلطان مكانه خليفته القائد علي بن عبد الله الريفي على بلاد غمارة والقصر الكبير وتطوان وغير ذلك وأسند إليه النظر فيما كان إلى نظر القائد عمار بل زاده سعة في الايالة وتفويضا في الامر جزاءا لاخلاصه في الحب والنصح فشمر على ساق وشدد الحصار ووالى الهجوم والقتال وجعل الفتح نصب عينيه وصيره ضالته المنشودة بعزم لا يطرق ساحته كسل ولاملل والسلطان يوالي عليه الامداد بجيوش المسلمين الى أن هم بتوجيه الفقهاء والشرفاء وذوي الحيثيات حتى انه في يوم الأحد السادس من المحرم فاتح العام أعلن النداء بفاس بخروج العلماء والاشراف والمرابطين للجهاد في سبيل رب العالمين، وقد أصبح في ذلك اليوم عامل البلاد مريضا ومن الغد شفاه الله وخرجوا كغيرهم في لفيف المسلمين ولم تزل الجيوش تفد على القائد علي للرباط معه بكل قوة واستعداد ونجدة ونشاط الى أن سدت في وجوه الاعداء سبل النجاة ولحقهم من الرعب والفشل بسبب ذلك مالم يلحقهم من الرمي بالقنابل والنبال وطلبوا الخلاص ولات حين مناص، فعمد النصارى إذ ذاك إلى دور طنجة وهدموها كما هدموا كل محل تهم في نظرهم، وتركوا طنجة بلاقع وركبوا سفنهم وفروا ناجين بأنفسهم ودخل المسلمون طنجة يوم الجمعة فاتح ربيع الأول من العام وأمر السلطان القائد علي الفاتح المذكور باستعمار ذلك الثغر واستيطانه مع القبائل المجاورة له وأن يبني ما انهد من الأسوار والمعاقل وإصلاح ما فسد من الدور وتأسيس المساجد والمبالغة في تحصين الثغر من كل جانب وكتب له نصه : بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطاني اذنا لخديمنا الارضى الانصح الاحضى القائد علي بن عبد الله أن يجوز ما يكفي المخزن من بلاد فحصن طنجة التي فتح الله على أيدينا ويجوز ما يكفي المسجد لاحباسه وما يكفي الصور لاحباسه ويختار في ذلك ما يليق به ومايرتضيه من البلاد الطيبة وكذلك داخل مدينة طنجة يجوز فيها ما يكفينا المجاور للقصبة المعروفة

للمخزن وما يبقى بعد هذا داخل المدينة وخارجها. اذنا التام الشامل العام دون معارض ولا منازع واذنا لمن طالع طابعنا الشريف من الثضاة والفقهاء والعدول أن يرفع على هذا الامر ويمضي من فعله خديمنا القائد على بن عبد الله ويملك جميع من اشترى شيئا مشتراه بالتملك الشرعي التام فحسب الواقف على أمرنا هذا العمل بمقتضاه والابرام عما أنفده هذا الحكم وامضاه والسلام وفي الرابع عشر رجب الفرد الحرام عام خمسة وتسعين وألف هـ فامتثل القائد المذكور جميع ماأمر به وقام في ذلك على ساق وبنى الأسوار والمعاقل بناءا محكما وأصلح كل ما فسد من الدور وغيرها وأسس المسجد الأعظم ومناره ثم مسجد القصبة القديمة وفي أواخر ربيع الأول رجع لفاس من كان خرج منها لفتح طنجة من الأشراف والفقهاء والأعيان، وحيث كان القائد المذكور يبني سور المدينة وحصونها جاء مركب حاملا أموالا طائلة وذخائر حربية وغيرها وبضائع لامداد أهل سبتة فحرَّث بغربي طنجة وحارب المسلمون أهله حتى أسروهم واستولوا على جميع مابه ومن جملة ماغنموا به انفاض نحاسية عظيمة الجرم عالية الأثمان عوض الله بذلك على المسلمين ماأتلفه النصارى بطنجة، ولما بلغ علم المترجم تفاصيل تلك الغنيمة الباردة كلف غمارة بنقل تلك الأنفاض المذكورة لثغر تطوان وذلك أوائل جمادي الأولى من العام وبقيت في عهدة أهل تطوان يحرسونها. وفي رجب عامه خرج أربعون من رماة فاس للاتيان بتلك الانفاض لمكناسة فجاؤوا بها وأوصلوها مكناس بعد أربعين يوما وهذه هي الرواية الصحيحة في أن المتولى بعد القائد عمار هو القائد علي، وفي رواية أن المتولى بعده هو أخوه أحمد بن حدو وأن القائد عمار مات قبل فتح طنجة والله أعلم. وفي سادس عشر صفر كسفت الشمس ثم خسف القمر ووقعت زلزلة ثم أخرى ثم أخرى في أيام، وفي هذا العام توفي حكيم الاسلام واضح البركة ونخبة الاعلام مخترع الكرة في علم التوقيت سيدي محمد بن سليمان الروداني قال أبو سالم أثناء ثنائه عليه ووصفه هذه الكرة وهي التي تغني عن كل آلة تستعمل في فني التوقيت والهيئة مع سهولة المدرك لكون الاشياء فيها محسوسة والدوائر المتوهمة في الهيئة والتقاطع الذي بينها مشاهد فيها في سائر

البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها وحاصل القول فيها أما الوصف لايكاد يحيط بها ولايعلم قدرها ومزيتها الا من شاهدها هـ. وفي آخر شوال عام إحدى عشرة مائة أمر بحصار ثغر العرائش فأنهض الباشا علي بن عبد الله الريفي وأحمد بن حدو وعبد الله الروسي لذلك وقد كان سلمها للنصارى الشيخ السعدي بن أبي العباس أحمد المنصور في قصة طويلة وذلك عام ألف وثمانية عشر وعقد المترجم لمن ذكر على جند عظيم جرار منتظم من الموالي والعبيد وأمرهم بالتخييم عليها بعدوتي المصب في البحر من الناحية الشرقية فامتثلوا أوامره المطاعة بكل نشاط وعزم وحزم وضيقوا عليها وقطعوا عنها سائر المواد الواصلة إليها ولم يزالوا محاصرين لها والحرب بينهما سجال الى أن دخل عام واحد ومائة وألف واشتد القتال وضاق النطاق بالكفار وحفر جيوش المسلمين خنادق تحت سور المدينة من ناحية المرسى وشحنوها بالبارود بإشارة من المترجم وأوقدوا النار بتلك الخنادق فانهد بسبب ذلك جانب من سورها الحصين واحتلها جيش الاسلام وتحصن من كان بها من النصارى بحصن القبيبات والبساتين التي بناها المنصور السعدي فحاصرهم المسلمون بها يوما وليلة على ما في نزهة الحادي وهو الحق خلافا للزياني ومن تبعه في أن تحصنهم دام سنة كاملة ووقعت بين الفريقين ملحمة عظيمة كان النصر الأخير فيها حليف المسلمين غنموا منها من الأنفاض نحو مائة وثمانين منها اثنان وعشرون من النحاس والباقي من الحديد يسمي البعض منها القصاب طوله خمسة وثلاثون قدما ووزن كرته خمسة وثلاثون رطلا وأموالا طائلة وأمتعة لاتحصى كثرة وأسروا نحو الألفين وقتلوا اثني عشرة مائة وكان هذا الفتح يوم الأربعاء الثامن عشر من المحرم الحرام فاتح عام واحد مائة وألف فتكون مدة الحصار على هذا شهرين وثمانية عشر يوما لا غير، ولما فتحت العرائش أمر أهل الريف باستعمارها وأمر ببناء مسجدين بها ومدرسة وحمام ودار له بقلعتها ثم أمر السلطان بنقل أولئك الأسارى لعاصمته المكناسية فنقلوا إليها **قال** في نشر المثاني إنه منَّ على كبيرهم ليعلم من وراءه بقوة جيوش المسلمين، وعند غيره ان الفتح كان في ذي الحجة تمام العام وجه النصارى سفيرًا لحضرة السلطان يطلب

فداء مائة أسير فشرط عليهم تسريح خمسمائة من المسلمين واعطاء خمسة آلاف كتاب وأموالا باهضة فقبلوا الشرط والتزموه وبعث السلطان من أعيان كتابه من يختار الكتب والأسارى ولما مكنوه مما اشترط سرح المائة أسير التي راموا خلاصها وقد زعم النصارى أن فتح العرائس كان صلحا وطلبوا اعمال الشرع معهم في ذلك فأجابهم السلطان لما طلبوا وقوفا مع العدل والانصاف اللذان عرف بهما عند الحبائب والأعادي ورفع القضية لقاضي حضرته أبي عبد الله المدعو أبا مدين السوسي الأصل المكناسي الدار وأمره بالنظر في القضية وبيان مااقتضته فيها نصوص الشريعة المحمدية فسمع وأطاع **وألّف** في ذلك تأليفا انفصل فيه على أن الاسر لازم وادحض دعوى المنازع في ذلك.
ووقفت على نسخة رسم منتسخ بخط العلامة ابي العباس أحمد بن مبارك السجلماسي صريح في ان العرائش فتحت عنوة وأن فتحها على طريق الصلح لم يعرف إذ ذاك عند المسلمين وإنما هو تشغيب قام به الأصبان وواصلوا بهرجته. ونص ما وجد الحمد لله الذي رفع منارة الدين واعلا كلمة الاسلام بخلافة أجل خليفة، وامامة أفضل إمام، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة الأصفياء ومسكة الختام والرضى عن جلة الصحب وخيرة آل الذين هم اللالىء النفائس ونفائس اللئال وإن الله سبحانه وتعالى لما امتن على المسلمين بتوافر المواهب والفتوحات وتضافر متوالي عظيم الفتوحات بعناية من اصطفاه الحق لنصرة دينه وحماية ملة حبيبه المعظم وأمينه مولانا المؤيد الأصيل سلطان السلاطين المعظمة مولانا اسماعيل أبقى الله لنصرة الاسلام وجوده، وجعل فيما يقربه من الله ويدنيه من رضوانه قيامه وقعوده آمين **وكان** من أعظم الفتوحات التي ادخرها الله له واختصه بجزيل ثوابها فخامة وفخرا وأرفعها في الملا الأعلى ذكرا فتح مدينة العرائش والاستيلاء على جميع من كان بها من بغاة الطغاة وعتاة الغزاة والظفر بجميع مااحتوت عليه من آلات الحروب والمدافع المختلفة الأشكال المنوعة الضروب وغير ذلك من الأثاث والأمتعة المنفردة الصنف والمنوعة حضر مقدم الجند المؤيد وأميره خادم الأمرة وقائدها الأنصح القايد علي بن عبد الله الريفي في عدة من وجوه المجاهدين

وأعيان القبائل ورؤساء الأجناد، فمنهم مقدم الأشراف بأحواز القصر سيدي حسين بن عبد السلام والشريف سيدي موسى الجرفطي والمقدم أحمد العاقل الانجري والمقدم محمد بن يدير اليدري والمقدم ابراهيم الشط وابن عمه المقدم عبد السلام والمقدم احمد الزربوح الوادراسي والمقدم حمود الساحلي والمقدم علي بن الليف المصوري والمقدم علي النحوان الساحلي والمقدم الهواري نائب مجاهدة القصر والباشا محمد بن الأشقر نائب أهل زرهون والكاهية عمر البيروري نائب أهل مكناسة والحاج أحمد الأبار نائب أهل فاس والفارس ناصر السوسي مقدم خيل عبيد الدار العلية بالله والمقدم عبد الله بن غانم مقدم طائفة من رماتهم والشيخ العياشي مقدم خيل القواد، وأشهدوا جميعا على أنفسهم أنهم انفذوا البيع وأمضوه في جميع ما اشتملت عليه غنيمة العرائش المذكورة لمولانا المنصور المؤيد بالله سابقا فضله الأوفر حباه الحافل طوله بثمانية عشر ألف مثقال فضة الباقي من جملة العدد بعد إخراج خمس الجانب الأسعد أربعة عشر ألف مثقال وأربعمائة مثقال أشهد القائد علي بن عبد الله المذكور أنه توصل بجميعه ليصرفه في مصرفه وقسمه على مستحقه شرعا فدفع لمن عدا حوز القصر وجميع الفحص مايجب لهم قبضوه معاينة حسبما تضمن تفصيل ذلك رسم هو بيده غير هذا والباقي هو تحت يده الى أن يصرفه لأحواز الفحص ويتوصل به هناك مجاهدة المحل المذكور وبسبب ذلك ومن أجله تملك مولانا المؤيد جميع ما اشتملت عليه الغنيمة المذكورة وبرئت ذمته حفظه الله من جميع الثمن المذكور أتم ابراء هـ. ما عثر عليه بخط أبي العباس بن مبارك المذكور، ثم في عام اثنين ومائة وألف بعد فتح العرائش والفراغ من أمرها، أمر بالربط على أصيلا فنزلت عليها الجيوش الاسلامية وحاصروها نحو سنة ولما أيقن بالعجز من بها من النصارى وعلموا أنه لاطاقة لهم بالمقاومة والدفاع. ركبوا ليلا سفنا كانت معدة عندهم للفرار وهربوا فاحتل المسلمون المدينة وأمر السلطان أهل الريف باستعمارها فعمروها وبنى قائدهم بها مسجدين ومدرسة وحماما ودارا بقلعتها، وفي عام ستة ومائة وألف أصدر المترجم أمره للباشا علي بن عبد الرحمن الريفي والقايد أحمد بن حدو

النسب بالنهوض لحصار سبتة فخرجا يوم الأحد سابع عشر صفر في جيش عرمرم تتلاحم أمواج أبطاله فبلغ عدده خمسة وعشرين ألفا دون المتطوعين وكثير ماهم فنزلوا عليها وجعلوا جبالا عظيمة من التراب أشرفوا منها على المدينة ونصبوا عليها المدافع والمهاريس ووالوا رمي البلد وضيقوا بمن بها ومنعوهم من الخروج منها ودام حصارها مدة مديدة وسنين عديدة حتى تطرقت التهمة في أمراء الجيش المحاصر بعدم النصح خوفا من توجيههم بعد فتحها للبريجة المعروفة في العصر الحاضر بالجديدة بقصد حصارها ! ثم بدا للمترجم اصدارُ أمره العالي لعلي ابن عبد الله أن يذهب لثغر بادس بالريف فلم يسعه الا الامتثال وسار اليه في محلة أخرى وهيئت له من غير الجيش المحاصر وذلك في شعبان عام ثلاثة عشر ومائة وألف وخيم على بادس لثلاث خلت من رمضان في قبائل الريف لم يتأخر عنه منها غير الصبيان والنساء وقد كان النصارى بنوا قرب باديس معقلا عظيما وشحنوه مدافع ومهاريس ليتسنى لهم الحراثة ورعى المواشي وكانت عسسهم النازلة به تتحين الفرص لنهب ماوجدوا السبيل إليه من أموال جيرانهم ولو الحطب ولايجد الجيران لهم سبيلا لتحصنهم في ذلك المعقل الحصين فأحدقت بهم الجيوش من كل جانب وحالت بينهم وبين كل واردة إليهم ودخل المسلمون ليلا تحت رماية ذلك الحصن ونصبوا السلاليم على سوره واحتلوه بعد معركة مات فيها عدد من المسلمين ووضع من كان به من النصاري ما كان بيدهم من الأسلحة وسباهم المسلمون وغنموا عددهم وعُددهم وهدموا ذلك الحصن عن الأمر السلطاني وبعث القايد علي لجلالة صاحب الترجمة بالسبي ثم ترك خليفته البرنوصي على باديس في جيش حفيل متنظم من أهل الريف وغيرهم من المتطوعة ورجع هو لحصار سبتة ولم يزل محاصرا إلى أن نقله الله اليه عام خمسة وعشرين ومائة والف فولى السلطان مكانه ولده الباشا أحمد رعيا لنصحه وصدق خدمته وفوض له في كل ما كان بيد والده، وقد كان لنصارى سبتة استعداد عظيم ومع ذلك أوهن المسلمون قواهم حتى طمع فيهم ضعاف أجناس النصارى إذ ذاك واستولى الانجليز لهم على جبل طارق وغيره مما هو مسطور في صفحات التاريخ

ولما ضاق بهم المتسع اعتنق عدد عديد منهم الاسلام وعمر المترجم بهم جملة من قصباته وأفضي الأمر بهم لعزل ملكهم كرلوس وتولية فليب وكان من أبطالهم فأظهر عند توليته قوة وحالف غيره من الأجناس وطلب امدادهم ومعونتهم فأعانوه بأربعة ملايين، وهي ماهي إذ ذاك، حتى ان النساء منهم كن يخرجن حليهن ويقدمنه له إعانة في سبيل ماحل بهم وجهز جيشا كثيفا ووجهه لسبتة ولما بلغ ذلك علم السلطان جهز جيشا عرمرما جرارا من أبطال العبيد البالغين من المهارة في الرماية والكر والفر والتفنن في الفنون الحربية حدا لا يمكن الوصول إليه فطووا المراحل وواصلوا السير نهارهم بالليل إلى أن لحقوا جيوش الرباط على سبتة فصادفوا زحف جيوش النصارى على الجيوش الإسلامية بكل مالديهم من قوة واستعداد، ثم ان الجند الذي كان لايفارق السلطان من عبيد البخاري اختاروا الفا من أبطالهم وطلبوا من السلطان موافقته على توجيههم لإعانة إخوانهم فارتاحت نفسه لذلك وسر وشكر صنيعهم وحبذ فعلهم وساعدهم على ذلك.
ولما رءا النصارى استرسال ورود المدد وتواصل الإمداد من جانب السلطان لجيوش الرباط اشتدت حيرتهم وبارت حيلتهم وأداروا خندقا لمحالهم ولم يتركوا بابا من أبواب الاحتياط من جيوش الإسلام الا وولجوه، ثم وقعت معركة بين الجيشين تلفت فيها صناديد الكفار وكاد القتل أن يستأصل شافة بقيتهم وولوا الأدبار منهزمين مابين جريح وقتيل وحصل للمسلمين الإطمئنان وصار النصارى يضربون الأخماس في الأسداس لتدبير حيلة توصلهم لأخذ ثأرهم من المسلمين على حين غفلة منهم فجمعوا جيشا ذا بال وأظهروا أنهم يريدون به بلاد بعض النصارى وحفروا سردابا في أعماق الأرض وشحنوه بارودا وهجموا على المسلمين فقابلتهم الجيوش الإسلامية وردتهم على الأعقاب ناكصين فولوا الفرار منهم واقتفى المسلمون أثرهم. ولما وصل العبيد السرداب أوقد النصارى به النار فانقلب الأسفل على الأعلى وهلك خلق لايحصى ووقعت فتنة عظيمة في المسلمين واستولى النصارى على محلتهم وعلى دار القايد على بن عبد الله ونهبوا وقتلوا واستولوا على مكامن جيوش المسلمين وحصونهم وذلك عام ثلاثة وثلاثين ومائة

والف. ولما بلغ ذلك علم السلطان أعلن النداء في سائر رعيته فأتى المسلمون من كل ناحية وساروا لإعانة إخوانهم وتعزيزهم وتقويتهم بساحة القتال وأوقعوا بالنصارى وقعة شنعاء وأخرجوهم مما احتلوه من محال المسلمين وسلبوهم كل ما استولوا مما كانوا أخذوه من المسلمين وبقي بيد جيوش الإسلام من قتلى النصارى نحو ثلاثة آلاف قتيل وبقي الحصار على سبتة إلى أن مات السلطان صاحب الترجمة ولم يكن في الأزل فتحها على يده وإن واصلت جيوشه قتالها طبق أوامره بجد واجتهاد وأوقعوا بها وبإهلها وقائع شنيعة حفظ التاريخ أثرها وقص خبراها. حكى العلامة الثبت الأديب الناظم الناثر السفير أبو العباس أحمد الغزَّال في رحلته أنه رأي بأحد أبواب سبتة خرقا قديما لم يصلح فسأل عنه فقيل له انه من آثار الرمي الذي كان يرميه الجيش الإسماعيلي وهو اثر كرة حرقت الباب ونفذت إلى داخل البلد تركناه على حاله ليعتبر به من يأتي بعدنا ويزداد احتياطا وحزما هـ. وما أجدر وصف جيوش صاحب الترجمة بقول عبد الجبار بن حمديس في وصف حروب قومه وشجاعتهم :

أناس إذا أبصرتهم في كـريهة	رضيتَ من الأساد من كل غاضب
إذا سكتوا في غمرة الموت انطفوا	على البيض بيض المرهفات الغواضب
ترى شعل النيران في حجب الظبا	تذيق المنايا من أكف المواهب
أولائك قوم لايخاف انحرافهم	عن الموت إن حامت أسود الكتائب
إذا ما غزوا في الروم كان دخولهم	بطون الخلايا في بطون السلاهب
يموتون موت العز في حومة الوغى	إذا مات اهل الجبن بين الكواعب
حشوا من عجاجات الجهاد وسائدا	أعدت لهم في الدفن تحت المناكب

هذا، ولما نقل الله المترجم إليه، اختل النظام وضربت الفوضى أطنابها وانقلب الرؤوس اذنابا والأذناب رؤوسا ووسِّد الأمر لغير أهله ووهت رابطة التعاضد وانتشر نظم تلك الجموع ووقع التنازع واستولى الفشل والكسل وتفرق الجيش شذر مذر ولم يبق في مقابلة سبتة غير القبائل المجاورين لها ليقضي الله أمرا كان مفعولا.
وأما مقاومته برد الله ثراه الثوار القائمين عليه في داخل ايالته حتى

أولاد صلبه من يوم استوائه على عرش الملك وغزوه كذلك أهل العيث والزيغ والفساد من البرابر وغيرهم وفتحهم معاقلهم وكسره شوكتهم واستيصاله شافتهم حتى مد الأمن أطنابه في البلاد وساد في الحواضر والبواد فشيء أوضح من الشمس الضاحية ودونك بعض الوقائع باختصار. فأول حرب وقع في الداخلية حرب أهل مراكش ومن انضم إليهم من القبائل الحوزية والسوسية المتعصبة عليه القائمة بدعوى ابن أخيه أبا العباس المولى أحمد بن محمد بن مولانا الشريف بعد موت السلطان المولى الرشيد فإن المترجم لما بويع له بعد وفاة أخيه الرشيد المذكور وفرغ من شأن الوفود التي كانت تفد عليه من حواضر المغرب وبواديه بالبيعات والهدايا ورتب أشغاله بمكناس وغيره نهض لمراكش إذ لم ياته منها أحد حيث إنهم كانوا بايعوا كالقبائل السوسية المولى أحمد بن محرز المذكور وقد كان وزيرا وخليفة للمولى الرشيد بتلك الديار وكان ذا حزم وعزم لا يؤخر أمر اليوم لغده وإذا هم فعل فوصل المترجم لمراكش على حين غفلة من أهلها يوم الخميس آخر ذي الحجة فخرج مولاي أحمد لقتاله خارج المدينة فالتقى الجمعان يوم الخميس سادس المحرم عام ثلاثة وثمانين وألف فكان النصر الاخير للمترجم وجنوده المغربية وتبددت جموع المولى أحمد ونجا بنفسه إلى سجلماسة وتمت البيعة للمترجم بتلك الديار وقابل أهلها بالعفو والاغضاء وقبل معذرتهم وعفا عنهم طبق عادته مع كل من تاب وأناب. وكان دخوله مراكش على مافي الدر المنتخب وغيره يوم الجمعة سابع صفر عام ثلاثة وثمانين فتكون على هذا مدة القتال شهرا ثم بعد دخوله مراكش نقل المترجم أخاه السلطان الرشيد في تابوت فوصل به لفاس يوم الإثنين سابع عشر صفر ودفن بروضة أبي الحسن علي بن حرزهم. ويقال ان ذلك كان بإيصاء منه رحمه الله. وفي منسلخ ربيع الأول من عام التاريخ بلغ المرتَّب لأهل فاس وامرهم بالحركة معه إلى أبي العباس أحمد بن محرز المذكور مع قائده زيدان بن عبد الله العامري التونسي فأخذوا الراتب من زيدان ثم غدروه بوادي الصوافين وقتلوه بعد صلاة الجمعة وقيل ليلة الجمعة ثاني جمادى الأولى عام ثلاثة وثمانين وألف وأعلنوا بشق العصا

والخروج عن طاعة المترجم وخلع ربقة بيعته من أعناقهم وبايعوا ابن محرز المذكور ونادوا بنصره والدخول تحت طاعته وذلك بين العشاءين قبل يوم التاريخ المذكور وبعثوا بيعتهم لابن محرز إلى مدينة دبدو الواقعة على وادي ملوية وكان ءاب من بلاد الصحراء التي فر إليها كما تقدم قاصدا البلاد المغربية طالبا الملك فنزل دبدو المذكورة، ولما علم المترجم ما صدر من أهل فاس نزل عليهم فحاربوه ثم وصله نزول ابن محرز بتازا. فأعرض عن أهل فاس وقصد ابن محرز لتازا على طريق الحياينة كما سار إليه أهل فاس على طريق بني ورين على غياثة وسار جميعهم يوم الجمعة خامس رجب واجتمع أهل فاس بسلطانهم الجديد المذكور والتقى السلطانان بظهر تازا وتحارب العسكران واستمر القتال نحو شهر وكانت الحروب بينهما سجالا. ثم رجع صاحب الترجمة إلى مستقر عرش ملكه مكناسة الزيتون وجاء ابن محرز مع أهل فاس إلى فاس ودخلها واستوطن دار الملك منها وخطب به على منابر المغرب ونفذت أوامره وأحكامه فيه. وأما صاحب الترجمة فصار إلى حرب الخضر غيلان الذي استولى على بلاد الغرب إلى حدود بلاد ورغة فالتقى الجمعان وطال الحرب بينهما إلى أن قتل الخضر غيلان غدرا يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وألف، ثم ان ابن محرز وقع بينه وبين بعض فقهاء فاس وحشة بسبب أن ضريح ابن حرزهم كان صرفه أبو عبد الله محمد الحاج الدلائي على بعض الشرفاء القادريين بفاس. فلما صار الأمر لمولانا الرشيد منع منه أولائك الشرفاء وأعطاه بعض الفقهاء من كتابه. فلما ولي الأمر المولى أحمد بن محرز منع منه الفقيه المنفذ له من قبل المولى الرشيد ورده على الأشراف الذي كان بيدهم فحقد عليه الفقيه المشار إليه واتصل الخبر لمولانا اسماعيل صاحب الترجمة فكتب لهؤلاء الفقهاء رسائل نصها مقيد عند بعض الشرفاء بفاس وكرر الرغبة منه إليهم ليتوسطوا له مع أهل فاس ففعلوا وسعوا في الصلح بينه وبينهم فنكث أهل فاس عند ذلك بيعة أبي العباس ابن محرز وفر عنهم ناجيا بنفسه إلى الصحراء من حيث جاء وجددوا بيعتهم لصاحب الترجمة وبعثوا بها إليه لمكناسة الزيتون فجمع محلته ونهض إليهم وخيم برأس الماء أواخر جمادى الثانية

عام أربعة وثمانين وألف ثم دخل دار الملك بفاس. وفي يوم الإثنين الثامن والعشرين من رجب طلع الشرفاء والفقهاء من فاس لأداء واجب التحية والتهنئة وإبداء الاعذار على ماصدر منهم من الغدر فعفا عنهم وقبل معذرتهم وقابلهم بكل مكرمة وجميل ثم في غده طلع إليه بقية لفيف أهل فاس فقابلهم بالحلم والإغضاء وكانت مدة خروجهم عن طاعته والرجوع اليها عاما واحدا وشهرين وثمانية وعشرين يوما، وفي أيام عيد الأضحى رجع إلى مكناسة بعد أن استخلف على فاس الجديد عبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز المغراوي وعلى فاس الإدريسية القائد أحمد التلمساني. وفي عشية يوم الأربعاء سابع ربيع الأول عام ستة وثمانين وألف قصد مولاي أحمد بن محرز واقتفى أثره فالتقيا بوادي العبيد. ووقعت بينهما معركة هائلة هلك فيها قائد رماة مولاي أحمد وهو عمر بن محمد الصويري وانهزم جيشه بموت قائده هـ. أفاده أبو محمد عبد السلام بن الخياط القادري وما أوماً إليه من وقوع الوحشة بين ابن محرز وبعض الفقهاء بسبب منعه من فتوحات ضريح ابن حرزهم ورده على الشرفاء القادريين قد شرحه في تاريخه المعنون بالتحفة القادرية لما تكلم على فتوحات أبي الحسن بن حرزهم. ودونك لفظه : قال إن مولاي رشيد لما قصد إلى فاس قال له الوزيران، مولاي أحمد بن محرز ومولاي الحران : لاتفتحها إلا بواسطة يكون بينك وبين أهلها فقال لهما دلاني عليه فقالا له عليك بسيدي أحمد بن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن سيدي محمد الفاسي صاحب الزاوية التي بالقلقليين فإنه ممن له الوجاهة الآن بفاس فأرسل له بعض خاصته سرا فقدم إلى فاس وبلغه ما أمره به مخدومه ووعده ومناه فأجابه إلى مطلبه منه وعقد له مع بعض من له الأمر والنهي، وخانوا ابن صالح ورجع له الرسول الثاني إليه بخبر ما أبرمه له معهم فحينئذ قصد مولاي رشيد فاسا ونزل بالقرب منها وأخذ يحارب من هو بفاس الجديدة دون فاس الإدريسية فاتفق ابن صالح مع أهل فاس أن يسير هو إلى السلطان محمد الحاج الدلائي وياتي بجيش من عنده من البربر ليحارب به مولاي رشيد فوافقوه على ذلك في ظاهر الأمر وهي مكيدة منهم لخروجه عنهم منها ويمكّن مولاي الرشيد من فاس

الإدريسية ولاعلم لابن صالح بما اتفق به مع سيدي أحمد الفاسي وبما عقد له مع صاحب مولي رشيد ثم خرج ابن صالح ليلا يطلب الزاوية الدلائية فيما عقد معهم عليه سرا وهو منفرد وحده في عشرة من الخيل من خدامه على باب الفتوح على طريق دار ابن عمر والي خولان يريد صفروا وهي باقية يومئذ بيد عامل أهل الدلاء وحاربه مولاي الرشيد وهزم مولاي الرشيد مرارا ولم يقدر عليه بشيء فلما أراد ابن صالح الخروج من فاس بقصد ماذكر أرسل سيدي أحمد الفاسي مع من كان اتفق معهم من أهل فاس على ما ذكر رسولا إلى مولي رشيد بخبر خروج ابن صالح في تلك الليلة ولما هو قاصد إليه وأكد عليه في أن يتعرض له في خيله بالليل واعلمه بالطريق التي يروم أن يمر عليها المذكورة ولاعلم لابن صالح بذلك فاختار مولاي رشيد من فرسانه ألفي فارس من أبطال جيشه من محلته التي كانت نازلة بعين عمير وذلك بين العشائين وسار بهم معه ولاعلم لهم بخبر ابن صالح ومايريده في تلك الليلة فنزلوا عن خيولهم وكمنوا له هناك فلما جن الليل جاء ابن صالح في أصحابه ولاعلم له بالخبر فأحاط به جميع الألفين من الخيل وقبضوا عليه ودفعوه إلى المولى الرشيد فقصد به وهو معه إلى فاس الإدريسية ونزل بالغرب من باب الفتوح منها قبل طلوع الفجر وبعث بخبر قبض ابن صالح إلى أهل فاس وطلب منهم أن يبايعوه ووعدهم خيرا مع أخيه مولاي الحران. فلما أصبح ذكر ذلك وهو بخارج الباب فحينئذ علم جميع أهل فاس بالمكيدة وسقط الأمر بين أيديهم وقام فيهم سيدي أحمد الفاسي مع من كان ابرم معه الأمر والمكيدة على بيعة مولاي الرشيد فكلموه في شأنه وواعدهم بجميع الخير منه والتزمه لهم فحينئذ أجابه أكثر أهل البلاد إلى بيعته فخرجوا إليه وهو بخارج باب الفتوح فاجتمعوا معه وقال لهم خيرا ووعدهم خيرا وشرطوا عليه شروطا ان هو وفاهم بها فهم ملتزمون طاعته وإن هو لم يوفهم بها ونقضها فهم كذلك ينقضون بيعته فالتزم لهم بذلك الوسائط المذكورون الذين سعوا في عقد ذلك بينهم وهم سيدي أحمد الفاسي المذكور ومولاي الحران ومولاي أحمد بن محرز وبايعوه حينئذ واستعمل على جميع فاس الإدريسية وزيره مولاي

الحران وسار معهم إلى فاس ودخلها العامل المذكور معهم ونادوا بشوارعها في ذلك اليوم بنصره واستقر العامل بها ينفذ أوامر مولاي الرشيد ويمضيها ويتصرف في جميع أهلها كيف يشاء وسار مولاي الرشيد في خيله المذكورة وصحبته ابن صالح المذكور وهو مقبوض عنده إلى فاس الجديد واستقر بدار الملك منها، وكان فتح فاس له، وقبضه لابن صالح بعد فتح فاس الجديد بأربعة عشر يوما فتحا معانًا بالمكايد لا بالقتال ولله عاقبة الأمور يورث فيها ويعاقب ثم بعد ذلك قتل ابن صالح شر قتلة وابن الصغير وجماعة من أتباعه وأصحابه ونهب جميع أمواله على يد أخيه مولاي الحران وبقيت الاصول فطلب من سيدي احمد الفاسي أن يكلم له طلبة العلم أن يشهدوا فيهم بتغريق ذمتهم ويضمها الى بيت المال فأجابه الى ذلك وكلمهم فأجابه لذلك جماعة منهم نحو الستة عشر وشهدوا فيهم بذلك حسبما هو موجود الآن في بيع أصولهم بأيدي من اشتراها من يد العامل له على المواريث عبد الواحد الصفريوي وبيعت أملاكهم بذلك ومن الشهود المشار اليهم سيدي عبد القادر الفاسي وولده سيدي عبد الرحمن وسيدي محمد وأخوه سيدي عبد الواحد وعند الله تجتمع الخصوم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون وكان الحدث بفاس في شيعة ابن صالح وأهل الدلاء أمرا عظيما ثم ان سيدي احمد الفاسي المذكور طلب من مولاي الرشيد ان يصرف عليه صدقة سيدي علي بن حرزهم وهو غني عن قبضها فمنع أهلها منها وصرفها عليه واستمر قبضه لها الى أن مات مولاي الرشيد بمراكش وبايع جميع جيشه وأهل مراكش وجميع بلاد السوس الاقصا ابن أخيه السلطان مولاي احمد بن محرز بن الشريف العلوي الحسني وفر عنه سليمان الكاتب الزرهوني عامل بلاد زرهون وناظر المواريث عبد الواحد البوزيري عامل بلاد صفروا وبلاد البربر الصفراوية فقد ما معا الى مكناسة الزيتون وكان مولاي الرشيد لما سار الى مراكش استخلف على فاس الادريسية وأعمالها أخاه مولاي مبارك مستقرا بدار الملك بفاس الجديد واستخلف على مكناسة الزيتون أخاه مولاي اسماعيل مستقرا بالقصبة منها فلما قدم بخبر موته الزرهوني والبوزيري بويع له بمكناسة

الزيتون واعمالها وبلاد زرهون وصفروا ووصل الخبر الى أهل فاس وأهل مراكش والسوس عن الوزير مولاي احمد بن محرز فتربص أهل فاس عن بيعتهما معا لينجلي الامر وتمسكوا بقول الشيخ القصار : انما تصح البيعة لمن تكون له العصبية، لان ذلك يؤدي الى هلاك الناس والحرب والنسل والفتن واستقل مولاي اسماعيل بملك ماذكر من البلاد وما هو من اعمالها بايدي العاملين المذكورين واستقل مولاي احمد ابن محرز بملك جميع السوس الأدنى والأقصا وبلاد الصحراء وصقع توات، ثم خرج من مراكش يريد بلاد المغرب الأقصا ويروم الملك به فمر على الفيحاء الى درعة الى سجلماسة، ثم الى الصحراء ثم الى انكاد الى مسول ثم استقر بتازا ثم بعث صاحبه الغرناطي الى اهل فاس يدعوهم الى بيعته فأجابوه وامتنعوا من بيعة مولاي اسماعيل وساروا اليه الى تازا ببيعتهم له فدفعوها له واستعمل على فاس صاحبه الغرناطي فقدم الغرناطي الى فاس وكان فظا غليظ القلب سيء التدبير فأخذ الناس بالعنف فكرهه الناس لذلك وبقي أمر فاس في هرج بين السلطانين طائفة تريد ذلك وطائفة تريد الاخر واما نحن فلما لقينا مولاي احمد بن محرز بتازا مع اهل فاس سألناه ان يردَّ علينا صدقة سيدي علي بن حرزهم فأجاب الى ذلك ومنع سيدي أحمد الفاسي منها وصرفها علينا فصرنا نقبضها ايضا الى ان كان من أمرها مايأتي ذكره ثم ان خبر اختلاف أهل فاس وصل الى مولاي اسماعيل فأشار عليه الكاتب سليمان الزرهوني بصحبته حمدون الروسي وخدمته له وتقربه اليه وان لايملك فاس وغيرها من بلاد المغرب الا بخدمته لمهارة عقله وفطنته وحسن سياسته وتدبيره، وكان حمدون الروسي قدم ابن صالح واستخلفه لمهارة عقله فلما ظهر مولانا الرشيد ساء ما بينهما فاراد ابن صالح الايقاع بالروسي لخبر بعض الطلبة من اصحابه ممن كان له علم بعلم الحدثان له ان سيكون خراب الملك على يده فقال ابن صالح الصواب ان نفطر به قبل ان يتغدى هو بي فتفطن له الروسي فاختفى فلم يفطر به ابن صالح ولم يجد من يدله عليه وكان اختفاؤه عند سيدي احمد الفاسي فاعلم الروسي بالخبر فاخذ في خدمة وتدبير الحيل عليه وما فعل سيدي احمد الفاسي فعلاً الا عن مشورته فيه

ورايه الى ان هلك ابن صالح على يده كما قال الطالب المنجم لابن صالح ثم لما ولى امر فاس مولاي الرشيد عطل الروسي خدمة المخزن حيث لم يجد من يستخدمه في ذلك ورجع الى صناعته خدمة الجلاليب ونسجها بيده ثم لما دلوا مولاي اسماعيل عليه بعث اليه سراً فاجابه وقدم عليه الى مكناسة الزيتون فاشار عليه بسيدي أحمد الفاسي وكان وقع بينه وبين مولاي احمد بن محرز عداوة بسبب منعه من قبض صدقة ابن حرزهم وردها الينا فحقد عليه لذالك فكتب مولاي اسماعيل بمثل ما كتب اليه أخوه مولاي الرشيد قبل وزاد له في الشروط ان يهدم زاوية والده التي بالقلقليين ويوسعها ويبنيها ويجعلها أماناً وحرماً لمن لاذ بها وان يبني له على والده قبة الى غير ذلك من الشروط التي وقع العهد بينهما عليها وأوفي له بها فسعى سيدي احمد في خلع بيعة مولاي احمد بن محرز وبيعة أهل فاس الى مولانا اسماعيل ففعلوا ذلك ثم أخذ الروسي في تدبير الحيل والخدع مع من كان بايع الى مولاي احمد بن محرز من قبائل المغرب الاقصا وذلك على يد خديمه حمدون الروسي وخرج جميعهم عن بيعة مولاي احمد بن محرز ورجع من حيث جاء الى مراكش، ثم ان الروسي قام بالاستعداد الى حرب مولاي احمد بن محرز بمراكش وجمع الجيوش واحتفل وسار مولاي اسماعيل الى مراكش لايمضي أمرا الا عن مشورة الروسي ونزل مولاي اسماعيل بالقرب من مراكش وكان الروسي يطلب من مولاي اسماعيل ان يعطيه اثنى عشر الف مثقال ليعطيها الى اثنى عشر شيخا من اولاد جرار ويغدرون بمولاي احمد بن محرز ويقتلونه فبخل وامتنع من اعطائها له وشرع في الحرب فدامت الحرب بينهما نحو الشهرين أو أكثر والحرب سجال لاكن أكثرها كان الظفر لمولاي احمد بن محرز على مولاي اسماعيل فلما خشى التغلب عليه دفع المال للروسي ورجع إلى قومه وكان اولاد جرار هم بطانة مولاي احمد بن محرز الذين يركب فيهم وشيعته التي يامن فيها مع النجدة والشجاعة والفتك والاقدام في الحروب فأخذ المال الروسي منه وسار به سراً واجتمع مع جميع الاشياخ الاثنى عشر رؤساء اولاد جرار ودفع لكل شخص منهم ألف مثقال ووعدهم ان هم وفوا معه وغدروه وقتلوه فلما جن

الليل دخلوا عليه الى افراك[1] وكان مضروبا وسط حلتهم دون غيرهم من قبائل جيشه فوجدوه نائما بقبته الخاصة به مع جواريه وحريمه فوثبوا عليه وذبحوه وهو نائم بين جاريتين من جواري حرمه ثم دخلوا على خديمه الغرناطي وهو نائم في خبائه فذبحوه ايضا ولما أصبح الصباح حمله عبيده وجواريه مذبوحا ميتا مع ما سهل من متاعه حمله لهم معهم الغرناطي ميتا أصحابه وسار جميع العبيد والجواري الى تارودانت دار ملكه ومستقره فورا مسرعين بهما خوفا عليهما من التمثيل بهم ولما وصلوا بهما الى تارودانت غسلا وكفنا وصلي عليهما ودفنا ووقع النياح من اهل تارودانت عليهما على عادة المخزن في ذلك، ولما ساروا بهما كما ذكر دعا الروسي جيشه الذي كان معه بالمحلة مع أهل مراكش الى بيعة مولاي اسماعيل ووعدهم ومناهم ومن جملة ماضرفه عليهم متروكه الذي هو أهم خشية ان يقيموا سلطانا آخر من ذلك لان في نهبه اراحة من تعيينه اذ لا يقوم السلطان الا بالاثاث والميراث وحيث يكون فقيرا من ذلك فلا يستقيم له امر ثم ان الروسي جمع من انقاد من جيش مولاي احمد ومن أهل مراكش وأخذ عليهم البيعة لمولاي اسماعيل ثم استدعاه ودخل لمراكش وبايعوه بها واستعمل عليها ورجع الى بلاد المغرب الاقصا واستقر بمكناسة الزيتون واتخذها دار ملك له ومستقر جيوشه وأعوانه ولم يطلب حينئذ بلاد السوس الاقصا ببيعته لعجزه عن مقاومة حروبهم ثم ملك بلادهم بعد ذلك وتمت الحيلة والمكيدة بقتل السلطان مولاي أحمد بن محرز المذكور، ولما رجع مولاي اسماعيل الى مكناسة واستقر بها وفى لسيدي احمد الفاسي في جميع ما وعده به وبنى زاوية والده سيدي عبد الرحمن التي بالقلقليين ولا تسئل عن غصب الارض والماء والمال المصروف في ذلك وبنى على والده قبة وولى اخاه سيدي عبد الوهاب نظر جميع النظار لأن ولايته لذالك كانت من جملة الشروط التي وقع العقد بينهما عليها ومنعنا من قبض صدقة سيدي علي بن حرزهم وردها

---

1) معناه بالبربرية السوسية سياج يتخذ من السدر ثم أطلق مجازا على السياج المستدير على الاخبية والقباب السلطانية المتخذ من الكتان الخشن المعروف بالكيرية ثم المكلفون لديهم بالاحتفاظ بذلك السياج وتلك الاخبية يدعونهم بالافرائكية نسبة إلى الافراك المذكور.

على سيدي احمد الفاسي المذكور فاستمر قبضه لها الى أن توفي فشاور أقاربه مولاي اسماعيل على ذلك فقال لهم هي لكم فقالوا نحن أغنياء عن قبضها فلا يحل لنا أخذها فقال لهم اصرفوها على من شئتم فوصل لنا الخبر بذلك فطلبنا من الشيخ احمد بن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله معن الاندلسي وكان صديقا لهم ان يكلمهم بان يصرفوها علينا كما كان بأيدينا من قبل فابوا من ذلك وصرفوها على خديمهم الشريف سيدي عبد السلام الدباغ واستمر قبضه لها خاصا دون سائر بني عمه الى ان ملك فاس السلطان سيدي محمد بن عبد الله وأمر قائده على فاس محمد الصفار بهدم روضة علي بن حرزهم وتوسيعها وبنائها ففعل ولما تم العمل بها ثقفت عليهم وعلى غيرهم من الشرفاء الفضيليين الحسنيين من بني عم السلطان المذكور وكان السلطان مولاي عبد المالك بن مولانا اسماعيل لما ملك فاس صرف الربع منها على شخص من بني عمه من الشرفاء الفضيليين وكان فقيرا فاستمر هو يقبض الربع والدباغ ثلاثة أرباع منها الى ان تم العمل ببناء القبة كما ذكرنا اوقفها السلطان على سيدي محمد الدباغ ثم صرف جميع الثلاثة أرباع على جميع الشرفاء الدباغيين والفضيليين وترافعوا الى السلطان سيدي محمد وتأمل سبب الخصام فوجد الدباغيين قد ظلموا الفضيليين فمنع الدباغيين من قبضها وصرف لهم عوضا عنها صدقة أبي بكر محمد بن العربي المعافري الذي ضريحه بخارج باب محروق وصرف جميع صدقة سيدي علي بن حرزهم للفضيليين مع دفن موتاهم بالروضة المذكورة فاستقر ذلك بأيديهم وهم أغنياء عنه الى أن مات السلطان سيدي محمد وتولى ملك المغرب ولده السلطان مولاي سليمان فتأمل حال بني عمه الفضيليين فوجدهم أغنياء عن قبض ذلك فمنعهم من قبضها وسأله بعض الفقهاء اصهار الدباغين ردها عليهم فصرفها أيضا على الدباغين دون الدفن بالروضة المذكورة فانه خص به الحسنيين من بنى عمه اولاد مولاي الحسن الشريف ومنع الدباغين منه بعد ان دفنوا به سيدي محمد بن ادريس المعروف بالاحرش فعلى هذا العمل الآن بينهم ويخلق مالا تعلمون هـ. قلت ابو محمد عبد السلام المنقول عنه ما سطر هو غير صاحب الدر السني النسابة المشارك الثقة

الثبت المشهور وهذا ترجمه عصريه سيدي سليمان الحوات في السر الظاهر وبين أنه كان ثقيل السمع خامل الذكر وهو وان وصفه بالحفظ والاقبال على المطالعة فكلامه هذا يعنون بأنه صحفي لاعلم له على الحقيقة ولا هو فيما تكلم فيه عَلَى سوي طريقة وبشناعة جهالته من جهات **احداها** ما ألصقه بسيدي عبد القادر الفاسي ومن عاصره من أهل العلم ولقد افترى على الله كذبا فيما لمَزهم به باتفاق جميع من جاء بعد الشيخ سيدي عبد القادر الفاسي على صحة علمه وكونه الرجل الوحيد المقتدى به **الثانية** ما تصوره نقضا فيما حكاه عن المترجم وأخيه المولى الرشيد في التوصل لبيعة اهل فاس من استعمال طرق السياسة وتجنب حملهم على ذلك في اول قدم بالسيف فقد تصور بجهله الفظيع المليحَ قبيحًا والمناقب مثالب وذلك أقبح ما يكون من المعائب افلا قرع اذنيه قولهم (رب حيلة انفع من قبيلة) وقول ذلك الشاعر المادح الذي ينشده قراء مبادىء أصول الدين :

قد استوى بشر على العراق من غير سَيْف ودم مهراق

وهلا تنبه الى ان جمع كلمة المسلمين على امام من أكمل طرق الاصلاح وأفضل مناقب الأنام ولاسيما ان كانت وسيلته وعد الخير ومجاملة الاعيان والرؤساء ومن يصغى اليه وتقبل اشارته فان ذلك من مقدمات الاصلاح و من مبادىء العدل ومن معرفة اتيان الشيء من ابوابه الحرى باجابة خطابه المبشر بالمستقبل الحسن الكفيل باطمئنان القلوب من الرعية وسلوكها كل طريق مستحسن ولاكذلك سوقهم في أول قدم بالقوة والعسف وحمل السيف فانه على الضد من ذلك كله وقديما قيل (رب حيلة أنفع من قبيلة) والمماكرة انفع من المكابرة وقيل :

وللمعالي رتب في الحجا الرأي، ثم الكيد ثم الكفاح
قد يغلب المرء بآرائه ألفا ولا يغلبهم بالسلاح

ولله أبو الطيب المتنبي اذ قال :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هي أول وهو المحل الثاني

فاذا هما اجتمعا لنفس مرَّة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أول ضيغم ادنى شرف من الانسان
ولما تفاضلت الرجال ودبرت ايدي الكماة عوالي المران

وقد أجمع العقلاء في الجاهلية والاسلام على أن الحرب خدعة ففي الصحيحين عن جابر وأبي هريرة رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الحرب خدعة **الثالثة** جعله ما بينه أهل العلم في ذلك الوقت ان صح عنهم في ذلك الوقت حق ابن صالح الذي هو نفسه يوافق على أنه من أعظم المنتصبين في ذلك الوقت للاعمال المخزنية التي يكون مباشرها في الاغلب غريق الذمة لبيت المال والمسلمين من كونه بهذه الصفة الغالبة على ذلك الجنس ظلما وجورا ومساعدة للولاة على هواهم فليت شعري هل يفوه بمثل هذا الا من فسد تصوره وانقطعت العلائق بينه وبين العلم واتضح جهله وتهوره واذ ذمت الشهادة في مثل هذا مما هو في الوضوح كالشمس في الظهيرة ففي أي مقام تمدح وعلى أي صفة تقبل واذا لم يقم بذلك قادة الأمة في حق ذلك المفسد القائم في غلق باب جمع الكلمة فمن يقوم به غيرهم لاكن الفساد كله انما يجيء من الكلام بغير علم، ويرحم الله من قال (لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف) وأما كلامه في الطعن على المترجم وسلفه في صرف فتوحات ابن حرزهم عنه وعن فريقه الى من رعاه المترجم وسلفه أهلا لذلك بحسب المصالح وعلى المصروف اليه فهو معنون بعداوته الدنيوية لمن طعن عليه وذلك يوجب شرعا سقوط طعنه فيهم وصيرورته هو والعدم على حد السواء اذ لايقبل قول العدو في عدوه ولايصغى لطعن الخصم في خصمه الا بحجة وهنا أترحم على من حذر من النقاد من تعصبات المؤرخين الجاهلين والمجازفين **رجع** الى تفصيل ما اجمله ابن الخياط القادري في حروب المترجم مع ابن محرز وذلك أن المترجم لما بلغه أن أهل فاس راسلوا ابن أخيه مولاي احمد قد كان مقيما بتازا يستصرخونه وينتصرون به حشد جنوده فتوجه اليه بخيله ورجله الى أن خيم على تازا وحاصر

أهلها وضيق عليهم الى أن دخلها وفر ابن محرز لأنكاد فاقتفى المترجم اثره ووقعت بينهما ملحمة عظيمة قلت فيها جموع ابن محرز وبردت كتائبه و لم يسعه غير الفرار ففر نحو سجلماسة ومكث بها أياما ورجع المترجم لحصار فاس الى أن دخلها تاسع عشر رجب عام أربع وثمانين وألف وكانت مدة الحصار خمسة عشر شهرا ثم بدا لابن محرز التوجه من سجلماسة الى درعة فأقبل عليه أهلها وعززوه ونصروه ثم بعث له أهل مراكش فسار نحوهم الى أن دخلها فتلقوه بالبشر والترحاب وبايعوه ولما علم المترجم بذلك كتب الكتائب وجند الجنود وقصد مراكش فلما وصلها احدق بها من كل جانب وقطع الميرة على أهلها حتى ضاقوا ذرعا وارتفعت الاسعار غاية ومات أهلها جوعا ودام الحصار نحو ثلاثة أعوام ولما اشتد الامر وضاق النطاق فر ابن محرز من مراكش ودخلها المترجم مؤيدا منصوراً وذلك سابع ربيع الثاني عام ثمانية وثمانين وتلقاه أهلها وأبدوا معاذر وطلبوا عفوه فعفا عنهم عفو قادر ثم رجع من الحوز للغرب، وبعد أشهر قلائل بلغه أن ابن محرز حل بتارودانت واجتمعت عليه الجموع ودانت له تلك القبائل وتحالفوا على نصره والقيام معه فأقبل يزحف إليهم بجنود لاقبل لهم بها و لم يزل منيحا بها ركابه الى ان قتل ابن محرز أواسط القعدة عام ستة وتسعين، ولما قضى نحبه تقدم للخلافة عمه مولاي الحران فدام الحصار الى أن ضاق الحران ذرعا وطلب العفو من المترجم فعفا عنه ومنحه أموالا جزيلة وأذن له في النقلة الى بلاد الحجاز فرحل اليها بخدمه وحشمه ولا زال بها الى أن قبضه الله اليه واستولى المترجم على السوس بأسره واذعنت لطاعته جميع قبائله ثم قفل الى مراكش بقى بها اياما ثم توجه الى البقاع الغربية ولم يبق بها من ينازعه في أمر من الأمور كذا في روضة التعريف وهو اقعد واثبت اذ مؤلفه من معاصري المترجم فيكون عن بعده عالة عليه والله أعلم وأحكم، وفي البدور الضاوية وتكررت منهم يعني أهل الدلاء الذين كان أجلاهم المولى الرشيد لتلمسان الكتابة لمولانا. اسماعيل بالتعطف والتلطف والرغبة في فكاكهم من أسر الغربة بالرجوع لايالته والاستيطان في عمالته فرق لرغبتهم وامتن عليهم باجابة طلبتهم. فكتب

لهم كتابا يامرهم فيه بالاوبة لولايته والرجوع لما كانوا فيه من فاس
لايالته فلما وصلهم كتابه فرحوا به ورجعوا. ومن سجن الغربة
خرجوا ونجعوا. وكان رجوعهم في جمادى الأولى عام خمسة وثمانين
وألف فلما رجعوا كان نزولهم بقرب روضة سيدي علي بن حرزهم
وبقوا به مدة ثم كتب لهم السلطان مولاي السماعيل كتابا ياذنهم
فيه بالدخول للمدينة الادريسية وان يسكنوا منها حيث شاءو فدخلوا
حينئذ مدينة فاس. وطابت بنزولهم فيها الانفاس وهان عليهم بعد ذلك
مالقوا قبله وبعد ذلك عظمهم وأعطاهم. وأكرم نزلهم ومثواهم.
وبالتوقير والاحترام أولاهم. ولم يتأخر منهم عن الرجوع غير العلامة
الرئيس ابي العباس احمد بن عبد الله بن محمد الحاج بأولاده مع عيال
والده لغيبته بالمشرق فلم يقدر أن يفتات على والده بارحال عياله وهو
غائب عنهم ولم يقدر ان يتركهم فبقى معهم حتى ورد عليه والده
من المشرق وقد كتب للسلطان معتذرا مبينا سبب تخلفه بما لفظه :
بسم مَن يضع الملك حيث يشاء فاختار له على علم قريشا يتفيأ
الرسوم وارف ظلال الدوحة النبوية. ويتنسم عرف أزهار عوارفها
المصطفوية ويترقى الى حيث النجوم الشوابك. والمعالي ارائك. من
تحمر من هيئة جلاله الانفاس. على خدود الاطراس. ويتشرق بلثم
يمين طالما ازدحمت على تقبيلها الاملاك. واجابت لحسن صنيعها عن
بني الامال الأحلاك. أبقاها الله آخذة بيد من زل به الزمان ولحل
ربقة كل عان. ولتقبيل افواه واعطاء نائل وامساك هندي وحبس
عنان. وشيد لراقمه في كنف الدولة الهاشمية كنفا. واستوهب له منها
عفوا لايعقب ندامة ولا خوفا دولة مولانا الذي ملك البواطن بحسن
بشره وعفوه. والظواهر بشدة بأسه وسطوه محيي الدولة. ودربة
الابطال عند الجولة. قاهر الملوك. وواسطة عقد السلوك. من دانت
لهيبته فتاكة الأقطار وترنمت بمآثره حداة الأقطار. ظل الله على بريئته
الظليل. أبو الفتوحات مولانا اسماعيل. لازالت رياح العز تنشر خوافق
ألويته وراياته. والنصر يتلوا في مئازق الحروب محكم آياته. وليت
شعري بما احيي ذلك المقام النبوي. والجناب العلوي. وأي عبارة
ارتضيها للافصاح عن قدره أو تقوم بمواجب حقه وبره. وغاية جهدي

يستغرقه عفو فضائله ولو كنت سحبان وائل. ويخجله ايسر فواضله. حتى أكون في الفهاهة كباقل ان قلت تحية كسرى في الثناء وتُبَّع. جف القلم استحياء من سلوك هذا المهيع. واولى ما يحيى به ذلك المقام الذي اتخذ الافلاك مهاداً. والنجوم وسادا. بالتحية التي أضاء الشرع نبراسها وأدار على أمته كأسها. وأغفل الله عنها الامم وأجناسها. وخبأها لهذه الامة المحمدية تكرمة لها فلم تستنشق أمة غيرها وردها ولاءآسها سلام على سيدنا ورحمة الله تعلى وبركاته. ورضوانه الاعم وتحياته من عبد له يخر على طرف بساطه لاثما. ويقضي من حقوق الخدمة فرضا لازما. احمد بن عبد الله اوجبها الى الحضرة الكريمة التي يتلقى فيها الصادر والوارد بالبشائر. ويسلو فيها الغريب الخائف بحسن ملاطفتها عن الأهل والعشائر. الاعلام لسيدنا بعذري عن التخلف فليعلم مولانا السلطان نصره الله ان موجبه ما معي من عيال أبي فكرهت أن افتات عليه في عياله وهو غائب فلم أزل أستدنيه حتى بلغ الجزائر ولما خرج برسم الوصول الى العباد حرم القطب الغوث ابى مدين نفع الله به وجد هذه الفتنة بين يديه فتأخر حتى يسكن هرجها. ويخمد وهجها ولايصغي مولانا نصره الله الى أقوال الوشاة فينا ان بلغه غير هذا ولا يقبله فان الله سبحانه وتعالى لم يقبل في مولانا أقوالهم. ولا وافق شهواتهم وأغراضهم. ولو وافق اغراض البعض في البعض ما أدي نفل ولا فرض ولا يضيق علينا مولانا من عفوه ماوسع أهل المغرب فقد مددنا الى سيدنا أكف الضراعة. متشفعين اليه بجده صاحب الشفاعة يمن علينا بعفو يزيل ايحاشنا. ويسكن جاشنا. أبعثه الى والدي فان أحب فذلك هو المطلوب. والامل المرغوب. والا ركبت الى سيدي عزما يحكي الرياح في الهبوب. فقد طالت بي في انتظاره الغربة ونالتني من ذلك كل كربة. والله سبحانه المسؤول. ان يبلغني ما أرجوه بكم من كل مطلوب وسول فأنا عبدكم المتشرف بخدمتكم. والنبات الذي أنبت تحت رباب سحابكم :

والله ما فارقتكم عن قلى لكم   ولكن مايقضى فسوف يكون

والسلام على سيدنا ورحمة الله وبركاته هـ. ملفقا، وفي منتصف ربيع الثاني من عام ثمانية وثمانين والف ورد على فاس خبر اجتماع كلمة البربر ومن يليهم من قبائل تلك النواحي على العلامة الرئيس سيدي احمد بن عبد الله ابن العلامة الامير سيدي محمد الحاج الدلائي بنفس قدومه مع اخوانه عليهم من تلمسان ولم يتخلف عنه في ذلك منهم اثنان وانهم احتزموا لمحاربة الجند الذي بتادلا فوقع من ذلك في قلوب الناس ما هو من النفاسة معروف. ومن طباعهم غير مصروف. وفي يوم الاحد مهل جمادى الثانية من العام وقع حرب شديد بين سيدي احمد بن عبد الله وعرب تادلا مع المخازنية الذين هم بها فهزم العرب والمخازنية واخذت جميع بلاد تادلا الا قصبتها واختفى الذين بفاس من أهل الزاوية البكرية بحرم مولانا ادريس وبحرم سيدي احمد الشاوي نفع الله بهما وتركوا الاقراء والتدريس ثم وجه السلطان مولانا اسماعيل رحمه الله ألفين خيلا مع احد قواده يقال له القايد يخلف لقتال سيدي احمد عبد الله وجيشه فوقعت بينهما الملاقاة، قتل فيها القايد المذكور ونهبت محلته وخيله ثم اعقبها السلطان بمحلة أخرى فوقعت بينهم معركة ثالثة قتل فيها من محلة السلطان عدد كثير ومات في هذه المعركة الفقيه السيد العربي بن عبد العزيز الفلالي رحمه الله وشن العرب الغارات بعد ذلك على من جاورهم من القبائل الى سايس، وفي ثالث عشر رجب العام وقعت معركة رابعة بحوز مكناسة بين جيش فاس والبربر مات بينها من كبراء الجيش عدد كبير وجم غفير ولجئوا الى مدينة مكناس وحدث الخوف باحوازها وكثر في صدورها واعجازها واشتد الحصار على اهل الزاوية الدلائية الذين بفاس ثم آل امرهم الى خير ونجاة، وفي خلال تلك المدة كتب له محبة الشيخ العلامة الامام ابو علي الحسن بن مسعود اليوسي أبياتا يستعطفه بها ويلومه على فعله وهي :

أبا العباس كنت المرتجى في ... تــلاف في تجاف وارتجاف
وكنت اخال ان الود كاس ... شربناه على الانصاف صاف
وان العهد منك مقار فتل ... وظل الوصل والالطاف طافي

وافرغ في سماعك كل قول | علينا من ذوي الارجاف جافي
واشرفنا على بين وخرق | يعزله من الاشراف وافي
وظن بنا القلى لما غضبنا | لطمس العلم منساق ساق
على ان الوداد وان توارى | ازاره على الاناف ناف
فما ابليت ذوذا عن حياضي | بشيء من اذى الترشاق شاق
كان العهد قد أضحى سواها | ورسم الود والاسعاف عافي

وقال ايضا رحمه الله :

ماذا أبا العباس فعل مصاف | كلا ولاشان الخليل الصافي
مالي ارى النهج المعبد بيننا | يعفوه مر الحاصب العصاف
أحسبت ان الود ليس على شفا | أم خلت ان العذر ليس بشافي
قلب القلوب مكدرات بالجفا | يوما ومترفة على الترشاف
فلترب ما اوهت يداك مصافيا | فدواء شق خوصه باشاف

ولا أدري هل اجابه صاحب الترجمة ام لا، نعم يحكى انه ليم في قيامه على مولانا اسماعيل ونزاعه له فقال لم أنازعه في وادي افله ولافسيل نخله وانما أنازعه في ملك ابي وجدي والمراد بافله أي بلاده وأرضه المعروفة بوادي افلي من ارض سجلماسة والفسيل بالسين فرع النخلة، وفي صبيحة يوم الخميس عاشر شعبان عام ثمانية وثمانين وألف اصبح الطلب بفاس بمائين من الرماة ليخرجوا الى محلة السلطان، وفي يوم الجمعة سابع عشر من الشهر المذكور اشتد التوظيف على اهل فاس واخراج الرماة، وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور خرج الرماة للحركة مع السلطان وفي خامس صفر من العام بعده توجه السلطان للبربر وقطع وادي العبيد، وورد خبر لطمة السلطان لهم يوم السبت الاخير من شعبان العام وان الهزيمة وقعت عليهم، ثم ورد رقاص المحلة لفاس ليلة الخميس مهل رمضان العام بكتاب القايد عبد الله الروسي وانه لما التقى الجمعان كانت الحرب بينهما سجالا ووقعت حروب هائلة من الفريقين حتى ظن أنه الفناء، وكان الظفر لمولانا اسماعيل رحمه الله، ورجع سيدي احمد بن عبد الله رحمه الله الى بعض الجبال الوعرة هنالك واعتصم بها والامر لله من قبل ومن بعد وقال في

المقصد الأحمد ولما ثار العلامة الرئيس سيدي احمد بن عبد الله الدلائيُّ
في قبائل البربر بناحية الدلاء على السلطان مولانا اسماعيل وجمع له
من الجموع والجيوش مثل ما جمع السلطان او ازيد وذهب السلطان
اليهم وتقدم لملاقاتهم وقتالهم فانهزموا عند ملاقاته لهم مرة ولم يصبروا
لقتاله فواق ناقة وفر سيدي احمد بن عبد الله الى بعض الجبال الوعرة
هنالك وبقي بها الى أن توفي رحمه الله وهي جبال آيت يسري وبقي
بين ظهرانيّهم وكلمتهم بيده وأمره نافذ فيهم نحوا من عام وخمسة
اشهر وأيام، وفي هذه المدة أو قبلها والله اعلم بعث له أخوه في الله
وصاحبه من أجله الفقيه الاجل البركة الافضل ابوا العباس سيدي
عبد القادر التستاوي رحمه الله بكتاب يذكره فيه ويعاتبه بان ما فعله
وما هو بصدده وسبيله ليس بصواب هـ. من البدور الضاوية ملفقا،
وفي الترجمان المعرب ولما كان عام تسعة وثمانين توجه من مكناسة
لمراكش ثم خرج للسوس فمهده وبلغ غزوه الى طاطا وتسنت وهو
الملح بالعجمية وشنكيط وقدم عليه وفود العرب اهل القبلة من عرب
معقل والمغافرة واولاد دليم والشبانات وبرابش وجرار ومطاع ووَدِي
وأدوا طاعتهم، وفي ذلك العام جاءته خناثة بنت الشيخ بكار انكحه
اياها والدها وكانت ذات جمال وفقه وأدب وحسب ونسب فبنى
بها، وفي هذا العام كثر الطاعون بفاس والعاصمة المكناسية وجعل
المترجم عسة العبيد بوادي سبوا وغيره يمنعون الواردين على المدينتين
من الوصول اليهما اخذا بالاحوط وعملا بالمامور به شرعا وامر
صاحب الترجمة بتحريق مابسوق الخميس فحرق وفر من كان به من
الأدميين وانقطع المرور بطريق مكناسة بامر السلطان مدة من شهر
وفيه ابتدىء في تزليج صحن مسجد الاندلس بعد كمال اصلاحه وفيه
شرع في جلب الماء لزاوية سيدي عبد القادر الفاسي وفي عام تسعين
توجه لحركة الشرك على طريق الصحراء ولما بلغ وجدة قدم عليه بنو
عامر وسقونة وذوو منيع ودخيسة وحميان وغيرهم وقادوه على طريق
الصحراء وترك تلمسان على يساره واصحر الى ان نزل على وادي
شلف فوجد الاتراك بمحلتهم على وادي شلف بقضهم وقضيضهم
ومدافعهم ومهارزهم، ولما جن الليل أطلق الاتراك مدافعهم ومهارزهم

وضربوا طبولهم وشعلوا مشاعلهم فلما سمع العرب ذلك دهشوا وهربوا ليلا ولم يصبح مع السلطان الا عسكره فانهزموا بدون قتال ووجه له الاتراك رسلهم اتوه بكتاب مولاي محمد بن الشريف الذي عاهدهم على حدود بلادهم وبكتاب مولاي رشيد الذي عمل معهم الحد على وادي تافنة وطلبوا منه ان يتخلى على بلادهم ويقف عند حدوده فأجابهم لذلك وانعقد عليه الصلح بينهم ورجع ومن يومئذ لم يامن في العرب ولم يثق بهم ورجع الى المغرب، وفي هذا العام نقل عرب زرارة والشبانات قوم كروم الى الحاج من الحوز الى وجدة لما كانوا عليه من الجور والانحراف عن الطاعة وكتبهم في الديوان وولى عليهم اباالبقاء ابن الزويعر الزرهوني الزراري وفيه بلغه قيام اخوته الثلاثة وهم الحران وهاشم واحمد وثلاثة من بني عمهم ودخلوا لقبائل البربر بالصحراء فتوجه لهم بالعساكر على سجلماسة وطلع اليهم بجبال شاغروا وحاربَهم حربا عظيما مات فيه قائد عساكره موسى بن يوسف ومن أهل فاس أربعمائة وهزمهم فهربوا للقفار ورجع السلطان على طريق الفايجة فاصابه الثلج بثنية الكلاوي اهلك الناس واتلف اثقالهم وابنيتهم وماخلصوا منه الا بمشقة عظيمة ثم رجع لمكناسة فاقام بها، وفي عام أحد وتسعين وألف خرج في العساكر لبني يزناسن حين تمادوا على العصيان فدخل جبالهم ونسف نعمتهم ونهب أموالهم وأحرق ديارهم وطلبوا الأمان فأمن بقيتهم على دفع الخيل والسلاح فاتوا بما عندهم من ذلك ثم نزل بانكـاد فامر سقونة بدفع الخيل والسلاح الى أن استصفاها وكذلك فعل بالمهاية والاحلاف ورجع لمكناس، وفي هذه السنة استقدم شيخ الجماعة ابا محمد عبد القادر الفاسي لحضرته المكناسية فاستعملت له محفة لكبره وعجزه فخرج يوم الاربعاء وحل الحضرة يوم الخميس بعد الزوال ولقيه المترجم بروضة أبي زيد عبد الرحمن المجذوب وأنزله بداره الكبيرة وسرح المساجين الذين في ايالته جميعها فرحا بالشيخ واكراما له وانصرف عنه يوم السبت ثالث ربيع الاول من العام ووصل فاسا من الغد، وفي عام اثنين وتسعين توجه لفتح المهدية قيل بعد قتال وقيل بدون قتال وانما أخذت بقطع الماء عنها ولم يمت أحد من المسلمين، وفي عام ثلاثة

وتسعين توجه لحركة الشرك فأخذ بني عامر واستولى على أموالهم ورجع لمكناسة وأمر باخراج اليهود من المدينة وبنى لهم خارجها مدينة، ثم باثر هذا بلغه ان الترك جاءوا بمحلتهم واستولوا على بني يزناسن وعلى دار ابن مشعل وان كلامهم مع ابن أخيه ابن محرز راسلهم وراسلوه، وبلغه ذلك أيضا من خليفته بمراكش فكتب اليه بالبقاء في مقابلته الى أن يرجع من حركة تلمسان وخرج بالعساكر للقاء الترك فوجدهم رجعوا حين بلغهم خروج النصارى بشرشال وذلك في عام أربعة وتسعين وألف واغاثهم اهل الجزائر فقتلوا من النصارى مقتلة عظيمة وأخرجوهم ومات من المسلمين نحو السبعمائة ورجع السلطان قاصدا مراكش ومنها للسوس فتلاقى مع ابن أخيه احمد بن محرز ووقع القتال بينهما خمسة وعشرين يوما مات فيها من الفريقين ما لا يحصى ودخل ابن محرز تارودانت فانحصر بها ثم وقع بينهم حرب آخر مات فيه خلق كثير واستمر الحال على ذلك الى رمضان العام فوقع الصلح بينهما ورجع السلطان لمكناسة فدخلها في قعدة العام وفي حجة العام خرج لجبل فازاز في العساكر فلما بلغهم خروجه انهزموا من الجبل وخرجوا لملوية فبنى قلعتي عين اللوح وازرو واقتفى آثارهم الى ان تحصنوا بجبل العياشي فتربص بملوية الى ان دخل فصل الشتاء وقصده بذلك اتمام أسوار القلعتين ولما قلت عليهم الاقوات قدم وفودهم على السلطان بمكناسة تائبين فأمنهم على دفع الخيل والسلاح والاشتغال بالحرث والنتاج فدفعوا ذلك عن يد ودفع لهم ستين ألفا من الغنم يسرحونها ويدفعون صوفها وسمنها في كل سنة وحررهم من الوظائف كلها فكان وظيفتهم حراسة غنمه وصلحت حالهم بعد ذلك، وفي عام خمسة وتسعين بلغهم خبر فتح طنجة، وفي عام ستة وتسعين خرج السلطان لحركة ملوية فنزل صفرو وفرت قبائل البربر لشواهق الجبال يوسي وشغروشن وأيوب وعلاهم وقادم وحيون ومكودة وأمر ببناء القلع والمعاقل التسع هنالك ودامت الخدمة فيها سنة كاملة وجموع البرابر متفرقة في شعاب جبل العياشي ولما ضاق بهم الامر وعدموا الاقوات وفدت وفودهم على السلطان مذعنين تائبين فعفا عنهم وأمنهم على دفع الخيل والسلاح فدفعوها وصفا أمر

ذلك الربع الشرقي من جبل درن واطمأن، ثم رجع السلطان لمكناسة ولما وصلها بلغه دخول اخيه الحران لتارودانت مع ابن أخيه احمد بن محرز فتوجه اليهما وحاصرهما وفي هذه المرة مات ابن محرز ولم يزل السلطان محاصرا رودانة الى جمادى الاولى من عام ثمانية وتسعين فدخلها عنوة وفي عام تسعة وتسعين رجع من السوس ودخل مكناسة فاستراح بها وتهيأ لحركة فزاز ثم خرج من مكناسة وطلع للجبل من الناحية الغربية فأول قادم عليه بنو حكم وزمور مع كبيرهم بايشي القبلي فأدوا طاعتهم وولى عليهم كبيرهم المذكور وتوجه حتى نزل بسيط دخسان، وأمر بتجديد قصبته التي كان أسسها يوسف بن تاشفين وأمر ببناء قصبة حنت وقصبة تادلا وقصبة ابن الكوش وأقام محاصرا للبربر بدخسان وكانت الحرب سجالا الى تمام السنة واستمرت الخدمة بالقلع الى أن تمت وعمرها بالعبيد ونزع الخيل والسلاح من اولئك البرابر ورجع لمكناسة عام واحد ومائة وألف، وفي هذه السنة حج الشيخ الامام أبو على الحسن بن مسعود اليوسي مع المولى المعتصم ابن السطان وفيه استقدم أسارى نصارى العرائش لحضرته فكان يستخدمهم في بناء قصوره، وفيها وقع حصار أصيلة ودام حصارها سنة كاملة وكانت النتيجة فرار النصارى منها ليلا اذ ضاق بهم الخناق ودخلها المسلمون عام ثلاثة ومائة وألف، وبنى بها احمد بن حدوا مسجدا ومدرسة وحماما وعمرها أهل الريف، وفي هذه السنة أمر بحصار سبتة وكان عدد المرابطين خمسة وعشرين ألفا وفي ثاني وعشرين من ربيع الاول منها نهى المترجم عن لبس السباط الاسود ومنع منه في سائر أقطار المغرب وأمر بلبس الأصفر مكانه، وفي هذه السنة مات عامل أهل الريف القايد علي بن عبد الله وولى مكانه ولده الباشا احمد بن علي وفي هذه السنة جعل ابا العلاء محرز أكبر أولاده خليفة عنه بفاس ووجه لمراكش أبا اليمن المامون وترك بمكناسة محمد المدعو زيدان وكان أفرس أولاده، وفي هذه السنة جهز الحركة لبرابر قبيلة فزاز ووجه المدافع والمهارس أمامه لملوية على طريق اعليل وكلف بجرهم نصارى العرائش والمهدية وأسرى البحر ورتب أمور دولته، وفيها وجه العدة لأهل فاس وأمرهم بالحركة للترك مع ولده زيدان

فخرجوا في رمضان وبعد العيد خرج السلطان في أثرهم وترك من توجه أمامه لفزاز، ولما بلغ وجدة أوقع الصلح مع الترك ورجع وأمر بالحركة للبربر فتوجه لهم عام أربعة ومائة وألف بجميع العساكر وجه بعضها على تادلا وبعضها على ملوية وبعضها من ورائهم من ناحية توغي، ولما وجه المدافع والمهارس وهو في السواد الاعظم نزل دخسان وعين للعسكر كله اليوم الذي يزحفون فيه على البرابر من كل جهة وهو اليوم الذي بعد الليلة التي يسمعون فيها المدافع والمهارس طول الليل ولما أمسى مساء تلك الليلة اشتغل الطبجية بطلق المدافع والمهارس طول الليل ففزع البربر ودهشوا لسماع ذلك وكل قصد ناحية، ولما أصبح انقضت عليهم العساكر من كل ناحية ووقع بين الفريقين قتال انهزم البربر فيه وقتلوا ونهبت أموالهم وسلبت نساؤهم وجمعت من رؤوس قتلاهم في الشعاب ما يزيد على اثنى عشر ألفا ثم أمر السلطان بجمع الخيل والعدة فجمعت وكان عدد ما جمع من الخيل عشرة آلاف ومن المكاحل مايزيد على ثلاثين ألفا ثم وجه لاحمد بن يشوا يأمره بغزو جروان حيث عاثوا في طريق الصحراء مابين ملوية والخنق فتوجه لهم وأوقع بهم وقعة شنيعة انكسرت بها شوكة سائر عتاة البربر ولم يبق عند أحد طول المغرب والعرض خيل ولاسلاح عدا آيت يمور وأهل الريف والعبيد والودايا واستراح السلطان من عيث البربر بالاستيلاء على آيت مالول وآيت ابو لمال وولى على قبائل البربر جميعها علي بن يشوا وجعله عامل العمال، وهذه آخر حركات مولانا اسماعيل فانه أقام في تمهيد المغرب وحرب الثوار ومن شق عليه عصا الطاعة أربعا وعشرين سنة ولم يقم فيها بداره سنة واحدة، وفي عام أربعة عشر ومائة وألف قام المولى محمد العالم على والده المترجم وقصد مراكش فحاصرها في رمضان العام ودخلها عنوة في عشر شوال وقد بسطت القضية في تاريخنا اتحاف أعلام الناس، وفي هذا العام حارب أبو النصر أخاه عبد الملك الذي كان خليفة عن والده بدرعة وكانت الغلبة لابي النصر ففر عبد الملك واستحرم بضريح مولانا ادريس بزرهون وولى المترجم على درعة ولده الشريف صاحب المعاركة وأمره بحرب أبي النصر وطرده من تلك

النواحي هـ. أفاده في روضة التعريف والنشر والترجمان وتاريخ الضعيف، وقال أبو عبد الله اليفرني في روضة التعريف دوخ مولانا اسماعيل نصره الله بلاد المغرب الاقصا كلها وملك سهلها ووعرها ودان له قريبها وبعيدها وبلغ من ذلك ما لم يبلغه ملك قبله وقد وصلت جيوشه الى بحر النيل وامتدت مملكته من جهة المشرق الى قرب بلاد بسكرة قرب بلاد الجريد وما تمهدت له البلاد الا بعد محاربة طويلة ومقارعة فظيعة وبعد أن قاسى مع المغرب والثوار من الحروب ما هو ادهى وامر ولله در من قال :

لاتحسب المجد ثمرا أنت آكله　　لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

هـ. ونحوه لأبي القاسم الزياني في بعض كتبه وذكر الجريري في شرح الشمقمقية من كتابه السيد عبد الحق الكاتب وأنه من شعرائه وهو القائل على لسانه حين قفوله من سوس، بعدما دخل في طاعته كل رئيس ومرؤوس، وسلم له الامر. وانقطعت منازعة ريد له وعمرو، واقبل على تشييد المباني من الدور والقبات والقصور، على عادة الملوك، والنهج المسلوك .

أبت الا معاتبـــة لحالي　　على جوف التنائف والهلال
وما علمت بأن الموت يحلو　　إذا ما كان في طلب المعالي
أقـولها وقـد لجت رويـدا　　الى ان تعلمى وجد المقال
فما نيل العلا والمجد سهـل　　ولكن فيهما تعب الرجـال
جلبنا خيلنا من أرض سوس　　عوابس شر بامثل السعـالى
تحملت الاسود بكل خرق　　على حمر القـوائم كالهـلال
كتـائب مـن سام وحـــام　　تعـود طفـلا دلج الليـالي
إذا ما استصرخوا لبوا سـراعا　　بأفئـدة أشد مـن النبـال
فما بلغت رباط الفتح حتـى　　تجرد لحمهـا لا عن هـزال
وكان لنا بسوس كل يـوم　　كفاح تشمئـز لـه العـوالى
ونحن الضاربون بكل نجـد　　فبابـا مشرعـة للنـــزال
إذا ما صبحت قوما أجابـوا　　وان ألفوا الحقا قبل السؤال

ونحن التاركون الفرن ترمز لو أهشه بمرهفة النصال
ونحن الموقدون بكل نجد الى السارين نيران النوال
لنا ولخيلنا في كل مصر حديث طيب الاستاذ عال
وما سميت عن المنا ولكن ركائبها تحف بها الاهالي
تفاجر بابن أشرفها لؤى وحق لها الفجر بكل حال
فوجهتنا وجعتنا بيمن وتوفيق المهيمن ذي الجلال

قلت : لايخفى على من له أدنى ميز وعلم ماقاساه المترجم من الشدائد والمحن في سبيل اخماد نيران الفتن وسهره طول عمره على جمع كلمة المسلمين حسبما مر بك بعضه ان قول صاحب البستان الظريف وهذا العدد يعني مائة وخمسين ألفا الذي جمعه أمير المومنين المولى اسماعيل رحمه الله من العبيد لو خاض به الى بحر الاندلس وكانت تلك البقاع يعني الستة والسبعين التي بناها بالمغرب حسبما تقف عليه في محله سفنا ومراكب جهادية لاستولى عليها والتوفيق من الله هـ. وكذا ما تبجح به بعض من أتى بعده واقتفى اثره كله بمعزل عن الصواب شرعا وسياسة وذلك ان جوار المترجم من أوروبًّا كلهم طلبوا مسالمته وهدنته وأمانه حسبما بسطناه في باب علائقه السياسية واذا كان الامر كذالك فلا يلزمه شرعا غزوهم وشن الغارات عليهم ائتمارا بما أمر الله تعلى به في قوله مخاطبا لصفوته من خلقه وان جنحوا للسلم فاجنح لها، فان قلت الآية منسوخة بقوله جل اسمه فاقتلوا المشركين وما في معناه من الآي وهو قول حبر القرآن سيدنا ابن عباس قلت حكى ابن العربى في احكامه في الآية الثلاثة أقوال النسخ والاجابة الى الصلح ان دعو اليه وحمل السلم على الاسلام ونسب الثاني لابن زيد والسدي والثالث لابن اسحاق ثم قال أما قول من قال إنها منسوخة لقوله اقتلوا المشركين فدعوى فان شروط النسخ معدومة فيها كما بيناه في موضعه وأما من قال ان دعوك الى الصلح فأجبهم فان ذلك يختلف الجواب فيه فقد قال الله ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون فاذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة ومناقب عديدة وعدة شديدة :

فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم

وان كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به أو ضر يندفع بسببه فلا باس أن يبتدىء المسلمون به اذا احتاجوا اليه وان يجيبوا اذا دعوا اليه فقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم، وقد وادع الضمري وقد صالح اكيدر دويه وأهل نجران وقد هادن قريشا عشرة أعوام حتى نقضوا عهده ومازالت الخلفاء والصحابة على هذا السبيل التي شرعناها سالكة وبالوجوه التي شرحناها عاملة هـ. وقال الامام ابن جرير الطبري ما قاله قتادة ومن قال قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دلّلنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على ان الناسخ لايكون الا مانفى حكم المنسوخ من كل وجه فاما ماكان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله في براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير ناف حكمه حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله لأن قوله وان جنحوا للسلم انما عني به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب، وقد أذن الله جل ثناؤه للمومنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عني به مشركو العرب من عبدة الاوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس في احدى الآيتين نفي حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه هـ. وقال الحافظ ابن كثير وقد اختلف أهل العلم هل هذه الآية منسوخة أم محكمة فقيل هي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين قاله ابن عباس وقيل ليست بمنسوخة لأن المراد بها قبول الجزية وقد قبلها منهم الصحابة فمن بعدهم فتكون خاصة بأهل الكتاب قاله مجاهد وقيل ان المشركين ان دعوا الى الصلح جاز أن يجابوا اليه وتمسك المانعون من مصالحة المشركين بقوله تعلى ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الا علون والله معكم وقيدوا عدم الجواز بما اذا كان المسلمون في عزة وقوة لا اذا لم يكونوا كذلك فانه جائز كما وقع منه صلى الله عليه وسلم من مهادنة قريش، ومازالت الخلفاء والصحابة على ذلك وهذا كله مبني على أن المراد بالصلح هو عقد الجزية أما لو أريد غيره من العقود التي تفيدهم الأمن وهي الهدنة

والأمان فلا نسخ فطلقا اذ يصح عقدهما لكل كافر وكلام أهل العلم في هذه المسئلة معروف مقرر في مواطنه هـ. ومعلوم ان اصلاح الخارج عن الايالة فرع عن اصلاح الداخل فيها وعن اصلاح أطرافها والاخذ بالحذر والأحوط في تحصين مامهده وأمنه بالحصون المنيعة واستعمار تلك الحصون بالقوة الكافية من عدة وعدد حتى لايبقى مطمع لسماسرة الفتن في ترويج تمردهم وعيثهم وان ذلك أمر متعين شرعا وسياسة وقد قام المترجم في الأمرين بأكمل الواجب ولأن اول الجهاد الاستعداد بالقوة وقد بذل هذا الامام مجهوده في ذلك ولم يهمل شيئاً منه طرفة عين بل كان في كل يوم يفتح فتوحا في داخلية الايالة بقطع دابر المفسدين والباغين الساعين في تفريق الكلمة الموجب للفشل واما في أطرافها بمحاربة المعتدين عليها من الأجانب وعلى ذلك استقر حاله الى أن لقي ربه حسبما أقر بذلك صاحب البستان نفسه في مواطن من كتبه وغيره كذلك وانما يكون لانتقاده كمن تبعه وجه لو لم تكن مسالمة ولا مهادنة ولاباغ ولا منازع ولا مفسد لا في داخلية حدود مملكته ولا في أطرافها وتهيأت له مع ذلك قوى تلك الجيوش ولوازمها ثم تقاعس وهذا القدر منتف لم ينقل ثبوته هذا المنتقد ولاغيره وليت شعري كيف يتاتى ترك اخماد نيران فتن الداخلية ومقاومة المستولين على أطرافها والانتقال لمحاربة الخارجين عن سدودها البعيدين منها المسالمين لأهلها أم كيف يساعد عاقل على ترك الرعية في يد بغاة وعتاة مفسدين وعرضة لتكالب من هم على أطرافها معتدون وعبور البحر لمحاربة غيرهم وهل يفعل ذلك غير أخرق ومغرور.

الباب الثامن

في علائقه السياسية

أما علائقه السياسية مع ملوك أوربا ومخاطباتهم له فشيء يفوق العد ولو تتبعنا ما وقفنا عليه من ذلك لجاء في مجلدات وقد جلب الفرنسي الشهير الكونت دو كاستري في كتاباته التاريخية من ذلك جملة وافرة، وقد كانت ملوك أوربا تهابه وتقدره قدره وتهاديه وتطلب مهادنته وتجنح الى مسالمته وكانت بينه وبين لويس الرابع عشر مجاملة وحسن معاملة كم سارت بينهما السفراء في مهمات الأمور، ودونك مايكون أكبر برهان وأدل دليل على ماذكر ففي عيون التاريخ للكونت دو كاستري صحيفة 434 من الجزء الأول ما نص ترجمته :

الى الملك الأعظم المقتدر حبيبنا الأعز قد بلغنا بكل فرح خبر جلوسكم على عرش الملك وما أنتم عليه من حسن المعاملة مع من بمملكتكم من تجار النصارى وما سهلتموه للرهبان من فك أسارى الفرنسيس الماسورين لديكم وانما كان بيني وبين من سبقك من الملوك من صدور المحبة وحميد السيرة وحسن معاملة رعايا بعضنا بعضا يحملنا على اليقين بأن تحسنوا قبول ما يعرضه عليكم بالنيابة عنا السيد شمويل دود من مبادلة بعض لنا من أسارى عندكم ببعض مالكم من الاسارى عندنا والكل مما كان اسرته المراكب البحرية بسلا، وها نحن وجهنا مع السفير المذكور عشرة من أسارى المسلمين وكلفناه بقبض بدلهم عشرة من أسارى النصارى الموجودين بأعتابكم وما قابلتم به مالديكم من اسرانا من الحق والاحسان ينفي عنا كل شك في نجاح المطلب وفي حسن التعامل استقبالا ولاننسى جميلكم واحسانكم أبدا واني على يقين من أنكم أمرتم ضباطكم ورؤساء رعيتكم باعطاء الحرية التامة في التجارة لمن يتجر من رعيتنا بمملكتكم وهذا مما يزيد في توثيق أواصر المحبة بيننا وبينكم ونطلب الله أيها الملك الاعظم المقتدر الحبيب الأعز أن يزيد في علو مقامك مع حسن الختام حرر في عاصمتنا الملوكية مدينة باريز ثالث عشر غشت سنة اثنين وسبعين وستمائة

وألف محبك وصديقك الوي وتحته امضاء الوزير كلبير[1] هـ. وجاء في كتاب مويت الأسير الفرنسي الموسوم بفتوحات مولاي رشيد وأخيه وخليفته من بعده مولاي اسماعيل ما مضمن ترجمته : في عام ستة وسبعين وستمائة وألف ورد من فرنسا، باريز، بوردو، تلوز، الرهبان على السلطان مولاي اسماعيل بقصد فداء أسراهم وكان ورودهم على ثغر سلا ومكثوا ثلاثة أشهر فمن عليهم بتسع وخمسين أسيرا وتوجهوا بهم هـ. وجاء فيه أيضا أنه في سنة سبع وسبعين وستمائة وألف وصل لفاس ثمانية من الرهبان من مدينة مدريد المكلفين باعانة الاسارى كان وجههم أحد كبراء الاصبان بعدة من الدراهم لاعانة الاسارى ومصارف داري الرهبان بفاس وتطوان وكانوا يؤدون للسلطان على مساعدتهم على ذلك اثنى عشر ألف ريال هـ.، وفيه[2] أيضا أنه جاء سفير فرنسا شاتو رينو[3] في عشر مراكب حربية لسلا وطلب من قائدها عقد صلح في أمور البحر فأجابه بأن ذلك ليس اليه وانما للسلطان أو لنائبه عمار فان شئت أن تخابره في ذلك فهو في محل كذا من المراسي المغربية فذهب السفير في ثلاثة مراكب وترك الباقي بسلا الى أن وصل مرسى النائب السلطاني فراسله في التأمين للمخابرة في ذلك فأمنه على أن ياتيه للمرسى في عشرة من أصحابه ففعل وتخابرا في ذلك فأجابه بأنه لايبرم صلحا الا بعد أن يوجه لبقية

---

(1) كتبت هذه الرسالة بطلب من P. Formont بتاريخ 10 غشت 1672 مقترحًا أن تكون عوضًا عن الرسالة المكتوبة للسلطان مولاي الرشيد بتاريخ 23 يبراير 1672 والتي لم تصل إلى صاحبها... دوكاستري : مصادر لم تنشر عن تاريخ المغرب السلسلة الثانية : دولة العلويين، المجلد الاول ص 434

(2) الضمير يعود على دوكاستري وليس على كتاب الاسير الفرنسي مويت، هذا ولا شك أن النقيب مولاي الكبير ابن زيدان يقصد بقوله «سفير فرنسا» إلى القابطان شاطو رونو (CHATEAU - RENAULT) -الذي صدرت له التعليمات من سان جيرمان آن لي بتاريخ 23 مارس 1680 ليضرب الحصار بقطع أسطوله على مدينة سلا ويطارد في نفس الوقت المجاهدين المغاربة، وذلك في محاولة لفرض شروط السلام المقترحة من ملك فرنسا لويز الرابع عشر...

De Castrie : S.I.H.M. Série 2 T.2 P. 132-133.

د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب 1408=1988 مطبعة فضالة (المحمدية) ج 9 ص 70-74.

S.I.H.M. - S.2. T2, P 97 (3)

مراكبه بسلا للحضور معه بمرسى المخابرة وعلى أنه لا يدخل في الصلح ما يصطاده ويغنمه البحرية المسلمون قبل عقده من المراكب والأسرى فكبر على السفير الشرط الأخير واستخف القتال لأجله ثم انقلب راجعا من غير فائدة هـ. ووقفت على كتاب من سيدنا الجد المترجم للويز الرابع عشر ملك فرنسا لفظه : بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم من عبد الله تعلى الامام المظفر بالله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني أيده الله تعلى ونصره آمين وبعده الطابع بداخله اسماعيل ابن الشريف الحسنيى، الله له وبدائرته العز والاقبال، الى عظيم الروم الفرنصيص الويز الرابع عشر من هذا الاسم السلام على من اتبع الهدى وباعد طريق الغي والردى.
اما بعد فاعلم ان الذي ظهر لنا أنك ليس عندك قول صحيح ولا كلام رجيح ولا أظنك الا غلب عليك أهل ديوانك وصاروا يلعبون بك كيف شاءوا ولا بقي لك معهم ضرب ولا نقب ودليل ذلك اننا مازلنا ماقبضنا منك صحة قول ولا ابرمت معنا شيئا ففلا منك الذين ليس لهم رئيس ولا عندهم الا الديوان تكلموا معنا كلمة وقبضناها عليهم وثبتوا فيها ووفوا بها. والانجليز تكلموا معنا كلمة قبضناها عليهم ووفوا بها فحين ذهب خديمنا لبلادهم لما طلبوا منا ذلك فرحوا به وأكرموه وبروا به وأتى من عندهم بعشر مائة مكحلة وستة عشر مائة قنطار من البارود ومائة وسبعة من المسلمين أطلقوهم من الأسر لوجوهنا وعملوا من الخير ماعملوا مراعاة لنا وثبتوا في قولهم ووفوا بكلامهم وأنت مازال لم يصح منك قول ولا وفاء، وأولائك الذين كانوا قدموا اليك من هذه البلاد ليس هم من خدامنا ولا من اصحابنا ولا ممن له معرفة معنا فالحاج علي معنينوا حيث أسر له ولده لاذ بالبعض من خدامنا واستحرم به وقدم اليكم على شأن أولائك المسلمين وجاز على دار السباع ودار النعام وأتى اليكم بما أتى ولا شعرنا به ولا عرفناه كم اخذ، وقلنا انه ان وصلكم ولابد تعملون له غرضه في أولائك المسلمين وتسرحونهم فاذا به هو تحيل على ولده الى أن جاء به، وأنتم ما عملتم صوابا في غيره ولا صدر منكم ماتراعون لأجله ثم بعد ذلك قدم لعلي مقامنا صاحبكم

انبشدور وأتانا بشيء من الخِرق مع فالصو الحرير وهل نحن ممن يعجبه ذلك ويسره، فنحن معشر العرب لانعرف الا الصحيح ولايسرنا الا ما فيه مصلحة المسلمين كلهم، ومع ذلك أعطينا لصاحبك عشرين نصرانيا سيفطناه[1] بها وظننا أنك ولابد تراعي الخير وتبعث لنا ولو عشرين مسلما تجبر بها خواطرنا وتكون هي الطريق للكلام الذي تريده منا فاذا بك ما عملت شيئا من هذا ولا جازيت باحسان وثانيا قبضنا لك سفينة قبل أن يقع الكلام بيننا وبينك بثلاثة أيام أو أربعة على التحقيق وهي موسوقة بالسكر وتبغة وثقفناها نحو ثلاث سنين بقصدك ولا تركنا أحدا يمد يده فيها وقلنا انك تراعي خيرنا وتعمل لأولائك المسلمين طريقا وتسرحهم وان كانوا ليس فيهم من هو خديمنا ولا من هو محسوب من جيشنا ولا من هو معرفتنا فما هم الا من لا خلاق لهم ولا يركب البحر عندنا الا أهل التمرييل ولو طلقتهم وان كانوا ليسوا بشيء فتكون عملت الخير بذلك ونقول أنك عملت مسئلة تراعي عليها وأعظم من ذلك كله هو أن رئيسا من بلادنا اسمه التاج كان اعطاه صاحبك الذي أتانا خط يده على أنه يشتري سفينة من الجزائر يسافر بها قرصان وما عليه فيمن تقيد من فرانصيص فلما ان اشتراها وسافر بها وغنم قطارمة[2] موسوقة بالرخام والريال مع ما فيها من الحرير وغيره وبعثها مع أصحابه ستة وعشرون مسلما وتعرضوا لها سفنكم وأخذوها وثقفتها أنت أياما ثم بعد ذلك مزقتها والمسلمون الذين كانوا معها خدمتهم في القراب فلماذا لم تردها أو ثقفتها ثلاث سنين كما ثقفنا نحن سفينتكم، وهل هذه هي صحة القول، فهذا مما يدل على عدم صحة كلامك ومما يثبت الاخلال بقولك وقلة وفائك فحتى الآن فالذي ظهر لنا انه مايليق بنا معك الا الشر واذا أردت تثبيت المهادنة وابرام الكلام فيها وامضاء حجتها فابعث لنا من عندك قونص بالتفويض على هذا الامر ويجلس هنا في احدى مراسينا ويكون كلامنا

---

(1) سيفطناه : ارسلناه، وهو تعبير دارج أصله من الكلمة العربية : (سفط)

(2) دارج يعني المركب

منه في هذا كله ونبرم معه هذا الأمر ويكون من أهل الحل والربط عندكم والا بان ظهر لكم خلاف هذا فاعلمنا وعرفنا بما عليه عملك وما أضمرته طويتك والسلام على من اتبع الهدى وفي التاسع من شعبان المبارك سنة خمس وتسعين وألف هـ لفظه كما وجده **وجاء** في كتاب مويت المذكور آنفا أنه جاء سفير والي الجديدة[1] لمولاي اسماعيل وفاوضه في أمور ولما أراد الرجوع استفهمه المولى اسماعيل عما يريده من الاكرام منه فطلب منه سباعا صغارا فاعطاهم اياه هـ. **وفيه** أيضا انه في عام 1677 ورد على المولى اسماعيل ثمانية من رهبان الاصبان من رؤوس ديانتهم (دوير دي اركوم) Dom Pedro d'Aragn (صفحة 97) ومعهم أموال عظيمة لبناء متعبد لهم ومستشفى بمدينة فاس وتطوان على أن يؤدوا له في كل سنة اثنى عشر مائة لويز والقصد من بناء ماذكر أن يجد الأسارى محلا للعبادة وآخر للاستشفاء فلم يأذن لهم ورجعوا بغير نتيجة، وفي رابع عشر ابريل[2] عام احد وثمانين وستمائة وألف مسيحية وصل لمكناس سفير من الانجليز وهو عامل ثغر طنجة اذ ذاك[3] وهذا السفير انما جاء نائبا عن السفير الوارد من البلاد الانجليزية وتخلف بطنجة ووجه النائب المذكور يطلب من السلطان أن يوجه له مائة عربية بقصد أن يحمل بها ماجاءه به من الهدايا من قبل ملكهم فساعده وبعد مضي أيام وصل السفير بما معه من الهدايا للجناب الملكي وعقد الصلح معه على مدة أربعة أعوام وأعطاه السلطان في مقابلة هديته مائتي رأس من البقر ومثلها من الغنم. وفي هذه السنة وقع حصار المعمورة وافتتحها المولى اسماعيل وكان افتتاحه إياها في ثاني عشر ابريل عامه، **وجاء** في كتاب مويت المذكور ماترجمته وجه ملك الانجليز كتابا للمولى اسماعيل حلاه فيه بأعظم اسم للملوك عندهم يطلب منه أن يوجه ملك الانجليز سفيرا له ليفاوضه في عقد محالفة وكذا وجه كتابا في معناه لنائبه الحربي القايد عمار بن حدوا فاستشار السلطان العلماء

(1)كان الوالي البرتغالي يحمل اسم D. CHRISTOVÀO DE ALMADA S.I.H.M. T. 2 P 109.

(2) الصواب يبراير

(3) القصد الى الكولونيل بيرسي كيرك P. Kirke ص 143.

والأعيان في مطلب عظيم الانجليز فأشاروا بأنه حيث كانت القوة للاسلام فلا يجاب، وخالفهم عمار في رأيهم وأشار بأن الأولى هو المساعدة في هذا المطلب لما في ذلك من اظهار جلالة الاسلام حيث كان السلطان مع عظمة مملكته يطلب الاستعانة بمحالفة ملكنا ولما فيه من تسريح الطريق لدولة سلطاننا في البحر اذا اظهر له غزو ما وراء البحر، ولما فيه من تمشية التجارة والاتيان بها من اوربا بسهولة وذلك يفضي لزيادة ثروة المغرب ولكون الطالب من أهل الكتاب فالاولى اجابة من طلب منا ذلك كائنا من كان **فالتفت** اذ ذاك السلطان للقاضي وقال له ما تراه الآن بعد أن سمعت رأي النائب عمار بن حدوا فأجاب القاضي بأن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه التي انتصر الدين بها وظهر على الأديان كلها هو الشدّة على الكفار وموالاة قتالهم حتى اشرع الله ممالكهم للاسلام. ولما ذهب السلف واتى الخلف وتقاعسوا عن سيرتهم رجع الدين وراء حتى استولى الكفار على كثير من ممالك الاسلام وخصوصا مدن المغرب : طنجة وكذا وكذا وعدا ما بيد النصارى منها، فلما سمع السلطان مقال قاضيه أمر نائبه عمار بن حدو أن يذهب بعسكر العبيد لطنجة وياتي بذلك السفير في امن فجاء وصحبته هدايا ملكه السلطان(1).
وفي رابع عشري ابريل(2) من السنة المذكورة جاء لمكناس مايلور كيرك كرونيل الخيالة الانجليزية وهو حاكم طنجة في ثلاثين من أصحابه في خفارة القايد علي بن عبد الله فخرج الاعيان للقيهم في احتفال، وفي الساعة الرابعة من غده احتفل السلطان للقيه بتنظيم مائة آلاف من عسكر العبيد وابرازها في ملابسها الحسنة ثم أمر بالسفير فجاء امام ذلك الاحتفال فأظهر السلطان بشاشة وبشرًا بعد أن أسمعه الاحتفال العسكرى طلقات بارودية استغرقت ساعة من الزمان، وحين قابل السلطان أخبره ان السفير الرسمي تأخر بطنجة لكونه شاكيا ولانتظار وصول اتمام هدايا ملك انكلترا لجلالة السلطان وطلب توجيه مائة كروسة تحمل تلك الهدايا فسر السلطان بذلك وأمر

(1) S.I.H.M. Ser 2 T. 2 P 138
(2) S.I.H.M. P 144

حينا بتوجيه العدد المذكور من الكراريس حيث عرفه بأن ذلك مع عين السفير علي وشك الوصول وبشر السلطان السفير الاول الواصل بأنه على نية أن يمضي معهم صلح أربع سنين ثم أمره بالتفسح بفاس[1] ريثما يجيء الجاءون من طنجة ثم بعد ذلك رجع لمكناسة فوجد بعض الهدايا قد وصل ثم بعد أربعة أيام وصلت البقية مع من سماه سفيرا والفرض انه قبطان حصن طنجة لاغير وعند ذلك قدما للسلطان المكاتب الواردة من سلطان الانجليز مع الهدية وقدر قيمة تلك الهدية ثلاثون ألف لويز فسر السلطان بذلك وأبرم معهما الصلح المطلوب المدة المذكورة وأمضاه بطابعه وسرح قبطانا فرنسيا كان من جملة الأسارى لديه اجابة لرغبتهما في ذلك وكان الصلح انبرم على ان يؤدوا لجلالة السلطان مائة بيسَّة من الملف ومائة قنطار من البارود ثم سامحهم السلطان في الملف اكراما لما أظهره من المجاملة واتصف به من الأدب ثم رجعهم في خفارة القائد عمار فرجعوا من حيث جاءوا وأعطاهم مائتي رأس من البقر ومثلها من الغنم مجازاة على الهدية التي أتوا بها من ملكهم، كذا بصحيفة ثمانية وثلاثين ومائة من الكتاب المذكور هـ. **وجاء** في كتاب للكونت دو كاستري المؤرخ الشهير المطبوع هو أي الكتاب بباريز سنة ثلاث وتسعمائة وألف ان سيدنا الجد كتب لسلطان الانجليز بما نصه : الحمد لله وحده ولا حول وقوة الا بالله العلي العظيم لارب غيره ولا معبود سواه من عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره الى مولاه الغني به عمن سواه أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين وبعد ذلك الطابع السلطاني المنيف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أيده الله بعزيز نصره وأمده بمعونته ويسره وخلد في الصالحات شريف مناقبه وجميل ذكره آمين يارب العالمين الى طاغية الانجليز القاطنين ببلاد الفرنسيس يعقوب المسمى بلسانهم جمس سلام على من اتبع الهدى وتجنب سبيل الغي والردى وآمن بالله ورسوله ثم اهتدى أما بعد فانا كتبناه اليك وأوردناه عليك وواصلناك بهذا الكتاب واعتنينا لك بهذا الخطاب

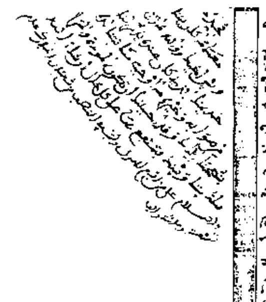
(1) S.I.H.M - P 144

لمسئلتين اثنتين احداهما دينية والاخرى سياسية دنيوية وموجب ايرادهما عليك التنبيه لك والايقاظ والنصح والارشاد وذلك ان أخاك الذي كان ملكا على الانجليز من قبلك كان عرف لنا من الحق ما عرف وتقرر عنده من لدنا لهذا الدين الشريف على غيره من الشفوف والشرف فكان من أجل ذلك يطلب منا المهادنة على طنجة فبعث لمقامنا العالي بالله من أصحابه وخدامه المرة الأولى والثانية من بعث انافة بمحلنا وتنزيها بشريف مكاننا وكانت المواصلة بين الملوك والمراسلة مستنة ومشروعة وان اختلف اللسان وتباينت الأديان فجازيناه على فعله وكافيناه على شغله ووجهنا له من خدامنا انباشدورا وصل اليه وقدم عليه كما شاهدته ورأيته ففرح بسفيرنا وأكرمه اكراما كثيرا وسر به وبمقدمه سرورا كبيرا ورجع من عنده مغبوطا مسرورا فلم نزل نراعي له ذلك ووفينا له في جميع ما كنا عملنا معه في طنجة ولم نرد البال الى شيء مما كان يعمله بها حين أراد الرحيل عنها وكان ينقل خزائنها ومدافعها وسكانها وأهل جوارها من المسلمين يرون ذلك وينهونه الينا ويقصون مايشاهدونه علينا وما القينا اليه في ذلك البال ولا التفتنا اليه بحال من الاحوال وما ذلك الا مكافأة له على صنيعه مع سفيرنا ووفاء بالقول الذي كان طلبه منا وودنا ان لو كان أخوك بقي حيا الى أن يشاهد صنع الله الذي صنعه لنا في فتح العرائش من يد اصبنيول ويرى محاصرة سبتة اليوم وما كان أهلها يصرفونه عليها من الاموال وما كان يلزمهم في مئونتها من ملايين الريال لتحقق وفاءنا له وغضنا الطرف عنه وعلم ان القول والعهد الذي اعطيناه لم ننقض شيئا منه فالصواب الذي كان من أخيك والحق الذي كان يعرفه لنا هو سبب الكتب اليك مكافاة على صنيعه وهو الذي أوجب مكاتبتك بهذه المراسلة لنعرض عليك فيها الأمرين المذكورين أول الكتاب فاما الدينية منهما ففيها خير الدنيا والآخرة لما فيها من ارشادك ونصحك ان وفقك الله تعلى وذلك ان تعلم ان الله سبحانه جل جلاله وتقدست صفاته وأسماؤه انما خلق هذا الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئا قال الله سبحانه وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق

ذو القوة المتين وهذه العبادة التي أوجب الله على خلقه لا بد لها من وسائط يبلغون عن الله لخلقه ما أمرهم به ومن رحمته بخلقه ورأفته بهم ان جعل لهم وسائط بينهم وبينه من جنسهم أرسلهم اليهم من انفسهم واختارهم من أنفسهم فبعث اليهم رسلا يبلغونهم عن الله ما جاءوا به من عنده فآمن بهم من أراد الله بهم سعادته وكفر بهم من كتب شقاوته وختمهم بخاتم أنبيائه سيدنا **محمد** صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيئين وسيد المرسلين وجعل دينه خير الاديان وشريعته أفضل الشرائع وملته خير الملل ولقد بشر به وبمبعثه عيسى كما بشر بعيسى موسى بن عمران على نبينا وعليهما وعلى جميع الأنبياء الصلاة والسلام. **ونبينا** عليه السلام وان كان اخر الانبياء بعثا فهو أولهم خلقا ومما يجب اعتقاده ان الأنبياء كلهم يجب الايمان بهم فلا نفرق بين أحد منهم وان المسيح ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام هو أحد الرسل الذين جاءوا عن الله من غير ادعاء مما تدعون ولا اطراء مما تطرون **قال** تعالى في حق امه الصديقة ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتابه وكانت من القانتين **وقال** تعالى في حقه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **وقال** تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله الاه واحد سبحانه أن يكون له ولد. له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا ومن المعتقد أن المسيح رفعه الله اليه وان اليهود لعنهم الله ماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وانه ينزل بين يدي الساعة فيجد المهدى من هذه الامة من ولد فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل الدجال ويجده قد أقيمت عليه الصلاة فيقول له تقدم يانبي الله وياروح الله فيقول له عليه السلام عليك أقيمت فيصلي خلف رجل من أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ويحكم بشريعته ويقتل الدجال فيكره النصارى ويقتلهم ويقتل اليهود حتى يكلمه الحجر ويقول له يانبي الله هذا

يهودي وراءي فاقتله وقد أخبرنا بهذا كله نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله والذي نفس محمد بيده ليوشكن ان ينزل فيكم المسيح ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ولا يقبل الا الاسلام وهو معدود في أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم وقد عرف هذا جماعة من أعلام النصارى وملوكهم الذين هداهم الله ومن عليهم باتباعه كالنجاشي ملك الحبشة حتى عد من الصحابة وصلى عليه نبينا صلى الله عليه وسلم يوم مات وهو بأرض الحبشة وهو احد من خاطبه النبي صلى عليه وسلم ودعاه الى الاسلام كما خاطب قيصر ملك الروم جد هذا الملك الذي لجأت اليه وأنت مقيم لديه ولقد كتب اليه يدعوه الى الاسلام فلما قرأ كتابه ووعاه وكان عنده من العلم المكنون ما عنده سأل من حضره من العرب عن صفاته وأحواله وسيرته ومايدعو اليه وما يأمر به وما ينهى عنه فقال انه النبي المنتظر الذي بشر به عيسى وسيملك موضع قدمي هاتين وشاور أرباب دولته وأهل ملته في اتباعه فضجوا وحاصوا حيصة الحمر الوحشية فساعفهم وساعدهم بخلاء بملكه وحين بلغ خبره نبينا صلى الله عليه وسلم قال ضن اللئيم بملكه فلقد رسخت في قلبه معرفة هذا الدين وفضله على سائر الأديان لاكنه لم يسمح بملكه وبكل حال من الاحوال فهذا الدين الحنيفي هو الذي اختاره الله دينا وارتضى له نبيا أمينا وجعله أفضل الأديان **قال الله سبحانه** في محكم القرآن ان الدين عند الله الاسلام **وقال تعالى** ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فمن أمعن النظر واستعمل الفكر ووزن الاديان بميزان الحق والعقل عرف ان دين الاسلام هو الدين وان غيره كله لعب وعبث من لدن بعث الله نبينا الذي ختم به الانبياء وتقرر لديه انها كلها باطلة وأهلها للنار وقد وقع اختيار الاديان وأيهم أفضل لبعض عقلاء النصارى وقد نظر فيما عليه المسلمون وفيما عليه النصارى وفيما عليه اليهود فأراد أن يختبرهم من جهة المعقول فاتى نصرانيا وقال له أي الاديان أفضل دين النصارى أو دين اليهود أو دين المسلمين فقال له النصراني دين المسلمين فأتى اليهودي وقال له أي الاديان أفضل دين المسلمين أو دين النصارى

أو دين اليهود فقال له دين اليهود فقال له وأيهما أحسن دين النصارى
أم دين المسلمين فقال له دين المسلمين فاتى لمسلم وقال له أي الاديان
أفضل فقال له دين المسلمين فقال له وأي الدينين أفضل أدين اليهود
أو دين النصارى فقال له لا خير فيهما معا فالدين القويم هو دين
المسلمين فعرف هذا النصراني المذكور بعقله أن الدين هو دين الاسلام
وأن ماسواه محض ضلال وأن اليهود والنصارى ليسوا على شيء وقد
وقع معنى هذا في كتابنا قال الله عز وجل وقالت اليهود ليست
النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون
الكتاب **وهانحن** قد أملينا عليك نبذة من الآية القرانية والأحاديث
النبوية والدلائل المعقولية المطبقة على أفضلية هذا الدين القويم وغيره
كله انما هو في سواء الجحيم وأنت ان خممت مع راسك وفكرت
في نفسك واخترت الدار الآخرة على الدنيا ودخول الجنة على النار
فأنت عرفت سبيلها فاتبع هذا الدين الحنيفي وانطق بالشهادتين فان
من قال لا الاه الا الله محمد رسول دخل الجنة ولو قالها مرة في عمره
ويدخلها بشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم فان له في أهل الكبائر
والجرائم والذين نفذ الوعيد فيهم شفاعة عظمى خصه بها ربه في
الموقف العظيم ووالله ان أنت اعتقدت هذا الاعتقاد ووفقك الله اليه
وعملت ما عمله قيصر من اعتقاده بقلبه وتيقنه به في نفسه حتى
تحمد ذلك حالا ومئالا ان شاء الله فهذه المسئلة الدينية التي نصحناك
بها **والمسئلة** الدنيوية هي اذا أنت أحببت الابقاء على دين الكفر فدين
قومك الانجليز أخف وأيسر عليك من عبادة الصليب ومتابعة الذين
يجعلون لله الولد وينزهون عنه رهبانهم وأي شيء رأيت في تغريبك
عن وطنه وبعدك عن بلدك وخروجك عن ملة أبيك وجدك وتدينك
بغير دين قومك وإن كان الجميع على ضلال فدينكم انتم معشر
الريكس أيسر من أولائكم المتوغلين في الكفر وحتي امرأتك
الفرنسيسية التي كانت تحوزك على التعبد بدينها ها أنت الآن افترقت
معها فعلى ما أنت باق في جوار الفرنسيس تارك ملتك وادع ملك
أبيك وأخيك لغيرك راض بالافلامك يتملك على جنسك وأنت بالحياة
فوالله ماأحببنا لداركم ولا لمملكتكم يتولى رياستها الفلامك أو غيره





فالغ عنك ماتقدم بينك وبين قومك فإن الصواب معهم في الانكار عليك بسبب الدين الذي اختلفت معهم فيه واعتذر لهم وعاودهم وراجعهم ووالله لولا أنّا أناس عرب لا معرفة لنا بالبحر أو كان عندنا من يحسن معرفته أو نستوثق به في الجيش ونطلقه في يده حتى نكاتب الانجليز ونبعث لك من الجيش ماتدخل به عليهم وتتولى به ملكك ولكن مسألة واحدة نعرفك إياها فحاول حتى تتنصل من بلاد الفرنسيس واقصد لجوبة بلاد البرتغال وها زوجة أخيك البرتغالية اليوم هنالك ولقد كان لها عند أهل ديوانكم وجه وكلام ومن هنالك تقرب المسافة بينك وبين قومك وتسهل عليك مناولة الكلام معهم لكن بحيث لا يكون للافرنسيس بك شعور وأما اذا عرفوا منك ذلك فلا يتركونك ولا يطلقونك لمسألتين إحداهما لا يريدونك تترك دينهم وترجع إلى دين قومك والثانية يخافون أنك إذا راجعت قومك ربما تعاديهم وتحاربهم لاسيما حيث عرفتهم وعرفت عزة بلادهم والملوك دائما تحذر من مثل هذا وقد نصحناك وأريناك ما يليق بك في دينك ودنياك ووالله مانكره لك الهداية والرشاد وقد بلغنا أنك تروم الوصول الى رومة فإياك وأن تحدث نفسك بشيء من ذلك فإنك اذا دخلتها تحتل بها ولا تطمع بالخروج منها ولا في ملك بعدها أبدا فعلى كل حال إن أنت راجعت قومك ودينك تجد ما كان بيننا وبين أخيك ووالله مازال خديمنا الذي كان عنده يذكر لنا من صوابه وخيره ماأوجب مكاتبتنا لك بنصحنا إياك وقد أحببنا أن تكون المودة والمراسلة بيننا وبينك فتنتفع بها على كل حال إن شاء الله والسلام على من اتبع الهدى وكتب في النصف من شعبان المبارك عام تسعة ومائة وألف (1109 = 1698) هـ. وهو مكتوب عظيم يدل على مهارة المترجم في علم السياسة ومعرفته التامة بأحوال الأمم اذ ذاك رغما على بعد الديار وقلة الحركة التي ينتج منها هذا الاطلاع وتوجد نسخة هذا المكتوب الاسماعيلي مأخوذة بالفتوغراف **قال** مؤلف الكتاب المنقول منه : يوجد أي هذا الكتاب بعينه في مودعات الأمور الخارجية في قسم المكاتبات السياسية مع المغرب وقد علق على هذا المكتوب غير واحد من نقاد كتاب مهرة الأروبيين منهم حامل لواء

التاريخ في عصره لديهم الكونت دو كاستري أمور لا يهم المتبصر نقد غير حرف واحد، منها نص ترجمة ما صرح به المؤرخ المذكور حسبما بصحيفتي 8، 9 من كتابه المعنون (بمولاي اسماعيل وجاك الثاني) أن مولاي اسماعيل يظهر لنا حسب هذا المكتوب كفقيه متبصر في الاسلام. وهنا مشكلة تحير فكرتنا الأرينية والمسيحية فيما يتعلق بهذا الطاغية السفاك للدماء الذي يريد المناظرة والجدال بالديانة المحمدية وبذل الجهد في إسلام ملك الانجليز الذي كان انقلب إلى الكاثوليك والذي كان محلى بتوبيخ مولانا اسماعيل لتضييعه ملك آبائه لعبادة الأوثان هـ. **قلت** قوله السفاك للدماء هذا فصل حيف من كثير من الاروبيين على المترجم يوجد مثله لهم كثير أو تجدهم في حيفهم هذا يتفننون في أساليب السب والطعن، وكل ما يعرف عن وقع ملوك الاسلام في أنفسهم وشدة احترامهم لهم وبالأخص جلالة المترجم مولانا اسماعيل قدس الله روحه ولا يعتمدون على حقيقة ولا يعطون ما يجب عند الملاحظة بمقتضى سوي الطريقة ولا يراعون ما يجب على الباحث الناقد من الآداب بل تراهم يهجمون من غير احتشام بكل هجر وفحش يتلعثم لسان من هذبه العلم وعلم معنى الانسانية عند النطق به ويتعجب من صدوره من مطلق ناطق فضلا عن كاتب مؤرخ يدعي الاتصاف بالانصاف فيما يبديه ويعلم أن وراءه نقادا عارفين يميزون الغث من السمين ولا يكاد يخفى عليهم تمويهه وافراغه الوقائع في غير صبغتها، ويكفينا أن من أنصف منهم أشار إلى إقامة العذر باعتبار السياسة فقد علق (بيدجات مكان[1]) الانجليزي على قول (سان أولون[2]) أن المترجم ظهر أمامه وثيابه وذراعه ملطختان بدم قتله لأسودين قطعهما أطرافا بالسكين هـ. ما صورته أن قساوة مولاي اسماعيل هي نتيجة العصر الذي كان فيه واذا فاقهم في القساوة فذلك لأنه فاقهم في القوة والبأس والسلطان هـ. حسبما بصحيفة أربعة وعشرين من كتاب الكنت المنقول عنه آنفا، فعلق عليه غيره منهم

---

(1) القصد الى BUDGET MEAKIN

(2) القصد الى SAINT-OLON

الكنت المذكور ما صورته حسبما بالصحيفة نفسها هذا منه اعتذار لما ألصق بمولاي اسماعيل حيث إن غالب المؤلفين الأروبيين غير عارفين بما يليق بالظروف الوقتية وأهملوا الاحتياط في تقدير أعماله الدموية وجهلهم لهذا حملهم على الحكم عليه بصرامة لا يستحقها هـ. **وقال** الأسير مويت كان هذا الملك صعبا على من عصاه، ولا عجب في ذلك لأن عادة الأعراب تشوفهم دائما لنزع السلطان وتولية غيره. ولهذا كان مولاي اسماعيل شديدا عليهم وبهذا ثبت ملكه ولم يسترح مدة ملكه من مواصلة الحركات والغزو ستة أشهر متواليات(1) هـ.
فقد أبطل هؤلاء الأروبيون الثلاثة العجب من الشدة والقساوة التي يحيق بها غيرهم من أهل جنسهم على المترجم وبينوا أنها واقعة موقعها سياسة وإن الاعتراض مانشأ الا عن جهل وعن التكلم فيما لا يحيط المتكلم به علما وهذا جوابهم سياسيا الذي هو حد موقفهم، وأما ديننا فيقال إنما يتجه الانكار مع ثبوت صدور الفعل المنكر من الذي أنكر عليه وناقل تقطيع المترجم للأسودين لم يقدر أن يدعي أنه عاين ذلك وإنما ادعى معاينة التلطيخ بالدم واعتمد في محل الانكار وهو كونه دم الاسودين، وأنه من تقطيع المترجم لهما على نقل هيان بن بيان فلم يبن على تحقيق فوجب أن لا يصغى لانكاره ولا لانكار مشاكل له الا لانكار ذلك الانكار على صاحبه، على أنه لو أخبر على أنه عاين ذلك أو نقله ثقة إليه لقلنا له انما يتجه إنكارك لو ثبت أن الأسودين قتلهما المترجم بغير حق، أما لو كان قتله لهما إقامة لحد عليهما فذلك عين كماله ومن واجبات إمامته وسلطانه في دين الاسلام الذي يجب أن يعتنقه كل فرد من الانام وهذا هو الواجب الحمل عليه الا إن ثبت ضده، وكأني بهؤلاء الكتاب الناقدين المتنورين ذهلوا عما كان عليه القسوس أعني قسوسهم وأئمة دينهم مما قصه لنا التاريخ عنهم من الشدة البالغة الحد والقساوة التي لا يمكن ارتكابها لغير الحيوان المفترس من الذبح والشنق والاحراق بالنار وسمل العيون لمن خالف شيئا ما من تعاليم الكنيسة من غير أن يلحقهم ما يلحق بني

S.I.H.M. 2e Série II P 1 (1)

الانسان من الرقة والحنان بل يفعلون ذلك بكل ارتياح ونشاط، قال دي رومنيس أن قوس قزح ليست قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء فجلب الى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في النار وقيل في علة الحكم أنه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا وأي ذنب أعظم من هذا الصلح وقد طلب الراهب توركماندا إنشاء مراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة ومن خالف يشدد عليه في العقوبة ثم قامت المحكمة بأعمالها حق القيام وفي مدة ثمانية عشرة سنة من سنة واحد وثمانية وأربعمائة وألف الى سنة تسع وتسعين وأربعمائة وألف حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفا وثلاثة وعشرين شخصا بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية وقال باغليادیس ما كان يقوله الناس لذلك العهد يقرب من المحال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها عام واحد وثمانين وأربعمائة وألف الى سنة ثمان وثمانمائة وألف على ثلاثمائة وأربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف أحرقوا بالنار أحياء وقد جاء في صحيفة تسع وأربعين ومائتين من (الثورة الفرنسية) أن بيوفارين كان يظل في ساعات الغضب والضيق هادئا قائما بعمله الهائل ويحضر بصورة رسمية مذابح سجن الابيلي ويهنىء الجزارين ويعدهم برواتب ثم يدخل بيته كأنه راجع من النزهة وجاء في صحيفة اثنين وستين من (مشاهد المماليك) أن لويز الخامس عشر كان كثير الميل الى اللهو منغمسا في اللذات جمع في قصره النساء الحسان من كل ناحية وآثر معاشرتهن على تدبير مهام الملك وكثر ظلم الحكام في أيامه وزاد تدبير البلاط الملوكي على الحد المعتاد فكانت الحكومة تلجأ إلى ابتزاز الأموال اللازمة لذلك التبذير بالعنف والقساوة من الأهالي وشاعت عن الملك أمور كثيرة نفر منها الناس وفي صحيفة ثلاث وستين ومائتين أن

الفرنسيس يعدمون المجرمين ذبحا لاشنقا بآلة قاطعة يسمونها (جيليوتين) أنظره فقد أطال في وصف تلك المذابح والمجازر البشرية في خطباء الثورة أنفسهم وزعمائها وجاء في (الثورة الفرنسية) للدكتور غوستان لوبوه صحيفة ثلاث وأربعين : صار رئيس بارلمان ايكس البارون دوبيد مثالا يقتدى به لقتله في عشرة أيام ثلاثة آلاف نسمة وتدميره ثلاث مدن واثنين وعشرين قرية، وكان (مونلوي) يطرح أتباع (كالفان) في الآبار حتى تمتلىء وجاء في صحيفة أربع عشرة ومائتين من (الثورة الفرنسية) أن لويز الرابع عشر أجلى مئات الألوف من البروتستان من فرنسا بعد أن قتل وسجن منهم عددا كثيرا، وقد كان بباريس سجن لم تحمل الأرض أشد منه يسمى البستيل هدمته الحرية سنة تسع وثمانين وسبعمائة وألف وإليه الاشارة بقول شاعر مصر أحمد شوقي بك في نونيته الشهيرة :

وما البستيل الا بنت أمس وكم أكل الحديد بها سجينا
ورُبّت بيعةٍ عزت وطالت بناها الناس أمس مسخرينا
مشيدة لشافي العمي عيسى وكم سمل القسوس بها عيونا !

والبستيل هذا كان السجن الرسمي بباريز يسجن به ملك فرنسا الأعيان البرآء الذين لاذنب لهم غير حرية الضمير والتصريح بمظالم الملك، وقلما يخرج من دخل هذا السجن حيا ففي صحيفة ثلاث وسبعين ومائة من الثورة الفرنسية كان الباستيل الذي هو سجن كثير من ضحايا الظلم رمزا للاستبداد الملوكي هـ. ولم يزل هذا السجن قائما على الوصف المذكور حتى في زمن عنفوان شباب الحضارة وانتشار التمدن والرقي الذي هو زمن لويز الرابع عشر عصري المترجم ثم لما قامت (الثورة الفرنسية) زمن لويز السادس عشر عمد لهذا السجن الوخيم الذي لم يعزز بثان في المعمور المحتف بكل شدة وقساوة المعبر عنه بقبر الحياة الأبدي فهدمه، وذلك أواخر القرن الثامن عشر المسيحي فقد جاء في صحيفة ثلاث وسبعين ومائة من (الثورة الفرنسية) كان الباستيل الذي هو سجن كثير من ضحايا الظلم رمزا للاستبداد الملوكي ولكن لم يوجد ما يجعل الشعب الذي هدمه يتألم

منه اذ لم يعتقل فيه سوى الاشراف. وجاء في صحيفة ثمان وأربعين من الجزء السابع من دائرة المعارف لأبي عبد الله فريد وجدي في شرح أسباب مذبحة يوم سان برتلمي الشهيرة في تاريخ فرنسا في القرن السادس عشر 1572 التي حدثت عن الكاثوليك ضد البروتيستان الفرنسيين قال : وكان من نتائجها فقد فرنسا لزهرة رجالها من أهل العقل والفطنة والحرية والعلم والصناعة. فان أولئك النفر الذين قبلوا أن يبدلوا دينهم القديم بالمذهب البروتيستاني الجديد واستطاعوا مقاومة عوامل العادات والعقائد الوراثية كانوا بلا أقل شبهة أنفع رجال فرنسا وأسبقهم الى غاية التقدم. ثم قال ما ملخصه : فلما كان يوم 24 أغسطس سنة 1572 أمروا الكنائس فدقت بأجراسها وكان ذلك منها إشارة للجنود والمتطوعين من الامام الذين باتوا ليلتهم ينتظرون تلك الاشارة بالفتك بالبروتيستان فدهموا مقودين بأمراء البيت الملكي وكبراء العائلات الفرنسية و أخذوا يفتكون بأولئك الابرياء فتكا ذريعا في تكبير من القسوة والوحشية ما يندر مثله في تاريخ البشر ومما فعلوه من ذلك أنهم كانوا يبقرون بطون الحوامل ويخرجون الاجنة من جنوبهن ثم يلقونها الى الكلاب والخنازير وكانوا يعطون الاطفال الذين في المهد للصغار الذين في سن العشر سنين من أولاد الكاثوليك ويامرونهم بقتلهم جرا من أعناقهم في أسواق باريس و لم يزالوا كذلك حتى سالت شوارع المدينة بالدماء وعجت الاصوات الى السماء ولبس نهر السين حلة أرجوانية وحصل مثل ذلك في كثير من مدائن فرنسا في ذلك اليوم عينه. قال واستؤنف القتل والنهب والتمثيل يوم الاثنين الموالي ليوم الموقعة بأشد مما فعلوا أمس واستمرت المجزرة الى يوم الثلاثاء وما بعده ثم استحالت الى مذابح فردية طول شهر سبتمبر وأكتوبر في باريس وغيرها من البلاد وأحصوا المقتولين بالتقريب فبلغوا خمسة وعشرين ألف نسمة 25.000. وجاء في الجزء السابع من الكتاب المذكور أن لويز الخامس عشر أساء التصرف في داخلية فرنسا وأغضب الأمة بتحكم عشيقاته في أمورها وكان يسلب أموال الأغنياء ويسجن ويعدم من يعارضه بلا محاكمة، وجاء في الكتاب نفسه صحيفة واحد وخمسين ومائتين أن جمعية فرنسا أتت من الفظائع

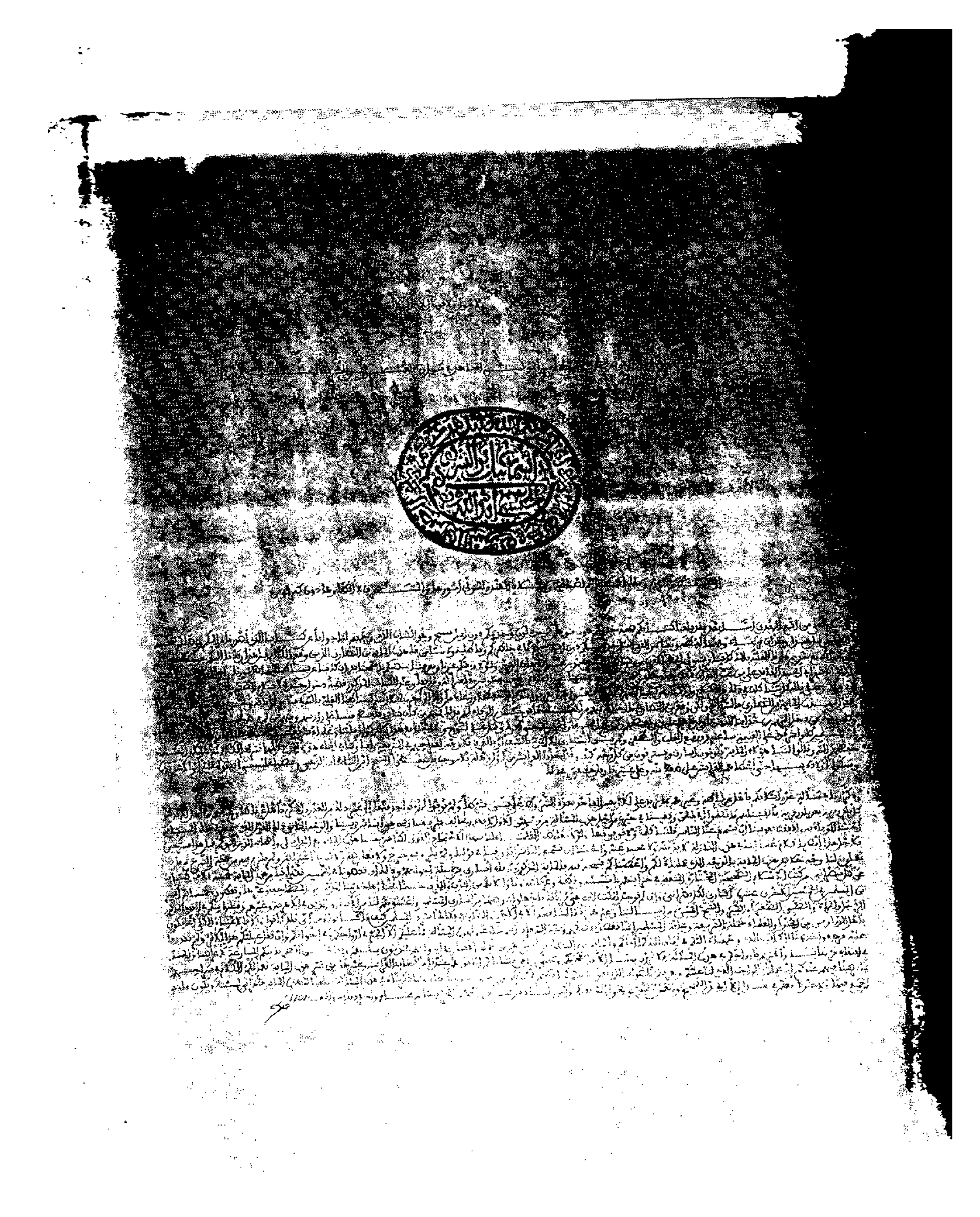
شيئا كثيرا فكانت تقتل على الكلمة الصغيرة والشبهة المظنونة وقتلت من الأشراف والكهنة عددا لايحصى في جميع أنحاء فرنسا، وجاء في صحيفة خمسين من الجزء الخامس من الكتاب المذكور قالت دائرة المعارف القرن العشرين الفرنسية التي نستأنس بها في إيراد تاريخ السجون إن البرلمان الباريزي كان غالبا يوقع عقوبة واحدة على القاتل بالسم والمشتغل بالسحر ويسوي فيها بين القاتل للنفس والمحتكر للقمح ويسوي فيها بين السارق والناطق بكلمة الكفر الى أن قالت اذا كان الجاني يهوديا أمر به فعلق من رجليه بين كلبين عن يمينه ويساره، وإذا كان المجرم متهما بتزييف الدراهم أمر به فألقي في مرجل قزان مملوء بالماء الغالي ليتهرى لحمه فإذا عفا عنه ألقي في غيابات سجن وترك حتى يرم لحمه ويهلك على أسوأ حالة فقد كانت السجون مقابر يلقى اليها المحكوم عليهم أكداسا ويتركون فيها بعضهم يموج في بعض على أقذر الحالات وأفظعها هـ. **وجاء** في صحيفة أربع وتسعين ومائة من الجزء الثاني من (تاريخ مصر الحديث) مع فذلكة من تاريخ مصر القديم المطبوع سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف مسيحية أن بونابرت نابليون الأول قتل أربعة آلاف رجل بالرصاص في يوم واحد بعد تأمينهم واسلام أنفسهم إليه وذلك في عاشر مارس اذار سنة تسع وتسعين موافق رابع شوال عام ثلاثة عشر ومائتين وألف هـ. الى غير هذا مما لو تتبعناه لملأنا منه الدواوين ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله، وأين أيها القارىء ماتلي عليك مما نقلناه من تواريخ نقاد أوربا الطاعنين على المترجم وغيرهم من الذي الصقوه بجانب صاحب الترجمة مما لم يساعدهم عليه غيرهم من مؤرخي العرب الذين كانوا بمرأى ومسمع وأنى تقبل شهادة المتعصب الديني على من خالفه في الاعتقاد والجنسية. اننا لا ننكر أن المترجم كان لا يحلم على من أوجب الشرع عليه حدا من الحدود ومن الواجب شرعا في ذلك ونقر بأنه يقيمه عليه طبق التعاليم الشرعية، ولقد أقام الحد على أبناء صلبه امتثالا لاوامر دينه الحنيف على أن الشدة والقساوة مطلوبتان عند مقتضيات الأحوال لهما محمودة عقباهما وقديما قيل :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف في موضع الندى
فإن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل :

ويقبح وصف الحلم في سمة الفتى إذا اتسعت في الحلم طرق المظالم

وهؤلاء الطاعنون عليه بالشدة والقساوة وازهاق الأنفس مقرون بأنه محافظ على أمور دينه واقف عند حد تعاليمه فهذه شهادة منهم بل كل مايصدر منه موافق لشرعه غير أنهم يجهلون أو يتجاهلون، **وجاء** في كتاب مويت المذكور أن دولة البرتغال أرسلت سفيرا لتهنئة مولاي اسماعيل ومعه هدية فيها فرس عليه سرج مزركش بالذهب وحربات حلية كل واحدة مقدار ذراع من أعلاها ومثله من أسفلها وكان ذلك عند انفصال المولى اسماعيل عن الانتصار الذي حصل له على البرابر الذين عضدوا محمد الحاج الدلائي حيث رجع من المشرق لزاويتهم بقصد اعادة رياستهم والمضادة للمولى اسماعيل فخرج السلطان للقي ذلك السفير وكلمه في شأن اخباره بأحوال ملوك أوربا وخصوصا ملك فرنسا حينه هل لازال على فخامة ملكه فأخبره السفير بأخبار المسؤول عنهم وختم له بأنه ليس في الملوك من قهر أعداءه مثلك، وطلب السفير من السلطان أن يكون يذهب بريدهم آزمور إلى الجديدة ويرجع آمنا مطمئنا فأجابه السلطان لذلك وزوده بعدد من صغار السباع حيث اقترح السفير ذلك على السلطان لكون السباع مفقودة في بلادهم، **ووقفت** على كتاب من سيدنا المترجم مأخوذ بالفتوغراف لسلطان الاصبان دونك لفظه : باسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم من عبد الله اسماعيل المتوكل على الله المفوض أموره إلى الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني أيده الله آمين ثم الطابع الملوكي بداخله اسماعيل بن الشريف أيده الله ونصره وبدائرته إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وبعده إلى عظيم الروم وملك أقاليم اصبانية وبلاد الهند والمتولي أمورها والمتصرف في أقطارها دونكرلوس السلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد بلغنا كتابكم



عن «التاريخ الدبلوماسي للمغرب» للدكتور عبد الهادي التازي، المجلد الاول صفحة 222 ـ

صحبة خديمكم دون منويل بيردلون وخديمكم دون أبيل مسيح وهو الكتاب الذي وجهتم لنا جوابا عن كتابنا الذي أصدرناه إليكم ووصلكم صحبة الفرايلي قبل هذا وبعد أن قرأنا وفهمنا لفظه ومعناه وألقى إلينا خديمكم دون أبيل مسيح ما في خاطركم وماطلبتموه منا من فك هذه المائة من النصارى الذين وقع عليهم الكلام قبل هذا رددنا إليكم جواب كتابكم ووجهناه مع خديم دارنا العالية بالله كاتبنا ومتولي الحظ الأقرب من بساطنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصبكم ماسمحنا بفراق كاتبنا عن بساطنا لمهمات أمورنا وأذنا لخديمنا الأكبر الأعز الأشهر أبي الحسن القايد علي بن عبد الله أن يبعث معه رجلا من أصحابه فيوجه خديمنا عبد السلام بن أحمد جسوس معاشرا له ومرافقا وعند الكاتب المذكور قضية دخول جند الاسلام المظفر بالله على نصارى العرائش وفي علمه وعلى باله كل ما كان في ذلك من الكلام والأسباب وكيفية الخبر في ذلك فثقوا به وتعرفوا منه فإنه حفظه ووعاه من أوله إلى آخره لملازمته لبساطنا العلي بالله في سائر أوقاته ونحن بلا شك كنا أعطينا القول لهذه المائة من النصارى بالسراح ولكن وقع من النصارى ما اختل به منهم من الأسباب مايوجب عدم الوفاء لهم بذلك فمنهم من كان ينادي بلفظ فينا على رؤوسهم ومنهم من لم يرض بخروجهم على ذلك بذلك القول وكاد يفتك بمن دخل إليهم من خدامنا الذين أوفدناهم عليهم وبعضهم ركب لجج البحر فارا بنفسه حتى أدرك وقتل على الموج وحاجنا مع هذا كله كبار ملتنا وعلماء شريعتنا وأئمة ديننا بأن قالوا لنا إن المسلمين كانوا أشرفوا على الغنيمة ساعتين ووقع الغلب والظفر ولم يبق للنصارى إلا الموت بالسيف أو بالغرق فلا وجه لسراحهم في الشريعة رأسا وكنا في أثناء هذه المدة كلها نتراد الكلام مع العلماء حفظهم الله وقالوا لنا هؤلاء المائة يكونون أسارى ويسترقون من كل وجه كيف وقد أخذوا العرائش من أول وهلة بلا موجب بل أضغطوا الشيخ ابن السلطان أحمد الذهبي وقبضوا عليه حتى أنفقوا عليه أموالا عديدة ومسكوا أولاده بسببها حتى أعطاهم العرائش على ضغط منه وعلى غير تأويل حقيقي في ذلك وذكرونا

في مسألة غدر أسلافكم بأهل غرناطة وغيرهم وهم بما يزيد على الأربعين ألفا بعد تعدد الشروط على ستين شرطا ولم يوفوا لهم بواحد منها الى غير ذلك من الغدر والمكر بأهل غرناطة وغيرهم من أهل الأندلس في كل بلد وقرية بعد بلد وقرية فألفيناهم ماتكلموا إلا بالحق وبقينا في حيرة من أجل هذه المسألة من وجهين الأول لا نقدر نخالف شريعتنا التي هي أساس ديننا والوجه الثاني ذلك القول الذي سمعه في تلك المائة أحببنا الوفاء به وأنفت نفوسنا أن يسمع عنا الناس قلنا كلمة ولانوفي بها ولولا معارضة العلماء لنا بهذا الاحتجاج القوي لكنا سرحنا هذه المائة مع الفرايلي وأصحابه الذين أتوكم قبل هذا مسرحين فلأجل هذا أبصرنا كلام علمائنا في هذه النازلة لابد منه ولامحيد عنه وأحببنا أن تسمع الناس أنا وفينا في قولنا ولم يلزم فيه حرج ولامعارضة ولاكثرة اعتراض ولم يلزم فيه من حجة الشرع اثم فأردناكم تعملون لنا وجه خلاص هذه المائة بالوجه الذي عملناه لكم وأعطيناكم فسحة فيه والا فللمائة المذكورة أرقاء أسارى من جملة إخوانهم وذلك أن تعطونا في الخمسين نصرانيا من هذه المائة خمسة آلاف كتاب مائة كتاب عن كل نصراني من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهم باشبيلية وقرطبة وغرناطة وما والاهم من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها ويعطونا خمسمائة أسير من المسلمين في الخمسين الأخرى وعشرة أسارى لكل نصراني وإن لم توجد الكتب التي هي مرادنا فاجعلوا عوضها من أسارى المسلمين واعطوهم لنا من الأسارى الذين في الأغرية وغيرهم وقبلنا منكم في العدد المذكور الرجل والمرأة والصبي الصغير أو الكبيرأوالشيخ المسن من أهل ايالتنا وغيرها إذ ما لنا قصد الا في الاجر والثواب في فكاك أسرى المسلمين كيفما كانوا ومن أي بلاد كانوا والا فالاعتناء الكلي إنما يكون بأهل الدواوين من الجند أو العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين إنما نقصد بفكاكهم وجه الله تعالى فإن أنتم سارعتم لهذه المسألة فما عملتم الا الخير في أرواحكم وفي إخوانكم وإن ثقل عليكم هذا الأمر ولم تقدروا عليه فارجعوا خديمنا الكاتب الذي وجهناه إليكم في أمان الله كما أتاكم والمائة من

النصارى نصيرهم من جملة الأسارى إخوانهم يخدمون مثلهم وإذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد في ابتغاء مرضاتنا وانجزتم بأرواحكم في هذه المسألة فلا ترون منا الا مايعجبكم وحتى باقي نصاراكم الذين هم عندنا من أصحاب العرائش وغيرها من غير هذه المائة نعمل لكم الكلام في سراحهم بما يرضينا فيهم عنكم ان عملتم الواجب الذي لنا عليكم وتعرفتم الصواب الذي تعين عليكم كما ذكرتم في كتابكم وبرجوع خديمنا حامله بما ذكرناه في هذه المسألة تتلقاه هذه المائة نصراني لسبتة ويكون ملتقى الجميع فيها ولاعندنا معكم في هذا الأمر الا الجد الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى وكتب لسادس عشر ذي الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة وألف. **وجاء** في ينابيع التاريخ للكنت هنري دو كاستري ما ترجمته كتاب لويز الرابع عشر لمولاي اسماعيل من سان جرمان آن لي في ثاني عشر ابراير سنة اثنين وثمانين وستمائة وألف مسيحية(1) من الملك الى ملك مراكش الأمير الأعلى الأعظم المقتدر حبيبنا الأعز فقد تبلغنا بكل فرح كتابك المؤرخ بثلاثين يوليوز عام احد وثمانين وستمائة وألف من كل ما ذكر لنا سفيركم الحاج محمد مما أمرتموه به حقق لنا بأن مرادكم الأصدق هو إعادة المهادنة معنا والادامة عليها من غير تغير وحملنا ذلك على قبول شروط عقد المهادنة الذي عقد بأمرنا مع سفيركم الحاج محمد المذكور ولما كان مرادنا حمل جميع مملكتنا على العمل بمقتضى تلك الشروط ما دمتم راضين بها فلا نشك ان تأمروا رعيتكم بالعمل بمقتضاها كذلك ليدوم ثبوت ما وعد به من طرفنا وطرفكم وأما سفيركم فقد قام بكل ما أمرتموه به تمام القيام وسررنا بحسن سيرته سرورا عظيما واعتمدنا عليه في تبليغكم احساساتنا نحوكم الى أن نعرفكم بها بكيفية خصوصية بواسطة من يقتضي نظرنا توجيهه إليكم والمسؤول من الله أن يجعلكم دائما تحت رعايته بالأمير الاعلى الأعظم المقتدر من محبكم الصديق لويز الرابع عشر كتب بسان جرمان بالتاريخ أعلاه. **وجاء** في الكتاب المذكور أيضا ما ترجمته باسم الله

S.I.H.M. Ser 2 T.1 P 629 (1)

الرحمن الرحيم من عبد الله المنصور بحول الله المفوض أمره **اسماعيل**
ابن الشريف الحسني أدام الله حفظه وتأييده إلى القيصر ملك الروم
الفرنسيس لويز الرابع عشر السلام على من اتبع الهدى وبعد التحيات
نعلمك أن خديمنا وعاملنا عمر بن حدو وهو عامل الثغور ومراسي
إيالتنا وقد كنا وليناه منذ زمان عاملا على أزيلا وتطوان والقصر
وزدناه ولاية المعمورة بعد أن فتحها الله على أيدينا وأمرناه بالاقامة
بها لاصلاح ماخرب من أسوارها ومعاهدها العمومية ولازال بها إلى
الان لأجل ماتقدم وحيث كان هناك أخبرنا بأن أحد مراكبكم أخذ
أحد مراكبه وإنه أخذ بعد ذلك أحد مراكبكم وقد وجه لأعتابنا
الأسارى الذين أسرهم من ذلك المركب فأقاموا لدينا عشرة أيام وبعد
ذلك أخبرنا الوالي المذكور بأن أهلك طلبوا فداء أسراهم بأسرى
المسلمين فقبلنا ذلك ووجهناهم إليه وبعد زمن قريب أخبرنا أنه جعل
الهدنة مع أحد رؤسائكم البحريين وطلب منا الاذن في ذلك فأجبناه
بأننا نفوض له في هذه المسألة كامل التفويض غير أنه يكون على بال
من صلاح الايالة وساعدناه بأن تبرم مع ذويكم مايظهر له موافقا
ثم وجه لنا كتابا مخبرا أنه من طرفكم الا أن الذي شككنا في تصديق
الخبر.والثقة بصحته هو أنه وصل إلينا من غير أن يصحبه إلينا من
عندكم شخص من ذويكم فكيف يمكن صدور ذلك منكم فإنكم
أعظم ملوك الروم ويدكم مبسوطة على كافة إيالات الروم ومدنهم في
الماضي والحاضر والذي أكد شكنا هو أنه قد ورد علينا قبل كتابك
من ملك الانجليز الذين هم أرباب المراكب التجارية بالبحر وكان
كتابه ملفوفا بالحرير ومختوما وأتى به أهل النسب والحسب باحترام
واجلال وأنتم الذين كنتم الأولين في الشرف والعز بين الأخيرين
فلذلك شككنا في وصول كتابك إلينا من غير سفير وكان ظننا أن
توجهوه لنا صحبة أحد من حاشيتكم ليبين لنا مرادكم ويزيل عنا **كل**
شك ولعل أحد رؤسائكم البحرية هو الذي اختلق ذلك من غير
علمكم ليستصدر كلام الوالي المذكور أعلاه ويتوصل بذلك **إلى**
أغراضكم منه ومساعدته فيما طلب ولما قوى شكنا في ذلك **وجهنا**
خديمنا وسفيرنا الحاج محمد إليكم ليحقق لنا ذلك من **عندكم ويأتينا**

من لدنكم بالخبر اليقين فإن كان ذلك الكتاب كتابك فإننا نساعدكم على كل مطلبتم فيه وزيادة والا فأخبرنا بما أردتم منا ومن بلادنا بواسطة سفيرنا فإننا نساعدكم ان شاء الله في مرجوكم وإن لم تخبروا سفيرنا فوجهوا أحدا من ذويكم ليعلمنا بمرادكم ويؤيد بذلك مابيننا من السلم فنجيبه بكل مطلبتم ونوجه معه أحدًا من طرفنا ليثبتكم ويحقق لكم عقدة الصلح التي نجعلها بيننا بحول الله وكتب في أواخر شعبان عام اثنين وتسعين وألف موافق ثلاثين يوليوز عام واحد وثمانين وستمائة وألف وكان بأعلى الكتاب طابع ملك المغرب وبواسطة نفس اسم الملك المذكور الذي هو اسماعيل بن الشريف الحسني حفظه الله،

قلت والشروط المشار لها في كتاب لويز الرابع عشر المذكور هي المسطرة في ينابيع التاريخ وهونكها(1) : **أولا** فليبطل كل نوع من أنواع العداوة والمقاتلة من الآن فصاعدا بين الجيش بالبركان أو بالبحر وكل العمائر من المراكب والسفن والرعايا الحادثة من جهة الانبرور الفرنسوي والانبرور المراكشي **ثانيًا** من ثم وبعد فليكن صلح بين انبرور فرنسا ورعاياه وبين انبرور مراكش وسلطان فاس ورعاياه فيمكن لهم بأن يتعاطوا بعضهم مع بعض بكافة أمور المتجر في المملكتين والسلطنتين معا وكافة أمتاعهم ومن غير علائق يعين لنا ولهم من المسافرة في البر والبحر قطعا بوجه من الوجوه **ثالثًا** فمراكب المسلحة للحرب الذين في مين نبرور المراكشي وسلطان فاس اذا التقوا في البحر من مراكب والسفن راسية واسقة تحت لواء فرنسا وكافة ميله فإذا شاهدوا معهم براء أمير البحر المنسوخة بحسب هذه النسخة بعيانها حسب هذا الشرط والمعهد فللحال عند وقوفهم عليها فليطلقوا حال سبيلهم بكل أمان من كل مايعوقهم ولايعاضوهم بأمر من الأمور وعلى هذه الشروط فليس عدوهم ويعينونهم في كل مايحتاجون إليه ومثل ذلك ماتعلموا مراكب الفرنساوية مع مراكب الخاضعين تحت حكم انبرور مراكش وسلطان فاس بعد أن يكون معهم تجديدا ونيشان من قنصل فرنسا والمتوقف في سلا بشرط أن تكون نسخة

---

(1) انظر S.I.H.M. 2 série T.1 P. 608-609

هذه العهدة بالسوى فيما قد اشترطنا وتعاهدنا رابعًا أيضا مراكب المتسلحة للحرب ومراكب التجار الذين بهاتين الطائفتين فليكونوا مقبولين مع بعضهما البعض في المينا كان أو في الشط في حكم نبرور فرنسا أو تحت حكم انبرور مراكش وسلطان فاس فليعط لهم غاية الأمان لمراكبهم ولكافة الركاب معهم في كل مايحتاجونه فليسقوا لهم كل ماكان يعوزهم بوزن السعر المحمود وعوائد المواضع الراسين بها خامسًا فإذا عرض بعض مراكب التجار الفرنسوية ودخل إلى مين أو شطوط التي تحت حكم انبرور مراكش وسلطان فاس طابقا وغاشما من بعض مراكب الجهاد التي للأعداء مثل مراكب الجزائر وتونس وماليليهما فليحامي عنهم ويرادد بالدفاع من القلاع والحصارات ويعطي لهم مهلة زمان كافية كي يخرجوا ويبتعدوا عن المين والشطوط ومع ذلك الحال فليكونوا معاونين لمراكب العدو من غير إجازة كان لالحاقهم وعلى مثل ذلك القياس تكون المساعدة لهم أيضا في جهات المين التي تحت حكم انبرور الفرنساوية وعلى الشرط لكن مراكب المجردة للحرب من قبل انبرور المراكش وسلطان فاس أو من قبل أرباب دولته لايمكنهم أن يخطفوا شيئا لأحد مسافة ستة أميال من جوانب بلاد فرنسا وبلاد المراكش أيضا سادسًا مهما انمسك من الفرنساوية في يد الأعداء الانبرور الفرنساوية وصاروا موادين إلى جميع المين والاراضي التي تحت حكم أنبرور مراكش وسلطان فاس فليصيروا للحال معتوقين من غير أن يكونوا مأسورين وعلى هذا النوع أيضا إذا حدث أن مركب الجزائر وتونس وطرابلس الغرب وغيرها الذين يكونون أو يمكن أن يكونوا في الحرب مع انبرور الفرنسوية جاءين معهم أسراء فرنساوية وحطوهم في الأرض التي تحت حكم انبرور مراكش وسلطان فاس فليأمر للوقت لكافة قواده أن يمسكوا الاسراء المذكورين ويجتهدوا على فكاكهم بمساعدة قنصل فرنسا بما يمكن من مراعاة الأسعار وكمثل ذلك يصير ويفعل في بلاد فرنسا لأجل رعايا انبرور مراكش وسلطان فاس سابعًا كل المأسورين من جنس الفرنسيس الحاصلين في حذاء أراضي المذكور أعني انبرور مراكش سلطان فاس يمكن أن يصيروا مطلوقين بمائة قوش ريال حتى

الموجودين الآن في الخدمة والعسر لايطلب منهم أكثر من هذا العسر لكي يصير مثل ذلك للأسارى الذين هم امبرور مراكش وسلطان فاس الذي قد يمكن أن يكونوا في أسر الفرنساوية موجودين على شرط الهدنة التي صارت مع السيد دو لابار والقايد عمر فالقائد المذكور اتفق بالسكرة المنشية بخط يده موضوعة بيد المذكور أعلا السيد دو لابار الذي ارتضى بأن يرد عدد الأسرى الفرنساوية بعدد المراكشيين الموجودين بواسط الغليون المدعو علي بودي والمذكور توقي اللامجي أي الانباشادور محققا فإن للحال بعد اعلامه الانبرور المراكشي وسلطان فاس سيحصل الحق بجميع ماذكر في تسكرة المذكور أعلا القائد بأن يرجع له عدد نفر خمسة وستين فرنساوية حتى مع عشرين الذين رجعهم القائد المذكور أعلاه فجميع عددهم خمس وثمانون نفرا نقيضا للعدد المذكور من أسارى مراكش الذين صار فكاكهم على يد السيد دو لابار **ثامنًا** لاتوخذ الركاب الغرباء الموجودون فوق مراكب فرنسا ولامثل ذلك الفرنسوية تاخذ مافوق المراكب المغربية وليس بممكن أن يصيروا موسرين بأي نوع من الأنواع ومما كان من المراكب التي يوخذ عليها حتى ولو دافعوا عن أنفسهم وكذلك يكون للغرباء الذين يوجدون ويكون على مراكب مراكش ورعايا انبرور مراكش وسلطان فاس المذكور أعلا على مراكب الغرباء **تاسعًا** فإذا كان أحد المراكب من مراكب فرنسا في النواحي التابعة لحكم انبرور مراكش وسلطان فاس حتى ولو كانت مطرودة من بعض الاعداء أو عرض ذلك من الطقس الرديء فمن لازم الضرورة بأن يعينوه بكل مايحتاج لسيره في البحر أو لنشل البضاعة الموسوقة بعد وزن أجرة اليومي لأولئك المجتهزين في معونته من غير أن يطلبوا منه الكمرك والمير لأجل البضاعة المنزلة للبر ماعدى أن انباعت في مينة حكم المذكور أعلاه **عاشرًا** كل تجار الفرنساوية المتعاطين المتجر في مين أو نواحي مراكش أو فاس المتابطين للاجازة لهم أن ينزلوا بضاعتهم للأرض ويبيعون ويشترون من غير عرقلة ومن غير أن يلزموا شيئا خلاف المعين من قبل المتعينين تحت حكم انبرور مراكش وسلطان فاس وهكذا يكون لهم في المين التي تحت حكم انبرور فرنسا فربما

التجار المذكورون ينزلون بضائعهم في الأرض وقصدهم الراحة **فقد** يمكنهم وسقها من غير أن يؤدوا عليها شيئا من المرتب **الحادي عشر** أن لايعطي معونة ولانصر لمراكب طرابلس وتونس والجزائر ضد الفرنساوية حتى ولا للمعمرين تحت أمرهم فيجب على الانبرور المذكور أعني المراكشي بأن ينهى ويحرم بغاية القصد لكل الخاضعين تحت سلطنته بأن لايعمروا تحت أمر أو طاعة أحد من الأمراء أو تحت حزب من حزب الأعداء المضادين لتاج الفرنساوية وعلى هذا القياس يمنع هو أولئك الذين انبروا فرنسا فتحارب ضدهم الممكن لهم بأن يعمروا في مينة ويكونوا غزاة على رعاياه **الثاني عشر** وقد يمكن للأنبرور المذكور أعني صاحب فرنسا بأن ينصب قنصلا في سلا وفي تطوان أو في أي موضع أراد كي يعين تجار فرنسا في كل ما يحتاجون إليه ويمكن القنصول المنصوب من طرفه أن يتعاطى بغاية الأمان والطمأنينة في منزله وكافة أمور دينه على طقس المسيحي ومثل مايكون له ذلك يكون لجميع النصارى المريدين يصلوا تبعه وكمثل هذا يمكن أن يكون لرعية انبرور مراكش وسلطان فاس الذين يأتون الى بلاد فرنسا يمكنهم يعملوا في منزلهم حسبما عوائد مذهبهم ويكون للقنصول المذكور كل الحكم والقضاء في الدعاوي التي يمكن أن تحدث بين الفرنساويين من غير معارضة قضاة وحكام انبرور مراكش وسلطان فاس ولايجوز لهم التكشف عن الخبر **الثالث عشر** واذا حدثت دعوة بين أحد الفرنسيين وبين شخص من أهل مراكش لايقضي بينهم أمام القضاة المرتبين لكن يكون قضاؤهم أمام ديوان انبرور مراكش وسلطان فاس المذكور أعلا أو أمام حاكم المين الذين من جانبه حيث تحدث الدعاوي. **الرابع عشر** ولايلزم للقنصل المذكور أن يغرم دينا من دون أحد تجار فرنسا ماعدا اذا كان ملتزما بما سبق من خط يده ولتصر متخلفات موتى فرنسا موضوعة بين القنصل المعين يصرفها في منافع الفرنسيين أو غيرهم أو للذين تختص بهم تلك المتخلفات وهذا الشرط يكون ويصير لأجل رعايا انبرور مراكش وسلطان فاس الطالبين القعود والسكنى في بلاد **فرنسا** **الخامس عشر** ويكون القنصل المعين معفى من جميع مايلزم **من مال**

الميرة اللازم من نوع الذخيرة للمأكل والمشرب وكافة البضائع المخصصة بمنزله **السادس عشر** أيّ فرنساوي كان ضرب أحد المراكشيين فلا يمكن أن يعذب الا بعد مايدعو القنصل المعين ويستقصي حال الفرنسوي الضارب فإذا عرض بأن الضارب هرب فليس علاقة على القنصل **السابع عشر** فإذا عرض مايضاد هذه العهدة الحاضرة فليس بلازم أن يكون نوع من أنواع العداوة الا بعد حجة منع من القاضي **الثامن عشر** وإذا كان أحد قراصين بلاد فرنسا أو مملكة مراكش عمل ضررا ما لبعض المراكب الفرنساوية أو المراكشية الذين يجدهم في البحر فليعذب هو وجماعته المسلحون معه **التاسع عشر** وإن كانت الهدنة والصلح الحاضر الآن المعقود بين الانبرور الفرنسلوي والانبرور المراكشي وسلطان فاس انتقض وانقطع معاذ الله أن يكون ذلك فكل تجار فرنسا الموجودين في حذاء الأراضي التي تحت حكم الانبرور المراكشي وسلطان فاس يمكنهم أن يخرجوا الى أين ماشتهوا وأحبوا من غير معارضة إلى نحو ثلاثة أشهر من الزمان **العشرون** فهذه العقود والشروط مبرهنة ومثبتة من انبرور فرنسا ومن انبرور مراكش وسلطان فاس وتبقى متداولة بين رعاياهم مدة من الزمان أعني ستة سنين وأخيرا اذا احتج أحد بحجة ما من الجهل فليصيروا مهجورين ومتوخين أخبارهم على الحيطان والأسواق وفي كل موضع يلزم فيه الضرورة لفعل ذلك تحررت هذه الشروط في مدينة سان جرمان في العشرين يوما من المحرم الحرام فاتح ثلاث وتسعين وألف من الهجرة الحمد لله وحده هذا الصلح انعقد ووافق عليه الحاج محمد تميم غلام مولانا نصره الله ووفقه الله بمنه هـ نصه على مابه من التصحيف والتحريف. **وأقـول** لعل هذه الشروط كان حررها لويز الرابع عشر لتعرض على المترجم أونائبه ويمضيها أو مايراه منها فلم يتم، والا فكيف يكون تم أمرها بالتفويض للحاج محمد تميم بتاريخ أواخر شعبان سنة اثنين وتسعين وألف حسبما في نقل (الينابيع) المتقدم وبامضاء الحاج محمد المذكور لها في عشر محرم عام ثلاثة وتسعين وألف حسبما في نقل (الينابيع) أيضا(1) والمترجم بعد ذلك بنحو شهرين يعد لويزا في

S.I.H.M. Série 2, P 617 (1)

كتابه المؤرخ بخامس عشر ربيع عام ثلاثة وتسعين المنقول عن الينابيع أيضا بأنه إذا وصله باشادوره لايرجع إليه الا بما يسره، أم كيف يكون أمر تلك الشروط تم والمترجم يقول في كتابه المترجم بتاسع شعبان عام خمسة وتسعين وألف مخاطبا للويز المذكور مازلت ماصح منك قول ولاأبرمت معنا شيئا واذا أردت تثبيث المهادنة وابرام الكلام فيها وامضاء حجتها فابعث لنا من عندك قنصولا ونبرم معه هذا الأمر هـ. وقد اشتمل هذا الكتاب على التقريع البالغ للويز في عدم فك من عنده من أسرى المسلمين في سفينة المسلمين التي انتهبها أصحابه و لم يحتج عليه في ذلك الا بكونه هو فعل مع أسرى من جانبه وسفينة كذلك ضد ذلك، وإنه ماقابل الاحسان بمثله ولو كانت تلك الشروط امضيت وفيها التصريح بعدم التعرض من أحد الجانبين للآخر وباطلاق سراح الاسرى لكان الاحتجاج بها على المخالف لها أقوى من مجرد عدم مقابله الاحسان بمثله وأيضا فكيف تحرر تلك الشروط في أوربا عن إذن ملك من ملوكها ولاتؤرخ بتاريخ قومه وأهل دينه ويقتصر فيها على التاريخ العربي خلاف سائر ما وقفنا عليه من مكاتباته المثبتة بينابيع التاريخ وغيره من كتب تاريخ أوربا فذلك كله من أوجه الريبة والاختلاق في إمضاء تلك الشروط وماجلبتها هنا على مابها من التصحيف والتحريف الا للتنبيه على ذلك وبيان أنها لاأصل لها حتى لايغتر بها واقف أو يسوء الظن بتمويهها عارف والناقد بصير. **وجاء** في كتاب مويت المذكور ماترجمته جاءت لسلا مراكب بحرية فرنسوية في جوان سنة احدى وثمانين وستمائة وألف رئيسها شاتو رينو[1] فوقفت أمام المرسة فلم يقابله أحد وحيث رأى ذلك كر على مراكب من المراكب الاسلامية ووجه بعضها لمرسيلية وحصر الباقي فانقطعت بسبب ذلك غنائم المراكب المغربية في البحر فأخبر القائد عمر بن حدو السلطان بذلك بعاصمة مكناس، وأشار في كتابه بابرام مهادنة مع فرنسا لتنحسم مادة التعذير، فأجابه السلطان باسناد القضاء في ذلك لنظره، وبعد ايقاع المخابرة بين القائد عمر ورئيس المراكب

---

(1) CHATEAU-REGNAUT

الفرنسوية نزل رئيس المراكب لامضاء عقدة المهادنة ثم بعد عقدها وإمضاء القائد عمر بها بوضع طابعه عليها بدا له في ذلك ماأوجب السرعة الى قطع طابعه، فاغتاظ الرئيس من ذلك ورأى هذا الأمر لا يتسامح فيه فكتب الى المولى اسماعيل بفاس متشكيا بذلك، ولما اطلع على الشكاية عزل القائد عمر وهيأ سفيرين لباريز أحدهما أخو عامل تطوان اذ ذاك والآخر أخو عامل سلا فتوجها صحبة رئيس المراكب في مراكبه ووصلوا لباريس آخر دسمبر واحتفلوا لدخولهما بمثل مايحتفل به للباشادور. وبعد استراحتهم أياما قابلوا السلطان لوي الرابع عشر فلما قابلوه سر بهم وقدموا له مكاتب السلطان وألقى أمامه أخو عامل تطوان خطابا زاد الملك به ابتهاجا وسرورا وزاد السفيرين اجلالا واكبارا في عين الملك قال في ذلك الخطاب كنا نسمع بفخامة ملكك وشامخ سلطانك ولما جئناك شاهدنا أكثر مما كنا نسمع وطلعة محياك الجميل تمنعني من الكلام أمامك واني أسأل الله أن يملك مليكنا افريقية ويملكك أروبا(1) وقدموا للملك ماحمله له المولى اسماعيل من الهدية وهي سبعان ونمر وأعطاهم الامير لوي الرابع عشر هدية لمولانا اسماعيل وهي اثنا عشر كرسيا من أرفع طرز مغشاة بالموبر واثنتا عشرة مجانة من الذهب أربعة منها مرصعة بالأحجار أعلا حجار وأغلاها وثمانية غراريف من البلار المموه بالذهب ومجانتان كبيرتان وثريتان من البلار وكابوسان ومكحلة بجعبتين ورواق من الحرير ثم استأذنوه في التوجه لقصرهم فأذن لهم، وكانت مدة مقامهم بباريس كلها أفراح واحتفالات وشاهدوا من أنواع الفرح كل عجيب، ولما رجعوا لمولاي اسماعيل وأخبروه بما قوبلوا به من التكرمة والاجلال وشاهدوه من الاعتناء الزائد وما قابلهم به ملك فرنسا كتب له مولاي اسماعيل كتاب مجازاة على حسن صنيعه ومجاملته لسفرائه هـ. **وجاء** في ينابيع التاريخ نص كتاب مولانا الجد المترجم لملك فرنسا المذكور ولفظه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من لانبي بعده من عبد الله تعالى الامام ملك المغرب وما والاه من أقطار الاسلام أمير المؤمنين

S.I.H.M.T. II, P 152 (1)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد الله تعالى الغالب بامر الله المتوكل في جميع اموره على ربه

المجاهد في سبيل رب العالمين الهاشمي المنيف اسماعيل بن [illegible] الشريف الحسني



ايد الله اوامره وظفر جنوده المنصورة بالله وعساكره وامره الى عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيس والمتولي امورهم والمتصرف في احكامهم لويش الرابع عشر السلام على من اتبع الهدى واجتنب سبل الردى اما بعد فاعلم انه ورد على مقامنا العلي بالله الذي ان التاجر ولد صاحب القونصو وزعم ان بيده عندكم امور وتفويض واستظهر لنا بمكتوب عن لسانكم يدل على الاذن له في الكلام فيما يقضي له لديكم من مهماتكم واغراضكم ويتوسط فيما يعرض لكم بحضرتنا العلية صانها الله ولم نشك انه مكتوبكم واذنكم غير انا لم نعتمد على قوله ولم نر الكلام معه في ذلك لكونه تاجرا وليس هو من خواص اصحابكم ولا من كبار خدامكم واعيانهم لانا نعلم انه ليس من شان التجار الدخول في الكلام مع الملوك ولا ان يلوا ويباشروا فيما يعرض بينهم فالتاجر انما يتكلم فيما هو من وظيفته ونحن لا اذا كان التاجر يسعى في ابلاغ كلام منا لهذا او حصول مواطاة او حمل رسالة يدفع بها بعث من الجنس فنعم وهذا غاية ما يتعاطى من كلام التاجر فان كان لكم غرض في الكلام بخير وخلوص نية فابعث الينا واحدا من كبار اصحابكم الذين يوثق به ويتكلم معه ويأتينا بهذا الغرض وبهذه النية وان احببتم ان نوجه لكم نحن واحدا من خيار خدامنا وكبار اهل بساطنا العلي بالله ابعثوا الينا من كان يحمله من عندنا ونبعثه لكم بالاذن الصحيح وحاصل ما نتكلم به معكم بعد هذا في اسارى ملتكم عندنا ان نعمل لكم فيما البولد نصرانيا واحدا

المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني رعاه الله وبعده أيد الله أوامره وخلد مفاخره الكريمة ومآثره آمين الى عظيم الروم الانبراضور ببلاد فرنسة الرابع عشر من هذا الاسم السلام على من اتبع الهدى أما بعد اعلم أنه بلغنا أصحابنا صحبة كتابك وذكروا لنا خيرك ومباشرتك لهم وشكروا لنا فعلك معهم واستحسنا برورك بهم وفرحك بجميعهم فكذلك ينبغي لك أن تكون إذ أنت من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى نحن أن يكون كلامنا الا معك قابض على أمرك وكلام طاعتك مقصور على رأسك وأما الأجناس الأخرى فكلامهم عند أهل ديوانهم ولايبلغون منزلتك عندنا كما نعلمه من علو همتك عليهم فأنت الذي تستحق أن تكون انبراضور على سائرهم ولايستحق تاجهم الا أنت لأن يدك هي العليا عليهم بحذافرها وفي اليوم الذي يصلنا الباشدور من عندك فلا يعود اليك ان شاء الله الا بما يسرك ويرضيك ولا لك عندنا الا ماتريده وتشتهيه في خاطرك والسلام وكتب خامس عشر ربيع في ثلاثة وتسعين وألف هـ ونقل صور الظهير المذكور بالفتوغراف وأثبته في الكتاب المذكور.

وكما كانت العلائق السياسية جارية بينه وبين ملوك اجناس النصارى كذلك كانت العلائق جارية أيضا بينه وبين ملوك الاسلام فمن ذلك ماجاء في الدر المنتخب في حوادث عام سبعة وثلاثين أو ثمانية وثلاثين ومائة وألف من أنه عاث الأتراك النازلون بالجزائر في القبائل القريبة من وجدة ظنا منهم أن السلطان المترجم ضعفت قواه ووهن عظمه وركن الى الراحة وأنه لما بلغ خبر ذلك لصاحب الترجمة كتب لأميرهم العثماني الذي كان أبرم معه عقد الصلح قال في الدر المنتخب ولم أقف على الكتاب بعد البحث الشديد عنه وإنما وقفت على جواب السلطان العثماني ونصه الى الملك الجميل الفعال السالك محمود الخصال حارس ثغور الاسلام فارس هيجاء الاعتصام صاحب العز والمجد والسياسة والجد المولى اسماعيل أدام الله عزه وحرس حوزه وأمده بالعز والسعادة وصوب السيادة صاحب الملك والنعمة واللطافة والرحمة، بعثت اليك بسلام خالص وتحية طيبة وألقيت عليك محبة مني عن

طيب خاطر وخير متواتر لأنك صاحب الكرسي الشريف وشرفكم أصيل من جد الى جد الى النبي صلى الله عليه وسلم وشرف ومجد وقد جعل الله بينكم مودة ورحمة وأنتم أصحاب العقل والمجد والكرامة السرمدية وأهل الشريعة المحمدية يجب علينا معرفة قدركم والتنويه بمجدكم وفخركم وكيف تخفانا طهارتكم وكرامتكم والله تعالى يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا، وأنتم أهل الفضل والسلطنة العالية ومفتحة لكم الأبواب السنية هذا وقد وصلنا كتابكم الشريف الرفيع الأسمى مترجما عن اسرار محبتكم فعرفنا ماتضمنه من الصداقة والمحبة والمودة الخالصة الصافية فينا فأعجبنا كثيرا وعظمناه في قلوبنا وفرحنا به فرحا كبيرا وانشرحت به صدورنا وطابت به نفوسنا وعظمناه تعظيما زائدا وتحققنا من خطابك فيه أنك تحبنا محبة كثيرة صافية بصفاء قلب وصدق نية متوجهة لوجه الله، ومن قديم الزمان كانت ملوك المغرب من الأشراف يكتبون الينا وترد رسلهم علينا ولم تنقطع كتبهم ورسلهم عن أسلافنا وكانت بيننا محبة قديمة في سالف الزمان ملك عن ملك وسلطان عن سلطان اعلم أيها السيد المولى أنا قبل أن يصل الينا كتابكم الأسمى وخطابكم الأنمى كنا لانعرف ماهم عليه أهل الجزائر ولا أنهى الينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ماصار عندهم ولاماهم عليه وبالجملة أهل الجزائر ماهم على شيء لكونهم أخلاط الناس[1] فيهم الأصلي وفيهم البراني وفيهم من لا خلاق له ولم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب كل هذا لايخفانا قبلُ، نعرفه ونتحققه منهم، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم وأرادوا الشر معك وانا لانرضى منهم ذلك وهذه الذخائر والأموال والخزائن التي خبرتنا بها قطعا خبَّر بها غيرك، والآن ان شاء الله نرد لهم البال ونشتغل بهم ولانتركهم في حيز الاهمال وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم فيها لوجهنا، وان عادوا يراجعونك ولو بكلمة نمحي جرَّتهم. وهذا زمان ماجاءنا سفراؤهم وأخبارهم والآن حيث

(1) انظر التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد التاسع ص 22 ــ 23.

أيقظتنا إن رجعوا عن سوء فعلهم فذاك المنى والمراد وان تمادوا على غيهم وأساءوا في جانبك ولو بكلمة اعلمنا ونحن نفوض لك فيهم تنتقم منهم بيدك وتفعل فيهم ماأردت، **ومسألة** أخرى واذا احتجت اليهم لغزو وأردت أخذ بلد من بلاد النصارى وأرسلت اليهم فإنهم يكونون منقادين للخدمة بين يديك كما تحب وترضى إلى أن تقضي غرضك وتتم حاجتك في الجهاد ومرادك فان ساعدوك على ذلك فتبارك الله وان لم يساعدوك فاكتب لنا وترى مانفعل بهم وانا كما تعلم ما غفلت عنهم الا لأجل الجهاد ووقوفهم في ذلك الباب في تلك البلاد، ومن هذا الحين ان شاء الله نعود نبعث اليهم في كل سنة باشا جديدا وقاضيا كذلك يطلعان عليهم ولايغيبان خبرهم عنا حتى لايغيب عنا شأن من شؤونهم ولا أمر من أمورهم ولانغفل عنهم بعد هذا فجزاك الله عنا خيرا حيث نبهتنا وأيقظتنا لفعلهم ولاشك أن فيهم البعض يلزمهم التعزير في الشرع وانا نغفل عنهم لما ذكرنا لك من أمور الجهاد وانا نعرف ونتحقق أن لاقدرة لهم على الوقوف أمامك ولايطيقون ملاقاتك، ولكن اذا أنت حركت اليهم وقصدت مضرتهم فإنك تعطلهم عن الجهاد ولاينبغي لك تعطيلهم عن الجهاد شرعا واذا هم فعلوا مايغيظك أو ما لا يليق بك فينبغي بفضلك وحلمك وجودك أن تتجاوز عنهم ولاتحافيهم بسوء فعلهم لأجل الجهاد وما غفلنا عنهم نحن الا لأجله ولقد كفونا أمره ولا نحتاج أن نتكلف لهم براتب ولامصروف ولاملزوم ولاغير ذلك بفضل الله ولا احتياج لنا بخزائنهم فمن كل ناحية وبلدة تأتينا الخزائن بلا نهاية فلله الحمد وله الشكر، وآتاكم ما لم يوت أحدا من العالمين ويدنا والحمد لله طائلة عليهم وعلى غيرهم ولانقول إني بعيد عليهم ويمنعون منا ان نحن قبلنا عليهم أو رددنا البال إليهم فماهم الا لقمة وخزائنهم ومتاعهم لايسمن ولايغني من جوع، وانما لما بلغني كتابك الشريف علمت شيطنتهم وقبحهم وغاظني كثيرا فعلهم كما أغاظك أو أكثر وهذه مدة طويلة لم يأتوني واليوم حيث ظهرت شيطنتهم إن هم جاؤوني وأتوني فانا نعرف مانصنع بهم لأن السماع بنا كالشمس في وسط النهار وذلك فضل الله وعلى خاطرنا لاتحافيهم بسوء فعالهم والله تعالى ينجيك

ويحفظك من كل بلاء آمين يارب العالمين وبعد مايصل كتابنا هذا إليك وتطالعه وتفهم مافيه تعرف مانحن عليه من الجد والاجتهاد وأنا متمادون بحمد الله سبحانه على الجهاد من عهد الآباء والأجداد رحمهم الله وأنت أعزك الله إذا كان النصارى قريبا منك لاتغفل عنهم ولا عن جهادهم ولاتنم أبدا عن قتالهم **قال الله تعالى** : تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون **وقال تعالى** قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة. **وقال تعالى** : وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما الى غير ذلك من الآي الشريفة الكريمة الواردة بالتحريض والامر بجهاد الكفار أمر واجب ونحن والحمد لله مالنا اشتغال ولا استغرقنا ليلنا ونهارنا الا في جهاد العدو الكافر ونجر الى أعداء الدين الجيوش والعساكر وحيثما توجهنا والحمد لله نقطع كلمة الكفر ونقيم الدين والاذان في جميع الأقطار والأوطان وحيثما تلحق يدنا يزول الأذى والفساد من الأرض بتأييد الله ومعجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وننتقم من عدو الله الكافر حيثما كان والجهة التي نقبل عليها ونتوجه بحول الله وقوته اليها ولم يعطوا للطاعة يدا نخرب مملكتهم ونجذب أفئدتهم وأنت إذا كان النصارى حذاءك وبقربك لاتبطل الجهاد أبدا والله يرزقك تأييدا وينصرك عليهم نصرا عزيزا طويلا مديدا وأما نحن والحمد لله كلما والانا من النصارى والأعجام طوعناهم بصارم الحسام ولم يبق والحمد لله من يرفع منهم رأسه وجزاك الله خيرا حيث ذكرتنا وكتبت الينا وعرفت قدرنا وما نحن عليه من الجد والاجتهاد والاشتغال بجهاد الكفرة في سائر النواحي والبلدان وأقول :

أنا الشمس قدرا والملوك كواكب أنا البحر جودا والكرام جداول

وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقد **أمر الله**[1] بهذه الغلطة على الكفار الذين استغرقنا في جهادهم الليل والنهار والسر والاجهار وكل من يسمع به قد عظمت شوكته من

(1) هنا تضبيب في الأصل ولعلّ المحذوف (أمر الله)

ملوك النصارى نحرك له ونقطع آثاره ونخرب بلاده ودياره ونتركه تحت يد القهر ذليلا خاسئا حسيرا كليلا والحمد لله الذي لم يجعل للكافرين على المومنين سبيلا وإذا بقينا بلا شغل ولم نجد من النصارى من نجاهده نفسد الصلح مع بعضهم بموجب ولانخادعهم ولانبطل جهاد الكفار أصلا ولانخلي أبدا منه وقتا ولا محلا فادع لنا بفضلك فإن دعوة الأمير العادل مستجابة صادقة من غير استرابة ونطلب أن لاينسانا جميع أهل طاعتك من المومنين خصوصا العلماء والأولياء والمشائخ والصلحاء وعساكر الموحدين من الدعاء والاعانة على جهاد الكفار وأعداء الدين وقد كتبت لك هذا الكتاب عن خلوص قلب ومحبة ومودة ثابتة زائدة والسلام وكان تحريره آخر جمادى الأخيرة (30) عام سبعة وثلاثين وإحدى عشرة مائة (1137) **وفي** رواية سنة ثلاث وتسعين وألف بدار السلطنة العلية قسطنطينية سالمة محمية ويحتمل أنهما قضيتان والله يعلم الماهية هـ.

ومن ذلك كتاب سيدنا الجد المترجم للسلطان أحمد بن محمد العثماني ونص ما وقفت عليه منه منقولا بخط أنيق مذهب الترجمة في بعض المجموعات المحفوظة بخزانتنا ، بعد البسملة والصلاة : «كتاب مولانا نصره الله (يكمل في المجموع عدد 2087 صحيفة 7) ومن ذلك ما كتبه أيضا لأمير مكة الشريف سعد بن زيد بن محسن — وكان تولى إمارة مكة بعد أبيه سنة 1077 — ونصه كما وجدته بالصفحة الاولى من المجموع المذكور بعد البسملة والصلاة والحمد لله : كتاب مولانا نصره الله للسلطان سعد (يكمل في المجموع المذكور ص 1) ومن ذلك ما كتبه لصاحب تونس يحبذ فعله بقطع الامتياز على الاجنبي ويوصيه على أهل الجزائر ويحذره من الركون إليهم واتخاذهم أصدقاء ونصه كما بالدر المنتخب الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم إلى أخينا في الله الأمير الأجل الأرضى الأمثل صاحب بلاد تونس وعمالتها وأحوازها وبلادها وايالتها السيد ابراهيم الشريف أمنك الله ورعاك وسددك بمنه ووقاك وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ورضوانه الاعم وتحياته أما بعد فإنه لما ورد على مقامنا العالي بالله الركب القفولي المغربي من حجاج بيت الله وأخبرونا عن

طريقهم في ذهابهم وإيابهم الى أن ذكروا لنا أنهم اجتازوا عليكم بطرابلس فوجدوكم بها ففرحت بهم وأكرمتهم وعظمت جانبهم محبة منكم فينا واعترافا منكم من الاحسان على أيدينا وانكم لاهجون بمحبتنا مقرون ذلك في غيبتنا فقلنا لهم جزاه الله خيرا فإن شكرها ذلك الرجل وعرفها فمن شأن الاشراف ومن الاتصاف بالانصاف واظهاره بالاعتراف والشكر على الاحسان واجب على الانسان **قال تعالى** لئن شكرتم لأزيدنكم اذ من لم يشكر الناس لم يشكر الله الا أن بعضهم ذكر لنا أنكم أردتم أن توجهوا لنا هدية تجددون بها العهد معنا وتستديمون ببعثها المودة التي بيننا لحسن فضل الله الذي علينا وجميل صنعه المتعارف لدينا لانعمل عملا الا لوجه الله تعالى ولا نسعى في شيء مما يرضيه جل وعلا الا خالصا لوجهه الكريم راجيا ثوابه الجسيم نسأله سبحانه أن يتقبل أعمالنا وأن يبلغ من الخيرات مقصودنا وامالنا لكن هديتك لنا وخيرك معنا هو مسألتان فقد سمعنا انك جعلت احداهما واعجبنا صدورها منك وفرحنا بوقوعها على يديك وهي مسألة الزرع الذي كان يباع بتلك البلاد للنصارى دمرهم الله وإنك منعتهم منه كل المنع وقلت إنه حرام بالشرع والطبع وأزلت تلك المعرة الشهيرة التي كانت سبة في الاسلام ووصمة كبيرة في الدين باجماع الأئمة الاعلام اذ لايرضاها مومن عاقل ولايتساهل فيها الا مارق من الدين أو بأحكام الله جاهل وقد رأيت وشاهدت تساهل من تقدمت في بيع الزرع للكفرة ومخالطتهم في الاقوات وغيرها من المسائل التي لاتحل للمسلمين البررة ويأبى من معاملتهم بها أهل الدين فقد عاقبهم الله على ذلك وماحل ماحل بهم الا من خوضهم في تلك المهالك **والمسألة الثانية** هي مسألة جيرانك أهل الجزائر نوصيك أن تتوافق أنت وإياهم على المسالمة وجميل المعاشرة فإنكم كلكم في قطر واحد وجيران في البلاد واياالتكم واحدة ورعيتكم واحدة ليس بينكم حاجز ولاسترة الا أنك لاتامن فيهم لنفسك ولاتدخل في زمرتهم برأسك وكلما قدرت عليه من الخير في الوسع منهم فهو أحسن وأليق لك وكون كلمتك واحدة **أوفق** فاعرف ذلك ونوصيك ولانحرضك الا على هاتين المسألتين **والله ولي**

التوفيق والهادي إلى سواء الطريق بمنه آمين والسلام. قد أسهبنا في الباب لما فيه من الفائدة الزائدة ولغض مؤرخي الدولة طرفهم عنه واني وان أسهبت فإنما أتيت بالجاري في هذا الباب بقل من كثر وما لا يدرك كله لايترك كله.

الباب التاسع في اهتمامه بتحقيق
أحساب وأنساب ساكني حضرته المكناسية
وأمره بتدوين ذلك في ديوان خاص وفيه فصلان

لما مهد البلاد، وسكن روعة العباد، ونظر في أمور أحباس ايالته وعين من يقوم بشأنها من أهل الدين والأمانة وجدد ما اندثر من المعاهد والملاجيء بتوالي الفتن والحروب رأى أن معرفة أحساب وأنساب سكان حضرته المكناسية مما لاينبغي أن يجهل ويهمل فأصدر أوامره المطاعة في أوائل المحرم عام واحد وعشرين ومائة وألف لخديم جنابه العالي القايد أحمد بن أبي يعزى العرائشي بصرف الهمة في البحث والتنقيب عن ذلك فقام الخديم المذكور لذلك المقصد الحميد الذي رشح اليه على ساق وبعد أن استعمل البحث بكل تحقيق وتدقيق وتحققت لديه الأصول والفروع جمع ذلك في ديوان لم يتقدم له نظير في الموضوع وفق ما أمر به وقدمه للحضرة السلطانية فحل لديها محل الاعتبار وزاد به جامعه لديها مكانة وشفوفا، وعهدي بهذا المؤلف الفذ في بابه بالخزانة المخزنية مصونا ودونك نص ما ماوقفت عليه منقولا منه **وبعد** فإن الله تعالى جعل صلاح هذا العالم وأقطاره المعمورة ببني آدام منوطة بالأئمة الأعلام. والملوك الذين هم ظل الله على الأنام. واصطفاهم من بيت نبيه عليه السلام. فطاعتهم سعادة. والاعتصام بحبلهم المتين فوزٌ بالحسنى والزيادة. وإن الله تعالى قد اختار لصلاح هذه المغارب من سعد به الحاضر والبادي والشاهد والغائب. ملاذ الاسلام ؛ ظل الله على الانام السلطان المظفر أبو النصر مولانا اسماعيل أبقاه الله وقواعد ملكه به راسخة راسية. ومعالم فضله سامية عالية. وخلد في سبيل الجهاد مفاخره الباقية لما ولاه الله أمر عباده. وبسط يده في أرضه وبلاده. واستقر ملكه الشامخ البناء. بالمدينة التي عظم منها الشأن. وأقرب بفضلها البلدان مكناسة الغراء صانها الله ووقاها. وحفظ بها خلافة الاسلام وأبقاها. جعل هم نفسه الكريمة اكتساب المناقب الفاخرة. وبعد تحصيل الفوز في الدنيا حديث الآخرة. ووراء تمليك الأمة المسلمة قتال الأمة الكافرة. فجاهد في

الله حق جهاده حتى استخلص من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلاده من لدن اذن الله في افتتاحها. بسيوف هذه الأمة الكريمة ورماحها. وملأ هضابها ووهادها أنوارا. وأوسع فيها من دعا مع الله الاها آخر هوانا وصغارا. وخطب به في الأماكن التي بعد بذكر الله عهدها وتعمر سريعا ماتعطل منذ أعصار وأزمان. بتلاوة القرآن. والتهليل والآذان. وعبادة الواحد الديان. ومازال نصر الله أعلامه. مهما دعته بلد عبد فيها الصليب لبى على البعد نداءها. وعاجل من يد الكفار فداءها. ومتى خفقت رايته النصرية على حصن من الحصون أخلاه أهل الكفر من سكانه. وعاد فيه الاسلام الى مكانه فعزائمه في الجهاد على أولها. ومكارمه تنسي الماضي بمستقبلها أبقاه الله يخلد الآثار الكريمة في قصره. ويعامل الله على إظهار دينه واعلاء أمره، ولما نصر الله حزب الاسلام على المعاند لدعوته السامية الأعلام والمخالف. وأظهر دينه الحق على الأديان انجازا لوعده السابق في الزمن السالف. وبوأ مولانا هذه الرتبة الجهادية التي هو أهلها بواجب الاستحقاق. وقام بفرض كفايتها عمن دونه من ملوك الآفاق. صرف نظره المقرون بالبركة في جميع أحباس مساجد حضرته العالية. دار ملكه مكناسة الغراء السنية. وأسس لدين الله قواعد وأركانا. وملك من المغرب بلادا معتبرة وأوطانا. وجدد ما اندثر من المعامر. وشيد ماتركه الأوائل للاسلام من المآثر وشرف لعبادة الله المساجد. وشهر لادامة ذكر الله المعاهد وحين نظر النظر الجميل للحبس وعين من يقوم به أبقى الله رياض النصر به يانعة. وكواكب السعد بآفاقه طالعة. وءامر الله كفيل بنجح رأيه إن هذه الحضرة التي جعلها الله لنجوم عزه مدادا ولدعوة ملكه دايرا وقرارا نزلها العرب وغيرهم ممّن جهل نسبه واختلطت أنسابهم فلم تعرف بها أصالة اليها ينتسب فأسند الأمر في ذلك أعز الله به الدين ومتع ببقاء نسله الشريف الاسلام والمسلمين لمن يقوم به أتم قيام ويبحث عنه ويتتبع أصوله ويوضح خواص الناس وأعيانهم وحسباءهم من غيرهم بحيث تعرف أصولهم وفصولهم وتبقى المراسم بادية والمراشد هادية مهما احتيج اليها ويدون ذلك ديوانا يرفعه المولى المؤيد. الى خزانته الملوكية بداره أبقى الله

بناءه السعيد يحوط من نفائس الذخائر. ما لم تحطه خزائن الملوك الأوائل والأواخر. وهو خديمه الأنجب. الحظي الأقرب. الانصح ربى نعمته الشريفة القائد أحمد بن الفقيه المقدس سيدي أبي يعزى العرائشي جدد الله عليه ملابس الرحمة بمنه فقام في ذلك شكر الله وفاءه. وجعل معروف اعتقاد مولانا الجميل كفاءه. على ساق الجد أتم قيام. مستعينا بالله تعالى وبركة السلطان نصره الله فأنتج ذلك على يده أصلا وفرعا. وتبين حسبما يوافق أمر المولى السلطاني. المؤيد بالتأييد الرباني. أولاه الله من مقامه العلي الرضي والقبول وبلوغ القصد والمامول بالنبي وآله اللهم كما جعلت مولانا أمير المونين ضياءا تبلج عن الفجر الصادق صباحه. وقطبا عليه مدار العالم وصلاحه فأكرمنا اللهم ببقائه. وأحمله من توفيقك على سوائه. وأعنه اللهم على ما وليته من أمور العباد. وانصره نصرا عزيزا على من سعى في عناده أوكاد. اللهم اجعل مولانا أمير المؤمنين لأنعمك من الشاكرين. ولآلائك من الذاكرين. وبطاعتك وطاعة رسولك من العاملين. وعلى رعيته من المشفقين. وسخره لعبادك المؤمنين. واجعل له من لدنك نصيرا وليا واجعل له من لدنك نصيرا يارب العالمين. وقيد بأوائل المحرم الحرام فاتح عام واحد وعشرين ومائة بعد الألف عرفنا الله خيره وبركته بمنه آمين والحمد لله رب العالمين. **وهذا أول** ما به الغرض السلطاني المؤيد بالتأييد الرباني في شأن ساكني حضرته العالية الأقدمين منهم وغيرهم أمر بتدوين ذلك ديوانا حسنا تعرف به أحسابهم وتحفظ من الريب أنسابهم فوّض في ذلك لمن ذكر بأتم وجوه التفويض وأكملها ثقة منه أيده الله ونصره لأنه يعرف نصيحته وخدمته من لدن خدم ركابه العالي السلطاني المتصف بالحلم والاحسان ويعرف خالص نيته وصفاء خدمته والله يصل لمولانا عوائد التمكين. والفتح المبين. وهو المسؤول سبحانه أن يتولى مثابته بما يتولى به من أعز شعائر الله وعظمها. ورعى وسائله واحترمها.

الفصل الأول في ترجمة أولاد العرب

العرائشيون من الذين وفدوا مع الولي الصالح سيدي عبد الله بن حمد نفعنا الله به واستوطنوا بالعرائش(1)... تِلا جْروت بأمر المولى المذكور حسبما برسوم ذلك التي بأيديهم، أولاد الغماريون كوميون. أولاد بن بصري من ولهاصة، أولاد ابن الشيخ عثمانيون. أولاد ابن عثمان مسطاسيون،. أولاد أمحام. سهول من بني عبد لي. أولاد الشاهد من سويد. أولاد ابن القاضي من أولاد ابن العافية. أولاد غازي عثمانيون أولاد كركوش انصار خزرجيون. أولاد حرزوز عباسيون. أولاد ابن عزوز من جزناية. أولاد ابن فقيرة من الأنصار. أولاد الوالي من الأنصار. أولاد دادوش انصار من الاوس. أولاد الجنان من الأنصار اوس، أولاد المزوار جذميون. أولاد الريولخميون. أولاد ابن حمدوش من الأنصار أولاد الفلوسي زراهنة من وربة. أولاد المليتي من قبيلة الشاوية. أولاد الزهراوي شاوية من الزيايدة. أولاد ابن كريشة صنهاجة. أولاد المزطاري أمويون. أولاد الضباب زياديون. أولاد العنبر سمائليون. أولاد ابن عبد السميح سعدون أنصار. أولاد ابن عبود كلاتمة. أولاد التراب رجراجة. أولاد القصري عبدريون. أولاد الشنتوي صنهاجة. أولاد ابن الأحول مصاليون أولاد مزاحم سواليون. أولاد حجي عبدوسيون، أولاد بو الشمع مكلاتة. أولاد زعمون صنهاجة. أولاد زغبوش قالوا نحن زغابشة ولازائد. أولاد ابن موسى من بني ماكر. أولاد كرواج أهل الصابة كلاتمة. أولاد ابن اسماعيل شاوية من زناتة أولاد الزرهوني زراهنة من الصخيرات. أولاد حميش بانتيثون شاوية أولاد الزرهوني حم وإخوانه ولهاصة. أولاد بودان كلاتمة أولاد أصقال سوال. أولاد بوجميل كلاتمة من أولاد سلطان. أولاد العطار زراهنة من القلعة. أولاد أمزطارين من صنهاجة سوس. أولاد ابن شمسي برغطيون من تادلة. أولاد أجانة من صنهاجة طيط أولاد الشتوكي من آيت مرايت. أولاد المزابي شاوية من غديوة. أولاد ابن يعزى من سوس من وهرة. أولاد بوعلو مزورة من أولاد

---

(1) هنا حرف (ض) ويعني ذلك انه يوجد تضبيب فلا يعرف المحذوف

سجير أولاد البحباح من سفيان (أولاد..أولاد بومعزة) من الشاوية القصاليين. أولاد اليازغي من أولاد محمد النشاونة أولاد القرشي سهول من أولاد بورزين. أولاد حجاج من أهل درب ست هنوا أنصار. أولاد ابن موسى عبد القادر وإخوانه من أولاد ابن داوود. أولاد العسري عكارة من أولاد السماتية. أولاد ابن عزوز أهل حمام الحرة من بني سنتيس. أولاد أخياط من أهل حمام الجديد صنهاجة. أولاد الشرقي كلاتمه. أولاد أجليد صنهاجة أولاد ابن مومو اتينمليون. أولاد بن شعيب سوال. أولاد كردان صنهاجة. أولاد الزرهوني بحومة القطانين صنهاجة. أولاد ابن تاموا من بطيوة من الريف. أولاد الكامل من الشاوية. أولاد الشامي أنصار خزرج. أولاد مسعود سعدون من أهل سوس راس الوادي أولاد المؤذن بالرحيمة أنصار. أولاد المزوري بظهر السجن مكري السيد عبد الرحمن الفاسي شاوي من أولاد بومعزة من أولاد عمارة بن يشو بن حمدون. أولاد بادو صنهاجة. أولاد بوعنان من دكالة من أولاد ثابث من الأزد. أولاد الشفي شاوية زناتة. أولاد علال بن موسى بربور من مجيج. أولاد العكوري من بني برنوس. أولاد ابن عبود الزرهوني من لمتون. أولاد السمريس شاوية زناتة. أولاد فرموج صنهاجة. أولاد مهاد صنهاجة. أولاد بن عمر بادستون. أولاد ادكال صنهاجة. أولاد بن عبد الرحيم زغبوشيون. أولاد الوقاد معافريون. أولاد المقداد كرميون من بني عبد الواد. أولاد السكيك عثمانيون. أولاد المؤذن بالعقبة سمائليون. أولاد الخلفي شاوية من زناتة. أولاد علال بن موسى شاوية من مغراوة العماري انصاري. أولاد ابن عبود بزقاق الحجامين كزناية. أولاد المريني بانيون. أولاد وحود عزوز ندروميون. أندلس. أولاد الدغوغي بالعقبة من بني دغوغ. أولاد ابن رحو السيد عبد الواحد وإخوانه صنهاجة. أولاد الجهامي من السهول. أولاد ابن عبد الحق من بني ورتناحي المريني. أولاد الوجدي من وجدة من أولاد بن يخلف. أولاد السطيلي زراهنة من المدشر الأحمر. أولاد أباينوا سوال. أولاد بوستة مختار من أولاد موسى. أولاد البيروري سهول. أولاد بوخريص سهول زلايجيون. أولاد حامة من صنهاجة طيط. أولاد ابن عبد الرحيم واعزيز صنهاجة.

أولاد ابن يوسف وأولاد بن شاغي وأولاد ابن أحمد مختار من أولاد موسى. أولاد الجلبناني من أولاد زيان من بني مالك. أولاد بن يحيى من دكالة من أولاد سيدي بويحيى. أولاد المتيالي برانس. أولاد الرتيني رجراجة أولاد بوعثمان سمائليون. أولاد الزموري من برابر آزمور. أولاد السفاج صنهاجة. أولاد فارس زراهنة جناديون. أولاد وسعدن من أولاد سبيطة من دكالة. أولاد المسطاسي من مسطاسة. أولاد حريكات من أولاد برية من مختار. أولاد المرصاوي شراقة من مديونة. أولاد البريهي مختار. أولاد السهلي من أسهول. أولاد بوفدنة من مستغانمت من بني عبد الواد. أولاد ابن عثمان أهل الرحيبة بانتيون. أولاد القصيري من فشتالة أولاد أبي الربيع. أولاد قشاش السمائليون. أولاد حميش من أهل باب عيسى من بني حسن. أولاد الدغوغي أهل درب سيدي بنعيسى من مدشر زغبونة ــ قفص. أولاد ابن راشد الجيار من عدوة من بني مالك أولاد السيد عبد السلام اصقال سوسي مغراوي أولاد ابن حدوا أنصار. أولاد ابن تابرحت ماكريون. أولاد أجم بن العربي النجار ندروميون. أولاد ابن ميمون من صنهاجة سوس. أولاد يموش زراهنة من المدشر الأحمر. أولاد الهدار شراكة. أولاد وعزان زراهنة من المدشر الأحمر. أولاد الزياني مختار من أولاد مطرف. أولاد الفلالي من تيزمي. أولاد ابن سلطان مختار من أولاد موسى. أولاد الراشدي من بني سنوس من شراقة. أولاد الزبير شاوية من المناصر. أولاد الشلوشي زراهنة. أولاد بوفرحي من الريف من بني بويفرح أولاد العبد لي سهول من عبد لي. أولاد المزوري أهل باب عيسى يجيديون من أولاد أتخير. أولاد القلعي مختار من أولاد موسى. أولاد العود سواليون. أولاد السفياني من سفيان. أولاد ابن فارس أهل باب عيسى ورديغة من بني جابر. بوعزة الزرهوني وإخوانه سهلي كاملي أولاد أبو الرخا اندلس من غرناطة. أولاد اللب أندلس من غرناطة. أولاد الزناتي اندلس من غرناطة. أولاد ازريزو أندلس من غرناطة. أولاد القلفط أندلس من غرناطة. أولاد حم الصفار أندلس من غرناطة. أولاد أحمد بن علي المسطاسي اندلس. أولاد الحاج عبد القادر بن العربي أندلس من أولاد الكريس من

غرناطة. أولاد القبري أندلس من غرناطة. أولاد انقاع اندلس من غرناطة. أولاد بوراس اندلس من غرناطة. أولاد الباروا أندلس من اشبيلية. أولاد الحزماري اندلس من اشبيلية. أولاد الازرق اندلس من اشبيلية. أولاد شلسون أندلس من اشبيلية. أولاد الدقيوق أندلس من أشبيلية. أولاد غريطي أندلس من اشبيلية. أولاد القباب اندلس من مرية. أولاد البتولي أندلس من مالقة أولاد الغرناطي من الأندلس. أولاد هارون من الأندلس أولاد المنوفي من الأندلس. أولاد الحاج ابراهيم الصفار من الأندلس. أولاد القصري أندلس من أولاد برقوف أولاد صفندلة أندلس. أولاد ابن ابراهيم أندلس أولاد ابن حليمة من الأندلس. أولاد طوجة أندلس قصنبوري. أولاد البيار من الأندلس أولاد ابن الحاج من الأندلس أولاد هلال من الأندلس أولاد فنديقة من فنديقة أولاد الغماري المؤذن واخوانه من الأندلس أولاد مسامح من الأندلس أولاد أصقال أهل زقاف الحجامين من الأندلس أولاد القصري أهل الكدية أندلس عبدريون أحمد بن عبد الرحمن المعلى من الأندلس أولاد جابر من الأندلس غسانيون المسن المعلم السيد عبد القادر الاشقر أندلسي أولاد رمضان الصفار أندلس هرناتروس أولاد الفخار أندلس من غرناطة أولاد الصفار القائد محمد وأخوه من الأندلس المحتسب السيد الحاج عبد القادر أندلس من غرناطة.

الفصل الثاني
في تقييد ما اشتملت عليه الحضرة
العلية من البلديين

أولاد بومحلي من آيت حلي من مدغرة. أولاد ابن جلول. أولاد ابن زاكور. أولاد ابن الأمين أولاد التازي. أولاد الندا أولاد ابن كيران أولاد ابن فارس أولاد الزعيم من الدلاء أولاد السراج محمد وعبد الله أولاد القصيري أولاد بن العالية أولاد العجمي أولاد عبد الله الحفا حدو قصو الصبان المطغري الحاج ابراهيم بن عبد الله بنونة وأولاده الصبان المطغري. عبد الله المدعو بالعرائشي أسلم على يد القائد أحمد.

الحاج علي المزبيدي الحداد أسلم على يد القايد أحمد. المعلم علي بن العباس. علي بن الحاج محمد من الدلاء. الرجراجي من الدلاء. عبد الله بن أحمد وأخوه أحمد من الدلاء. المعلم عبد الله بن محمد التمتام وأولاده من الدلاء. المجذوب بن موسى بن عبد الله من الدلاء. محمد بن عبد الكسوس من الدلاء. الحاج الجيلالي وأخوه أصحاب الصفار. الحاج عبد الرحمن وأخوه المدعو بالغليظ. الطالب الحسن بن عبد الله من الريف. أحمد بن مسعود الفشتالي. وأخوه ابراهيم المراكشي. الجيلاني بن سليمان بن عبد الله من آزرو. عبد الرحمن بن كريشة. الفرقوشي ابن أحمد بن جسوس. عبو وابراهيم أولاد جوهرة. عبد الله بن المامون الفلالي. عبد الرحمن بن بوعزة الدلائي. عيسى بن محمد الزريوي. قدور بن موسى الدلاء. عبد السلام الفلالي. أحمد بن مسعود الفشتالي. أحمد العلوش. أحمد الغريسي ابن حسين واولاده. ابراهيم الفشتالي كدران وأولاده. الحاج محمد بن عبد الله. ابراهيم المطافي. عبد الكريم جسوس. مسعود بن احرفي محيمدات بسوق التجار. مسعود دبيسدن واخوه. اولاد شتوان. عبد الرجا وأصحابه. ابن طوطو واولاده. ريان الاسلمي هـ. وجل هذه البيوتات لم يبق منها الآن اسم ولا وَسْم ولا يعرفها احد من سكان البلد والله يرث الارض وهو خير الوارثين ثم ان تعبيره في الترجمة بأولاد العرب هو من باب التغليب حيث إنه ذكر فيها عددا من البربر ومقصوده المقابلة بأبناء الممنون عليهم بالاسلام والذين لا أصل لهم ينسبون اليه وانما ينسبون الى البلد التي نشأتهم منها ولا تعرف نسبتهم الا إليها وهم المراد بالبلديين والله أعلم.

الباب العاشر في قضاته

منهم أبو العباس أحمد بن ناجي وقد ذكرنا ترجمته في الاحمدين من تاريخ مكناس[1] ومنهم أبو حامد العربي بن احمد بُردُلة بضم الباء والدّال بينهما راء ساكنة المدجن الاندلسي الاصل الفاسي المولد والوفاة اخر قضاة العدل بفاس المولود يوم الأربعاء ثاني جمادى الاخيرة سنة اثنين وأربعين وألف المتوفى غدوة يوم الاثنين منتصف رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف بفاس ولى قضاءها والفتيا بها مرارا وعزل عن ذلك كله وكان اخر مرة عزل عن القضاء ولم يرجع اليه سابع صفر عام تسعة عشر ومائة وألف، ثم ولي النظر في أحباس فاس قبل موته بخمس سنين وكانت له معرفة بالعربية والفقه والنوازل والحديث والتفسير والاصلين والبيان والتصوف، درس البخاري والمدونة والتسهيل ومختصر ابن الحاجب الأصلي وغير ذلك، وهو صاحب الاجوبة الفقهية المطبوعة بفاس سنة أربع وأربعين وثلاثمائة وألف وغيرها ترجمه في المورد الهني والنشر والتقاط الدرر وغير ذلك والقاضي أبو العباس أحمد بن الحاج العربي بن محمد بن علي بن محمد عرف بابن الحاج السلمي الفقيه الصالح العالم العامل المشارك الكامل مشهور البركة يتصل نسبه بحارثة الذي هو والد العباس بن مرداس السلمي رحل الى الحج عام ثمانية وسبعين بتقديم السين وألف ولد عام أربعين أو اثنين وأربعين وألف وتوفي مبطونا أول ربيع الاول عام تسعة بتقديم المثناة فوق ومائة وألف بفاس ولاه قضاء فاس الجديد في الثامن والعشرين من المحرم عام خمسة ومائة وألف على ما في رياض الورد فحمدت سيرته ولما بلغ المترجم قبوله للتولية سجد شكرا لله وناهيك به برهانا قويا على عدل المترجم وشغفه بتولية أكابر العدول وسراتها المتقين، وأبو علي الحسن بن رحال التادلي المعداني دفين مكناس ولي قضاء فاس الجديد ومكناس وهو صاحب شرح مختصر خليل في مجلدات تنيف على العشر لا يوجد له نظير في بابه وحاشية على الخرشي وغير ذلك، وأبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي قاضي

(1) الاتحاف ج 1 ص. 337 .

الدولتيين الرشيدية والاسماعيلية ولي قضاءهما كذلك وأبو مدين السوسي وأبو اليمن سعيد العميري وولده ابو القاسم وليا قضاء مكناس، وأبو ألوفا عبد الوهاب العرائشي وأبو عبد الله محمد بن العياشي الوزير صاحب زهر البستان، وكان قاضي القضاة في وقته وهو بمثابة وزير العدلية في العصر الحاضر غير أنه أوسع منه نفوذا، وأبو البِشر الطالب بن عبد الواحد البوعناني وابو العباس احمد بن سعيد المجيلدي وتراجم هؤلاء أوردناها في تاريخنا لمكناس. وأبو رضوان الفلالي العلامة المحصل ولي قضاء فاس خامس عشر رجب عام اثنين ومائة وألف. وأبو عبد الله محمد مرينو ابن محمد فتحا بن أحمد القرطبي أصلا الرباطي ولايةً الفقيه الدراك المشارك النقاد فخر الأدباء له رسائل ومحاورات مع عصريّه فارس المعقول والمنقول أبي العباس أحمد بن عبد القادر السماوتي ولي قضاء الرباط أوائل القرن الثاني عشر وامتدت ولايته لحدود العشرين منه على ما في تعطير البساط. والقاضي أبو عبد الله محمد الهشتوكي أصلا المراكشي ولاية المتوفى كما في نشر المثاني وتاريخ الضعيف أواخر رجب عام ثمانية وتسعين وألف وأبو الفتح عبد الواحد البوعناني الفاسي ولاية ترجمه صاحب نشر المثاني وغيره وسنعود لذكره في الشعراء، وأبو مروان عبد المالك التجموعتي قاضي الجماعة بسجلماسة العلامة المشاور المتوفى تاسع عشر محرم الحرام عام ثمانية عشر ومائة وألف ترجمه في النشر وغيره وقال في التقاط الدرر أنه ولي حتى قضاء مكناس ولم أر ذلك لغيره، ولكنه حفظ وهو حجه. وأبو عبد الله محمد فتحا البوعناني الفاسي قاضي فاس الجديد المولود سنة ثمان وعشرين وألف المتوفى سنة ثمان وتسعين وألف ثاني عشر جمادى الثانية منها ترجمه في النشر والدوحة وغيرهما ووالده قاضي تازا أبو عبد الله محمد العربي المتوفى شهيدا بالطاعون سنة تسع وثمانين وألف ترجم له في النشر وغيره، وأبو عبد الله محمد بن منصور الفاسي ولي قضاء فاس بعد القاضي بردلة ثم عزل ورجع بردلة لمكانه توفي في العشرة الرابعة بعد المائة وألف ترجم له في النشر وغيره، وأبو عبد الله محمد الكبير بن الطالب بن سودة المري ولي قضاء فاس بعد عزل بردلة عنه أواخر

محرم عام خمسة عشر ومائة وألف ترجمه في النشر والتقاط الدرر والروضة وغيرهم وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة وألف وقفت على ظهير اسماعيلي يتضمن توقيره واحترامه وكونه ولي جامع الأندلس ودونك لفظه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم عن الأمر العالي امامي الاسماعيلي أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين (تضبيب) ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا أيد الله أمره (تضبيب) يستقر هذا الظهير الكريم والخطاب الجسيم. والأمر المحتم الصميم. بيد حامله الفقيه الأجل الخطيب البليغ الأنبل أبي محمد السيد عبد الكبير بن السيد الطالب بن المرحوم المقدس بكرم الله تعالى العلامة القاضي القدوة السيد محمد بن سودة يتعرف من يقف عليه اننا لما عرفناه نقيا عفيفا حسيبا مراقبا لله تعالى في سره وعلانيته كنا وليناه الخطابة في الجامع العتيق بعدوة الأندلس بمحروسة فاس حاطها الله ثقة منا بدينه ومروءته (تضبيب) جانبه من جميع ما يتطرق الكلف لغيره قلت أو جلت فهو موقر محترم على الدوام ومر الليالي والأيام فلا سبيل لمن يخرق عليه عادة أو يحدث لديه نقصا أو زيادة ومن وصل جانبه بما يكرهه لا لوم الا عليه وجميع أراضي الحبس التي من وظيفه على المسجد المعظم جامع الأندلس تركناه الى نظره وغرضه ينتفع به على عادة الخطباء قبله ولاسبيل لمن يحدث بأراضيه المحسوبة عليه والمنتسبة اليه لاودبي ولاجامعي ولاكلبي ولاحجوي ولاغيرهم الا اذا (ض) حجر عليه في ذلك ومن تعدى (ض) الى هنا والواقف عليه يعمل به ولابد والسلام وبه كتب في الرابع والعشرين من رجب الفرد عام ثمانية عشر وألف هـ. لفظه عدى ماأتى عليه المحو من البياضات ومن قضاته أيضا أبو مهدي عيسى بن علي ابن أحمد بن علي الشريف العلمي قاضي شفشاون المتوفى مطعونا سنة تسع وثمانين وألف كما وجد بالاعلام بمن غبر ومضى في القرن الحادي عشر من الاعلام لأبي محمد عبد الله الفاسي وأبو الحسن علي بن شافع قاضي شفشاون المتوفى بها بعد المذكور قبله المتوفى في

السنة نفسها. وقاضي فشتالة العلامة النبيه أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الغول الفشتالي المتوفى مطعونا في السنة المذكورة وأبو زيد عبد الرحمن بن علي الزلال قاضي تطوان كان متوليا بها أواخر شوال عام سبعة عشر ومائة وألف حسبما برسم مسجل عليه بالتاريخ المذكور. وقاضي شفشاون أبو عبد الله بن أحمد عرضون المتوفى سنة سبع وعشرين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن سعيد بن قريش كان متوليا بتطوان عام خمسة وتسعين وألف، وأبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الكريم المطغري قاضي بلدة تافيلالت المتوفى مطعونا أيضا في ذي الحجة من العام، وكل هؤلاء أجرى ذكرهم صاحب الاعلام وقال إنهم ممن أخذ عن أبي محمد عبد القادر الفاسي ومنهم أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى ابن آدم نزيل الرباط المتوفى عام 1094 وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم القصري من أولاد عم القاضي العرائشي المتوفى عام 1107 وأبو المحاسن العربي ابن بناصر قاضي تادلة المتوفى عام 1108 وأبو العباس أحمد بن محمد الشريف العبد سلامي قاضي جبل العلم وأبو عبد الله بن أحمد قاضي تطوان وأزاج المتوفى عام 1115 أورد هؤلاء كلهم القادري في التقاط الدرر ومن قضاته بسلا أبو عبد الله محمد فتحا بن سعيد المنصوري السلوي العلامة المدرس خطيب الجامع الاعظم كان قاضي سلا والمحلة البخارية بمشرع الرمل من بني حسن توفي في حدود عام 1142 بسلا وله حاشية على السعد وأخرى على كبرى السنوسي. وأبو محمد عبد السلام الرندي الفاسي كان من الفقهاء الكبار اختصر معيار الونشريسي يوجد منه طرف لا بأس به وكان يقيد أحكامه في دفتر مما عسى أن يطرأ ذكرهما أبو العباس أحمد بن عاشر الحافي في فهرسته وأبو عبد الله محمد فتحا بن القاضي الحاج قاسم زنيبر كان قاضيا بسلا وخطيب أعظمها ودام في القضاء الى ان توفي بها عام 1133 وله بها وقف على عقبه للسكنى والاستغلال وفي عهده جرى الماء لسلا من عيون البركة على سور الاقواسن. وأبو القاسم بن الحسين الغريسي السلوي قاضي دمنات المتوفى بسلا في جمادى الاولى عام 1117 المشارك الفقيه الاديب المحصل ذكره الحافي في فهرسته قرأ

عليه الرسالة والمختصر ومختصر السنوسي المنطقي والالفية والجمل والشفا والشمائل وبعض التلخيص. وأبو الحسن السويسي بمراكش ذكره الجريري في شرح الشمقمقية الى غيرهم من جلة علماء الأمة وأيمتها المتقين ممن لا أستطيع استقصاءهم.

فائدة أول قاض في الاسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى لأبي بكر حين استقضاه فهو أول قاض وذا أول مستقض رضي الله عنهما أفاده السكتواري في محاضرة الأوائل نقلا عن تاريخ الفقهاء، وفي أوائل السيوطي قال أبو هريرة رضي الله عنه أول قاض في الاسلام عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب استقضاه معاوية سنة اثنين وأربعين بالمدينة يعني استقل بالقضاء هـ. **قلت** والحق أن النبي صلى الله عليه وسلم استقضى جماعة من الصحابة منهم علي بن أبي طالب ولاه باليمن كما رواه أحمد وأبو داوود والترمذي عنه وابن ماجة بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قاضياً وأنا حديث السن، **قلت** : يا رسول الله تبعثني وأنا شاب أقضي ولا أدري ما القضاء، فضرب بيده في صدري وقال اللهم أهد قلبه وثبت لسانه، **وقال** : إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك، **قال** : فما شككت في قضاء بين اثنين، وفي الحديث أقضاكم عليّ، رواه الترمذي وروى أحمد والترمذي وابن ماجة وابو داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معقل بن يسار قاضيا الى اليمن وهو حديث السن ودعا له أن يهدي قلبه ويثبت لسانه قال فما شككت في قضاء بين اثنين. وقد أشار الى نحو من هذا فخر المالكية أبو بكر بن العربي لدا قوله تعالى : «ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض» وبين أن النبي صلى الله عليه وسلم ولى خطة القضاء في حياته جماعة من الصحابة والولاة منهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعثه الى اليمن وأوصاه أن لا يقضي بين الخصمين حتى يسمع من كل منهما فراجعه صحيفة 206 من المجلد الثاني من الأحكام هـ. ولا مصادمة بين هذا وبين مارواه الطبراني بسند جيد عن السائب ابن يزيد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتخد قاضيا وأول من استُقضي عمر قال ردّعني الناس في الدرهم والدرهمين لحمل هذه الرواية على القضاء المطلق بالمدينة بحضرته عليه

الصلاة والسلام وإنما قيدنا بالمطلق لثبوت استقضاء النبي صلى الله عليه وسلم أقواما بحضرته في مسائل خاصة كعقبة بن عامر الجهني، **ووظيفة** القضاء من أشرف الوظائف الدينية وأعظمها منصبا وأعلاها قدرا وأجلها مرتبة وموضوعها التحدث في الأحكام الشرعية وتنفيذ قضاياها والقيام بالأوامر الشرعية والفصل بين الخصوم ونصب النواب للتحدث فيما عسر عليه مباشرته بنفسه. **قال** الامام الحافظ أبو بكر بن العربي المعافري في الاحكام لدا قوله تعالى وءاتيناه الحكمة وفصل الخطاب بعد حكايته تاويل من أول قوله تعالى وفصل الخطاب بعلم القضاء ما نصه فاما علم القضاء فلعمري إنه لنوع من العلم مجرد وفصل منه مؤكد غير معرفة الاحكام والبصر بالحلال والحرام ففي الحديث أقضاكم علي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وقد يكون الرجل بصيرا بأحكام الافعال عارفا بالحلال والحرام ولا يقوم بفصل القضاء فيها وقد يكون الرجل ياتي القضاء من وجهه باختصاره من لفظه وايجاز في طريقه بحذف التطويل ورفع التشتيت واصابة المقصود ولذلك يروى أن علي ابن أبي طالب قال لما بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن حفر قوم زبية للأسد فوقع فيها الأسد وازدحم الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق بآخر وتعلق الآخر بآخر حتى صاروا أربعة فجرحهم الاسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح وكاد يكون بينهم قتال فأتيتهم فقلت لهم : (أتقتلون مائتي رجل من أجل أربعة أناس)، تعالوا أقضِ بينكم بقضاء فان رضيتم فهو قضاء بينكم وان أبيتموه رفعت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أحق بالقضاء فجعل للأول ربع الدية وللثاني ثلث الدية وللثالث نصف الدية وجعل للرابع الدية وجعل الديات على من حفر الزبية على قبائل الاربع فسخط بعضهم ورضي بعضهم ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصوا عليه القصة فقال أنا أقضي بينكم فقال قائل ان عليا قد قضى بيننا وأخبروه بما قضى علي فقال عليه السلام القضاء كما قضاه علي وفي رواية فأقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء علي، وكذلك يروى في المعرفة بالقضاء أن أبا حنيفة جاء اليه رجل فقال ان ابن ابي ليلى وكان قاضيا بالكوفة جلد امرأة

مجنونة قالت لرجل يا ابن الزانيين فحدها حدين في المسجد وهي قائمة فقال أخطأ من ستة أوجه، وهذا الذي قاله ابو حنيفة بالبديهة لا يدركه أحد بالرّوية الا العلماء **فاما** قصة علي فلا يدركها الشاذي ولا يلحقها المتمرن في الاحكام الا العاكف المتمادي، وتحقيقها ان هؤلاء الاربعة مقتولون خطئا بالتدافع على الحفرة من الحاضرين عليها فلهم الديات على من حفر على وجه الخطأ بيد ان الاول مقتول بالمدافعة قاتل ثلاثة بالمجاذبة فله الدية بما قتل وعليه ثلاثة أرباع الدية للثلاثة الذين قتلهم **وأما** الثاني فله ثلث الدية وعليه الثلثان للاثنين الذين قتلهما بالمجاذبة **وأما** الثالث فله نصف الدية وعليه النصف لانه قتل واحدا بالمجاذبة فوقعت المحاصصة وغرمت العواقل هذا التقدير بعد القصاص الجاري فيه وهذا من بديع الاستنباط **وأما** ابو حنيفة فانه نظر الى المعاني المتعلقة فرآها ستة الأول ان المجنون لاحد عليه لان الجنون يسقط التكليف هذا اذا كان القذف في حالة الجنون فأما اذا كان يجن مرة ويفيق أخرى فانه يحد بالقذف في حال افاقته. **الثاني** قولها ياابن الزانيين فجلدها حدين لكل أب حدا فانما خطاه ابو حنيفة فيه بناء على مذهبه في أن حد القذف يتواصل لانه عنده حد لله تعالى كحد الخمر والزنى **وأما** الشافعي ومالك فانهما يريان الحد بالقذف حقا للآدمي يتعدد بتعدد المقذوف وقد بينا ذلك في مسائل الخلاف **الثالث** أنه حد بغير مطالبة المقذوف ولا يجوز اقامة حد القذف باجماع من الامة الا بعد المطالبة باقامته فمن يقول انه حق لله ومن يقول إنه حق للآدمي وبهذا المعنى وقع الاحتجاج لمن يرى أنه حق للآدمي اذ يقول لو كان حقا لله لما توقف على المطالبة كحد الزنى. الرابع أنه والى بين الحدّين ومن وجب عليه حدان لم يوال بينهما بان يحد لاحدهما ثم يترك حتى يندمل الضرب او يستبل المضروب ثم يقام عليه الحد الآخر. الخامس أنه حدها قائمة ولا تحد المرأة الا جالسة مستورة قال بعض الناس في زنبيل حسبما بيناه في كتب المسائل. السادس أنه أقام الحد في المسجد ولا يقام الحد فيه اجماعا، وفي القصاص في المسجد والتعزير فيه خلاف قدمنا بيانه فيما سلف من هذا الكتاب وفي كتاب المسائل والخلاف فهذا هو فصل الخطاب

وعلم القضاء الذي وقعت الاشارة اليه على أحد التاويلات في الحديث المروي أقضاكم علي حسبما أشرنا اليه آنفا هـ. وقد استطردنا ذكر كلام هذا الامام في مبحث قضاة مولانا اسماعيل اشارة الى ما كان لسلف الامة من النبل والذكاء والغوص على أسرار الشريعة والمعرفة الكافية في هذا الفن زيادة على ما وهبهم الله في كل باب من أبواب العلم وما كان لهم من العبادات والاذكار المستغرقة لكل الاوقات انظر تمامه فيه.

فائدة قد اعتنى بجمع الاقضية النبوية وعيون المسائل والفتاوي التي أفتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قيد حياته جماعة من الائمة منهم الامام ابن الطلاع في مجلد وشيخ الاسلام ابن القيم آخر كتابه أعلام الموقعين والمحدث الاثري الشريف أبو الطيب صديق بن حسن القنّوجي البخاري ملك مدينة بهوبال احدى ممالك الهند المولود يوم الاحد وقت الضحى التاسع عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وأربعين ومائتين وألف ببلدة بريلى في جزء جدد فيه ما لابن القيم فجزا الله أئمة الدين في تتبع آثار نبيهم صلى الله عليه وسلم خيرا.

الباب الحادي عشر في خلفائه من أولاده

قال في الترجمان المعرب لما تمهد ملك المغرب للسلطان مولاي اسماعيل وبنى جميع قلعه بالمنازل كلها وشحنها بعبيده خلف بفاس كبير أولاده ابا العلاء محرز ووجه لمراكش ابا اليمن المامون وترك بمكناسة محمد المدعو زيدان وكان أفرس أولاده ثم بدا له في حركة فزار ووجه العدة لأهل فاس وأمرهم بالحركة للترك مع ولده زيدان فخرجوا في رمضان زاد غيره ونزل مولاي زيدان بالمحلة بوادي فاس يوم الاربعاء رابع رمضان ومن الغد نزل بوادي سبو ورحلوا يوم السبت سابع رمضان وفي السابع والعشرين منه التقى الجمعان ووقع القتال بين الاتراك ومولاي زيدان وكانت وقعة هائلة تعرف بوقعة المشارع(1) على وادي ملوية ومات من محلة السلطان عدد عديد من الرماة فيهم العربي بن صالح وغيره من الابطال، ثم قال في الترجمان وفي عام احد عشر ومائة وألف فرق السلطان أعمال المغرب على أولاده الكهال فتولى المولى احمد الذهبي تادلة وأعمالها وأنزله قصبتها وأنزل معه ثلاثة آلاف من العبيد وأمره بالزيادة في قصبتها فبنى قصبة بجنبها أكبر منها وبنى داره فيها ومسجدا أكبر من مسجد والده واستقر بها وولى على اقليم السوس ولده محمد العالم وأنزله ردانة وأكمل له على ما فيها من العبيد ثلاثة آلاف فارس من وصفانه وولى على سجلماسة واقليمها ولده المامون الكبير نقله اليها من مراكش وأنزله بالقصبة التي بنى له بتزيمي وأنزل معه خمسمائة فارس من وصفانه، وبعد عامين مات فولى مكانه ولده يوسف وولى على الشرق ولده زيدانا نقله من مكناسة فكان يغير على رعايا الترك الى ان شردهم من تلمسان وبلغ مرة الى (معسكر) في مغيب الباي عنها في الغزو فدخلها ونهب دار الباي وأخذ ما وجد بها من فراش ولباس ونحاس وأفسد ورجع، فلما بلغ ذلك السلطان اغتاظ عليه وعزله للصلح الذي كان بينه وبين الترك وولى على الشرق أخاه حفيدا، قال وفي عام ثلاثة

(1) المشارع وليس الشارع كما في الأصل الاستقصا 7 ص. 79.

عشر ومائة وألف وجه ولده زيدان لفاس ومعه حمدون الروسي حاكما بها، وفي عام أربعة عشر بلغ مولاي عبد المالك بن السلطان ضريح مولانا ادريس بزرهون فاستحرم به لما حاربه أخوه أبو النصر وغلبه على درعة وعلى تلك البلاد كلها فتركه السلطان وولى على درعة ولده الشريف صاحب المعاركة وأمره بحرب أبي النصر وطرده من تلك النواحي، وفي عام خمسة عشر أتى مولاي حفيد لفاس الجديد وجعل على أهل فاس مغرما عظيما وجاء الزعيم حاكما بها ثم عزل وفي متم شوال منه مات مولاي حفيد بفاس الجديد، وفي عام ثلاثين ومائة وألف عزل السلطان أولاده عن الاعمال كلها ولم يبق الا ولي العهد منهم بتادلة وهو احمد الذهبي ووجه ولده عبد المالك لمراكش وولاه أمر السوس وفي عام أربعة وثلاثين انتقل مولاي عبد المالك من مراكش لتارودانت انتهى.

قال في الدر المنتخب ولى يعني المترجم من أولاده أحد عشر كل واحد في ناحية وأسند اليه الأمر فيما ولى عليه لينظر كيف تدبيره فيهم والاحد عشر مولاي محرز وهو أكبرهم ومولاي المامون ومولاي محمد العالم وشقيقه مولاي الشريف ومولاي زيدان ومولاي احمد الذهبي ومولاي الحفيد ومولاي علي ومولاي يوسف وهؤلاء الثلاثة أشقاء أمهم السيدة مباركة عائشة الرحمانية البربوشية المتوفاة عام سبعة وعشرين ومائة وألف ومولاي عبد الملك ومولاي ابو النصر. أما مولاي محرز فولاه بفاس الجديد وحمدت سيرته ثم رشحه لتافيلالت لما اختل نظامها لما يعلمه من رجحان عقله وحسن سياسته، ولما اطمأنت به البلاد وأمن الله العباد نقله لمراكش واليا لأمر أوجبه، وأما مولاي المامون فكانت ولايته بمراكش قبل أخيه محرز ثم نقله والده لتافيلالت واليا وأنزله بالقلعة التي كان بناها لاخيه محرز بتزيمي وأعطاه ألفا من الخيل ودامت ولايته بها عامين ثم نقله الله اليه. وأما مولاي محمد العالم فاستخلفه أولا بفاس الجديد عام عشرة ومائة وألف فحسنت سيرته وحمدت أفعاله ونفق سوق العلم وربحت تجارته، وكان يوالي علماءها ويوالي عوائد بره الجميلة وصلاته، ولما ولاه والده بفاس أعطاه زكاة وأعشار قبيلة بني حسن تشجيعا له واعانة على مواساة

الضعفاء والأرامل والايتام وكانت القبيلة المذكورة أكثر القبائل ثروة وأشدهم قوة وبأسا ، ثم عزله ووجهه بأهله لسكنى سجلماسة فأقام بها مدة ثم ولاه الخلافة بمراكش ثم بتارودانت وأحوازها ولم يزل خليفة بتلك الأصقاع مقيما للعدل أقوم قسطاس محييا ما اندرس من معالم العلوم على اختلاف الفنون الى أن كان من شأنه ماكان في الكتاب مسطورا. وقد بسطت بعض ذلك في كتابنا «إتحاف أعلام الناس»، **وأما** مولاي الشريف فبدرعة ونواحيها ودامت رئاسته سنين عديدة **وأما** أبو العباس الذهبي فبتادلا ودامت ولايته بها نحو العشرين سنة **وأما** مولاي زيدان فبتازة ووجدة ومابينهما من القبائل ثم بعد مدة بمراكش وتارودانت ونواحيها بعد حادثة المولى محمد العالم. **قال في الدر المنتخب** وفي بعض التواريخ انه ولاه على تادلة والله أعلم بما كان وأما مولاي حفيد فعلى وجدة وتازة وجميع ولاية أخيه مولاي زيدان قبله **وأما** مولاي علي فولاه ولايات كثيرة وقد أحسن في كلها السيرة **وأما** مولاي يوسف فبسجلماسة بعد أخيه المامون وحمدت سيرته **وأما** مولاي عبد المالك فبوجدة ونواحيها وأقام للعدل قسطاسا ثم بمراكش ونواحيها ثم بتارودانت ولم يزل واليا عليها إلى أن لبى والده داعي مولاه وبايعه أهلها **وأما** أبو النصر فبالصحراء مرارا وتارودانت إلى أن أفسد الوشاة بينه وبين والده ففر إلى أخواله أولاد دليم **ولما تأمل** قدسه الله ونظر بعين فراسته التي قدمنا دلائلها في حال نجليه مولاي أحمد ومولاي زيدان علم أن مولاي أحمد ليست له من نفسه نهضة ونجدة تحمله على القيام بأعباء الامارة بعده أو همة تهيئه لأن يسد مسده وعلم أن مولاي زيدان هو الذي يصلح للامارة بعده لما له من الشهامة والنجدة والاباية من الاستكانة تحت استبداد الغير غير انه رأى ميل رؤساء جيش العبيد لمولاي أحمد لما له من الأوصاف التي تسهل لهم السبيل الى نيل أغراضهم وشهواتهم والاستئثار عليه بما شاءوه من الأمور وايغار صدره على من أرادوه من رؤساء الدولة فأيقن أنهم لاريب أن يبايعوه بعد وفاته لأجل ذلك ويعرضوا عن مولاي زيدان اتقاء من ضد ما ذكر ويجهدوا جهدهم في حمل أخيه مولاي أحمد على الفتك به ليستريحوا منه ويخلو لهم الجو فاقتضى نظره

قدسه الله أن يعقد الموالاة بين الأخوين المذكورين دفعا لما توقع ورجاء صلاح ذات بينهما فعقد الموالاة بينهما بحضرته الشريفة بمحضر الرؤساء والأعيان من العلماء وغيرهم وقد أراح الله مولاي زيدان من شرهم ووقاه مكرهم فتوفي في حياة والده رحمه الله ويوجد أصل عقد الموالاة بمكتبتنا ودونك لفظه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين. وبه في كل وقت نستعين. وهو سبحانه الموفق والمعين الذي اصطفى قريشا من العالمين. واصطفى من قريش نبينا رسولا هاديا مهديا وجعله خاتم النبيئين. وامام المرسلين صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين. الذي جعل الخلافة سراجا منيرا مصباحه. وضياء تبلج عن الفجر الصادق صباحه. وقطبا عليه مدار هذا العالم وصلاحه. ومرتعا للعباد في ظل العافية في الحواضر والبادية. والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا ومولانا محمد ذي المعجزات الباهرة أنوارها. والشفاعة المنسدلة على الأنام في الموقف استارها صلاة يتوالى تكرارها. وتلوح على الأكوان أنوارها. والرضى عن آله وأصحابه نجوم أهلة وأقمارها وغيوثها الهامية وبحارها. **أما بعد** فإن مولانا الامام الملك الهمام أمين الله على عهدة الاسلام. المنتخب من عشرة النبي عليه الصلاة والسلام فخر السلاطين وشمس الخلفاء من أبناء سيد المرسلين ظل الله في أرضه وخليفته في خليقته مولانا أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين ذا الشرف الأثيل والفخر الأصيل أبا النصر والفدا مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف المستغني بحسبه ونسبه عن الوصف والتعريف ابن موالينا الأعلام الغطارفة الكرام الذين لا أكرم منهم على الملك العلام أدام الله تعالى نصره وخلد في الصالحات مجده الأعلى وفخره بمنه آمين لما آنس من سليلة الرضى المستضيء بأضوائه المهتدي باهتدائه المجمع على اختياره وارتضائه فرع الدوحة الهاشمية ونخبة النبعة العلوية ذي الحمى المنيع. والقدر الرفيع الأسمى الأسنى الأسعد سيدنا ومولانا أبي العباس مولانا أحمد الذهبي وصل الله سعده وبلغه من رضى الله ورضى والده سيدنا المنصور بالله اماله وقصده بمنه آمين ماحمله الله تعالى عليه لما في سعادته ووفور

عقله وكمال مجادته من الأثرة لبني أبيه ساداتنا الاشراف أولي النزاهة والنباهة والعفاف أبقى الله مجدهم وأدام بدوام مولانا الامام عزهم والشفقة بهم والحنانة عليهم في جميع أمورهم دعاه سيدنا المنصور بالله أيده الله تأكيدا لما اقتضته من ذلك أخلاقه الكريمة وأحواله المرضية لموالاة أخيه الذي اتضحت سعادته اتضاح النهار ولاح للعيان بارقة المستطار وتضوع عرفه في سائر اللأقطار وخصه الله بعلو المقدار والمفاخر السامية المنار وجميل الرضى وجزيل الايثار سيدنا عين الأعيان صفوة ساداتنا الشرفاء مولانا زيدان انجح الله مقاصده ويسر للصالحات مصادره وموارده وأناخ وفود التوفيق في ساحته وألقى زمام اليسر والبركة في راحته وقرن مساعيه باليمن والسعادة وأجراه في جميع أحواله على أفضل عادة وفتح باليمن والبركة أبوابه. ووثق لكل خير أسبابه. فتلقى سيدنا ومولانا أبو العباس ذلك بالفرح والسرور. والتباشير والحبور. وبوجه من نال جميع الخيور وكان ذلك اليوم عنده يوم عيد أكبر. في روض بهي أزهر من أعظم الأعياد والمواسم. والأيام المشرقة البواسم. واشهد أدام الله مجادته وحفظ سعادته انه والى أخاه سيدنا نخبة الزمان. مولانا زيدان. بالغاية من المحبة والمودة والحنان. وأحله محل الشقيق من إخوته. وحاباه بخالص وده ومحبته راجيا من والده مولانا الامام. أدام الله نصره دعاءه الصالح ورضاه المبارك الذي هو كفيل بالسعي الناجح. والمتجر الرابح. والخير العاجل وغاية الأمنية في العاجل والآجل والله تعالى يديم وجود مولانا الامام ونصره للمسلمين والاسلام بمنه آمين شهد على اشهاد سيدنا المنصور بالله أيده الله كل من يضع اسمه وعلامته اثر تاريخه من العدول والفقهاء والقضاة أدام الله توفيقهم وحفظهم بوجود سيدنا نصره الله بما تضمنه هذا المسطور الشريف الباهر المنيف وهو بكرسي عزه وشريف منصبه وأشرف الأحوال وعلى نجله المحفوظ بعين عناية الله الأسعد أبي العباس سيدنا ومولانا أحمد أعزه الله بما فيه عنه وهو بأكمل الأحوال وفي منتصف رمضان المعظم عام سبعة وثلاثين ومائة وألف عبيد الله تعالى الشريف بن أحمد بن محمد بن عمر الحسني لطف الله به آمين وعبد ربه سبحانه أحمد بن سعيد العميري الله وليُه ومولاه

وعبيد الله تعالى محمد ابن زكري سامحه الله آمين وعبيد الله تعالى أبو القاسم بن سعيد العميري أمنه الله وعبيد الله علي بن سعيد العميري كان الله له وعبد الله سبحانه محمد ابن الشرقي وفقه الله بمنه وخديم المقام العالي بالله أحمد ابن عبد السلام الزرهوني كان الله له وعبيد الله تعالى أحمد بن قاسم الحسني كان الله له وعبيد الله تعالى هاشم بن هاشم بن أبي بكر الصوصي الحسني كان الله له آمين وعبيد ربه الشرقي وفقه الله في آخرين من العدول معقودة اسماؤهم ثم أداء الكل لدا القاضي الوقت وهو إذ ذاك أبو عثمان سعيد العميري هـ.

استطراد قد كان للنبي صلى الله عليه وسلم أمراء منهم باذان بن ساسان الفارسي وله أثر كثير في مثل الأسود العنسي أمره على اليمن وهو أول أمير في الاسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم وأمر على صنعاء وأعمالها خالد بن سعيد بن العاصي القرشي وزياد بن لبيد ابن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري البياضي على حَضرمَوت وأبا سفيان بن حرب على نجران وعتاب بن أسِيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على مكة واقامة الموسم والحج بالمسلمين سنة الفتح وهو أول أمراء الحج كما جزم به الماوردي وابن كثير والمحب الطبري وغيرهم ومانازع به الأزرقي في استعماله على الحج قد رده في شرح المواهب فانظره على أن نزاع الأزرقي يعضده ما جنح إليه فخر المالكية أبو بكر ابن العربي في الأحكام ونصه أول أمير بعثه النبي صلى الله عليه وسلم واليا على الحج ابو بكر الصديق بعثه النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع قبل حجة الوداع ثم أرسله بسورة براءة ثم أردفه عليا هـ. **قلت** وقضية امارة أبي بكر رضي الله عنه مبسوطة في الصحيح والله أعلم.

الباب الثاني عشر في وزرائه

منهم ابن عمه الصدر الجليل الشريف الأصيل أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الملك بن محمد بن عبد العزيز بن عبد الواحد ابو الغيث قال في الشجرة الزكية في حقه ما لفظه كان عاقلا لبيبا هينا لينا ناصحا لكافة الناس محبا لابناء جنسه شجاعا مقداما استوزره امام وقته مولانا اسماعيل وأدرك معه ما لم يدركه أحد، لا يرد حوائج أبناء جنسه محبا للعلماء والصالحين مهتما بحوائج الضعفاء والمساكين هذا دأبه الى أن توفاه مولاه هـ. ونحوه في الاشراف والدرر البهية، ومنهم ابو العباس أحمد ابن الحسن اليحمدي وهو قيم الخزانة المولوية الاسماعلية المحتوية على ما لا يحصى من نفائس ذخائر الكتب الأدبية وغيرها، وابو الغنائم غازي بن احمد وهو الذي ندب ابا عبد الله اليفرني لتصنيف روضة التعريف حسبما صرح بذلك صدر مصنفه المذكور، والعلامة قاضي القضاة ابو عبد الله محمد بن العياشي المكناسي، وأبو محمد عبد الحق السحيمي، وابو حفص عمر الحراق، وابو الربيع سليمان بن عبد القادر الزرهوني، وابو الفضل الشرقي السحاقي صاحب الرحلة الحجازية مع حليلة المترجم ربة الفخار والمجد المؤتل السيدة خناثة بنت بكار وحفيدها ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل صاحب الترجمة(1) وكانت وفاة هذا الوزير قرب المغرب من ليلة الاثنين ثاني وعشر شعبان عام ثلاثة وستين ومائة وألف 1163. وأبو زيد عبد الرحمن الفلالي الترارى المتوفى قتيلا عام تسعة وثمانين الى غير من ذكر مما لا يمكن الاتيان بهم جميعا ولا عُشُر أسمائهم من النبذة اليسيرة. وقد ذكر الجريري في شرح الشمقمقية من مشاهير وزرائه البواري ومولاي أحمد بن ملوك ومولاي يحيى المريني وعبد الرحمن الفيلالي وهو الذي استخلفه على فاس لما نهض لولد أخيه مولاي احمد بمراكش وغيرهم وذكرا في كتاب سيدي عبد الواحد الكاتب وهو

(1) د. التازي أمير مغربي في طرابلس 1143-1731 ــ مطبعة فضالة عام 1976.

الذي بعثه لبناء قصبة الواحد الكاتب والكاتب الاعظم أبو العباس اليحمدي وأبو الحفص عمر الحراق وأبو الربيع سليمان الكاتب وأبو الحسن مولاي زيدان المريني وأبو عبد الله أغراس وأبو عبد الله أحجام وأبو عبد الله والزهراء الكاتي والخياط بن منصور والشرفي السحافي وعم الوزير وابن دعنان والجزولي وغيرهم.

استطراد الوزارة كما قال صاحب الجيش العرمرم هي التي يسدل بها الملك رداءه ويعقد ازاره، وقال في سنى المهتدي ان الملوك والخلفاء قديما وحديثا مفتقرون أبدا الى الوزراء والكتاب ليصلحوا بهم شؤونهم ويدبروا بهم أمور مملكتهم ويقيموا بهم أركان الملك ويعلموهم طرق السياسة الموصلة الى دوام ملكهم ويرشدوهم الى ما خفى عليهم من مسائل العلم لان الملوك غالبا لا يكون عندهم ما يكفيهم من العلوم لاشتغالهم عنها بأمور الرعية والجهاد وتجهيز الجيوش والقيام بأعباء الخلافة التي بها صلاح الامة واستقامة الدين والدنيا والوزراء هم المتكفلون بمسائل العلم التي بها قوام أمر الملك من تاريخ وأخبار العرب وأيامها ونوادرها وأشعارها وأخبار الامم السابقة والملوك وسيرها في رعاياها وأخبار العلماء وما لا بد منه مع ذلك من أذب ونحو وبيان وفقه وغريب وتفسير وحديث حتى يصير الملك بهم عالما. فتكمل له مزيتا العلم والملك وفي ذلك نهاية شرفه فاذا لا غنى لأمير عن الوزراء قال وكان الملوك الأولون لا يتخذون وزيرا الا من فاق حسبا ونسبا وعلما ودينا وأدبا وبراعة ونجدة وسياسة وكرما واقداما وعلى هذا المنهج امير المومنين نصره الله وأدام أيامه يعني سيدنا الجد المترجم فقد اختار لوزارته والقيام على بساطه وزراء كراما وجهابذة اعلاما اثاروا عزه وكفوه ماعزه ونصحوا له وشكروا وحجوا بيت نصرته واعتمروا ورجموا على سماء سلطانه كل شيطان وحموا رعيته من أن تمد اليها أيدي الطغيان فاصبحت الدنيا زهرا لا تخشى ذبولا وانجم يمنها بادية تترا لاتخاف أفولا قد نامت الأجفان ملء عيونها وصديت البيض اللذان وسط جفونها الى ان قال وبالجملة فالسلطان لا يتم له ما يريد من الملك الا بالوزراء الحذاق العارفين والكتاب المبرزين،

وللعلماء كلام كثير على خطة الوزراة والكتابة وما يتعلق بهما، وقد عقد لذلك ابو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك ترجمة مفيدة فمن أراد ذلك فعليه به هـ. قال في الجيش العرمرم واعلم أن الرياسة الكبرى التي هي سياسة النوع الانساني لما كانت من أعظم المشاق اللاحقة بالظاهر الجسماني والباطن النفساني كما قال بعض الحكماء لَمعاناة نقل الجبال من أماكنها أهون من معاناة قلوب الرجال كما كان الملك القائم بها أحوج الناس الى المؤازرة وهي المعاونة على ما دفع اليه من استرعاء الخلق فانه لا يقدر على الاستغناء عن غيره حتى في أمور نفسه فأحرى في أمور الرعية فلابد له حينئذ ممن يشد أزره ويشاركه في أمره كما قال نبي الله موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي هارون أخي. وكما قال تعالى وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا، ومازال الأمر على هذا قبل الاسلام في دول فارس والروم حتى جاء الاسلام الظاهر على الأديان وصار الملك خلافة وذهب رسم الملك وذهبت تلك الخطط اللازمة له بذهابه وبقيت المعاونة بالرأي والمفاوضة في المصالح المستجلبة والمفاسد المستدفعة فلم يمكن زوال هذا اذ هو أمر طبيعي لابد منه فكان صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه فيما ليس من قبيل الأحكام التي هي منزلة من عند الله على جميع الاقسام من الفرض والندب والمباح والمكروه والحرام كما قال ابن العربي في صحيفة خمسة عشر ومائتين من المجلد الثاني من أحكامه كل ذلك منه صلى الله عليه وسلم تأليف لقلوب أصحابه وامتثال لقول الله تعالى وشاورهم في الأمر واظهار للنعمة المهداة إليهم في قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم، وربما كان صلى الله عليه وسلم يسهر مع أبي بكر وعمر للنظر في المصالح الحربية والشؤون السياسية والوقائع الطارئة **وقال** ابن فضل الله في المسالك لم تكن للوزارة رتبة تعرف مدة بني أمية وصدر أمر دولة السفاح بل كان كل من أعان الخلفاء على أمرهم يقال له فلان وزير فلان بمعنى أنه موازر له لا انه متول رتبة خاصة تجرى لها قوانين وتنظم بها دواوين، وفي حسن المحاضرة اعلم أن الوزارة وظيفة كانت للملوك من قبل الاسلام بل من قبل الطوفان فما من نبي إلا وله وزير قال تعالى حكاية عن موسى عليه

السلام واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري، وقال تعالى مخاطبا له سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم أربعة وزراء **روى** البزار والطبراني في الكبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أيدني بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائل واثنين من أهل الأرض أبي بكر وعمر، **وقد وردت** الأحاديث في وزراء الملوك روى أبو داوود عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق ان نسي ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه، ولم تكن الوزارة في صدر الاسلام الا للخلفاء دون أمراء البلاد فكان وزير أبي بكر الصديق عمر بن الخطاب ووزير عمر عثمان ووزير عثمان مروان ابن الحكم ذكره ابن كثير في تاريخه ووزير عبد الملك روح بن زنباع ووزير سليمان بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز، قال ابن كثير وكان رجاء ابن حيوة وزير صدق لخلفاء بني أمية ووزير هشام بن عبد الملك فمن بعده عبد الحميد بن يحيى غير أنه لم يكن في عهدهم أحد يلقب بالوزير ولا يخاطب بوصف الوزارة وأول من لقب بالوزير في الاسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير السفاح أول خلفاء بني العباس هـ. زاد في سنا المهتدي ولم يكن قبله من يعرف بالوزير لا في الدولة الأموية ولا العباسية ولا في غيرهما من الدول هـ.، وقد عقد الامام الحافظ الأديب أبو القاسم الخزاعي في كتابه تخريج الدلالة السمعية بابا فيمن استوزره النبي صلى عليه وسلم من أصحابه فذكر أبا بكر وعمر وذكر الامام الحافظ أبو بكر بن العربي لدى قوله تعالى : ياداوود انا جعلناك خليفة في الأرض الخ... الوزارة من الولايات الشرعية وهي عبارة عن رجل موثوق به في دينه وعقله يشاوره الخليفة فيما يعن له من الأمور وأشار الى تحسين حديث كما في صحيفة ستة ومائتين وهو قوله صلى الله عليه وسلم وزيران من أهل السماء جبريل وميكائل ووزيران من أهل الأرض أبو بكر وعمر، وذكر الألوسي في التفسير أن ابن مردوية والخطيب وابن

عساكر رووا عن أسماء بنت عمير قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بازاء ثبير وهو يقول أشرق ثبير أشرق ثبير اللهم اني أسألك بما سألك به أخي موسى أن تشرح لي صدري وتيسر لي أمري وأن تحل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي عليا أخي اشدد به أزري واشركه في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا ومثله ما صح من قوله عليه الصلاة والسلام له حين استخلفه في غزوة تبوك على أهل بيته اما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي ثم ان الوزير مشتق من الوزر بكسر الواو وسكون الزاي بمعنى الحمل الثقيل فهو في الاصل صفة ومعناه صاحب وزر أي حامل حمل ثقيل وسمي القائم بأمر الملك بذلك لانه يحمل عنه وزر الامور وثقلها وأما من الوزر بفتحتين أصله الجبل المنيع الذي يعتصم به من كل ما يخاف وفي التنزيل كلا لا وزر وقال الشاعر :

تعز فلا شيء على الارض باقيا   ولا وزر مما قضى الله واقيا

وقال زهير :

نعم امرؤ هرم لم تعر نائبة   الا وكان لمرتاع بها وَزَرا

ثم استعمل بمعنى الملجأ مطلقا وسمي وزير الملك بذلك لأن الملك يعتصم برأيه ويلتجيء اليه في أمره وأول من أطلق عليه لقب الوزارة في الاسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وزير أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس كما للقلقشندي في صبح الاعشى نقلا عن عيون المعارف في أخبار الخلائق للقضاعي يعني أول من اشتهر بهذا اللقب اذ الصحابة وان كان جلهم سيما الذين تقدم اسلامهم وكثرت مخالطتهم للنبي صلى الله عليه وسلم يستحقون لقب الوزير لموازرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاونتهم له وبالأخص من وقع التصريح بهم كأبي بكر وعمر وعلي فانهم استغنوا بالألقاب الشريفة التي امتازوا بها كخليفة رسول الله فلا تناقض فيما بين ما نقلناه عن ابن العربي من أن الوزارة ولاية شرعية كانت في عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وبينما أسلفناه عن صاحب صبح الاعشى وغيره، وقد ذكر أن الوزارة بعد ذلك صارت عقد الخلفاء والملوك دائرة بين أرباب السيوف والاقلام الا أنها في أرباب الأقلام أكثر وعلى ذلك جرى عرف الديار المصرية من ابتداء الأمر الى الآن ان الوزير اذا كان صاحب سيف كان في مجلس السلطان من جملة الامراء القائمين واذا كان صاحب قلم كان جالسا كما يجلس أرباب الاقلام من كاتب السير وغيره هـ. وكلا القسمين كانا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فأما من قام بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مصلتا السيف فقد أشار الخزاعي في (تخريج الدلالة السمعية) والحافظ ابن حجر في الاصابة والقسطلاني في المواهب وغيرهم الى ذكر البعض منهم وهؤلاء هم الذين اصطلحوا على تلقيبهم بوزراء السيف وان لم يعرف هذا اللفظ في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأما صاحب القلم فأشبه شيء بالقسم الذي ذكرنا أولا وقد صرح صاحب الجيش بأن ما ذكروه انما هو مجرد اصطلاح حيث قال ان الوزير هو الذي يشارك الملك في تحمل الدلالات وثقل النوائب والشدائد فعلى هذا كل أمر يكون فيه معاونة السلطان يقال لمن تولى ذلك الامر وزيرا سواء كان ذلك الامر من ناحية وزارة السيف أو من ناحية رياسة القلم هذا على الوجه العام الذي يقتضيه الاشتقاق، وأما ما جرت به الاعراف في الدول السابقة فهو مختلف كل دولة تطلق لفظ الوزير على ما جرى به عرفها ويعلم ذلك باستقراء أخبار الدول الماضية فمن الدول من لا يسمي الوزير الا من له أعنة الخيل واستتباع حملة السلاح ومنهم من يشترط في هذا أن يكون من قبيل السلطان ومنهم من يطلق الوزير على رئيس الكتاب الذي له التصرف التام في أمور الباب وهذا هو الواقع في زماننا وما قرب منه بل ولو لم يكن له حظ في الكتابة وانما له النظر العام في الكتاب وغيرهم من رؤساء الأجناد ومباشرة العمال والوساطة بين الناس والسلطان : مثل العربي قادوس عند السلطان سيدي محمد بن عبد الله والقائد احمد مولى اتاي عند السلطان مولانا سليمان هـ. وهذا الذي قاله أكنسوس آخرا هو الغالب على الوزراء اليوم فان الوزير عبارة عمن يسند اليه السلطان النظر في بعض الشؤون

وان كان لا يحسن الكتابة ولا حمل السلاح بل لم يبق الامر موقوفا الا على قول السلطان لشخص يراه أهلا قد اتخذتك وزيرا سواء كان يحسن كتابة اسمه أم لا ولا يأبى اشتقاق اللغة هذا الاطلاق لكون المدار على الاعانة والمشاركة في شؤون الرعية، وقد قسم الماوردي في الاحكام السلطانية الوزارة الى قسمين وزارة تفويض ووزارة تنفيذ وبين كل قسم ومايشترط في صاحبه بيانا حسنا شافيا فانظره ان شئت، واعلم انه كما كان لنبينا صلى الله عليه وسلم وزراء كذلك كان له كتاب افردوا بالتأليف منهم الخلفاء الاربعة واختص ابو بكر بكتابة السير وعلي بصلح الحديبية وشرحبيل بن حسنة وهو أول كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بن كعب وهو الذي كتب الكتاب الى ملكى عمان وزيد بن ثابت الانصاري والنّجاري من المشهورين بكتب الوحي وكان يكتب الرسائل أيضا ومعاوية ابن أبي سفيان من مشاهير كتاب الوحي وحنظلة بن الربيع الاسدي وليس حنظلة هذا هو الذي غسلته الملائكة اذ هذا تميمي وغسيل الملائكة أنصاري أوسي كما نبه على ذلك ابن عبد الباقي في شرح المواهب وغيرهم من جملة الاصحاب رضوان الله عليهم. وقال ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري في كتابه المؤلف في (الوزراء والكتاب) ما نص الغرض منه أسماء من ثبت على كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان كانا يكتبان الوحي فان غابا كتبه أبي بن كعب وزيد بن ثابت وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن ابي سفيان يكتبان بين يديه في حوائجه وكان المغيرة بن شعبة والحسن بن نمر يكتبان مابين الناس وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم وفي دور الأنصار بين الرجال والنساء وكان زيد بن ثابت يكتب الى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي وروي عنه أنه قال كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقام لحاجة فقال لي ضع القلم على أذنك فإنه اذكر للممل وأقضى للحاجة هـ. وروي ان معيقب بن ابي فاطمة حليف بني أسد كان يكتب مغانم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حنظلة بن الربيع بن صيفي بن أخي

اكثم بن صيفي الأسدي خليفة ظل كاتبا من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا غاب عن عمله فغلب عليه اسم الكاتب وكان يضع عنده خاتمه وقال له ألزمني واذكرني بكل شيء لثلاثة فكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام الا اذكره فلا يبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده شيء منه هـ. وكان عبد الله بن سعد ابن أبي سرح يكتب له ثم ارتد ولحق بالمشركين فقال ان محمدا ليكتب بما شئت فسمع بذلك رجل من الأنصار فحلف بالله ان أمكنه الله منه ليضربنه ضربة بالسيف فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان وكان بينهما رضاع فقال يارسول الله هذا عبد الله قد أقبل تائبا والأنصاري يطيف به ومعه سيفه فأعاد عليه عثمان القول فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فبايعه وقال للأنصارى لقد تلومتك ان توفي بنذرك فقال هلا أومضت الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاينبغي لي أن أومض هـ. وكان يكتب لأبي بكر رضي الله عنه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وروي أن عبد الله بن الأرقم كتب له وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضا وكان يكتب لسيدنا عمر زيد بن ثابت وكتب له عبد الله بن الأرقم وكتب له علي بن دينار الكوفي أبو جيدة بن الضحاك الأنصاري وكان يكتب لعثمان بن عفان مروان بن الحكم وكان عبد الملك بن مروان يكتب له على ديوان المدينة وأبو جيدة الأنصاري على ديوان الكوفة وكان عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث أحد كتاب النبي يتقلد له بيت المال وكان أبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار من بني دهمان من قيس غيلان يكتب له أيضا وكان يكتب لعلي سعيد بن عمران الهمداني وكان عبد الله بن جعفر يكتب له أيضا وروي أن عبد الله ابن جبير كتب له وكان عبد الله بن أبي رافع يكتب له هـ. الغرض وقد استطرد ذكرهم القاضي أبو بكر الباقلاني في الانتصار له فقاربت أسماؤهم الخمسين بعد أن بين أن منهم من كان يكتب بلغة اليهود كزيد بن ثابت ومنهم من كان يكتب الوحي وينشيء الرسائل ويكتب الشروط والأمانات الى غير ذلك مما يشخص مدنية ذلك العصر الزاهر فصلى الله على مؤسس المدنية ورضي الله عن أصحابه ومن سلك طريقهم آمين.

الباب الثالث عشر في نقبائه

منهم أبو محمد المولى عبد القادر بن عبد الله دعي عبُّ الشبيهي الحسني الادريسي، ثم ابن عمه أبو عبد الله محمد الأكبر بن حم بن أحمد بن عبد القادر بن طاهر من أولاد ابن طاهر من أهل حمام الجديد من مكناسة الزيتون وربما كان يتصرف في حياة أبي محمد المذكور بنحو ثلاث سنين بأمر السلطان المترجم قاله أبو محمد عبد السلام القادري في بعض مقيداته ونقله عنه في السر الظاهر ونظم الدرر وغيرهما، والشريف المولى الطيب بن عبد القادر المذكور نقيبا والعلامة النسابة أبو العباس أحمد بن محمد بن عمر يتصل نسبه بمولانا عبد السلام بن مشيش كان متوليا وظيف النقابة أواخر شوال عام سبعة وثلاثين ومائة وألف حسبما استفيد ذلك من رسم إشهاد عليه بالتاريخ المذكور وغيرهم.

تنبيه اعلم أن وظيفة نقابة الأشراف من أفخر الوظائف الدينية وأجلها قدرا قال في صبح الأعشى صحيفة سبع وثلاثين من المجلد الرابع مانصه نقابة الأشراف وهي وظيفة شريفة ومرتبة نفيسة موضوعها التحدث على ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة ابنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبم المراد بالأشراف في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم والأخذ على يد المتعدي منهم ونحو ذلك، وكان يعبر عنها في زمان الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبيين زاد في صحيفة اثنين وستين ومائة من المجلد الحادي عشر ما لفظه قلت وقد جرت العادة أن الذي يتولى هذه الوظيفة يكون من رؤوس الأشراف وأن يكون من أرباب الأقلام قال وقد رأيت له عدة تواقيع على ذلك مكتتبة من الأبواب السلطانية وعن نائبي الشام وحلب وغيرهما معبرا عنه فيها بالأميري وتوقيعه في قطع الثلث مفتتح بخطبة مفتتحة بالحمد لله، وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف وهي الحمد لله مشرف الأنساب. وموفي الأحساب. حقوق ملاحظتهم بغير حساب وجاعل أيامنا الشريفة تحمد الاكتساب. نحمده بمحامد حسنة الايجاد والايجاب. ونشهد أن لا الاه الا الله وحده لاشريك له شهادة لاشك

في مقالها ولا ارتياب. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ونبيه الذي
أنزل عليه الكتاب وشرف به الدراري من شجرته المباركة الأعقاب
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لاتتوارى شمسها بحجاب وبعد
فان خير ماصرفت الهمم الى تشييد مبانيه وتقييد مهمل رواعيه.
وملاحظة قاصيه ودانيه المحافظة على كل مايرفع قدر الاول ويعليه ويرد
إليهم عنان الاعتناء ويثنيه. ولما كانت العترة الطاهرة النبوية وراث
الوحي الذين آل اليهم ميراثه. وأهل البيت الذين حصل لهم من
السؤدد آياته. وقد سأل الله وهو المسئول لهم القربي وخصهم بمزايا
حقيق بمثل متصرفهم انه بها يحبى. وانها لهم تجبى لما في ذلك من
بركات ترضي سيد المرسلين وتعجبه. ويسطر الله الأجر لفاعله
ويكتسبه **وكان** لابد لهم من رئيس ينضد سلكهم وينظمه ويعظم
فخرهم ويفخمه. ويحفظ أنسابهم ويصقل بمكارمه [illegible]سابهم وينمي
بتدبيره ريعهم. ويتابع تحت ظل هذه الشجرة المباركة [illegible]ركى ينعهم.
ويحفظهم في ودائع النسل. ويصد عن شرف أرومتهم من الأدعياء
المدعين بكل بسل. ويحرس نظامهم. ويوالي اكرامهم ويأخدهم
بمكارم الأخلاق. ويمدهم بأنواع الارفاد والارفاق. ويتولى ردع
جانيهم اذا لم يسمع. ويتدبر فيه قوله انفك منك وإن كان أجدع
ولما كان فلان هو المشار اليه من بني هذه السلالة وله من بينهم مزية
باطنة وظاهرة وإن كانوا كلهم شيئا واحدا في الاجلال والاعظام.
فقد تميزت من بين الأنامل السبابة على الخنصر والبنصر والوسطى
والابهام. وكم ثمر جني فضل بعضه على بعض في الاكل وهو يسقى
بماء واحد وقد امتاز على بني هاشم سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة
والسلام اقتضى حسن الرأي المنيف. ان وسم بالامر الشريف. لا برح
يختار وينتقي. ويجتبي من يخشى الله ويتقي. ان تفوض إليه نقابة
الاشراف الطالبيين على عادة من تقدمه من النقباء السادة فليجمع لهم
من الخبر ما يبهج الزهراء البتول فعله. ويفعل مع أهله وقرابته منهم
ما هو أهله وليحفظ مواليدهم. ويحرز أسانيدهم. ويضبط أوقافهم.
ويعتمد أنصافهم ويثمر متحصلاتهم. ويكثر بالتدبير غلاتهم. ويأخذ
نفسه بمساواتهم في جميع حالاتهم. ولياخذهم بالتجمع عن كل ما

يشين. والعمل بما يزين. حتى يضيفوا الى السودد حسن الشيم. والى المفاخر فاخر القيم. وكل ما يفعله معهم من خير أو غيره هو له وعليه. ومنه واليه والله يحفظه من خلفه ومن بين يديه. بمنه وكرمه هـ. وفي نظم الدرر نقلا عن تحفة الحادي المطرب وكان منصبها يعني النقابة في دولة بني أمية وبني العباس يعدل منصب الوزارة ولا يتقلدها الا العلماء العارفون بالأنساب من أهل البيت وذوي أنسابهم الذين لا ترضى هممهم الطمع ولا يحتاجون الى ما في أيدي الناس ورواتبهم من بيت مال المسلمين فوق الكفاية فكانت الانساب محفوظة من الدخلاء وكذلك كان شأن النقابة بالمغرب أو قريبا منه ايام لمتونة والموحدين وبني مرين والسعديين الى أن مات المنصور منهم واشتغل أولاده بالحروب على الملك فأهملوا أمر الأشراف والنقباء بل أمر الرعية كلها وصار يتولى النقابة من لا علم له ولا معرفة بالأنساب وصارت النقابة منصبا دنيويا يتوارث والدا عن والد ويتولاه جهلة الناس ومن لا يخاف الله وصار النقيب يجبي منه المال ويقبض الهدايا والرشا ويلحق بأهل البيت من لا نسب له فيهم ولا اتصال له بهم وانتشر ذلك في الرعايا وعرفوا طرقه وعمروا أسواق النقباء وقربوا لهم كل بعيد يدلونهم بحبال الغرور فسامه كل واحد كما قيل :

لقد هُزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها كل مفلس

وتكتب لهم النقباء على الرسوم المزورة ولا يحتاجون الى ثبوت قاض ولا الى تصحيح علماء وسار القضاة اذا وقفوا على رسم فيه خط النقيب أو ختمه أثبتوه ولم يبحثوا عنه فيه كأنه وحي أوحي ولا يتولى النقابة اليوم الا اللصوص الذين اتخذوها متجرا ومكسبا يشترونها من أهل المناصب السلطانية ويلبسون على ملوكهم وكل من سامهم من الدخلاء بثمن بخس باعوه واستمر الحال على ذلك الى أن بويع السلطان الاعظم مولانا اسماعيل رحمه الله فوجد أمر الاشراف مختلا وكادت الرعايا أن تصير كلها أشرافا فلما رءا ذلك صار كل من ياتيه من الاشراف يخرجه من الرعايا ويدفعه للودايا أو قواد رؤوسهم أو لعبيد الدار ويقول لهم لا تدفعوا زكاتكم واعشاركم مع العامة وادفعوها

لاخوالي ولقوادي أو لعبيد الدار فغرقوا في بحر العطايا كانوا يدفعون
مع العامة مرة في السنة فصاروا يدفعون في الفصول الأربعة **وأمر**
السلطان أعيان أشراف أهل العلم وعلماءهم وقضاة القبائل أن يعينوا
من أعيانهم شريفا فقيها عالما بأنساب الأشراف وأصولهم ويقفوا معه
حتى يميزوا الأشراف من أهل الدعاوي من كل قبيلة وكل قرية يحضر
أعيانها وذوو أسنانها فهم أعرف بمن نسبه صريح ممن هو دخيل وكل
من وجدوه من الدخلاء أزالوا ما بيده من الرسوم وكتبوه في دفتر
وتركوا له رسومه وظهائره الى أن طافوا على القبائل كلها وعزلوا
الأشراف من المتشرفة وكل من هو دعي دفعوه لشيخه يعطي مع قبيلته
وتوجهوا للسلطان فاطلعوه على دفتر الأشراف وعلى دفتر أهل
الدعاوي الذين ردوهم لقبائلهم ونبهوا عل بطلان شرفهم فأحرق
السلطان رسومهم وأمرهم أن يكتبوا دفترا آخر يكون عند النقيب
الكبير الذي بجبل العلم ودفتر دفعوه للسلطان فحينئذ رد الاشراف
الذين عند الودايا وقواد رؤوسهم وعبيد الدار الى الرباط في الجهاد
بسبتة ففيه يصرفون زكاتهم واعشارهم والدعاة دفعهم لأشياخهم
يغرمون معهم وخمدت نار أهل الدعاوي طول أيامه ولم يبق منهم
من ينتسب للشرف وصلحت أحوال الرعايا من تشويشهم وجعل
نقيبا بفاس ونقيبا بمكناس ونقيبا بمراكش **وأكبر** النقباء هو الذي بجبل
العلم وأمرهم ان لا يكتبوا لأحد جديدا الا ما يستلحقه الاشراف
من أولادهم في شجراتهم بعد الثبوت الشرعي واستمر الحال على ذلك
الى أن مات السلطان مولانا اسماعيل رحمه الله وجاءت دول أولاده
من بعده وتبدل أهل المناصب الذين كانوا في دولته وجلس غيرهم
ممن لا خبرة له قام المتشرفة واهل الدعاوي وكتبوا الرسوم وزوروا
الشجرات وقصدوا الملوك في تجديد ما كان بأيديهم ولم يجدوا من
ينبه عليهم ويلتفت لتلبيسهم فجددوا ماضاع لهم وزادوا عليه وكانت
أيام الملوك من أولاد مولانا اسماعيل كالفترة لا ثمرة للملك فيها وطالت
المدة من موت مولاي اسماعيل الى بيعة سيدي محمد بن عبد الله وكان
في ابتداء أمره يجدد لمن قدم منهم ولا يرد أحدا فلما فرض الزكاة
والأعشار على القبائل وخرج عمالها لقبضها استغاث الرعايا من أهل

الدعاوي وقالوا كلها رجعت أشرافا بنو عمنا يرثوننا ونرثهم تشرفوا علينا فلما سمع السلطان ذلك انتبه من غفلته وقبل ذلك برمته ووجه كتابه وخدامه وأمرهم بجمع العلماء وقضاة الجبل وأعيان القبائل ويبحثوا عن كناش الأشراف فاذا لم يجدوه يستأنفون العمل في البحث عن المتشرفة في القبائل ويطوفون عليهم الى أن يقفوا على حقيقة أمرهم وينزعوا ما بأيديهم ويدفعوهم لأشياخهم ويجددوا كناش العمل في البحث وطافوا على القبائل كلها فكان اخوانهم يفضحونهم ويخرجونهم من بيوتهم ويقولون هؤلاء ابناء عمنا صاروا أشرافا ونحن كلابهم فافتضح أمرهم وأزيل ما بأيديهم من الرسوم والظهائر التي جددوها ودفعوا لأشياخ قبائلهم يغرمون معهم ومن وجدوه صريح النسب كتبوه في دفتر القبيلة التي هو بها وبعد فراغهم من العمل وقفوا على الكناش الاسماعلي أتاهم به ورثة نقيب النقباء فتوجهوا به وبكناشهم الذي جددوا للسلطان فكتبوا منه نسخا وجهها لعمال القبائل وجعل للشرفاء أشياخهم ولا يتصرف عليهم شيخ العامة وكلفهم بدفع زكاتهم وأعشارهم ليد أشياخهم وأسقط عنهم ما سواها من الوظائف كالهدية والمؤونة والسخرة والعمالة فلا يعطون الا ما حرم الله عليهم واستقامت أحوال الرعايا طول أيامه وخمد أهل الدعاوي ولم يبق لهم ذكر وكل من كان ياتي منهم يحرق له رسومه. واستمر الحال على ذلك الى أن مات السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبويع ولده اليزيد بجبل العلم هـ. الغرض **وقال** قبل هذا نقلا عن (قرة العيون في الشرفاء القاطنين بالعيون) وكان لملوك بني مرين اعتناء كبير بالأشراف من البحث عنهم وجمعهم من الاقطار المتفرقة الأطراف وضبط شعبهم وحفظ نسبهم في كل بلد من مملكتهم مع كتب المحقق النسبة منهم في ديوان اعطيتهم واحياء مآثرهم واظهار مفاخرهم فهم الذين جمعوا شمل الأدارسة وأحيوا محل معاهدهم الدارسة **وأما** ملوك عصرنا أهل الدولة العلوية فقد اشتد ضبطهم لهذا النسب بغيرة طبيعية وأخرى شرعية لأنهم ذرية بعضها من بعض فيراعون لهم الحرمة في البسط والقبض كان السلطان ابو الفضل الرشيد مثلا مضروبا في تحقيق الشرف بالبحث الشديد يفوض في

ذلك لذوي العلم والدين من أهله وان أفضى الحال في زجر الداعي افكا وزورا الى قتله، أسند مدة النظر فيمن يدعي النسبة بالجبال الغمارية الى بعض الائمة من قضاة أشرافنا العلميين بالبلاد الشفشاونية فكان ممن لم يتمسك بحجة في دعواه قوم ينسبون الى من لم يعرف له نسب في سره ولا نجواه فحكم فيه باعتبار الشرع سجنا وضربا بعد أن طيف بهم في البلاد بعدا وقربا حتى تابوا وبقوا الى أن أدركناهم في عدد العوام واليوم انقرض عقبهم ولم يبق لهم ذكر في الانام، **وجاء** بعده أخوه ابو النصر اسماعيل. فأنسى في ذلك ذكرى الملوك المتقدمين من كل جيل أحيا النقابة في كل قطر من الأقطار. وأجرى من بحر انعامه على الاشراف حرصا على الضبط الانهار. رأيت ديوانه وأهل النسبة فيه طبقات بعضها فوق بعض درجات **فأول** ترجمة فيه بالمشاهير الذين عد شرفهم من المتواتر ثم أهل الرسوم الذين لا يتوجه الى أهلها طعن ولا يتطرق للمتمسك بها احتمال مَيْن، ثم أهل الرسوم التي توجه الطعن اليها. وقد ضرب لهم الاجل عليها. ثم أهل الظهائر والتحلية التي ربما يكون بها عبرة في الظاهر. ثم أهل الدعاوي المجردة وهم في الكثرة أجناد مجندة. ثم أهل الدعاوي الكاذبة. وقد ذكر كل فرقة عقب قضية ترجمتها الموجبة والسالبة. وسعى بعده أولاده في اقتفاء الأثر. فصدهم خروج بعضهم على بعض من استكمال الوطر هـ. الغرض منه ومن الدلائل على اعتنائه بهذا الامر كراسة وقفت عليها بخط أنيق مذهبة الفواصل والاسماء تتعلق بشرف آل العلم نصها : الحمد لله الذي أبدع هذا العالم بحكته وجعله آية باهرة على باهر وجوده وقدرته فاستدل على الصانع بصنعته. ووصف بما يليف من جلاله وكماله ورفعته. ووضع العقل في الانسان، فشرف وكمل به تكميلا. وخصه بالمعرفة وفضله على كثير ممن خلقه تفضيلا، والصلاة والسلام على من هو سبب نشأة الوجود. وعلى آله وصحبه اهل العرفان والفضل والجود والمقتفين لآثارهم الحميدة والمهتدين بآرائهم السيدة. هذا ولما شرف الله الانسان بالعقل وجعله سببا لمعرفته والخروج من الجهل، فكأن له على غيره مزيد اعتناء وشفوف. وجعله خليفته في أرضه وشرفه أي تشريف. ووضع سبحانه بمقتضى

حكمته فيه معادن متفاوتة وجعل درجاتع متباينة ومتباعدة لا متقاربة واختار من ذلك النوع الانساني العرب، ورفعهم على غيرهم بكثير من الرتب، واختار من خيار خيار خيارهم سيدنا محمد المصطفى صاحب الدرجة الرفيعة والوسيلة والصفا وشرف سبحانه ذريته ودويه، ونزههم بالعلم والتقوى أي تنزيه، الحاقا للفرع بأصله، واجراء له عيله بفضله، ووجب على الورى توقيرهم واحترامهم والبرور بهم وتبجيلهم واكرامهم، عملا بمقتضى قوله تعالى «قل لا أسألكم عليه أجرا» أي المودة في القربى ومن امثل لذكل وانتدب له فقد اعتصم بالجناب الاقوى. وعلم الناس ذلك. والاحترام هنالك وانتحل بعضهم سلوك تلك المسالك ومادرى انه رمى نفسه في مفاوز ومهالك وأدخل نفسه في الامر المنكور عليه من الشاذ والجمهور. وقد قال عليه السلام في متكبر المتشبع بما لم ينله كلابس ثوبي زور. وورد في مثل ذلك تشديد النكال عليهم والنكير. ففي الذخيرة قال ملك من انتسب الى بيت النبي (ص) يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لابه استخف بحق النبي (ص) وحقه ذو المقام الاشهر والسنا الابهر. السلطان الجليل ذو الهابة والتبجيل أبو الفداء مولانا اسماعيل بقية اشراف الاسلاف، والمعتمدُ ممن خلفهم من الاخلاف، الذين بلغوا في المجد رتبة لاتدرك ولا تلحق ومضمارا لا يدرك من شأوه ولا يسبق، فأغنت شهرة فضلهم عن التعريف ولا يحصى ذلك أكبر ديوان وتصنيف. المجاهد دائما جهادا كبيرا فبقى الدين والحمد لله واضحا شهيرا، بعد ان قطع الله به أهل الزيغ والفساد ومحق به أهل الشرك والكفر والعناد، وطهر الله به أهل البسيطة من وضر الشرك، واستأصل به عرقات اهل الضلالة والغواية والافك، كان الله له بمزيد لطفه وعنايته وليا ونصيرا، وجعله لاثار سيرة الراشدين مقتفيا وبمناهجهم الحميدة بصيرا. ابن مولانا الشريف ذي الحسب الباهر، والمجد الفاخر، والقدر المنيف، ابن مولانا أبي الحسن علي أعلى الله مقامه وأدام اكرامه وانعامه ابن مولانا ابي عبد الله محمد بن مولانا ابي الحسن علي بن مولانا ابي المحاسن يوسف بن مولانا ابي الحسن علي بن مولانا ابي علي الحسن بن مولانا ابي عبد الله محمد بن مولانا

محمد بن مولانا ابي المظفر قاسم بن مولانا ابي عبد الله محمد بن مولانا أبي محمد الحسن بن مولانا ابي محمد عبد الله بن مولانا أبي محمد بن مولانا عرفة بن مولانا ابي محمد الحسن بن مولانا أبي بكر بن مولانا ابي الحسن علي بن مولانا حسن بن مولانا اسماعيل بن مولانا حسن بن مولانا الحسن بن مولانا ليث الكتائب الهمام المبلغ في مرضات الله ومرضات رسوله اسنى المطالب، بن عم الرسول سيدنا ومولانا علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه ونفعنا به وجعلنا ممن يحفه وءاله حبا دائما امين. لذلك من له به اكمل دراية ومعرفة النسب له فيما أصح رواية بحيث يفيد خبرها العلم. ويثنى على قوله وخبره الحكم، لاعتنائه نصره الله بالمحافظة على الانساب حتى لا يدخل في ذلك شك ولا ارتياب كما اعتنى بذلك العلماء الاقدمون وتبعهم على ذلك الائمة المتأخرون اظهاراً لمن يحب توقيره وتبجيله وإكرامه وتفضيله وحض على ذلك مملوكه الاسعد، مملوك المقام العلي بالله أي مجد، القائد الغازي لكمال رأيه السديد، وعقله الفائد المديد، ومحبته ذلك المقام، واعتنائه بما اعتنى به الملك الهمام، وحث على ذلك أي حث، وأن يبحث عنه اشد بحث، وان يبث شدة من حقق شرفه كل البث، ومن دخل بين العصا واحاها، فلا غرو أنه جدير بابلغ عقوبة ومنتهاها. اذ بين الله النسب، وأزال جميع الريبي، وأظهر ذلك وجعله واضحا معروفا وجعل كل نسب وضيحا أو رفيعا متسوقا ليعلم من ترشده ويتواصل الاقرباء ويتقاربوا وقد قال جل من قائل «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا» فكل ينتمي لاصله، ويلحق في المنصب بأهله فلا سبيل لان يدخل في ذلك داخل، أو يقبل فرع متهلهل الاَّ ببينة واضحة قاطعة لاوهام الشكوك فاضحة، كما جرى على ذلك الاسلاف واشدب اليه النقباء من الاشراف وكان من المحقق بنسبه اهل العلم. وبلغ في الشهرة ان كان أوضح من نار على عام. وأولئك حفده القطب الكبير العظيم القدر الشهير، صاحب المقام مولانا أبا محمد عبد السلام. وحفدة اخوته وبني الاعمام، وكل منهم بينهم غير مجهول، ومن استدخل في ذلك فهو غير مقبول، ومن لم ينصب على ذلك دليل. وعلى شاهد حق كثير أو قليل، فعليه ان يأتي

ببرهان قاطع. ليس له مدافع ولا منازع. ثم أن الشرف منه ما هو مقطوع بحقيته وذاع القول به وبان لشهرته. وذلك كثير، وأمره جلي شهير، كما نص على ذلك في مرّة المحاسن كشرف اهل تافيلالت من الحسنيين المحمدين اذ لم يختلف في ذلك اثنان من أهل بلدهم ومن يعرفهم وكنسبة ذوي العلم اذ نسبتهم الى الهمام مولانا ابي محمد عبد السلام من الامر الذائع الشائع المشهور، الذي لا يختلف فيه اثنان فكيف الجمهور. ووضوح نسبته رضي الله عنه لما سلف منْ آبائه كشهرة ووضوح ما ثبت لابنائه. مع معرفة بعضهم بعضا منشئا ودارا، واسما واحدا وقرارا. مع كون الاصول التي ينتمون اليها محصورة لا غبار عليها بينته مشهورة، فمنهم أولاد الشيخ سيدي عبد السلام وهم أربعة **أولهم** السيد محمد الذي هو أكبرهم قدرا وأعلاهم، وأكثرهم محاسن وبالفضل أولادهم صاحب القضية مع الشيخ ابي الحسن الشاذلي وذلك كما في لطائف المنن قال ابي الشيخ ابو الحسن كنت جالسا بين يدي الاستاذ فقلت في نفسي ليت شعري هل يعلم الشيخ اسم الله الاعظم فقال ولد الشيخ وهو في آخر المكان الذي أنا فيه يا أبا الحسن ليس الشأن من يعلم الاسم وإنما الشأن من يكون عين الاسم فقال الشيخ من صدر المكان أصاب وتفرس فيك ولدي. انتهى. وخلف أولادا فمن أحفاده أحسنهم سيرة وأطيبهم عريكة أولاد ابن عبد الوهاب وأولاد ردّام ثم أولاد ابن حليمة ثم أولاد الحراز ثم أولاد المؤدن ثم أولاد مزّون ثم أولاد قاسم ابن منحوت ثم أولاد الشريف بيطاردان ثم أولاد الجبيلي . **ثانيهم** : السيد أحمد وخلف أولادا منهم أولاد أميلال وأولاد اطريبق وأولاد البقوري. **ثالثهم** : السيد عبد الصمد فمن أحفاده أولاد الشنتوف وأولاد حمو. **رابعهم** : السيد علي فمن احفاده أولاد ابن يعقوب وأولاد الحسين وأولاد سعيد وأولاد أحمد بن علي منهم فريق في مراكش وفريق في شفشاون ومنهم أولاد السيد موسى اخى الشيخ القطب فمنهم أولاد شقور وأولاد كهون وأولاد ابن عبد الله وأولاد المنصور وأولاد الوث وأولاد الحراق وأولاد الحوات وأولاد الحسن وأولاد قاسم وأولاد ابن عيسى. ومنهم أولاد السيد يمنح بن مشيش أخى الولي القطب منهم أولاد

المؤذنين وأولاد حمدان وأولاد صغيرى وأولاد ابراهيم وأولاد عبد السلام وأولاد دحمان ومنهم أولاد السيد يونس ابن ابى بكر عم الشيخ أولهم أولاد ابن رحمون ثم أولاد ابن ريسون وأولاد المؤذن ثم أولاد العربي ثم أولاد مرصى ومنهم أولاد السيد علي بن ابي بكر أخو يوسف وعم الشيخ فمن أحفاده أولاد اخريف وأولاد زروق وأولاد مغلى ومنهم أولاد سيدي ابن ابي بكر اخى السيد يوسف وعم الشيخ فمنهم أولاد قموط ألا ومنهم أولاد سيدي الملهى بن ابي بكر وذلك أولاد حداد. وبالجملة فأولاد السيد عبد السلام أربعة واخوته هو ثالثهم وأعمامه سبعة عقب منهم خمسة وهم الذين ذكرنا ومن كان فوق السيد ابي بكر فلم يخلف سوى ولد واحد ذكر فبان بهذا انحصار شرف اهل العلم وانحصار اصلهم وهذا ما أمكننا من عدهم جملة، ولم نستطع ذلك تفصيلا لمفارقة الدواوين وبعد المسافة فمن انتسب الى بعض الاصول المذكورة فعليه أن يأتي بالنسبة الواضحة المشهورة. وليطلعنا على ذلك لننظر ما هناك لتظهر صحته من سقمه وما لدليله من اشاجه أو عقمه فانا لا ندري ولا اباؤنا واحدا خرج من البلد ولم نعلم له خبرا بل كل من غاب ولو في أقصى الارض نجد له عندنا نبأ وأثرا، ومن أشرفنا هو مظنون اذ تعتري صحته شكوك وعيوب ومنه ما هو مستوى الطرفين ومن المعلوم ان رتبته دون الرتبتين، ومنه ما هو موهوم والراجح عليه انه معدوم. ومنه ما هو وهم، لم يقم على صحته رسم. كإدعاء من لم يدع أباؤه الشرف مع القرون العديدة والسنين المتطاولة واشار الاسلاف وأبناء الاخلاف وكتب التاريخ المتداولة. ولما أراد الناس التوخى بالنسب الشريف مع بعدهم عن ذلك المنصب العلي المنيف ولم ينزجروا بما أعد الله من اللعن للكاذب في نسبه. والمتعلق بما لم ينله من غير سببه، ففي البخاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيظ الله تعالى لذلك في كل عصر خريتا يرفع المنتهى الشريف الذي يصدق عليه من قدح ليس منها، وعتناء منه سبحانه بحفظ هذه النسبة الطاهرة، فمن يريد الانخراط في سلكها وهي مرآة مبرزة ظاهرة، ثم

من انتهى الى ذلك المقام، واعتقد ان له ما لغيره فمن تحقيق نسبه من الاحترام وأراد التشيث بالاذيال على وجه التطفل والانضمام، ولا يعرف أحد من شرفاء العلم أن لهم في ذلك قدم ولا يعرفهم أنهم ممن خرجوا من البلاد، بل بينهم وبينهم كل البون والبعاد... فليبينوا الى من ينتمون وكيف يخفون وهم كثيرون. ونطلب منهم بموجب شرعي ان يبينوا من ينتمون له من أشراف العلم ودعواهم أنهم من ذلك كالقابض على الماء أو كالراقم على الما، بالقلم اذ في العلم الشريف والمشروف، والمجهول النسب والحر والوصيف. وفليُعرفوا اكمل تعريف هـ . ما وجد من ذلك. وفي المجلد التاسع من الكناشة اليحمدية ما نصه : هذا تقييد أهل الدعاوي الباطلة الواهية على النسبة الكريمة أولهم : أولاد الفتوح ببني يدر وغيرها وأولاد الزكري بها أيضا وجدنا بيدهم رسما مزرورا وأولاد الريوس بها ايضا وجدنا بيدهم مثل ذلك وأولاد الشيب ببني حزمار كذلك وأولاد بن شقطير ببني حسان كذلك وأولاد دارار بمدشر أريون حوز الحرم العلمي كذلك وأولاد أمزاري بالزرقاء كذلك وأولاد الخمال ببني يوسن وبني جرفط كذلك ولاولاد بروال بالحصن محكوم عليهم في السالف بالبطلان وأولاد لبن حيون بالاخماس وجدنا بيدهم رسما يرتفع نسبهم فيه الى عبد الملك بن مروان الاموي وهم الان يدعون الشرف وأولاد حميدان ببني زجل فان دعواهم حادثة كاذبة ساقطة وأولاد امعاوين ببني حزمار كذلك وأولاد السويقة ببني دركل كذلك وأولاد حلحول ببني حرشن كذلك وبني حزمار أيضا كذلك وشرفاء تامحط واهل اعيل واهل أورمان بتفركيون وشرفاء ماج تسعة فروع لم يثبت منهم لدى الشرع سوى اثنين من الفروع وأولاد المداح بتطوان وبغيرها محكوم عليهم بعدم الشرف في السالف ومازالوا يدعونه الان وأولاد الزناكي بواد راس كذلك وأولاد دار خوخ بالجامع البيضاء من اهل الدعاوي الكاذبة ايضا وأولاد بن سيوانة ببني ليث كذلك وأولاد الحفابها أيضا وأولاد الذيب بتطوان وغيرها كذلك وأولاد الشعشوع بتطوان ايضا كذلك وأولاد العدال ببني أبو زره وأولاد العطوش بها أيضا وأولاد ناصح بتطوان وغيرها وأولاد ابي ذرة بتطوان وغيرها بيدهم رسم

مزور حادث وأولاد جعاوة ببني أيم كذلك وأولاد الطالب بغيروزيم
وأولاد عدي ببني حسان وأولاد هيدور ببني سلمان وأولاد حلات
بها أيضا وأولاد الرقاش بالجامع البيضاء فان دعواهم حادثة على
الكذب والزور مؤسسة وأولاد خمودن ببني سلمان وأولاد شلوك
ومن أنضاف اليهم ببني ليث وأولاد اللحلاح بواد راس بيدهم رسم
زور لائم الكذب والفجور وأولاد أزيات ببني مستارة محكوم عليهم
في السالف وأولاد العواري بتازكلوت وأولاد الهروالي بواد راس في
مدشر الهري بيدهم رسم مزور وأولاد شاب بشفشاون من اهل
الدعاوي الحادثة الكاذبة وأولاد شارية ببني سعيد وبتطوان كذلك
وأولاد الطيب بالحرم العلمي حفظه الله وأولاد ابن يوسف بالحصن
فان لهم دعوتان للعلم وغيره وأولاد الهباج بغمارة واخوانهم وأولاد
ابن طلحة وأولاد حدوش بيدهم الزور والكذب والافتراء فان لهم
دعوة جادثة ساقطة وأولاد بن شدوا واخوانهم أولاد بن عياد وأولاد
بن خلاد كذلك وأولاد الروسي بجبل حبيب بيدهم رسم مزور وأولاد
النجار وأولاد الشريف بمدشر اغبال بالاخماس كذلك وأولاد ابري
بمدشر افلح وأولاد علي بن الحسن ببني مليح وأولاد اخضران ببني
قاسم ببني رزين وكذلك أولاد امجراد بالمدشر المذكور وأولاد الحاج
سعدون بيدهم رسم مزور وأولاد حمدوش ببني مليح وأولاد الوستيت
بها أيضا وأولاد الجاج بمدشر الخلالة من بني جدير وأولاد ابو الرخا
بغمارة وأولاد ابن عتب ببني زكار محكوم عليهم في السالف وأولاد
بن حمدون بها ايضا كذلك وأولاد بن مالك بها ايضا كذلك وأولاد
الغربي بها ايضا وبتطوان كذلك وأولاد الخالدي ببني ومراس فان
دعواهم حادثة ايضا وهذا تقييد أهل الدعاوي الباطلة للعلم أولهم
أولاد الرحموني بغيروريم حوز شفشاون وأولاد ابن هردوز ببني يدر
وأولاد بن الرعدي بجبل حبيب وأولاد الجناسلي بها ايضا وأولاد بن
حسون ببني جنفن من الاخماس وأولاد ابي الخارق بالقصر وأولاد
الهبطي ومن انضاف اليهم ببني ليث وغيرها وأولاد شاقور بمزال
وأولاد دحمان بتاجزة وأولاد ايوب بتطاون ومحمد حداد المؤذن
بتطاون ايضا وأولاد الشيخ بالسلالم ايضا وأولاد المهدي بسريف ايضا

وأولاد الشلوشي بسريف ايضا وأولاد الفلاق بسماتة وأولاد الحراق بمدشر اكرسان وبدار الواد وبالقصر ومن انضاف اليهم وأولاد القرشي ببنس حرشن وأولاد بن يونس القرمزي وأولاد الوزماري ومن انضاف اليهم بالساحل وغيره وأولاد عبد الواحد ببني بزيد وابي الشتاء الغبار الرهوني ومسعود بن يوسف بالحصن وأولاد أخريف ببني سلمان وأولاد الغلام بمرنيسة وأولاد بكار ببني رزين وأولاد محراش والمضاف اليهم من أولاد حميدو وأولاد محوا وأولاد بو بكر بغمارة وأولاد الصواف بفاس حرسها الله وأولاد الغلام بها ايضا وأولاد غليم الله بها ايضا وشرفاء البليدة بها ايضا والشرف العكري بها أيضا وأولاد الزبيري بمكناسة الزيتون حرسها الله وأولاد السيد محمد السوسي بها ايضا والسيد هاشم التازي بها ايضا والسيد ادريس الخراص بها ايضا والحرارفة بها ايضا فان لهم دعوتين احداهما لسيدي عيسى بن سلام احد أجداد مولاي عبد السلام والثانية لسيدي ابي العيش ابن قاسم بن ادريس وكلا الدعوتين داخضة واهية ساقطة لاطلاعنا على ما بأيديهم من الرسوم الواهية... انتهى.

الباب الرابع عشر

وهو باب جامع لذكر عماله وولاة أمره من أمناء وحجاب ونظار، منهم القائد زيدان بن عبيد المالكي العامري التونسي الأصل الذي قتله أهل فاس غدرا ليلة الجمعة الثاني من جمادى الأولى عام ثلاثة وثمانين وألف، والقائد أحمد التلمساني المتولى لديه أمر مدينة فاس، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد العزيز المغراوي كان جعل له النيابة عنه بفاس المرينية وعلي بن عياد كان متوليا لديه رياسة فاس ثم عزل عنها أواخر ربيع النبوي عام ثمانية وثمانين وألف، وعبد الله بن حمدون الروسي ولاه عمالة فاس عام ثمانية وثمانين وألف وكانت وفاته بمكناس عام ثلاثة وثلاثين وألف، وولى على الاراثة أباه حمدون الروسي والغازي بوشقرة صاحب مراكش المتوفى في المحرم فاتح عام أربعة وثلاثين ومائة وألف، وقائد عسكره موسى بن يوسف المتوفى قتيلا في حزب جبل ساغرو مع اخوة المترجم الثلاثة الحران وهاشم واحمد وذلك عام تسعة وثمانين وألف والباشا علي بن عبد الله الريفي عامل تطوان بل والبلاد الريفية جميعها المتوفى عام خمسة وعشرين ومائة وألف وولد الباشا أحمد بن علي ولاه بعد وفاته والده المذكور وعلي أبو شقرة الوديّ ومحمد بن عطية النسب والباشا عمر عليلش المراكشي الاصل موقد نار فتنة الحراطين كان ابو عليلش المذكور كاتبا مع الذهبي السعدي ومع أولاده من بعده وولده عمر هذا كان جاء لصاحب الترجمة بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في عسكر الذهبي وأخبره أنه لازال جلهم بعينه ومن مات منهم لازال عقبه رهين الرقية وهم متفرقون في القبائل والقائد المهدي الليريني المتوفى مطعونا عام تسعة وثمانين وألف والقائد العياشي الزراري والقائد عمر بن حدو البطويّ وقائد القصر وعامل الثغور ومراسي الايالة المغربية وهو الذي كان على يده فتح طنجة توفي مطعونا عام اثنين وتسعين وألف، والحاج محمد تميم عامل تطوان قال صاحبنا العلامة الوزير ابو العباس احمد بن محمد الرهوني التطواني في كتابه (عمدة الراوين في تاريخ تطاوين) نقلا عن مؤرخ تطوان سكيرج وكان رجلا عاقلا قليل الكلام كثير الصمت كثير التأمل لا يجيب

من كلمه وكانت صنعته النجارة وكان عارفا بها ماهرا فيها عارفا بالتسطير وغيره من رقائق تلك الصنعة واليه يرجع في مهماتها الى أن قال وبقي القائد محمد تميم مولى سبعة أعوام حتى قتل بجامع القصبة في الركعة الاولى من صلاة الجمعة وهو ساجد ضربه الفضيل الصوردو بسبولة بين كتفيه حتى خرجت من صدره ولزقت بالارض وربطوا رجله بحبل وصاروا يجرونه ليعلقوه في توتة هـ.، والمنصور بن الوافي عامل قصبة مسون والقائد احمد بن حدو الريفي، والباشا عبد الملك الخطيب المتوفى قتيلا بسجن فاس الجديد عام ثمانية ومائة وألف وحمدون الروسي وحم قصارة، والزيتوني المتوفى قتيلا عام ثمانية وتسعين وألف وابن خربوش القائد مبارك الحفصي وابو العباس احمد بن علي اليازغي عامل الجبال، وابن الاشقر عامل جبل زرهون وعلي بن يشو اليازغي هاكذا وقفت على نسبته في عقد اشهاد عليه بتاريخ أواسط جمادى الثانية عام سبعة بموحدة وعشرين ومائة وألف، وفي الدر المنتخب انه زموري قبلي وهو والله اعلم وهم والحق ما في عقد الاشهاد عليه اذ هو ومعاصروه اعرف بنسبه واقعد، وقد كان ابن يشو هذا قائد أهل الديوان وعامله على البرابر ورئيس عماله والحاج محمد بن ابراهيم معنينو السلوي ولاه على مرسى سلا والرباط وآسفي وسائر الخدمة البرية والبحرية وقصر النظر عليه فيما أسند اليه ولم يجعل بينه وبينه واسطة في كل ما يرجع لمأموريته ولشدة اعتنائه به واجلاله له أن أناب عنه ابن عمه الحاج محمد بن علي معنينو والحاج عامر حركات لعدم استغنائه عنه في بساطه الملوكي، وقد وقفت على ظهير توليته واسناد النظر اليه والتفويض له فيما يرجع لما قلده من الوظائف الهامة التفويض التام ورسم اشهاد على المترجم بما ذكر عنه، ودونك نصوص ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا أثيرا عن أمر عبد الله المتوكل على الله المفوض جميع أموره الى مولاه أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني وبداخل الطابع الشريف اسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله ونصره وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس

أهل البيت ويطهركم تطهيرا أيد الله بعزيز نصره أوامره وظفر جنوده وعساكره وخلد مفاخره ومآثره آمين استقر بعون الله هذا الظهير المبارك المحفوف بالخير المتدارك بيد حامله خديمنا ومحل ودنا الوجيه الارضى الأثير الاحظى محبنا وربى نعمنا السيد الحاج محمد بن السيد الحاج ابراهيم معنينو السلوي يتعرف منه اننا لما أحببناه وآثرناه وليناه أمر المرسى المباركة المحفوفة بحفظ الله مرسى سلا حرسها الله واسندنا إليه النظر في أحكامها وتصرفاتها وأعمالها في جميع أحوالها مفوضا اليه النظر في أحكام التجار والكلام معهم وقبض الداخلي والخارجي وسائر المنافع والمرافق على ما جرت به العادة في ذلك دون معارض له ولا منازع وكذلك أسندنا اليه النظر في الفلائك التي يعبر بها بين العدوتين بجميع منافعها وخراجها تولية تامة مطلقة عامة والله تعالى يرزقه فيها الاعانة والتيسير ويرزقه من خزائنه الواسعة بمنه آمين وحيث كان خديمنا المذكور ملازما لبساطنا الشريف وعاكفا على الاستظلال بظله الوريف اذنا أن يستنيب ولد عمه السيد الحاج محمد بن علي معنينوا والحاج عامر حركات فينوبان عنه بالمرسى المحروسة ومباشرة سائر منافعها ويقومان مقامه في جميع الاحوال وعليهما في ذلك كله بتقوى الله العظيم وأداء الامانة وتحري الصدق في القول والاستقامة في الفعل سالكين في خطتيهما سبيل أمناء التجار وثقة المسلمين واقفين عند أمر خديمنا المذكور والله يعينهما بمنه آمين والسلام وكتب في الخامس من ربيع الثاني سنة ست وعشرين ومائة وألف. وهذا الظهير مزخرف ومجدول الاطراف بالخطوط الذهبية سعة كل خط نحو نصف سنتيم وطابعه مستطيل كتابته بالذهب في غاية الجودة والاتقان ونص الظهير الثاني وهو كالذي قبله في الزخرفة بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما وبداخل الطابع الشريف اسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله ونصره عن الامر العلي الامامي المؤيدي المنصوري الاسماعيلي الهاشمي الفاطمي أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني أيد الله أمره وأعز بحوله وطوله نصره وأطلع في سماء المعالي شمسه المنيرة وبدره آمين يا رب العالمين يستقر هذا الظهير الكريم والخطاب

الجسيم والأمر المحتم الصميم بيد حامله المتمسك بالله تعالى ثم به خديمنا الأنصح ربي نعمنا الأفلح الحاج محمد بن ابراهيم معنينو يتعرف من يقف عليه وينتهي اليه من الخدام والوصفان ومن ولاة أوامرنا العلية بالله انا لما اختبرناه ظاهرا وباطنا وسرا وجهرا فتحققنا صدقه وأمانته ومحبته الطبيعية لجانبنا العلي بالله مكانه المؤسسة على سبيل الحق قواعده وأركانه وآنسنا حسن سيرته معنا ونصيحته الظاهرة لخدمة دارنا العلية بالله ووقوفه (محو بالاصل) وقربناه وأمناه الامان التام الشامل المطلق العام هو وأولاده وأهله وأقاربه المحسوبون عليه والمنتسبون إليه في نفسه وماله وسائر أحواله واحترمناه أي احترام (محو بالاصل) في جميع ما يتكلم به في بساطنا العلي بالله من أمر الخاص والعام وبسبب أمانته وحزمه وضبطه ومحافظته على عرضه أسندنا اليه النظر وفوضنا اليه الامر فيما بيده من التقويم على المرستين والعدوتين سلا ورباط الفتح أمنهما الله ومرسى آسفي حاطها الله كما أمناه على سائر الخدمة البرية والبحرية أيا كانت وكيف تعينت وجعلنا كلامه في جميع ذلك بيننا وبينه منه الينا ومنا اليه بحيث لا يدخل بيننا وبينه أحد وكلامه معنا بغير واسطة من أهل البساط والخدام كائنا من كان على الاستمرار والدوام وجعلنا له بعد أن يبلغ لبيت المال عمره الله ما أفاء الله عليه من محصل ما بيده من المستفاد في المرستين المذكورتين وغيرهما مما أسندناه اليه واقتصرنا في شأنه عليه أن يأخذ أجرته ويصرفها في مصالحه ويأكلها حلالا طيبا مباركا له فيها إذنا تاما مطلقا عاما أشهدنا على أنفسنا الله تعالى في ذلك وجميع من يطالع ظهيرنا هذا من القريب والبعيد والقضاة والخاص والعام والله تعالى يصل توفيقه ويجعل الحق سبيله وطريقه وحسب الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يتعدى ما أبرمه الامر الشريف وأمضاه في العشرين من جمادى الاولى عام ثمانية وعشرين ومائة وألف.

ونص الرسم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الاولين والآخرين سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين اشهد على نفسه الكريمة الطاهرة المطهرة سيدنا أمير المؤمنين وناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف الغني

بحسبه ونسبه عن التعريف انه أمن خديمه وربي نعمه الحاج محمد ابن ابراهيم معنينو على واجب بيت مال المسلمين عمره الله المتحصل من جميع ما هو تحت يده والى نظره من مستفاد المرستين مرسى سلا ومرسى آسفي عمرهما الله وحاطهما من جليل الأشياء وحقيرها قليلها وكثيرها كما أمنه أيده الله على سائر ما كان يتصرف فيه من أنواع الخدمة أيا كانت برية أو بحرية على أن يدفع خديمه المذكور في يده الكريمة جميع ما يتحصل ويفيئه الله عليه من الامور بغير واسطة من قريب أو بعيد وان لا يد لأحد عليه كائنا من كان فكلامه وحسابه في سائر تصرفاته كلها ومعاملته بأسرها مع مولانا المنصور بالله كما اشهد على نفسه الكريمة ايضا ان خديمه المذكور اذا دفع واجب بيت المال على سبيل الأمانة والكمال واختص هو لنفسه بكرائه الواجب له بمقتضى الحق وسبيله فلياخذه مباركا له فيه بطيب نفس مولانا الامام اذ هو أحد العمال في قبض حقه وواجبه الحقيقي في المال وكل ما أخذ على هذه الصورة وعلى هذا الوصف فليأكله بالصحة والعافية واليمن والبركة فهذا ما وقع عليه الاشهاد والاتفاق بمحضر خصوص الخدام لمقام مولانا الامام واشهدهم على نفسه الكريمة شهادة لا يرجع عنها وحرض خديمه الحاج محمد بن ابراهيم معنينو المذكور ان يتحافظ على جميع ما أسنده اليه من الأمور والله يصل بمنه توفيقه ويجعل المحافظة على الامانة سبيله وطريقه ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله وفي العشرين من جمادى الاولى عام ثمانية وعشرين ومائة وألف وبعده وضع العدلان شكليهما أحد الشاهدين يحيى الحكمي هـ.

ووقفت ايضا على ظهير أصدره المترجم لخديمه الحاج محمد بن علي المذكور آنفا في شأن الاحتفاظ بغنيمة غنمها قرصان سلا ودونك لفظه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما خديمنا الارضى الحاج محمد بن علي معنينو سلام عليك ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كلمنا خديمنا الانصح ابن عمك الحاج محمد بن ابراهيم معنينو وقلنا له اياك تزبلح(1) في هذه

(1) يعني تتراخى

الغنيمة كما ازبلحت في سفينة السكار واتكلت على غيرك حتى لم يكن منها شيء حتى الان قم تمشي انت بنفسك اليها وتقف على وسقها وحتى تنزل في البر ما يوجد فيها قليل أو كثير فقال لنا يا سيدي هنالك من هو ثقة أكثر مني فقلت له من هو فقال ولد خديمك المرحوم بكرم الله الحاج علي معنينو عمه فقلت له لعله رجل غافل وقلت له ابعث ولدك محمد يقف لذلك فقال لي ياسيدي ما عندي أحد أصدق من خديمك الحاج محمد بن علي معنينو ولانحب أحدا يتآمر عليه بوجودك وهو رجل ثقة واقف على ساق الجد والاجتهاد ولاتأخذه غفلة في أمر من الامور سيما متاع بيت المال عمره الله فالآن كن عند الظن بك واحض رقبتك(1) ورقبة ابن عمك فإن ولد عمك كثيرا ما اثنى عليك وغيره فإنه ثقاك أكثر من نفسه فاعمل بما قاله فيك وإياك يضيع شيء ولو قلامة ظفر فهذه خدمتك ومزيتك عندنا والله يعينك، وإياك يشمت فيك البحرية والرياس وغير ذلك هاه هاه هاه، انت مامون واعمل بمقتضى ذلك واعلم ابن عمك بالشاذة والفاذة ولاتتكل على أحد باشر أمورك بنفسك حتى يبلغ ذلك على حسن المراد وكما ينبغي ونعطي للرياس والبحرية كل ذي حق حقه وحتى تلك الجائزة اجعلها تحت يدك مأمونة بصدد دارنا العالية بالله فإياك يضيع منها ولو رشقة واحدة حتى تأتي لحضرتنا العلية بالله والسلام وكتب في سادس وعشرين من رمضان المعظم عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف هـ. من أصله.

وتقدم أن من جملة عماله عبد الله بن حمدون الروسي وقد كان لديه بالمكانة التي لا تلحق، رأيت في كناشة أبي عيسى المهدي ابن سودة قاضي الحضرة المكناسية العلامة الثبت ومن خطه نقلت أن المولى اسماعيل كتب الى المذكور بما محصله إنا جعلناك لفتح العرائش لأنه ليس عندنا في ايالتنا من هو أنصح منك لنا، وقد خاب ظننا فيك ولسنا أفضل من تلك الدولة ؟ وأبي فراس وابن حمدان الذين وجهوا للفتوحات ولاحول ولاقوة الا بالله وكانت كتابة ذلك في ثالث عشر

---

(1)تعبير دارج يعني ردّ بالك...

قعدة عام عشرة ومائة وألف الى غير هؤلاء ممن لاأستطيع استقصاءهم، منهم القائد العربي الغشام وهو الذي أحدث الدكاكين العشر المتصل بعضها ببعض بأعلا السقاية الكبرى التي هي من مرافق السبل العامة بأعلا باب ضريح الولي الصالح أبي زيد عبد الرحمن القرشي خارج باب بريمة من حضرة مكناسة المولوية وجعل النصف من تلك الحوانيت للجانب العلي السلطاني حيث إن الأرض التي وقع البناء فيها ملك له والنصف الآخر للباني الغشام المذكور ثم إن السلطان حبس النصف الذي صار له على مسجد الرياض العنبري وأقر الثاني على ملك النصف الآخر. ومن عماله وقائد الثغور والاسطول عبد الله بن عائشة الاندلسي الرباطي الولادة والوفاة كان قائد الرباط والاسطول وسفير للمترجم وفي تاريخ سينبّال الفرنسي ظهير ولايته شؤون البحر، ومنهم القائد محمد أحدّى قائد سلا في عهده له ذكر في الرسوم والخوالة وبعض الدور بسلا تعرف باسمه. ومنهم القائد أبو يعزى بن الحاج محمد بن ابراهيم معنينو كان واليا على سلا أيامه ومنهم عبد العزيز فنيش أبو عبد الحق الذي كان في أيام المولى عبد الله وولده سيدي محمد كما بظهير إسماعيلي أوصى فيه المولى اسماعيل بأبناء عمه العلويين الذين نقلهم من الصحراء من آل مولاي هاشم الى سلا وهم مولاي عمر وفلان وفلان وأمر بالاعتناء بهم والرعاية لهم. ومنهم القائد الحاج أحمد بن حجي مُرين أخو القاضي السيد محمد بن حجي مرين كان عاملا على الرباط ومنهم القائد محمد الهرم بهذا يعرف في الرسوم وبعض التواريخ ومنهم الباشا عبد الكريم بن منصور التكني عامل مراكش وبلاد السوس وقد اشتملت رحلة الوافر على اخباره وحركاته في تلك الجهات والجبال وفيها ذكر قواد آخرين. وذكر الجريري في شرح الشمقمقية من اصحاب شرطة مولاي اسماعيل الباشا غازي وفتيتح وعبد الله بن حميدة ومن أصحاب حروبه الشرقي ابن هداج الى ان قتل في وقعة غيلان ثم الباشا موسى الجراري الى أن قتل بمراكش في الحصار الثاني ثم موسى المانوكي ثم محمد الكوش الى ان توفى في حرب البربر ثم منصور الرامي الى ان توفى في وقعة القريعة.

أمنائه

منهم الحاج علي بركاش كان أمير ماليته بالرباط وقد كلفه بحيازة املاك بعض أعيان اهل سلا الذين استغرقت ذمتهم بجناب المخزن وبيعها لمن يرى جدير به. وذكر الجريري في شرح الشمقمقية من أمناء المولى اسماعيل، الهواري والباشا محمد بن الأشقر وابن القاضي وغيرهم وصاحب بيت ماله محمد الخطيب الى أن توفى مملوكه ابا مرجان الصغير وعنبر وابا بلخير وغيرهم من الموالي. وعلى مئون داره العلية جماعة منهم الروسي وعلي بربيش وأحمد بن علي اليازغي والقائد علي ويس وعبد الله الهواري...

حجابه

من جملتهم مملوكه الحظي مرجان الكبير وعزز له الحجابة بالأمانة على الخزائن الملوكية وبيوت الأموال لما يعلمه فيه من الحزم والضبط والتيقظ والنباهة والصدق والأمانة والعربي الغشام المذكور آنفا حسبما وقفت على التصريح بحجابته لصاحب الترجمة في بعض العقود المقطوع بصحتها ومنهم مملوكه علال بن محمد بن مامي حسبما افصح ظهير اسماعيلي لفظه من فرعه «بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وصحبه وسلم تسليما. عن أمر عبد الله المتوكل على الله المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني اسماعيل بن الشريف الحسني ايده الله ونصره انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ايد الله أوامره وخلد في صفحات الدهر مفاخره آمين. يستقر هذا الظهير الكريم الملحوظ بالاجلال والتعظيم، بيد مملوكنا وربي نعمتنا علال بن حمد بن مامي يتعرف منه ان له في دارنا العالية بالله القدم الراسخ في الخدمة التي توجب له والبنيه المراعاة والحرمة، وبسبب قربه وذكائه ولبه. صيرناه حاجبا بالباب، ولازما لشريف الاعتاب والله تعالى يحمل عليه رتبته ويبقي في الديوان السعيد مزيته والاسلام. وكتب في الرابع من ذي القعدة الحرام عام ثمانية ومائة وألف.

ومنهم القائد عبد الملك المهدي وصفه بالحجابة الاسماعلية صاحب

رحلة الوافر عند ذكره للقبض على بودربالة وذكر الجريري في شرح الشمقمقية من حجابه مولاي أبا الخير وهو أعظمهم وعنبر مولاه أيضا ومرجان الصغير وبا علال. **استطراد** قد كان للنبي صلى الله عليه وسلم حجاب منهم أبو أنيسة مولاه كما قاله ابن عبد ربه في العقد الفريد ولما تكلم في صبح الاعشى على الحجابة قال كان موضوعها عند الخلفاء الراشدين حفظ باب الخليفة والاستيذان للداخلين عليه لا التعدي في الحكم في المظالم **وذكر** القضاعي في تاريخ الخلائق لم تزل تتخذ الحجاب من لدن الصديق فمن بعده فسمى هو وغيره شديدا وسريف مولى أبي بكر وبرفا حاجب عمر بن الخطاب وحمدان مولى عثمان وحجبه أيضا نائل مولاه وصاحب علي كرم الله وجهه قنبر وفيه قال :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

وكان قبله بشر مولاه أيضا، وفي فتح الباري وأما اتخاذ الحاجب فقد ثبت في قصة عمر في منازعة العباس وعلي انه كان له حاجب يقال يرفا وقد كان للحجابة شأن عظيم في دولة بني أمية أفردوا الحاجب للتردد بينهم وبين الوزراء فمن دونهم **قال** ابن خلدون : ارتفع عنهم لمباشرة السلطان في كل وقت ثم قال ولم يزل الشأن هذا الى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب هـ. الغرض وأول من أسندت إليه ولاية بيوت الأموال أبو عبيدة بن الجراح ولاه أبو بكر الصديق رضي الله عنهما.

نظاره

ومن نظار أحباسه السيد محمد بن محمد الكاتب القيسي ذو المآثر الخالدة التالدة وبثبوت صدقه وأمانته وحزمه وضبطه لدى مخدومه المترجم أضاف له مع النظارة العامة الأمانة الكاملة على داره المصونة وبناءاته السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها ويدل لعموم نظارته بسائر الايالة المغربية والأمانة الكاملة ماوقفت عليه في عدة عقود

محكمة الثبوت في الدفاتر الحبسية وغيرها حتى انه كان يولي ويعزل ويحتبس ماشاء على ماشاء من المساجد من غير توقف ولااحتياج لاذن وهذه درجة لم يلحقها وزير العدلية في العصر الحاضر ومن تلك عقد مسجل على قاضي وقته دونك نصه حرفيا : باسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله رب العالمين وبه في كل أمر نستعين وهو الموفق المعين الذي جعل الخلافة سراجا لايطفى مصباحه وضياء تبلج من الفجر الصادق صباحه والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي المعجزة الباهرة أنوارها والشفاعة العظمى المنسدلة على الأنام في الموقف أستارها صلاة يتوالى تكرارها وتلوح على الأكوار أنوارها والرضى عمن له من الآل والقرابة والاصحاب نجوم الملة وأقمارها وبعد فلما أنهي إلى مولانا إمام الأئمة وسلطان سلاطين الأمة ذي المناقب الملوكية الخالدة والمآثر الناطقة الشاهدة الملك الهمام ناصر ملة مولانا محمد عليه الصلاة والسلام ذي الشرف الباذخ والمجد الأصيل ابي الفتوحات والنصر مولانا اسماعيل أبقاه الله رحمة لعباده وظلا وريفا لجملة أقطار بلاده وأعلا نصره وقدره وأطلع في سماء المعالي بدره شأن مااستخرجته عزيمة ناظر أوقاف إيالته الشريفة ومملكته الباهرة المنيفة وهو الفقيه النبيه الأمين الوجيه أبو عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب القيسي من متعدد الأراضي الكائنة ببلاد الحياينة المتصل جل بعضها بالبعض التي تعين حدودها التي تذكر في تحديدها وهي جميع الأراضي التي الخ ؟ وتلك الأراضي المذكورة والمحدودة مما كان وقفا على مساجد مداشر قد خربت جميعها واندثرت وانمحت رسومها في متقادم أيام التهارج فلم يبق لها عين ولا أثر وقد ثبت جميع ذلك وان حدودها هو ما ذكر في تحديدها عند من باشر من القضاة حكمها واشرب بعد التروي علمها بشهادة من وقف عند تعيينها لتحديدها على العين الذي هو أوجب لليقين وانفى للريب ممن يعتد بشهادته ويسمع في ذلك لمقالته وهو المكرم ابراهيم القباط والمكرم أحمد بن ابراهيم الفلاح فيها أرض الوصفان مما ذكر محدود من الاراضي والمكرم عبد الرحمن الفلوسي والمكرم عبد القادر حجاج في الاراضي المستثناة وكل ما ذكر

خرب مما لا ترجى له إعادة ولا بقي في تلك الأماكن من له في اعتماره قصد ولا ارادة وانما أيدي العداء لاتزال الى الاراضي المذكورة ممتدة والرغبة في انتهاب مجاوريها لها مشتدة وحيث أنهى ذلك الى الجناب المنصور أكرم الله عباده ببقائه واجمله من توفيقه على (1) أمر حفظه الله ان يرد ذلك الى نظر الشرع المطاع وان يوتي ايثار المستاثر بوسع المستفرغ والقدر المستطاع فاقتضى نظر قاضي حضرته العلية الامام علم الاعلام الدراكة الفهامة القدوة العلامة الحجة قاضي الجماعة وهو محمد بن ابي مدين بن حسين السوسي أعزه الله تعالى وحرسها ان يضاف ذلك كله بما له من كافة الحقوق لأوقاف مسجده الشريف الجامع الذي هو لأشتات المحاسن الرفيعة وأصناف المآثر البديعة جامع وهو المعروف بجامع الخضراء فان مئونته كبيرة ولوازمه ومرتبات القائمين به كثيرة فأضافه له لكونه بذلك الغرض أحق واولى والله سبحانه يديم اتحاف مولانا بنعم الآخرة والاولى وهو سبحانه المسئول في تقبل جميع أعماله وبلوغ جملة أمانيه الشريفة وآماله آمين شهد على من ذكر دامت كرامته بما فيه عنه وهو بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر في أوائل رمضان المعظم المبارك عام ثمانية عشر ومائة وألف مسعود بن عبود وفقه الله ومحمد وفقه الله هـ.

ومن وثيقة أخرى مانص الغرض منها أمين الدار العلية بالله وناظر سائر أحباس الايالة الشريفة ابو عبد الله السيد محمد بن محمد الكاتب الاندلسي القيسي تاريخها عام خمسة عشر ومائة وألف ومن نظار حضرته الشريفة ايضا الشريف الاصيل أبو الحسن علي بن ابي القاسم المنوني الحسني ولاه نظارة أوقاف الولي الصالح ابي الاسعاد عمر بن عوادة الولي الشهير وذلك في مهل قعدة الحرام عام واحد وعشرين ومائة وألف حسبما وقفت على ذلك في ظهير تقليده الولاية المذكورة، ودونك نصه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع السلطاني بداخله اسماعيل بن

(1) يلاحظ فراغ في الأصل

الشريف الله وليه ومولاه، كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد حامله الشريف الأجل الخير الأفضل السيد علي بن ابي القاسم المنوني يتعرف منه بحول الله وقوته أننا أسندنا اليه النظر والتصرف في احباس الولي الصالح المتبرك به سيدي عمر بن عوادة نفعنا الله به وأذنا له في قبضها واخراجها عند من كانت وقبل من تعينت وحيازة ما يحاز منها ومنعها من كل أحد كائنا من كان بحيث لا يتصدى احد في الاحباس المذكورة ولا نظر لاحد في مصالح الروضة المدفون بها السيد عمر المذكور الا الشريف المذكور وكلنا جميع ذلك اليه والى نظره كيف يرى وعلى اي حال ظهرت له من المصالح التي يعود نفعها على الحبس وعلى الروضة المذكورة مثل الامام والمؤذن وغير ذلك مما فيه مصلحة دينية أو أخروية دنيوية دون مزاحم له في ذلك ولا منازع ولا معارض ولا مدافع وحسب الواقف عليه العمل به والسلام وكتب مهل القعدة الحرام عام احدى وعشرين ومائة وألف، وعملنا له أن يقبض جميع ما يهدى للروضة المذكورة ويوجد في الربيعة التي عند راسه وياخذه هو لخاصة نفسه إعانة له على القيام بما ذكر ولأن تبقى الاحباس مجموعة موفرة دون ان ياخذ منها لنفسه شيئا والسلام في تاريخه صح به، ومن نظاره أبو العباس أحمد بن محمد السلوي ولي النظر على روضة سيدي الحاج أحمد بن عاشر وكانت وفاته عام 1095 على ما في التقاط الدرر. ومنهم أحمد بن عبد الواحد صندلة ولاه النظر في أوقاف ابي العباس ابن خضراء حسبما بظهير مؤرخ بحجة عام 122 نقدم نصه في الباب الرابع. وعبد الوهاب بن الناظر عبد العزيز حجاج ناظر مسجد الرياض العنبري. ومنهم السيد عبد الوهاب بن محمد حجاج والسيد محمد بن العربي بن مومو البراحي، والقاضي بُردُلة وغيرهم ممن لا يعد كثرة.

استطراد اعلم أن الوقف أي وقف الاراضي العقار من خصائص هذه الامة المحمدية كما أشار اليه الامام الشافعي ونقله في الفتح وأقره قال ولا نعرف أن ذلك وقع في الجاهلية وأول وقف أي حبس وقع في الاسلام حبس سيدنا عمر الارض التي أصاب بخيبر **وروى** عمر بن شبة عن عمرو بن سعيد بن معاذ قال سألنا عن أول حبس في الاسلام

فقال المهاجرون صدقة عمر وقال الانصار صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مغازي الواقدي أن أول صدقة موقوفة كانت في الاسلام أراضي مخيرق بالمعجمة مصغر التي أوصى بها الى النبي صلى الله عليه وسلم هـ. وأول من نظر في الاوقاف سيدنا عمر بن الخطاب ومولاتنا حفصة أم المومنين حيث عين النظر اليها سيدنا عمر عند وصيته حسبما بين ذلك عمر بن شبة عن ابي غسان المدني قال كما في الفتح هذه نسخة صدقة عمر اخذتها من كتابه الذي عند آل عمر فنسختها حرفا حرفا هذا ما كتب عبد الله عمر أمير المومنين في ثمغ انه الى حفصة ما عاشت تنفق منه ثمره حيث أراها الله فان توفيت فإلى ذوي الرأي من أهلها هـ. وقد علم ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل سيدنا بلالا على نفقاته قال في شرح المواهب نقلا عن الشامية كان يعني بلالا يلي أمر النفقة على العيال ومعه حاصل ما يكون من المال هـ. وكان ابو رافع واختلف في اسمه على احد عشر قولا المشهور منها اسلم على ثقله صلى الله عليه وسلم أي أمتعته، وان وظيف النظر في الأحباس من أجل الوظائف الدينية ذات البال التي ينبغي الاهتمام بشأنها والتنويه بقدرها وقد كان الليث بن سعد رحمه الله اشترى أراضي من بيت المال في نواح من البلدان وحبسها على وجوه البر فتابعه الناس واسترسلوا في ذلك الى أن كانت وزارة الصاحب بهاء الدين بن حنا في سلطنة الظاهر بيبرس البلد قداري فافرد للجوامع والمساجد والزوايا ونحو ذلك رزقا وقصر تحدث ناظر الاحباس ومباشريه عليها وأفردت الاوقاف بناظر ومباشرين، وقد كان لا يرشح لهذا الوظيف السامي المقدار غير الموثوق بدينه وأمانته وعدله المتيقن تيقظه واقتداره وضبطه وحزمه من الأئمة الاعلام وعليه القوم المشهورين بمتانة الدين و لم يكن لأحد منهم الاستبداد بشيء وان كان من أهل النظر العام والنفوذ التام بل لا بد من الرجوع لقضاة العدل والخضوع أمام القوانين الشرعية أما اليوم فما آل اليه أمرها موكول تفصيله لما يشاهده القاري.

محتسبوه

منهم بفاس الفقيه العدل أبو فارس عبد العزيز بن عبد الرحمن الفلالي المتوفى في الثامن عشر من جمادى الاولى عام ستة وتسعين وألف كما في التقاط الدرر.

الباب الخامس عشر في سفرائه الى الدول الاوربية وغيرها

فمن أشهرهم عبد الله بن عائشة الاندلسي الأصل الرباطي الدار والاقبار السلوي الولاية كان المترجم يحليه في مكاتيبه لاروبا بأكبر الرؤساء وبالقبطان العام وبحارس البحرية وكذلك له في الكتب الاورروبية من الذكر الجميل والثناء العاطر ما تدفق في غير ما ديوان لهم وعلو قدره سياسة وضبطا وحزما ونصيحة وأمانة وتمكنه من المترجم هما اللذان نبها العيون النائمة من دول اوربا بالسهر الدائم على الظفر به الى ان أسره مركب حربي إنجليزي ثلاث سنوات الى ان سرحه مجانا بعض ملوكهم تقربا لصاحب الترجمة واعترافا بسابق جميله ثم بعد ذلك وجهه المترجم سفير تهنئة لمن تجدد ملكه من انكلترا فكان في ذلك اعطاء القوس باريها ثم بعد ذلك تعرض له مركب بحري حربي فرنساوي وأطلق عليه قنابله فسلمه الله منها ثم في الحادي عشر من نونبر سنة ثمان وتسعين وستمائة وألف موافق اليوم السابع عشر من جمادى الثانية عام احد عشر ومائة وألف أرسله المترجم سفيرا للويز الرابع عشر فاستلفتت سفارته من تلك المملكة الأنظار وملئت منها الصحف بحسن التذكار وتعجبوا من ذكائه ونبله حتى ذكر المؤرخان هردي واريس (Hardi et Aris) في نقطهما التاريخية المطبوعة بباريز سنة 1921 ان بعض الرؤساء سأل المترجم في محفل عام عن السر في تعدد المسلم للزوجات دون الاوربي فأجاب ان اللطف الذي يجده الاوربي في واحدة لا يجده المسلم الا في التعدد فتعجب من لطف جوابه وما ذاك في الحقيقة الا هوى صادف المقصد، وكان ركوب هذا السفير في سفارته هذه من مرسى بريسط (BREST) الفرنسية بقصد الرجوع الى المغرب في رابع وعشري ماي سنة 1699 موافق حجة من العام وقد كانت وفاة هذا السفير الراسخ القدم الطائر الصيت عام أربعة وعشرين ومائة وألف، ومن متعلقات سفارة ابن عائشة هذا ما تناقلته دواوين نقاد مؤرخي اوروبا من أنه

لما رجع لمخدومه المترجم وصف له جمال الفتاة دو كنتي (Conti) وانه خطبها من والدها عظيم فرنسا اذ ذاك لويز الرابع عشر بواسطة السفير المذكور وأن والد الفتاة لم يجب الخطبة لأمور منها عدم ملائمة طبعها لطبعه العربي، ومنها ما له من تعدد الأزواج حتى بالغ بعضهم وقال ان أزواجه تزيد على الألفين ومنها شدته وقساوته قالوا حتى انه قتل امرأة من نسائه لقطعها ثمرة من ثمار أشجار بساتينه الى غير هذا مما هو بعيد على الحقيقة وكل كامل العقل يبعده بل يفنده **وأقول** هذه الاحدوثة تستغرب وقوعها الافكار السليمة بل تستحيلها لأمور منها ان مهارة هذا السفير في السياسة وكمال معرفته بحال مخدومه وما تتوق اليه نفسه الأبية من المقاصد السامية التي أوجبت ترشيحه على كثير ممن هو أعلم منه وأعرف مجدا وشرفا تحاشيه من حمل هذه الطرفة لأميره والحال انه ما رشحه لهذه المامورية ذات البال دون غيره الا لما يعلمه من ذكائه ونبله وحدقه ونباهته وساسات أوربا أنفسهم مقرون بما له من رقي الافكار ودقة النظر ذلك الأمر الذي اضطرها الى بذل جهدها باقتناصه، ومنها ان من عرف أحوال العرب عموما وحال المترجم خصوصا وما جبل عليه كسلفه من شدة الغيرة وكثافة الحجاب الذي ميز الله به الامة العربية على باقي الأمم يستوي في المحافظة على ذلك الشريف والمشروف لم يبق له أدنى ريب في أنه لا يمكن لهذا السفير الاقدام على التفوه لمخدومه وهو من هو في الغيرة وعلو الهمة بجمال فتاة راقت في عينه واخذت بمجامع لبه مع تيقنه بأن مخدومه لا يستفزه وصفه اياها له ولو أعطي فصاحة سحبان وهذا أمر بديهي حتى عند الاروبيين فقد صرح غير واحد من نقادهم بان المترجم وان كان كامل الذكورية ولوعا بالنساء لم يكن في صف الذين استعبدهم حبهن واستولى على فكرته بل كان يقتصر على ما تدعو اليه الشهوة الانسانية على مقتضى القوانين الشرعية وان كثرة نسائه وسراريه المملوكات الملك المعتبر في نظر الشرع الاسلامي لم تشغله عن تدبير شؤون مملكته والنظر في مصالحها العامة ومواصلة السعي وراء تسكين روعاتها وجلب الراحة اليها دائم العمل بنشاط وثبات جاش لا يعرف كسلا ولا يركن لتوان وممن يتقن هذا الامر وصرح



صورة للاميرة ماري آن دوكنتي (1666 ــ 1739).

به (بيدجات مكان)[1] فيما علقه على ما كتبه (سان أولون) وغيره ممن اتصف بالانصاف من حذاق مؤرخي الأوروبيين وهيهات ان تترك همة كهذه موضعا للعشق والغرام تحمل صاحبها على السعي في جلب فتاة لم يرها من أقطار شاسعة مباينة له في الدين والجنس والآداب مع احتواء قصره على سيدات نساء العرب الرائقات الحسن والجمال وعدم خلوه من مسبيات العجم ان هذا لبعيد وأبعد منه انه يرغب في خطبة بنتِ أعظم ملك لأوروبا اذ ذاك وهو لويز الرابع عشر[2] وما أدراك ما لويز ويقتصر في الخطبة على وساطة ابن عائشة على الصورة الآتي ذكرها من غير ان يعززها برسالة رسمية ودادية الى الملك رجاء قضاء وطره مع ما علم من احتفال المترجم بتنميق انشاء الرسائل وتطريزها وزخرفتها بالذهب لمطلق رجال رعيته فضلا عن ملك طائر الصيت مثل المخطوب منه ثم بعد هذا يتهاون ابن عائشة ويقتصر على بعث رسالة لم يتول هو ولا كاتبه الرسمي كتابتها هذه صورتها : وبعد أمرني مولانا السلطان على انه إن كان جواب ملك فرنسا موافقا لما تضمنه كتابنا هذا فاتجهز للسفر على أي مركب من المراكب الحربية الفرنسوية ترد على مرسى سلا أو غيره لأتوجه الى حضرة سمو ذلك الملك الفخيم واعرض على جنابه العالي المعاهدة التي يرغب سيدنا عقدها معه بمزيد الاشتياق والفرح وأن أحقق لديه بكل التأكيد بأنه يفتخر سيدنا بمصاهرة أعز الملوك وأجلهم وأن يبيح له الدخول في جميع مراسي الايالة الشريفة وسائر مدنها وأقطارها وكذلك لكافة رعيته وعليه أشهد أن القبطان عبد الله بن عائشة هو الذي أملى علي هذا الكتاب باللغة الاسبانية، ثم ألزمني بترجمتها الى اللغة الفرنسوية ولاجله وضع فيه خاتمه والسلام دجان ماني دولا كلوزري[3] النازل بمدينة سلا في مقابلة تجارة المسيو جوردان وكتبه في 14 نونبر سنة 1699 موافق 27 جمادى 1 عام 1111 هذه ترجمة رئيسها حينه بالرباط الشيخ اسماعيل حامدي لها فلينظر صورة هذه الرسالة التي

---

(1) القصد الى Buggett Meakin

(2) انظر التاريخ الديبلوماسي : الدكتور التازي. المجلد التاسع، الصفحة 85—86.

(3) القصد الى Jean-BAPTISTE MANIER De La Closerie, S.I.H.M. Serie 2 T.V.P. 480

نقلها الاروبيون وليتأملها العارف بمقتضيات الأحوال والظروف هل يمكن قبولها بتلك الصفة فيما تضمنته من المهمات العظيمة فلعمري ان هذا لمما يتضاحك منه الصبيان ومن وقف على المكاتب التي حفظها لمولانا اسماعيل الصادرة منه لعظيم فرنسا وغيره او كان له أدنى إلمام بما كان بينه وبين الملك لويز الرابع عشر من العلائق السياسية والمكاتبات الرسمية الصادرة فيما هو دون هذه الاحدوثة التي لم يعززها التاريخ بثانية وقد حشر غير واحد من مؤرخي فرنسا وغيرها في مؤلفاتهم العديدة المختلفة الاوضاع من ذلك ما يكون لنا أعظم شاهد وأكبر دليل على ما قلناه قضى منه بالعجب وعلم ان ما سوده بعض المتعصبين في سوق هذه الرواية الخيالية الذين لا قصد لهم بها الا تشويه حياة المترجم وافساد سمعته والغض منه انما هو حديث خرافة ويااليتهم تنبهوا عند الصاق هذه القضية بجنبه لتطرق احتمال ان ذلك ربما كان من دسائس المزورين على الملوك ابتغاء ايقاد نار الفتن *أو اعتذروا عن حفاظ آثارهم التاريخية ولو بما يقبل عند بسطاء العقول* في اخلالهم واهمالهم لما يعضد هذا الأثر النادر الوجود في قصص التاريخ اذ هذه الدولة العظيمة أخذت على نفسها حفظ الاثار والتزمت ضبط الوقائع التي ليست في جنب هذه الواقعة بشيء وذلك مما امتازت به على من سواها من دول العالم والحق يقال فكيف لا تتحفظ في هذه الواقعة حتى على عين المكتوب الصادر من ابن عائشة **وليت شعري** لو صحت هذه القضية ولم تقترن بها قرائن الريب أي عار ديني أو أدبي يلحق جانب المترجم اذا سعى لذلك في توثيق عرى العلائق وتحسينها وزيادة تاصيل المواصلة واستتباب الامن بين الدولتين الفرنسية والمغربية لينام الكل في مهاد الأمن والراحة الموجبين لنمو التجارة ووفور الثروة وغير ذلك من المقاصد السياسية الحسنة وأي ذنب ارتكب في هذه النقطة استوجب به الوقوع في عرضه الطاهر بكل ما يستهجن مما لايصدر الا من مصاب بداء التعصب ولوع بقلب الحقائق ومس العواطف، **ودونك** بعض ما أومأنا اليه من مكاتيب المترجم للويز الرابع عشر منها كتاب شريف لفظه بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم من عبد

الله تعالى الغالب بامر الله المتوكل في جميع أموره على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الهاشمي المنيف اسماعيل بن الشريف الحسني ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني ايده الله ونصره وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ايد الله أوامره وظفر جنوده المنصورة وعساكره آمين الى عظيم الروم وكبير مملكة الفرنسيس والمتولي امرهم والمتصرف في احكامهم لويز الرابع عشر السلام على من اتبع الهدى واجتنب سبل الردى اما بعد فاعلم انه ورد على مقامنا العلي بالله النصراني التاجر ولد إصطيل القوصنو وزعم ان بيده من عندكم امر وتفويض استظهر لنا بمكتوب على لسانكم يدل على الاذن له في الكلام فيما يظهر له لدينا من مهماتكم واغراضكم ويتوسط فيما يعرض لكم بحضرتنا العلية صانها الله فلم نشك انه مكتوبكم واذنكم غير انا لم نعتمد على قوله ولم نر الكلام معه في شيء من ذلك لكونه تاجرا وليس هو من خواص اصحابكم ولا من كبار خدامكم واعيانهم لديكم اذ ليس من شان التجار الدخول في الكلام مع الملوك وان يكونوا وسائط فيما يعرض من بينهم فالتاجر انما يتكلم فيما هو من وظيفه فقط الا اذا كان التاجر يسعى في تبليغ كلام هذا لهذا او حصول المواصلة او حمل رسالة يقع بها البعث من الجهتين فنعم وهذا غاية ما تحصل من كلام التاجر لا غير فان كان لكم غرض في الكلام بجد وخلوص نية فابعث الينا واحدا من كبار اصحابكم الذين يوثق بهم ويتكلم معهم وياتينا بهذا القصد وبهذه النية وإن احببتم ان نوجه لكم واحدا من خيار خدامنا وكبار اهل بساطنا العلي بالله فابعثوا الينا مركبا يحمله من عندنا ونبعث لكم بالاذن الصحيح وحاصل ما نتكلم به معكم في هذه الاسارى التي لكم عندنا ان نعمل لكم فيها الفداء نصرانيا واحدا بمسلم ولا نبتغي عندكم الا من هو هنالك من اهل سلا والرباط وتطوان وفاس والقصر ومكناسة الذين اخذوا دون العشر سنين الى ست سنين الى اربع فاقلهم من ذلك ومن سواهم في غير هذه البلاد المذكورة ومن كان فوق العشر سنين لا نتكلم معكم فيه بشيء سوى هؤلاء الاسارى ولولا هؤلاء التجار من عندكم

أزعجونا في الكلام والمراجعة في هؤلاء الاسارى الذين لكم عندنا وأهلهم هنالك يزعجون هؤلاء التجار وهم يترادفون علينا بالقول في حجتكم كم من مرة ما ابتغينا فيهم كلاما ولا عندنا هنالك أسارى تكبر عيننا مسألتهم أو من هو معروف عندنا بوجهه الا البحرية ومن هو من أمثالهم وان اتفق رأيكم على بعث من تعينونه من خدامكم ياتي معه بجميع من هو هنالك من الاسارى المذكورين الى قرب المرسى ونتفاصل معه بوجه لائق ممكن ونعطيه أساراكم ونأخذ منه المسلمين هذا بهذا .ولا يرجع الا مقضي الغرض ان شاء الله والوجه اللائق بكم من بعث بعض أصحابكم أو بعث المركب لصاحبنا اعملوا عليه والله سبحانه الموفق للامور والمعتمد عليه والسلام على من اتبع الهدى وكتب لغرة ربيع النبوي المفضل عام ثلاثة ومائة وألف (22 نونبر 1691) **ومن ذلك** ما لفظه الموجود منه بسم الله الرحمان الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم حسبنا الله ونعم الوكيل ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم عن أمر عبد الله المتوكل على الله المفوض أمره في سائر أحواله وجميع أقواله وأفعاله الى خالقه ومولاه أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين اسماعيل بن الشريف بن علي الحسني أيد الله سلطانه ومهد بالعافية أوطانه آمين يارب العالمين وبعده الطابع بداخله اسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله ونصره وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الى عظيم الروم وكبيرها ومالك أزمة أحكامها وتدبيرها وعارفها بقواعد الامارة وخبيرها وارث درجة الملك عن أسلافه وأجداده ومضيف ما جل من طارق ذلك الى ما عظم من قديم الرأي المعظم (دون لويز) الرابع عشر انبلادور فرنسا وصاحب كرسيها الاشهر السلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وحده ثم اهتدى أما بعد فانا كتبناه لكم من حضرتنا العالية بالله محروسة مكناسة امن الله أرجاءها وخص بالخيرات الدائمة أنحاءها ونحن نحمد الله تعالى ونشكره على ما أسدى من النعم وأزاح من النقم وافاض من المواهب والرغائب ودرأ من الأغيار والمصائب لا أحصي ثناء عليه هو كما اثنى على نفسه لا الاه الا هو سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وقد

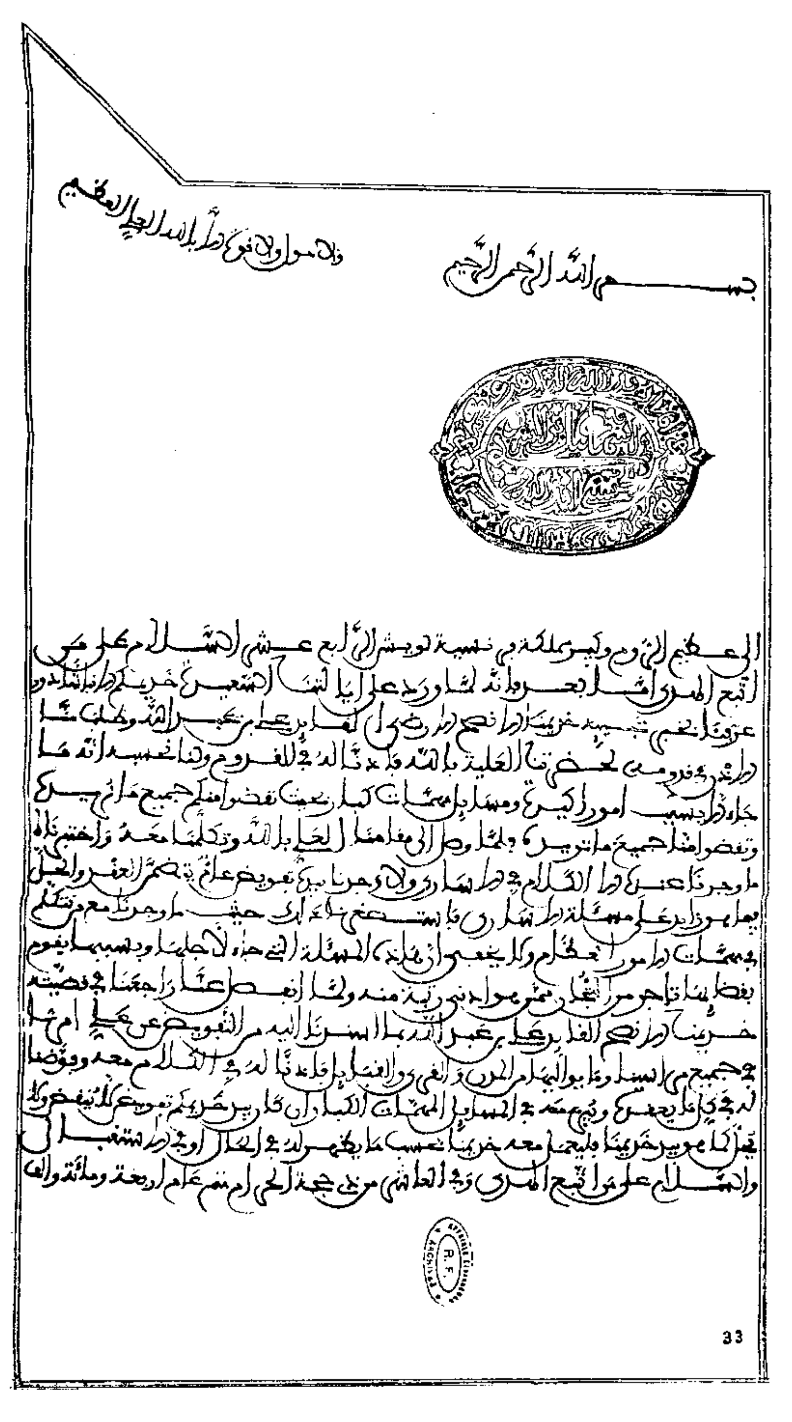
ورد على مقامنا العلي بالله كتابكم الذي وجهتموه الينا قبل هذا بأشهر عديدة فقرأناه وتعرفنا لفظه ومعناه ووقفنا منه على أمرين اثنين أحدهما تجديد العهد بنا وتأكيد ما لكم من الود والمحبة في جانبنا وتلك عوائد الملوك وسيرهم مع بعضهم على مرور الدهور وتقاضي الازمنة والعصور جزاكم الله عنا أفضل ما يجازى به أمثالكم فلقد أديتم الواجب وقضيتم المفترض بين الملوك واللازم وحتى نحن والله الا نحب مراسلتكم ومكاتبتكم على الدوام ونود ان لا تقطع عنا لا سيما ان كانت هاكذا الاغراض انتهى انظر صحيفة 406 من المجلد الثاني من عيون التاريخ[1] **ومن ذلك** ما كتب به قنصاي[2] الفرنسيس والفلامك وكافة تجار النصارى القاطنين بسلا ولفظه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم المولى الهمام السعيد الامام السلطان الأسعد العلوي الأصعد ذو المفاخر العديدة والمئاثر الحميدة الشريف المنيف الهاشمي العلوي الحسني أمير المؤمنين وفخر السلاطين أبا النصر مولانا اسماعيل أيده الله بتأييد نصره وأمده بمعاونته ويسره سلام الله الأتم ورضوانه الأعم ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته وسلام على من دامت لدينا همته وكرامته هذا مولانا ولا زائد بحمد الله الا الخير والعافية سوى الاعلام ببلوغ مسطورك الحفيل ورفعناه فوق زيادة على التقبيل وحمدنا الله تعالى على ذلك بأن مولانا نصره الله خليفة الله في أرضه لايغفل عن عبيده ولو طرفة عين على شان وصيفك القائد سعد الله بلعوان من حين أتانا كتابك الأسمى وخطابك لم تلحقنا منه مضرة والآن مولانا قد اصطلحنا معه وان بقي على الصلح الذي عملنا معه ولا مدخل له بشؤوننا فيها ونعمت وان خالف وتمادى على التعدي والظلم وتمادى لم نسكت عنه فها نحن نخبر مولانا على يد وصيفه سنان كما أمر نصره الله وأيده وثانيا القائد سعد الله ليس يكون له أمر علينا في هذا وانما أمرنا بيد قائد المرسى كما أمر مولانا نصره الله في غير ما كتاب المرة بعد المرة

(1) يعني السلسلة الثانية

(2) الواقع أنّ الرسالة من التجار S.I.H.M - T.3.P. 184

ونحن لم نزل نقبل التراب كل حين ونحمد الله الذي أزال عنا ثوب الذل والبستنا ثوب العلا ونسئل الله تعالى أن يبقيك ويبقي لنا وجودك سالما دائما. من خدام الدار العالية بالله بل عبيدها القونصي فرنصيص والفلامنك وكافة تجار النصارى القاطنين بسلا أمنها الله وفي الثاني والعشرين من رمضان المعظم سنة تسعة وتسعين وألف (موافق 21 يوليه 1688) **ومنهم** السفير المفوض لبلاد فرنسا علي بن عبد الله الريفي عامل تطوان، والباشادور الحاج محمد تميم السفير الشهير كانت احدى سفاراته لباريز عام ثلاثة وتسعين وألف، وأبو عبد الله المدعو حم بن عبد الوهاب الوزير الغساني الاندلسي الاصل الفاسي القرار والاقبار قال صاحب نشر المثاني في حقه ما نصه كتب للسلطان مولانا اسماعيل وكان نجيبا في ذالك ذكر انه كل ما يتلقى من الأوامر يكتبها ويستوفيها وكان لا يعزب عنه شيء منها مع كثرتها وقد أرسله مولانا السلطان لبلاد الروم بالأندلس بقصد أن يستخرج ما بأيديهم من أسارى المسلمين ويستخرج ما بقي من الكتب بالمشاهد التي كانت للمسلمين وألف في رحلته تلك كتابا سماه رحلة الوزير في افتكاك الأسير هـ. زاد صاحب سلوة الأنفاس شيخنا أبو عبد الله الكتاني المتوفى في الثلث الثاني من ليلة الأحد سادس عشر رمضان عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف المقبور بروضة سلفه من القبب خارج باب الفتوح أحد أبواب فاس وصفه بالفقه والاتقان والمشاركة والادراك وانه أعطى سرعة في نسخ الكتب لا تعرف لغيره وابدل لفظة المشاهد بالمساجد المهجورة وانه توفي بفاس عام تسعة عشر ومائة وألف، ومن سفرائه الى الدول الاسلامية العلامة المشارك أبو عبد الله الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي المولود عام أربعة وستين وألف المتوفى عام ثلاثة عشر ومائة وألف المترجم في نشر المثاني وغيره وجهه لعقد المهادنة مع الترك في حدود ثلاثة ومائة وألف ذهب للجزائر صحبة ولد صاحب الترجمة المولى عبد الملك وكاتبه أبو عبد الله الوزير وغيرهم من وجهاء الدولة الاسماعيلية وغير هؤلاء ممن يطول الكتاب بتتبع أسمائهم وأخبارهم.

استطراد وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم سفراء منهم دحية بن



ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الى عظيم الروم وكبير مملكة فرنسيس لويس الرابع عشر السلام على من اتبع الهدى

والسلام على من اتبع الهدى ... عام اربعة ومائة والف

33

إحدى رسائل السلطان المولى اسماعيل الى ملك فرنسا لويس الرابع عشر.

خليفة الكلبي أوفده الى هرقل وهو ببيت المقدس كما في الصحيح وذلك آخر سنة ست بعد الحديبية ووصل هرقل في المحرم سنة سبع على ما قاله الواقدي وغلط في المواهب من خالفه فانظره ومنهم عبد الله بن حذافة القرشي السهمي وذلك سنة سبع بتوسط الموحدة وعمرو بن أمية الضمري وغيرهم.

الباب السادس عشر في أطبائه

منهم أبو محمد عبد القادر ابن شقرون المكناسي صاحب المنظومة الرجزية الشهيرة في الطب المعروفة بالشقرونية وقد كان له القدم الراسخ والمعرفة الكاملة في الطب وترجمته في تاريخنا اتحاف اعلام الناس[1]، وأبو اليمن عبد الوهاب بن أحمد أدراق، وأبو عبد الله محمد أدراق الطبيب الماهر المتوفى ضحى يوم الاربعاء سابع ذي القعدة سنة تسعين بتقديم المثناة وألف وترجمتهما في الاتحاف أيضا والحاج عبد الواحد بن محمد غريط الاندلسي وولده أبو محمد عبد السلام، وأبو مروان عبد الملك بن القائد علي المتطبب المراكشي، قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر ابن علي الفاسي في كتابه (الاعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر من الاعلام) في حق أبي مروان ما نصه كان عالما عارفا بالطب قرأ على والده وله معرفة بالأدب وكانت له رياسة، وكان السلطان المظفر مولانا اسماعيل يعظمه ويقربه ويقدمه على غيره مختصا به الى أن قتل بفاس مخنوقا سنة تسع وثمانين وألف، وأبو العباس أحمد الاندلسي أصله إصباني وكان إسمه قبل أن يعتنق الاسلام (لوريانوا) ولما منَّ الله عليه بالاسم سمي أحمد وكان جراحا ماهراً اصطفاه المترجم وقربه اليه وخصصه بعلاجه وعلاج حاشيته بعد التجربة والاختيار قال القسيس بوسنو الفرنسي فيما ألفه في أحدى رحلاته للمغرب الاقصى في تفقد الاسارى والسعي في فكاكهم من ربقة الاسر وعنونه بحوادث وغرائب بالمغرب في عصر لويس 14، ص 36 طبع (بيروجي) باريس سنة 1928. كان هذا الطبيب بشيع المنظر غليظ القلب شرش الاخلاق زنذيقا عدوا للنصارى قال وكان لايساعد النصارى... هـ الى غير هؤلاء ممن لا أستحضر أسماءهم من مسلمين وأوروبيين فقد جاء في الصحيفة السادسة من كتاب القبطان (ابريط ويت) الانجليزي الذي وسمه بانقلابات دول المغرب انه يعني المترجم كان له عدد من

(1) قام بدراسة شاملة لهذه الارجوزة د. بدر التازي حيث قدمها لنيل درجة الدكتوراه باشراف البروفيسور عبد اللطيف بن شقرون قدمها بجامعة محمد الخامس.

الأطباء ملازمون له[2] هـ. **استطراد** قد ثبت في السنة ان النبي صلى الله عليه وسلم استعمل الطب وأمر باستعماله ووصفه لمن احتاج اليه حتى خص العلماء ذلك بالتأليف كعبد الملك بن حبيب وأخرج احاديثه الشيخان البخاري ومسلم وغيرهما من أهل الصحيح **اخرج** مالك في «الموطا» عن زيد بن اسلم مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجلين أيكما أطب قالا يا رسول الله وفي الطب خير قال انزل الداء الذي انزل الدواء واخرج البخاري عن أبي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنزل الله داء الا أنزل له شفاء وفي رواية طلحة بن عمرو كما في فتح الباري من الزيادة في أول الحديث يا أيها الناس تداووا ووقع في رواية طارق بن شهاب عن ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا أنزل له شفاء فتداووا وأخرجه النسائي وصححه ابن حبان والحاكم ونحوه للطحاوي وابي نعيم من حديث ابن عباس وأخرج احمد والبخاري في الأدب المفرد في حديث أسامة بن شريك تداووا يا عباد الله فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء الا داء واحدا الهرم **واخرج** أبو داوود عن أبي الدرداء رفعه ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام، والطب الذي كان يشير اليه النبي صلى الله عليه وسلم منه ما علمه بطريق الوحي ومنه ما علمه من عادات العرب، هذا ولا فرق في استشارة الطبيب بين أن يكون مسلما أو كافرا فقد ورد في الاحاديث النبوية ما يدل على جواز الاستعانة بأهل الكفر في الطب، روى ابو داوود من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن سعد بن ابي وقاص قال مرضت مرضا فاتاني النبي صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي انك رجل مفئود فأت الحرث بن كلدة من ثقيف فانه يتطبب فمره فليأخذ سبع تمرات فليدلك بهن، وروى ابن بندة من طريق اسماعيل بن محمد بن سعد عن أبيه قال مرض سعد فعاده النبي صلى اله عليه وسلم فقال اني لأرجو أن يشفيك

---

(2) القصد الى

BRAITHWAITE, John.
The History of the revolution in the Empire of Morocco upon the death of the late emperor Muley Ismael.
London : Darby and Broun 1729.

الله ثم قال للحرث بن كلدة عالج سعدا مما به فذكر الخبر ومرض سعد هذا كان وهو مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع حسبما صرح بذلك ابن الاثير في أسد الغابة، والحرث هذا اختلف في صحبته لكن قال الحافظ في الاصابة نقلا عن بن أبي حاتم لا يصح اسلامه وكذا جزم بذلك الحافظ بن عبد البر في الاستيعاب، وفيه جواز استشارة الكافر في الطب اذا كان من أهله كما للحافظ ابن حجر في ترجمة الحرث من الاصابة **فائدة** قال ابو عبد الله محمد بن اسحاق والنديم في الفهرسة اختلف في أول من استنبط الطب وفي أول الأطباء كان فقال اسحاق بن حنين في تاريخه قال قوم ان أهل مصر استخرجوا الطب، والسبب في ذلك ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم مبتلاة بالقنط والدود ومع ذلك فكانت ضعيفة المعدة وصدرها مملوء اخلاطا ردية وكان حيضها محتبسا فاتفق ان أكلت الرَّاسين شهوة منها له فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها وجميع من كان به شيء مما كان بها استعمله فبرء به واستعمل الناس التجربة على سائر الأوجاع، وقال آخرون ان هرمسا استخرج سائر الصنائع والفلسفة والطب هو مما استخرجه، وبعض يقول أن أهل قو ويقال قولوس استخرجوها ويصححون ذلك من الأدوية التي ألفتها القابلة لامرأة الملك الذي كان بها، وبعض يقول المستخرج لها السحرة، وقيل أهل بابل وقيل أهل فارس، وقيل الهند وقيل اليمن وقيل الصقالبة هـ. وأول من تكلم في الطب على رأي يحيى النحوي وجد في تاريخه على الولاء رياسته الى أيام جالنيوس ثمانية اسقلبيوس الاول، غوروس، فبلس، برمانيوس، فلاطون الطبيب، اسقلبيوس الثاني، بقراط الثاني مالك النفوس، جالنيوس معناه الساكن، قال يحيى وعدد السنين مند وقت ظهور اسقلبيوس الاول الى وفاة جالنيوس خمسة آلاف سنة وخمسمائة سنة وستون سنة، وبين هذه السنين فترات بين كل واحد من الرؤساء الثمانية(1) هـ. الغرض منه.

---

(1) القِفطي اخبار العلماء باخبار الحكماء. مكتبة المتنبي بالقاهرة.

الباب السابع عشر في شعراء دولته

منهم أبو العباس الوزير اليحمدي سابق الترجمة، وقاضي الجماعة بسجلماسة أبو مروان عبد الملك التجموعتي، وأبو الحسن بن مسعود اليوسي المولود عام أربعين وألف المتوفى يوم الاثنين الخامس عشر من ذي الحجة عام اثنين ومائة وألف وهو صاحب زهر الأكم في الأمثال والحكم وهو مؤلف نادر الوجود غريب في بابه يدل على علو كعب مؤلفه في الأدب وغزارة المادة في الاطلاع[1] وحاشية حفيلة على مختصر السنوسي في المنطق ومشرب العام والخاص في مجلد ضخم والمحاضرات والقانون في ابتداء العلوم وشرح على قصيدته الدالية الشهيرة في مدح شيخه ابن ناصر، وشرح على جمع الجوامع عنونه بالكوكب الساطع بلغ فيه إلى ذا الفجائية، وحاشية على تلخيص المفتاح لم تكمل، وديوان شعر في جزء وغير ذلك مما يطول بنا تعداده ترجم له في النشر والصفوة وغيرهما، ومنهم أبو محمد عبد الواحد البوعناني مفتي فاس ومدرس مسجدها الأعظم وقاضي مدينتها البيضاء المرينية المتوفى ثامن عشر صفر عام ستة ومائة وألف بفاس ترجم له في السلوة والنشر والتقاط الدُّرر وغير ذلك، وأبو عبد الله محمد بن الطيب الشريف العلمي صاحب الأنيس المطرب فيمن لقيه من أدباء المغرب ترجم فيه لاثنى عشر رجلا من أدباء وقته توفي بمصر وجهته إلى الحج قبل وصوله إليه عام أربع ومائة وألف ترجمه صاحب النشر وغيره، وأبو محمد عبد السلام بن الطيب الشريف الحسني القادري الثبت النسابة الشهير المولود عاشر رمضان وقت صلاة الجمعة عام ثمان وخمسين وألف المشار لوفاته بقول بعض المعاصرين من أهل وقته.

1110

يشق على الأقوام موت إمامهم كعبد السلام القادري المبجل صاحب المؤلفات العديدة النافعة منها المقصد الأحمد. في التعريف

---

(1) نشر بتحقيق الدكتور محمد الاخضر غزال..... طبع دار الثقافة ـــ البيضاء 1982.

بسيدي بن عبد الله أحمد. والدر السني في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني. والعرف العاطر. فيمن بفاس من أبناء الشيخ عبد القادر. واغاثة اللهفان بأسانيد أهل العرفان. ومنهاج الرشاد. في لامية الاسناد. وأداء الحقوق. في إبداء الفروق وتنبيه المعرضين. عن آيات السموات والأرضين. وغير ذلك ترجم له حفيده في نشره وغير واحد من الاعلام، والعلامة المشارك الطبيب الماهر أبو محمد عبد القادر ابن شقرون، وأبو سالم عبد الله ابن محمد بن أبي بكر العياشي صاحب الرحلة العظيمة الشأن الجليلة المقدار الدالة على تبحره في العلوم عقليها ونقليها ونظم بيوع ابن جماعة وشرحها واتحاف الاخلاء بأسانيد الاجلاء واقتفاء الأثر والحكم بالعدل والانصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين بعض فقهاء سجلماسة من الاختلاف في تكفير من أقر بوحدانية الله وجهل بعض ما له من الأوصاف وغير ذلك من النفائس الهامة المولود على ما قيده بخطه أواخر شعبان سنة سبع بتقديم السين وثلاثين وألف المتوفى ضحوة يوم الجمعة من عشري ذي القعدة عام تسعين بتقديم المثناة وألف ترجم له في النشر وخلاصة الأثر والصفوة، وأفرد ترجمته ولده العلامة السيد حمزة بجزء وغير من ذكر من جلة الأعلام، **ومنهم** أبو محمد عبد السلام بن أحمد المدعو حمدون بن علي بن أحمد جسوس الفقيه النحوي اللغوي الأصولي البياني المفسر المحدث الكلامي الصوفي المتوفى شهيدا ليلة الخميس خامس وعشري ربيع الثاني وقيل ربيع الأول عام واحد وعشرين ومائة وألف وهو مؤلف تراقي الأنام إلى دار السلام ضمنه أدعية نبوية وكتاب آخر ضمنه أخبارا ملكوتية وحكما وأشعارا غريبة الانشاء وغير ذلك ترجمه في السلوة والنشر والتقاط الدرر وتعرض في رياض الورد لقضية قتله نقلا عن شارح الاكتفاء في بعض مقيداته فقال : ان جسوسا هذا جذب المترجم حتى مزق ثوبه لما أراد أن يقرأ عليه ما يصرفه عن تملك الأحرار في قضية جيش البخاري، قال : وكان ذلك سبب محنته حتى قتل بسجن فاس هـ. وفي بعض المقيدات إنه أمسك المترجم من ثوبه حتى صار لايستطيع القيام ولا الانتقال وهو يقول له لابد من أن تجلس حتى تسمع شرع الله هـ. وأين هذه الجرءة من قوله

تعالى فقولا له قولا لينا ومما تقرر من أن العالم سيفه لسانه وأن التغيير باليد شرطه الاستطاعة وقد قال صاحب الجيش وفي عام **1120** كلف عبد الله الروسي الفقهاء أن يكتبوا على ديوان العبيد المملوكين فمن كتب نجا ومن أبى قبض عليه وقبض على أولاد جسوس وأخذ أموالهم وأجلس فقيههم السيد عبد السلام بالسوق مقيدا يطلب الفداء، وفي هذه السنة عفا السلطان عنه، وكان آخر امره ان قتله أبو علي الروسي فمن الناس من يقول بأمر السلطان ومنهم من يقول بغير أمره ولما ذكر ذلك في مجلس السلطان مولانا سليمان، قال : ما قتله المولى اسماعيل وإنما قتله أهل فاس هـ. ولم يمكنا أن نسأله عن حقيقة ذلك هـ. وقد هجا هذا الشيخَ بعضُ السفهاء بفاس وهجا فاسا من أجله بما يستقبح ذكره ولما حل ذلك الهجاء بيد تلميذه أبي الحسن علي بن أحمد بن قاسم مصباح الخمسي الزرويلي صاحب كتاب سنا المهتدي وكتاب انس السمير وغيرهما هجا ذلك السفيه وكان إسمه محمد فتحا بن قاسم بما لفظه :

الا بلغا عني اللعين ابن قاسم ... مغلغلة يرتج منها جنابه
فما باله لا أصلح الله باله ... ولا زحزحت نحو المعالي ركابه
تردى ثياب اللؤم فاجتنب الردى ... عليه إلى يوم المعاد ثيابه
وقد نزعت منه عروق الى الخنا ... سفاها وفاضت بالضلال وطابه
فمد يدًا أخيبْ بها من يد إلى ... امام تسامت في الثريا قبابه
همت بك يابن اللؤم بالجهل فرقة ... ولم يهم إلا بالعلوم سحابه
فلو وزنت منك الألوف وألفها ... باكليه فاقتك مجدا كلابه !
ركبت مطى عميا لتنصر فاجرا ... على الله اذ غرتك منه ضبابه
أجاءك وحي إنه الدهر خالد ... وعما قليل يحتويه سرابه
ويطير من ذات اللهيب ويمتري ... غدا من أباريق الحميم شرابه
وما د[illegible] أو أدهى عليه بمبعد ... إذا ما سطا رب شديد عقابه
فإن ابر جسوس لبحر الذي ... تلاطم بين المشربين عبابه
إمام بنى للدين ركنا ولم يزل ... يشده حتى قد تناهى شبابه
إذا سد باب دون أشياء لم يكن ... بغير ضلال أن يفتح بابه

قد اسمع قول الحق لو كان سامع وبلغ ما قال النبي خطابه
فمر وظل الناس تهتف باسمه لأن كان في ذات الإلاه ذهابه
فجيئت تهاجيه بنظم مهلهل ولم تخش أن ترمى عليك شهابه
ولكنه قد غض عنك تفضلا فلم يرض أن يأتي إليك جوابه

هـ. وهذا كالصريح بأن الروسي واتباعه من أوباش أهل فاس هم المتصدرون لإذاية هذا الشيخ بالقول والفعل، ولما قال الزياني في بستانه إن في عام 1108 ورد كتاب المترجم للقاضي والعلماء بفاس يعاتبهم ويوبخهم على عدم موافقتهم على تمليك العبيد الذين في الديوان وكتاب آخر بذم العلماء ومدح العامة وعزل القاضي والشهود انتهى... تَعقَّبه صاحب الجيش بقوله فيه نظر لأن قضية جمع العبيد مفصَّلة في الكناش الكبير الإسماعيلي وفيه تمييز الأرقاء الذين اشتروا بالثمن على الوجه الشرعي بخطوط العدول[1] وهؤلاء لا كلام فيهم وغيرهم من أهل الديوان لم يدَّع السلطان الملكية فيهم وإنما الكلام في جبرهم على الجندية وقد كان السلطان وجه لعلماء المغرب والمشرق[2] الأسئلة في ذلك فجاءته أجوبتهم بالجواز بخطوط العلماء وكل ذلك مبسوط في الكناش وحاشا مقام السلطان ان يدعي تملك الأحرار، نعم في الكناش طوائف ثبت عند السلطان أنهم أرقاء للمنصور وهم الذين تولى أمر جمعهم عليلش وقد بحث عن رقيتهم في كل قبيلة فعينت كل قبيلة من عندها منهم وثبت ذلك عند السلطان ومع ذلك لم يدخلهم في خالصي الرقية بل ميزهم فكان الجند على مراتب ثلاثة خالص الرقية وخالص الحرية والواسطة **وأما** تسمية الجميع بالعبيد فالمراد عبودية اتباع السنة التي جمعها صحيح البخاري لأن المترجم بعد ان جمعهم دعا أعيانهم وأحضر نسخة من صحيح البخاري وقال لهم أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله المجموعة في هذا الكتاب نفعل ما أمَرَتْ به ونترك ما نهت عنه وأخذ عهودهم على ذلك وأمرهم بالاحتفاظ بتلك النسخة وبتقديمها بين أيديهم في ركوبهم وحروبهم فلم يزل الامر على

(1) راجع المجلد الأول ص 281 من التاريخ الدبلوماسي للمغرب للدكتور التازي.

(2) د. التازي : العلاقات بين المغرب ومصر. نشر جمعية أبي رقراق — سلا — 1989.

ذلك فلهذا قيل لهم عبيد البخاري فما نسبه الزياني للسلطان ساقط لا يحل لأحد أن ينسبه للسلطان أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين بل لاتحل اضافته لمطلق المومنين وهذا شأن الزياني في المجازفة وعدم التثبت قابله الله بالعفو والغفران. ومن خط العلامة الثبت أبي العباس احمد بن صابر البوعزاوي نقلا عن خط الشيخ التاودي ما لفظه : علماء آخر الزمان اذا صدرت مقالة شنيعة من بعض العلماء أمعنوا النظر فيها وأولوها تأويلا حسنا ويعتذرون عن صاحبها وكذلك اذا صدر مثلها من هؤلاء المتفقرة يعتذرون عنهم وينسبونهم الى الصواب ولو كانوا على غير صواب، واذا وقعت مسألة من بعض السلاطين كلهم يفوقون السهام بالرد عليه وينسبونه الى الخطأ ولو كان على صواب ولو كان يدري يقولون لا يدري والمتفقر ولو كان لا يدري يقولون أنه يدري ! وكل سلطانٍ بالمغرب فانه غرض لعلماء الوقت والمتفقرة ولو كان مثل عمر بن عبد العزيز لا ينجو من سهامهم انظر الى العلماء الاقدمين نفعنا الله بهم كيف كانوا يرشدون السلاطين الى طريق الخير ولا يخافون في الله لومة لائم وسواء عندهم في حق الله القوي والضعيف بل نصرة الضعيف أحب اليهم مما طلعت عليه الشمس الى أن قال والذي يصحح قولي هذا هو أن الونشريسي قتل بباب القرويين على كلمة الحق وأن رجلا من أصحاب الصقلي قال أشهد أن الصقلي رسول الله بباب القرويين وسجنه علماء الوقت أياما قليلة وتاولوا كلامه بتأويلات واهية وسرحوه هـ. من كناشه نصره الله يعني سلطان وقته المولى سليمان الى أن قال يعني السلطان المذكور منقولاً من كناشه انظر الى حكاية السيد عبد السلام جسوس رضي الله عنه الذي جاء هو وجماعة من العلماء نظرائه ينصحون السلطان فتركوه حتى تصدر هو للكلام وتاخروا عنه حتى وقع به ما وقع فذنوبه في رقاب العلماء الذين خذلوه، وكان من حقهم ان يقولوا للسلطان هذه النصيحة التي قالها السيد عبد السلام جسوس : كلنا قلناها وجئنا عليها فاقض ما أنت قاض ولكن الحق أحق أن يتبع وسكوتهم عن ذلك فيه اعانة للظلمة أولاد الروسي قبحهم الله فاثمه في رقاب العلماء المذكورين وفي رقاب الظلمة أولاد الروسي الذين

باشروا قتله. واما سيدنا اسماعيل قدس الله روحه فلا اثم عليه في قضية الفقيه المذكور وانا افتي انه من عرف الحق ورجع عنه خوفا من عقوبة السلطان أو غيره ذنبه أعظم ممن فر من الزحف فمن فر من الزحف انما يكون فراره تحيزا الى فيئة من المسلمين ومن حجم عن الحق يكون متحيزا الى فيئة السلطان هذا ما سمحت به القريحة في معنى الدين النصيحة هـ. **قلت** هذا تفصيل ماغاب عن صاحب الجيش العرمرم وهاب ان يسئل عنه السلطان سليمان لما قال ما قتله المولى اسماعيل وانما قتله اهل فاس ولا ريب أن مراده بأهل فاس من خذله من العلماء مع من باشر قتله من ظلمة ولاتها وعند الله تجتمع الخصوم، **ولا يستغرب** من اولائك الولاة الجاهلين الذين هم لأهل العلم أعداء ان ينتهزوا الفرصة في الشيخ المذكور بمواجهته للسلطان بذلك الجفاء المخل بحرمة الخلافة في ذلك المحفل العظيم الذي ضم عددا من صدور أعيان العلماء من غير أن يعززه في ذلك أحد من أترابه الحاضرين والواجب شرعا وطبعا تعظيم من عظمه الله والجفاء والغلظة مما لا يحسن شرعا ان يقابلهم الكبراء من الملوك والأمراء ولا تحمد عقباه وواجب الارشاد المفروض على العلماء بحكم الوراثة المحمدية لا يكون بالغلظة والفضاضة والاعتلاء بل بالحكمة والموعظة الحسنة ولا ريب أن القصد من الصلح والارشاد حصول المنفعة لا زيادة الضرر ولا تحصل المنفعة المقصودة الا باللين ؛ ومن المعلوم ان تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة ويلين قسوة الطغاة ويرشد لذلك أمره تعالى لرسوليه موسى وهارون عليهما السلام بإلانة القول لفرعون الذي جاوز الحد في العتو والتكبر والتجبر حتى ادعى الربوبية في قوله لهما اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وخاطب أكرم الخلق عليه السلام بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وقال ولو كنت فظا غليظ القلب لا انفضوا من حولك، ويا ليت الشيخ جسوسا أدى نصيحته للسلطان بيراع البنان عوضا عن تاديتها باللسان كما فعله عصريّه القاضي أبو حامد العربي بردلة في النازلة فانه ابدا وأعاد ووفى فيما كتبه للسلطان فيها بالمراد ولكن ما قدر كان ولو كان المولى اسماعيل ممن لا يقبل

الحق ولا ويتمعض لسماعه حتى يامر بقتل الفقيه جسوس لأمر بذلك في حق أبي حامد المذكور ومن اطلع على رسائل الامام اليوسي للمترجم المطولة والمختصرة وعلم مكانته لديه وما كان يقابله به من التبجيل والاجلال، وقد مرت بك شذرات من ذلك لم يبق له أدنى وهم في رضوخ صاحب الترجمة للتعاليم الشرعية وقبوله لها بصدر رحب ووقوفه عند حدها وقد طالما استنصح واسترشد واستفتى في صغار المسائل، وفيما جلبناه من ذلك الغنية والكفاية لمن ليس في قلبه مرض ودونك نص مكتوب أبي حامد المشار له : بعد الحمدلة والصلاة: العلاء السني مقامه، والكمال الأحد شأوه، والمتلئلئة أيامه، كوكب لاح من فلك الخلافة فاضاء الكون أنواره وبدر سناء اظهرته المنة الازلية في أعلا مراقي الامامة فعم مدده وأسراره ملك اعاظم الامراء في العالم ملاذ عظماء الائمة من عرب وعجم رافع ألوية الشرائع النبوية ناشر رايات العلوم الدينية طلعة جلالة لمعت من الضئضئى النبوي ونبعة أصالة مجتباة من شامخ البيت العلوي الهاشمي المولوي مظهر كلمات الله العليا غياث الحق والدين والدنيا مولانا الامام المؤيد الهمام أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو العلاء مولانا اسماعيل بن موالينا الكبراء عظماء الانام ومستمسك الخاص والعام أيده الله ونصره واعلا أمره وذكره أحيي المقام تحية تلبك من المسك بالعبير وتجل عن وصف اللسن وعن أن تشاكل بالنظير، وبعد لثم العبد الارض بيد يدي البساط أنهى للمقام الاعلى انه لما كان من الواجبات المؤكد أمرها والتكاليف المعظم في الشرع خطرها وقدرها النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم أخرج مسلم والنسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وأخرج البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله البجلي قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام فشرط عليَّ : والنصح لكل مسلم، فبايعته على ذلك وأخرج الامام احمد مرفوعا قال الله عز وجل أحب ما تعبد لي عبدي به النصح لي وأخرج الطبراني عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ومن لا يصبح

ويمسي ناصحا لله ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين فليس منهم وأخرج مسلم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من غشنا فليس منا وأخرج الطبراني مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من غش المسلمين فليس منهم قال جلال الدين السيوطي في الديباج في الكلام على الحديث الأول من هذه الاحاديث قال الخطابي هي أي النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له ثم قال بعد ومعنى الحديث عماد الدين وقوامه النصيحة كقوله الحج عرفة أي عماده ومعظمه ثم قال في معنى النصيحة لله قال العلماء النصيحة لله معناها الايمان به ووصفه بما يجب له وتنزيهه عما لا يليق به واتيان طاعته وترك معاصيه وموالاة من أطاعه ومعاداة من عصاه وجهاد من كفر به والاعتراف بنعمه والشكر عليها والاخلاص في جميع الامور والدعاء الى جميع الاوصاف المذكورة والتلطف في جمع الناس عليها قال الخطابي وحقيقة هذه الأوصاف راجعة الى العبد في نصيحة نفسه فان الله غني عن نصح الناصح والنصيحة لكتابه معناها الايمان بأنه كلامه تعالى وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله أحد ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه في التلاوة والدب عنها لتأويل المحرفين وطعن الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه والاعتبار بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر عمومه والدعاء اليه، والى ما ذكرنا من نصيحته والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم تصديقه في الرسالة والايمان بجميع ما جاء به وطاعته في أمره ونهيه ونصرته حيا وميتا وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه واعظام حقه وتوقيره واحياء طريقته وسنته وبث دعوته ونشر سنته ونفي التهمة عنها واستشارة علومها والتفقه في معانيها والدعاء اليها والتلطف في تعلمها وتعليمها واعظامها واجلالها والتأدب عند قراءتها والامساك عن الكلام فيها بغير علم واجلال أهلها لانتسابهم اليها والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه ومحبة أهل بيته وأصحابه ومجانبة من ابتدع في سنته وتعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك والنصيحة لأئمة

المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم برفق ولطف واعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق المسلمين وترك الخروج عليهم وتاليف قلوب الناس لطاعتهم والصلاة خلفهم والجهاد معهم وأداء الصدقات لهم وان لا يطروا بالثناء الكاذب وان يدعى لهم بالصلاح هذا على ان المراد بالائمة الولاة وقيل هم العلماء فنصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الأحكام واحسان الظن بهم والنصيحة للعامة ارشادهم لمصالحهم في آخرتهم ودنياهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عوراتهم وسد خلاتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق والشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم والذب على أموالهم واعراضهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وحثهم على التخلق بجميع ما ذكر من أنواع النصيحة هـ. ومن آكد النصائح وأهمها وأكملها مصلحة وحكما وأعمها النصح لأئمة المسلمين المقلدين بكافة أمور الامة واعباء الدين وذكر الاحكام الشرعية لهم وبيانها وقد أفصحت النصوص من الكتاب والسنة بوجوب بيان الاحكام وبالوعيد على كتمها عن الأنام قال الله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الاية وقال جل من قائل ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار يوم القيامة وغير ما آية وحديث هذا في كتم الاحكام والاغماض عن بيانها أماليتها وتبديلها بنحو استحلال محرم ولو صغيرة علم تحريمه من دين الاسلام بالضرورة فهو الحاد وكفر قال الاشاعرة من استحل محرما ولو صغيرة علم من دين الاسلام تحريمه بالضرورة كنكاح ذواتي المحارم أو الزنى أو شرب الخمر أو أكل الميتة أو لحم الخنزير من غير ضرورة كفر، وشهير جلي ما هو من شيم مولانا أدام الله تاييده وأولى النصر والفتح جنوده وما جبلت عليه طبيعته العلوية من النصرة لدين الله تعالى ورعاية ودائعه وحفظ ما أودع سبحانه من شرائعه والذب عن الحنيفية السمحة وحياطتها وقمع من يلحظها بعين الاعتداء واعظام أمرها وصيانتها وما هو عليه من

الشغف بمحبة العلم والتلهف على بثه في الافاق ونشره والتعظيم لقدر العلماء حملة الشرع والتبجيل ومجاملتهم بما لايعرف لأحد غيره من الصنع الجميل والمبالغة في التنفير عن البدع المحدثات وكبت المعتدين الملحدين ذوي الجرءة والترهات وخصوصا ما يرجع الى الابضاع فهو أيده الله دائما يجهد نفسه في ذلك بالبحث عن متعلقاتها والاستقراء ويبالغ في الاحتياط فيها والتخلص من متشابهها بالتتبع للأحكام الشرعية لهم والاستقصاء وانها لجديرة بذلك وكيف لا وحفظ الانساب هو أحد الكليات الخمس التي تواطأت عليها شرائع جميع الأنبياء والرسل واطبقت ولم تستبح في شريعة من شرائع الأمم والنصوص في ذلك شهيرة لحجة الاسلام الغزالي وغيره وقد قال صلى الله عليه وسلم في خطبته المشهورة في حجة الوداع فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام الحديث قال العلماء وحفظ الانساب داخل تحت حفظ الاعراض على أن الاحاديث الصحيحة جاءت مصرحة بذلك قال القرافي وغيره فما أباح الله العرض بالقذف والسباب قط ولا أباح الاموال بالسرقة ولا بالغصب قط ولا الانساب باباحة الزنى قط ولا القول باباحة المفسدات لها قط ولا النفوس والاعضاء باباحة القتل والقطع بغير حق قط ولا الأديان باباحة الكفر وانتهاك حرم حرمة المحرمات لها قط وأمير المؤمنين عمت بركته واضح قصده على ما يقتضيه جميل الظنن به وما تفيضه كمالات بيت النبوة وشافه به وبلغنا عنه غير ما مرة أن اهتمامه بما أشار به من جمع الحراطين وكمال رغبته في ذلك ليس الا لما اقتضاه رأيه الصائب وعزماته النافذة من تكثير الجيوش التي بها قوام الدين وحفظ بيضة الاسلام والمسلمين لا أنه اثارته وحاشاه شهوة دنيوية لذلك ومن سرى الى وهمه ان المقتضى ذلك ولم يحم حول حكم مقترحاته اخذ يعاني جمعها على وجه مضاد للحق معاند لقواعد الشرع مناف لقصده دام علاه كيف ولم يزل يفصح ويصرح علنا بأن هذا الأمر لا يرتكب فيه الا أكمل وجه من وجوه الصحة الشرعية ولا يعلي الا متحقق الاركان مستوفي الشروط مرتفعة عنه الموانع على أن حصول ما ذكر من غرضه وقصده من تكثير الجيوش لا يخفى انه لا يتوقف على استرقاق بل هو طوع

اليد بدونه وحيث تحقق هذا كله و لم يخف تعين على من له ملابسة بالعلم انهاء هذا الخطب النازل الوقتي الذي هو المجاهرة باستعباد الاحرار واسترقاقهم بدون وجه شرعي وتقرير هيئة الواقعة وكشف الوجه الذي ينتحل عليه وما يرتكب في ذلك من المحظورات الموبقات وبيان حكمه اذ مثل هذا مما لا يسع التغافل عنه والتساهل في أمره كيف وهو مما توعد عليه من الغش وكتم الاحكام واذا كان كذلك فابث لمولانا نفذت أوامره وسطت بأهل الزيغ والعتو عزماته وبوادره انه غير خفي ان هذا الأرقاق من الظاهر الشهير الذي لا سترة به ان المطالبين به الان في مدينة فاس هم أناس أحرار كغيرهم من سائر أحرار المسلمين حريتهم معلومة لا اشتباه فيها بوجه وكل ما يقع منهم من الاقرار بأنهم أرقاء لمعين أو لغير معين أو يقع من غيرهم من الشهادة عليهم برقية على أي وجه كانت فان ذلك كله عن ضغط واكراه مشاهد معاين بحيث لا ارتياب فيه ولا يختلج في ذهن افتقاره الى اثبات كيف وقد وقع الاعلان بالتصريح للجم الغفير والملأ الكثير من أهل العلم وغيرهم مشافهة من المنتصب لهذا الامر والمعين له بأن هذا الاسترقاق ان لم يقع الانقياد له والاذعان انتقم من الكافة ونكل بهم وعوقبوا العقاب الشديد بأن ينزل بهم مالا يستطاع من الامور الفظيعة من قتل النفوس وهتك حريم والزام مالا يطاق من قناطير الاموال وحيث كان كذلك فكيف يعول على هذا الاقرار وهذه الشهادة وكيف يعتذرون بذلك ويسترقون به ونصوص الأئمة طافحة بأن كل ما كان من إقرار وشهادة عن ضغط وإكراه فهو لغو لا اعتداد به قال ابن يونس قال مالك لايلزم المكره ماأكره عليه من طلاق أو عتق أو نكاح وغيره إبن عرفة طلاق المكره وسائر فعله لغو لقول ابن الحاجب لا أثر لطلاق الاكراه كنكاحه وعتقه وغيره أو الاقرار به أو اليمين هذا وقد صرحوا بأن الاقرار لمن يتهم بأن الاقرار له إنما وقع عن خوف وخشية لغو غير عامل ففي الكافي لإبن عبد البر إقرار غير المحجور جائز لايلحقه فيه تهمة ولا يظن به توليج ولا يحتاج لمعاينة قبض إلا أن يكون المقر له ممن يعرف بالقهر والتعدي بل هؤلاء المطالبون بالاسترقاق الآن حيث كانت حريتهم معلومة فإقرارهم

بالرق ولو كان عن طوع وجواز ومع إنتفاء ماذكر من التهمة فهو لغو لايسلمون شرعا للرقية بهذا الإقرار ولا ندعهم وإياها ولا يلزمون به لأن حريتهم حق من حقوق الله تعالى فليس لهم إرقاق أنفسهم قال ابن سحنون وأجمعنا في امرأة معروفة الأصل بالحرية وأبواها حران أن إقرارها بالرق باطل قال محمد بن عبد الحكم وإن كان أحد ممن أقر بالرق معروف الأصل بالحرية لم يجز إقراره وليس للحر إرقاق نفسه والبينة في هذا أولى من الاقرار فأنى يسع أحدا العدول عما تقتضيه هذه القواعد أم كيف تتنكب هذه النصوص الصريحة وتبارز وتصادم ويسمى ماينتحل بتمويهات وتلبيسات من الصور الفظيعة التي لا حقائق لها ولا وجه استقامة يحوم حولها ولا شيء منها ولا من متعلقاتها بجار على قاعدة من قواعد الشرع كما لا يخفى على من له أدنى ملابسة بالأحكام الشرعية ويدعي إرقاقا وتبايعا تستباح به الأبضاع وهل هذا إلا لي في الأحكام وتغيير وتبديل وتحريف وإلحاد وهو كفر لمتجشم إرتكابه كما أفصح بذلك نص الأشاعرة المتقدم نقله وغيره، وقد جمعت هذه الوصمة الشنعاء مفاسد معضلات وتألفت صورتها البشيعة من فضائع موبقات منها شهادة الزور والحمل عليها وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أنها تعدل الاشراك روى أبو داوود واللفظ له والترمذي وابن ماجة عن خديم بن فاتك رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح فلما انصرف قام قائما فقال عدلت شهادة الزور والاشراك بالله ثلاث مرات ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به وروى الامام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار ومنها الاكراه على الاقرار بالرق والاستعباد به والمستعبد لحر هو أحد الثلاثة الذين لا يقبل الله منهم صلاة أخرج أبو داوود وابن ماجة من طريق عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عمر أن الغافري عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاة من تقدم قوما وهم له كارهون ورجل أتى الصلاة دبارا والدبار

أن يأتيها بعد أن تفوته ورجل اعتبد محررا وهو أيضا أحد الثلاثة الذين قال الله فيهم أنه خصمهم أخرج البخاري وابن ماجة وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته رجل أعطي بي ثم غدر ورجل باع حرا فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيرا فاستوفى ولم يوفه أجره ومنها الإكراه على الحكم وعلى الفتوى بصريح ماهو غير حق من الضلال والباطل المرتكب فيه تضييع فرائض الله والمخالفة لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتحليل ماحرمه الله والوعيد في هذا عظيم قال الشيخ أبو طالب المكي في القوت[1] وروينا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل ثلاثة أملاك ملكا على ظهر بيت الله الحرام وملكا على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وملكا على ظهر بيت المقدس ينادون كل يوم يقول الملك الذي على ظهر بيت الله سبحانه من ضيع فرائض الله خرج من أمان الله ويقول الملك الذي على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول الملك الذي على ظهر بيت المقدس من أحل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل ومنها أيضا إنها تفضي الى ابطال كل عتق وتحرير تقدم لأنهم يجعلون في هذه الربقة ويدخلون فيها كل من لمز بتقدم الرق له أو لأحد من أسلافه فلا عتق عندهم يعتد به وهذا فتح لباب لا يستطاع النطق بمن يتناوله ويشمله من هذه الأمة من سلفها الصالح فمن بعده من القراء والعلماء وغيرهم ومنها أيضا ما تحقق الآن وشوهد بسبب هذا الواقع من سد باب العتق وتقرب الناس به إذ لم يكن الآن وثوق باستمرار من يعتن على فك رقبته ولحاقه بحرائر المسلمين، ومعلوم تشوق الشارع للعتق وحضه عليه والوعد عليه بجزيل الثواب فلينظر ماأفضت إليه هذه البدعة التي لم تقع في غير هذا القطر المغربي من سائر الأقطار ولم يبتل بها أهل عصر مما سلف من الأعصار أيسع نفسا زكية أن لا تنهض لحسمها وسد الطرق دونها فنبتهل إلى الله

(1) القصد إلى كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب (تصوف).

سبحانه أن يولي مولانا أمير المؤمنين كشف بلواها ورفع شكواها فقد ضاقت نفوس الخاصة والعامة بها ذرعا وما استطاعوا لها نظرا ولا سمعا لجمعها بين المصيبة في الدين والدنيا فلمثلها يود المومن أن لا يكون موجودا في الأحياء أرفض للشريعة ونبذ لها وراء الظهر ونسبة صورة شنيعة لها تبقى سبة وضحكة لغابر الدهر، معاذ الله أن يقع هذا وأمير المومنين موجود والعلماء والعلم والحمد لله حراس على الدين قعود. فإن ابتدر للفكر أن يقال لم تأخر منكم هذا المقال إلى الآن وقد تقدمت أمثال له وعاينتموها فما وقع منكم بسط مثل هذا الكلام فيها وإلقاؤه بل بسطتم اليد للكتب على موجبات ذلك، فجوابه أن المطالبين بالاسترقاق في تلك الأمثال هم في أمكنة بعيدة عنا لا نعرف أنسابهم ولا أعيانهم بل ولا أسماءهم فكيف بحريتهم أو رقيتهم، وما وقع من الكتب على ذلك هو مخاطبة بثبوت تلك الموجبات بعد الرفع على خطوط قضاتها أو بجواب بالصحة والحذر عن سؤال ليس فيه ما ينافيها فتلك الموجبات العمدة فيها على شهود بلادها وعدولها وقضاتها فهم المتقلدون من ذلك ما تقلدوه، أما هؤلاء المطالبون بالاسترقاق الذين الكلام الآن فيهم فكلهم لم يزالوا منذ النشأة معنا ببلد واحد ونحن نعرفهم ونعرف حريتهم ولا يخفى علينا أمرهم وقد دعينا الآن وألجئنا لنقيض ما هو مقرر عندنا وبالجملة فالخطب في هذه المسألة عظيم، فلكم تجاذبته من حقوق لمولانا سبحانه ولعباده فليجتهد ذو البصيرة جهده مما ينجيه ويخلصه عصمنا الله من الزلل ووفقنا لصالح القول والعمل هذا ما أدى به بعض الواجب من النصيحة ونضرع لمولانا سبحانه أن يعامل بالعفو عما بقي في الذمة مما يتعلق بهذا وغيره من التقصير وأحيي الحضرة العلية تحية مباركة طيبة وفي منتهى يوم من شهر ربيع الأول عام عشرين بعد مائة وألف عبيد الله تعالى وأسير ذنبه المرتجى عفوه وغفرانه العربي بن أحمد بردلة كان الله له آمين هـ. قلت وحقيقة الواقع في هذه القضية المظلمة عند من يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور وقد رثى جسوسا العلامة أبو الحسن علي بن مصباح الزرويلي بما لفظه :

حلّ بالدين يالقومي بــلاء   أحجمت دون وصفه الشعراء

قتل اليوم أعلم الارض ظلما   فبه في الاسلام حق العزاء

قتلوه من أجل أن كان أستا   ذا أعزته السنة السمحاء

قتلوه من أجل أن كان عن سبـ   ـل الهدى فيه نفرة وأباء

قتلوه أن كان حصنا به تمـ   ـنع عما تريده الاشقياء

قتلوه من أجل أن كان للشر   ع حساما تهابه الامراء

قتلوه أن كان للحق قولا   وما أن تُضله الاهواء

فانظروا الدين إذ قضى نحبه عبـ   ـد السلام أودت به الارزاء

وإذا نودي العباد ليوم الـ   ـفصل جاءوا وهم له شهداء

وهناك الالاه والخلق والأمـ   ـلاك طرا عن قتله خصماء

ما يكون الجواب من قاتليه   ان يقل فيم منه طلت دماء

ما يكون الجواب منهم اذا ما   سحبوا في لظى وبيس الجزاء

لهف نفسي على ابن جسوس الحبـ   ـر الذي تقتدي به الاولياء

لهف نفسي عليه هدّت به اليو   م من الدين هضبة قعساء

لهف نفسي عليه مالشموس الـ   ـعلوم حيث اختفت عليه انجلاء

عذبوه حيا وقد كان سيا   ن لديه السراء والضراء

واجتنوا ماله الذي سوف يجني   بؤسهم حين لا يقيهم نجاء

فغدا عائلاً وأولاده والـ   ـأهل طرا جميعهم فقراء

غير انهم لما رأوه من اللـ   ـه وإن أملقوا فهم أغنياء

صبروا للقضاء واحتسبوا الأجـ   ـر وما غيّرتهم البأساء

وصفاء الياقوت باق وإن مسـ   ـتْه ...

ثم طافوا به على الناس في الاسـ   ـواق كيما يكون منهم عطاء

فغدا المسلمون يلقون أموا   لاً عليه رجالهم والنساء

ما حبوها الا لظنهم أن   سوف ياتي له بهنّ الفداء

ثم من بعد ذا سقوه المنايا   ليس والله بعد هذا بلاء

يا لها من مصيبةٍ صار في الأر   ض وفوق السما لها أنباء

عمت المسلمين رزءا فأضحت   كل عين منهم عراها البكاء

يا ابن جسوس إن تكن حبست للخـ   ـوف عنكم لسانها الأدباء

فأنا اليوم مفصح برثائـ   ـكم كما صَخرها رثت خنساء

فليقل من يشاء ما شاء وليفـ   ـعل ففي من يلومكم برحاء

فعسى ان لقيتم يوم حشر تشفعوا لي فإنكم شفعاء،
ومنهم القاضيان أبو عثمان سعيد العميري وولده أبو القاسم وأبو محمد عبد الحق السحيمي وأبو حفص عمر الحراق وأبو حفص عمر الوقاش، والقاضي أبو مدين السوسي وتراجم هؤلاء مبسوطة في تاريخنا أتحاف أعلام الناس، وأبو الحسن علي بن أحمد بن قاسم بن موسى مصباح الزرويلي الخمسي صاحب سنا المهتدي ترجم فيه لعصريه صديقه أبي العباس الوزير المتقدم الترجمة وأنس السمير في نوادر الفرزدق وجرير وغيرهما مما يدل على اتساع عارضته وطول باعه واقتداره قال عن نفسه وكان شروعي في هذا الكتاب يعني أنس السمير سنة تسع وعشرين ومائة ألف رتب كتابه هذا على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة، ضمن المقدمة ثلاثة فصول : الاول في معنى الأدب ومكانته من العلوم وما يجب على الأديب معرفته والثاني في الشعراء وطبقاتهم والثالث في معنى الشعر والباب الاول في التعريف بجرير والفرزدق والثاني في بعض النوادر التي جرت بينهما خصوصا والثالث في النوادر التي جرت لغيرهما مع أحدهما وشرح ذلك وأتمه بالتعريف بنفسه وما يتبع ذلك من ذكر بعض أشياخه الذين أخذ عنهم العلم، وهذا الكتاب مما احتوت عليه مكتبتي، وأبو العباس أحمد بن عبد الحي الحلبي صاحب الديوان في الامداح النبوية والمقامات المعنونة بالحلل السندسية في مدح الشمائل الأحمدية.وكشف اللثام عن عرائس نعم الله ونعم رسوله عليه الصلاة والسلام.والدر النفيس في مناقب مولانا ادريس.والسيف الصقيل في الانتصار لمدح الرب الجليل ومعراج الوصول في الصلاة على أكرم نبي ورسول. ومناهل الصفا في جمال ذات المصطفى.ومناهل الشفا في رؤيا المصطفى والروض البسام في رؤيا غيره عليه الصلاة والسلام.والكنوز المختومة في السماحة المقسومة لهذه الامة المرحومة. وفتح الفتاح على مراتع الارواح، الى غير هذا مما يطول توفي عام عشرين ومائة ألف. وأبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد ابن زاكور إمام البيان والبديع واللغة والعربية والعروض والتاريخ وقرض الشعر المتوفى صبيحة يوم الخميس موفي عشرين من المحرم عام عشرين ومائة ألف.

له حاشية على قلائد العقيان للفتح بن خاقان وحاشية على الخزرجية وشرح حفيل على حماسة أبي تمام في ثلاثة اسفار وديوان شعر سماه الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقي القريض. وشرح على لامية العرب وآخر على بديعية الصفى الحلي واخر على قصيدة جمال الدين ابن مالك في المقصور والممدود وغير ذلك ترجمه في النشر والتقاط الدرر والأنيس المطرب وابو عبد الله محمد ابن الطيب بن مسعود المريني له تأليف في التصوف وابو عبد الله محمد ابن العربي الشرقي، وأبو عيسى المهدي الغزال وأبو العباس احمد بن دادوش وأبو عبد الله محمد البوعصامي وأبو عبد الله محمد بن سليمان وأبو عثمان سعيد التلمساني وأبو الحسن علي مندوصة وأبو عبد الله محمد بن يعقوب وتراجم هؤلاء الثمانية مبسوطة في الانيس المطرب والسيد الشاذلي بن محمد بن ابي بكر الدلائي اعجوبة الزمان في الحفظ والفهم، وقويّ العارضة الفقيه الخطيب المفتي المتوفى خامس عشر جمادى الاولى عام ثلاثة ومائة والف ترجمه في البدور الضاوية وغيرها ابو عبد الله محمد المرابط بن محمد فتحا بن ابي بكر الدلائي العلامة الراوية المفوه خطيب المدرسة العنانية المولود سنة إحدى وعشرين وألف المتوفى يوم السبت خامس وعشري جمادى الأخيرة سنة تسع بتقديم المثناة وثمانين وألف كما في البدور الضاوية وغيرها، وابو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي صاحب جهد المقل القاصر في نصرة الشيخ عبد القادر ونتيجة التحقيق في بعض أهل النسب الوثيق، والقول الكاشف عن أحكام الاستنابة في الوظائف وغير ذلك ترجمته واسعة الاكناف أفردها بالتأليف أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني وأتى فيها صاحب البدور الضاوية بكل مرقص مطرب ولد بالزاوية الدلائية سنة اثنين وسبعين وألف وتوفي بعد زوال يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف وأبو سعيد عثمان بن علي اليوسي من قبيل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي الفقيه المحصل الأديب الماهر تعرض لذكره في ابتهاج البصائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر يعني ابن علي الفاسي وترجم له في النشر والصفوة وغيرهما توفي سنة أربع وثمانين وألف، وأبو عبد الله محمد ابن محمد المرابط الدلائي العلامة

الحافظ النقاد صاحب إشراق البردة على المتعلق منها بأذيال البردة نظم أنيق ربع به البردة البوصيرية توجه بخطبة رائقة فائقة تدل على مهارته واقتداره على السبح في تيار الفصاحة والبلاغة وتصرفه في فنون الانشاء وفق ما شاء، وله غير ذلك وترجمته في البدور طويلة الذيل في سنة تسع وتسعين والف، وأبو عبد الله محمد بن الشاذلي الدلائي الفقيه العالم العامل الأديب الماهر الكامل المتوفى في سادس عشر من المحرم عام سبعة بموحدة ومائة وألف ترجمه في البدور الضاوية وغيرها، والبهلول البوعصامي المكناسي، وأبو العباس أحمد التستاوتي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشاذلي الدلائي نادرة زمانه في الضبط والتحصيل المتوفى عام سبعة بموحدة وثلاثين ومائة وألف ترجمه في البدور الضاوية وغيرها الى غير هؤلاء من القادة الاعلام فرسان المنظوم والمنثور.

استطراد كان للنبي صلى الله عليه وسلم شعراء ينافحون عن الاسلام ويحمونه **منهم** كعب بن مالك الانصاري السَلَمي بفتحتين وعبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي احد النقباء ليلة العقبة وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام بمهملتين الأنصاري الخزرجي وقد مدحه صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة والصحابيات جمع أماديحهم فيه عليه افضل الصلاة والسلام ابن سيد الناس اليعمري بالمهملتين وفتح الميم في مؤلف قارة بهم مائتين ونظم بعضهم اسماءهم في ميمية رائقة وأظنه ابن سيد الناس المذكور وقد أثبت جملة صالحة من امداحهم النبوية رضوان الله عنهم في كتاب تغيير الأسعار.

الباب الثامن عشر في بناءاته وآثاره ذات البال
وفيه ستة فصول

الفصل الاول

مما عثرت عليه مما بناه أو جدده من المساجد والمدارس والمعالم الدينية مسجد الرخام الفاخر ذو البلاطات المتسعة الاكناف والأعمدة الرخامية الماثلة البديعة النقش والاتساق طول هذا المسجد سبع وثمانون مترا وعرضه تسعة أمتار وعشرون سنتيما وبالجهة الغربية منه القبة المربعة الشكل العجيبة الصنع ذات الخصة الرخامية المتدفقة المياه اللجينية العديمة النظير طولها كعرضها في كل جهة من جهاتها الاربع عشرة أمتار وبالجهة الغربية منها المرحاض المزخرف الأنيق البهج يتوسطه صهريج مستطيل من ألطف ما يرى الراءون يجاور هذا المرحاض حمام للعموم إعانة لأهل الدين على عباداتهم في أوقاتها المطلوبة ومنتفى عنهم كل مشقة وعذر يوجب التأخير وخصوصا حاشيته الملازمة لأداء الخمس مع المترجم في الحر والقر في هذا المسجد، ومع الأسف فقد خرب هذا المسجد وطويت صحائف بهجته وتفرقت أعمدته الرخامية شذر مذر ولم تُبق أيدي الضلال النهاب به الا اعمدة خمسا : أربعة لا زالت قائمة بمحالها شاهدة على ضخامة المسجد وعجيب شكله والخامس ملقى على الارض ولا زال محراب هذا المسجد ماثلا للعيان رغما عن انسلاخه عن حلل زينته المزركشة بالنقش والتزويق والزليج البديع الوضع الأنيق وأعد بعض هذا المسجد للدفن، أما القبة لازالت قائمة العين ولم تصب بغير كشط زينتها الزخرفية الجبصية ومن هذه القبة يدخل الآن لما كان مسجدا وللضريح الاسماعيلي ومسجد القصبة التي تقام به الجمعة حتى الآن وفيه يصلي السلطان عندما يكون بالعاصمة السلطانية ولا يكون إمام الخطبة به إلا قاضي البلد اللهم إذا استناب، ولايصلي عامل البلد في غيره إلا لعذر يمثل باحتفاله للصلاة الجلالة السلطانية ولم يزل العمل على ذلك إلا في هذه الأزمنة الأخيرة التي صارت فيها أمثال هذه

العادات من المعادات، وقد يسمي هذا المسجد بعض العوام ومن لا علم عنده بجامع لالة عودة ومن تم ظن بعضهم أنه ليس من البناءات الاسماعيلية وأن بانيته الحرة مسعودة الوزكيتية الورزازية وذلك وهم لا يصح، ولم يحفظ التاريخ أثرا للدولة السعدية بمكناس فيما أعلم وقد أومأت لهذا الظن في أتحاف أعلام الناس وهذا المسجد ينتظم من بلاطات خمس وجناحين وصحن فسيح ينيف طوله عن خمس وعشرين ميترا وعرضه عن ستة عشر، وبهذا الصحن قبتان إحداهما في الجهة الشمالية طولها أحد عشر ميترا وعرضها ستة أمتار وسانتيمات وأخرى في الجهة الجنوبية طولها سبعة أمتار وسانتمات وعرضها ينيف على ستة أمتار وبوسطه خصة من المرمر واسعة الأكناف كان يتفجر منها العذب السلسبيل أما اليوم ماؤها متعذر في جل الزمان لفساد القنوات الموصلة له وتفاحش فيضانه في الأزقة والدور حتى آذى جدرات عديدة لضعفاء الأشراف وطالما ناديت فلم أجد مستمعا وشكوت فلم أجد مسليا ولا متوجعا ومحراب هذا المسجد ومنبره من أجمل وأبهج مايرى الراؤون وبأعلي مقصورته منقوش في خشب بخط كوفي بديع مانصه ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون صدق الله العظيم صنع هذا عام ثمانية وثمانين وألف، وقد كان أصلح هذا الخشب فسقط السفر الموالي لألف الألف فأوقع الكثير من الناس في الوهم وأن ذلك اللوح صنع عام مائة وثمانية وثمانين وذلك وهم لا يصح بحال وبأسطوان هذا المسجد يمين الداخل مدرسة تحتوي على بيوت تسع لسكنى المتعلمين طلبة العلم وغرفة يصعد إليها بدرج ستة عشر وبإزاء هذه المدرسة منار شاهق مسجى بحلته الزليجية الزبرجدية يصعد إليها بدرج مائة وإحدى عشرة، وبه مستودع للآلات التوقيتية واستقرار القيم بالعمل بها في غاية اللطف شامل لجميع المنافع والمرافق التي تدعو إليها ضرورة الانسان ولا يستغني عنها بشر ومن جملة ما انفرد به وامتاز عن غيره من الآلات الرخامة الشمسية الغريبة الصنع المحكمة الوضع آلة كبرى في تحقيق الوقت وتدقيقه وهي فيما يغلب

(1) هنا صورة من الاتحاف 1 126

على الظن من صنع بعض الأسارى الماهرين في ذلك الفن وتاريخ صنعها بالقلم الروماني عام ثمانية وتسعين وستمائة وألف وقد مال بعض الأوروبيين إلى أنها مما أهداه ملك فرنسا للمترجم واستدل على ذلك بأن ملك فرنسا إذ ذاك هو لويز الرابع عشر وقد كان له ولوع زائد بالآلات الشمسية على اختلاف أنواعها حتى دعي بالسلطان الشمسي وقد حفظ التاريخ ماكان بين السلطانين من الهدايا الحبية وقد ناقشته في ذلك بما أوضحته في إتحاف أعلام الناس فأقر واعترف ووراء المدرسة المشار لها غربا صحن فسيح طوله ثلاثون متر وعرضه سبع وعشرون وفي شرقي هذا الصحن سقاية ماء وبالجانب الغربي منه مباح ذو أقواس خمس وأساطين أربع بناؤه باللّبن والجير وطول هذا المباح ثمانية عشر ميترا ومع الأسف فقد خر سقف هذا المباح ولبس الصحن والمدرسة بعد الزينة ثوب الحداد وتعطل ماء السقاية وباسطوان هذا المسجد من الجهة الجنوبية مستراح بديع الشكل بوسطه صهريج ماء مستطيل مفروش بصافي الرخام الجيد ولهذا المسجد بابان أحدهما داخل قصر الستينية الآتي الذكر والآخر بإزاء حومة الدريبة يدخل منه العموم مكتوب على أعلاه في زليج أسود ما لفظه الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه وعبده أمر بعمل هذا الباب المبارك مولانا اسماعيل أمير المومنين أيده الله ونصره وكان الفراغ من إنشائه اوائل جمادى الثانية سنة تسعين وألف وهذا هو مسجد القصبة في نظري الذي أشار اليه أبو القاسم الزياني بقوله ولما ضاق مسجد القصبة بالناس أسس الجامع الأخضر اكبر منه وجعل له بابين بابا الى القصبة وبابا الى المدينة هـ. لأنه لازال الى الآن يعرف بهذا الاسم وقد وهم من نازع في ذلك بدون دليل يعقل وقد سقت مقاله في إتحاف أعلام الناس. ومن ذلك الجامع الاخضر وهو المعروف عند الخاصة والعامة من أهل البلد بجامع الانوار وهو المعني بقول الزياني الجامع الاخضر بدليل قوله وجعل له بابين وبدليل ما ياتي عن صاحب زهر البستان مما سنوضحه فالباب الذي الى المدينة هو الواقع يسار الخارج من القصبة من باب منصور العلج الواقع ببطحاء الهديم في الجهة الشرقية والباب الذي من داخل القصبة هو الواقع غربا من

بطحاء قبة الخياطين **قال** أبو عبد الله العياشي في زهر البستان وكم شيدت ثواقب عزمه من جامع جامع ولا سيما مسجد الانوار الذي هو لاشتات المحاسن جامع فمن سواري رخامية يقارب عددها المائتين وصحن بديع الشكل بهي المنظر رحب المتسع عديم النظير بالعدوتين بوسطه قبة ارتفعت عن أن تقاس بمثال قائمة على أعمدة من الرخام مختلفة الاشكال بزواياها الأربع شبابيك مصنوعة من الخشب أمسكت بصفائح مذهبة أركانها أرضها مفروشة بالرخام وسماؤها وشيت من خشب ملون منقوش بأبهى من طوق الحمام يدخل اليها من جهاتها الأربع وبداخلها خصة رخام لم ير الراؤون مثلها في ضخامة الشكل وسعة الدائرة وإحكام صنعة ترصيف ما أحدق بها من الرخام وبازاء القبة بئر أحدق به أربع خصص صغار نقرت في أرض رخامية قائمة على دائرة مرتفعة بصفة هندسية والى جنب كل خصة حوض يمتلأ منها وبإزاء الصحن المذكور بالركن الذي التقى فيه الربع الشرقي مع الربع القبلي منار يرقى فيه بغير درج بل بترصيف مستوي المعارج مطبق الاعلى فلا يصيب المؤذن فيه حر شمس ولا مطر ولا ينال بصره من محارم المسلمين قطاف وطر ومن محاسن هذا الجامع الاخذ من الاحسان والصنع الجميل بالمجامع أن أسند اليه بربعه القبلي من حيث اتصاله بالربع الشرقي خزانة الكتب مشتملة على قبتين مصونة حلقتها بشباك من حديد قائمة على اربعة قوائم من الرخام وبها من الكتب العلمية ألوف عديدة فيها من كل فن ما يحصل به رغبة القاصدين من العلماء الأعلام من جميع هذه الايالة الشريفة والمملكة الباهرة المنيفة وبخارج المسجد الاعظم الجامع من الجهة الشرقية متصلا به مطهرة معدة للانتفاع يتوسطها صهريج يقذف المياه اليها من أشراف محكمة الرصف ومجاري بديعة الوصف ويتصل به حمام إنقاد له الحسن في زمام معدود من منافعها ومحسوب من مرافقها هـ. لفظه، وقدمنا أن هذا المسجد هو الذي أسسه المترجم لما ضاق به مسجد القصبة ولنا على ذلك أدلة تنفي كل وهم وريب وذلك أن الزياني ومن جاء بعده ممن تعرض لوصف البناءات الاسماعيلية لم يعط هذا العنوان لهذا الجامع مع أنه أحق بالذكر والافتخار من كل مسجد بناه المترجم

بعاصمته او غيرها ولو كان لذكروه ولتعرض لذكره والاعجاب به صاحب زهر البستان عصري المترجم وخديم بابه الملازم لاعتابه المفتخر بآثاره طول ليله ونهاره وشتان ما بين من رأى وبين من سمع على أنه لامانع من أن يكون هذا المسجد هو المعني بقول الزياني ومن تبعه المسجد الأخضر وأن وصفه بالأنوار غاب عنهم وقد لعبت أيدي الخراب بهذا المسجد وذهبت محاسنه وتقلب في أطوار من النحس تنفطر لها قلوب المومنين أشرنا لبعضها في إتحاف أعلام الناس واضمحلت المنارة ولم يبق لها رسم ولا طلل واصبحت المطهرة في خبر كان وخزانة الكتب لم يبق غير جدرانها الماثلة لسان حالها يقول :

إن آثارنـــا تـــدل علينـــا فانظـروا بعدنـا الى الآثـــار

والظاهر ان هذا الاحتفال الهائل الذي خص به سيدنا الجد جامع الانوار حتى انه جعل أعمدته على كثرتها كلها رخام مع القبة الموصوفة والخصة الفائقة الرائقة عظما وحسنا وغير ذلك من أنواع الزخرف والزينة هو الذي قضى للأيدي العادية عليه بالتخريب لسلب ذلك منه ولاسيما عند حصول الاستغناء عنه بعد الدولة الاسماعيلية لا بالنظر للمدينة ولا بالنظر للقصبة فتكون خطبة مسجدها رجعت اليه بعد تخريب هذا والله أعلم. وكان تأسيس هذا المسجد العظيم عام عشرة ومائة وألف قاله في الدر المنتخب المستحسن، ومن ذلك مسجد الانوار المعروف في العصر الحاضر بجامع سوق السباط أنشأه الناظر أبو عبد الله محمد القيسي عام إثنين وعشرين ومائة ألف يدل لذلك ما هو منقوش في لوح خشب مبني عليه بجدار المسجد المذكور لازال قائم العين الى الآن ولفظه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما الحمد لله الذي جعل أهل العلم أنجمًا يقتدى بهم في كل وقت وزمان وزين بالاهتداء بهم كل مكان والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه ما تتابع الملوان هذا وإن مولانا المؤيد بالله الهمام محيي الملة والدين وسالك سبيل الأئمة المهتدين المجاهد في سبيل رب العالمين أمير المؤمنين مولانا اسماعيل بن

الشريف الحسني أيده الله ونصره لما أنهي اليه أمر المسجد الذي أنشأه الناظر الأسعد الموفق الارشد أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد الكاتب القيسي الاندلسي أصلا ونجارا الفاسي نشأة ودارا المسمى بمسجد الأنوار أمر نصره الله باحضار علماء الوقت العارفين بدلائل القبلة وهم السيد محمد بن عبد الرحمان المرابطي والسيد العربي بن عبد السلام الفاسي والسيد حسين الكامل والسيد محمد بن سليمان العوني والسيد عبد الكريم بن مسعود والسيد محمد بن عبد الرحمن العوفي وحضروا بالمسجد المذكور واستعملوا البحث والنظر بطرق علماء الفن والاسطرلابات والدائرة ومقاييس الشمس فادَّاهم اجتهادهم الى ان المحراب هو سمت مكة شرفها الله تعالى على المشهور وأن طول مكة سبع وسبعون درجة وعرضها اثنان وعشرون درجة وطول مكناسة خمس وعشرون درجة وعرضها اربع وثلاثون درجة بتقاطع خطي الطولين والعرضين بالدائرة الهندسية قيدوا به شهادتهم لسائلها في أوائل جمادى الثانية عام اثنين وعشرين ومائة وألف الحمد لله لما ثبت بشهادة اهل العلم المذكورين الواجب تقليدهم للخاص والعام فيما ذكر وجب المصير اليه واتباعه. (إذا قالت حذام فصدقوها). وهذا سبيل الحق وطريقه ففي الخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كل صنعة يرجع فيها الى صانعها أو كما قال عليه الصلاة والسلام وكتب سعيد العميري أعلم بأعماله عبد الله تعالى عبد الوهاب العرائشي هـ. **قلت** الحديث الذي أتى به أبو عثمان سعيد العميري قال فيه الحافظ أبو الخير السخاوي في المقاصد الحسنية ثم تلميذه ابن الربيع انه لم يرد بهذا اللفظ في الحديث وتبعه في أسنى المطالب زاد ابن الربيع في تمييز الطيب من الخبيث ويشهد له ما رواه أبو داوود عن سعد قال مرضت مرضا فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي أنك رجل مفئود فأت الحرث بن كلدة من ثقيف فانه يتطبب هـ. منه والحديث ذكره الحافظ بن حجر في الاصابة في ترجمة الحرث وقال إنه يدل على جواز الاستعانة بأهل الذمة في الطب وقال الحافظ السيوطي في الدرر قال ابن النجار في تاريخه قرأت على

أبي القاسم سعيد بن محمد الهمداني عن محمد بن عبد الباقي الانصاري قال كتب الي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي حدثنا على بن قصر بن الصباح حدثني أبو النضر المفضل بن علي كاتب الراضي أنه حضر مجلس أبي الحسن بن الفرات وعنده القاضي أبو عمر محمد بن يوسف فسأل عن شيء فقال القاضي ابو عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على كل صنعة بأهلها هـ. **ويشهد** في الباب زيادة على حديث الحرث السابق ما أخرجه الامام احمد عن طلق بن علي قال بنيت المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقول قربوا اليماون من الطين فإنه أحسنه لكم فسيسا وروى أحمد عنه أيضا جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد وكأنه لم يعجبه عملهم فأخذت المسحات فخلطت الطين اعجن فقال دعوا الحنفي والطين فانه اضبطكم للطين وعند بن حسان فقلت يا رسول الله أنقل كما ينقلون قال لا ولكن خلط لهم الطين فانت أعلم به هـ. ولقد أحسن القائل :

وكل أمر له قوم به عرفوا فاندب لكل مهم أهل بلواه

ومن ذلك مسجد باب البرادعيين الشهير وكان تأسيسه تحت نظر وزيره علي بن يشوا وذلك عام واحد وعشرين ومائة وألف وهذا التاريخ هو المرموز اليه باحرف (شانك) في الابيات المرسومة في لوح من خشب باب مقصورة المنبر بالجامع المذكور ودونك لفظها :

أنا منبر للذكر والوعظ أنصب دوائي لأمراض القلوب مجرب
ومولانا اسماعيل عز عن أمره تأنق في صنعي الوزير المهذب
علي بن يشوا راجيا فضل ربه وإن رمت تاريخي (شانك) يحسب

ومن ذاك جامع الزيتونة المسجد البهي البهج تبتهج فيه النفوس ويزول فيه القنوط والبؤس وكان تأسيسه له عام تسعة وتسعين وألف حسب ما صرح بذلك صاحب الدر المنتخب وغيره ونصب منبره في التاريخ المذكور ودونك شاهد ذلك وهو منقوش على المنبر لفظه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا

ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما صنع هذا المنبر عام تسعة وتسعين وألف هـ.، **ومن** ذلك مسجد أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشتراءي الولي الشهير قرأت فيه فيما سلف ما يدل لذلك وقد غاب عني الآن وفي ظني أني أثبت ذلك في اتحاف اعلام الناس، وبعد كتبي هذا قرأت في مدد التأييد في ترتيب المحفوظات والتقاييد وهو كناشة الوزير ابي عبد الله محمد بن أحمد بن الحسن اليحمدي وقد أخْنى الدهر على هذه الكناشة أو المذكرة والذي جمع البقية الباقية من ذلك الاثر الفذ هو أبي عبد الله محمد الجنان ومن خطه نقلت أن المترجم هو الذي بنى ضريح ابي عثمان هذا وسائر ملحقاته ومسجد الشيخ علي بن منصور خارج مكناس ومسجد الشيخ الجزولي بمراكش. وقال بعد كلام قلت فلو راه الناقل اليوم وقد بني عليه قصر بالاذن الامامي الهاشمي الاسماعلي إمام ملوك المغرب، ودرة اشرافها المدخرة فيهم العظيم المآثر والمناقب بكل لسان معرب لاعترف انه الجوهر الفرد والمفرد العلم وعنقاء مغرب ولدعا له بالرحمة والرضوان، ما تعاقب الملوان. قال ومما بناه أيضا بمراكش الزيادة المتصلة بقبة ضريح سيدي ابي العباس السبتي وضريحي السهيلي والقاضي عياض قال وبني ضريح الشيخ محمد الشرقي بتادلا هـ. ملخصا **ومن** ذلك المسجد الأعظم الحافل الذي فاخرت به الأواخر الاوائل الذي أسسه بمدينة الرياض العنبري واهتبل به غاية الاهتبال وحبس عليه دورا ودكاكين واسواقا وحمامات وغير ذلك مما له أهمية واعتبار قرأت في بعض التقاييد التي كاد ان يقع القطع بصحة ما فيها والعقد الحبسية التي لايتطرق اليها ادنى ريب من ذلك ما لفظه الحمد لله الذي لايضيع أجر من احسن عملا. ولا يخيب لمن أخلص اليه النية أملا. والصلاة والسلام على سيدنا محمد آخرا وأولا وبعد فإن مولانا أمير المؤمنين. الموفق بتوفيق المعين. المتوكل في جميع أموره على رب العالمين. المنتخب من عترة النبي الطاهر لصالح الدنيا والدين. عز الاسلام والمسلمين. تاج الملوك المجاهدين. الملك الهمام الذي اعتز الاسلام تحت لوائه. ورتع الأنام

في ظل هديه الصالح واهتدائه وأسس قواعد الملك الذي أفاق على ثواقب الكواكب شامخ بنائه ذو المجد الأثيل. والفخر الأصيل أبو الوليد مولانا اسماعيل. شكر الله أنظاره. وخلد مآثره وآثاره وعمر بالنصر العزيز منازله ودياره. ابن مولانا الشريف. العلي القدر المنيف. لما وصل الله بخلافته العلية ماعود. ومتع مما خول واعان على ما خلد أعلى الله منار عدلها. وشكر مكارم قولها وفعلها جاهد في الله حق جهاده حتى استخلص من أيدي الكفار رقاب عباد الله وحصون بلاده وجدد ما اندثر من العمائر وشيد ما تركه الأوائل للآنام من المآثر الى غير ذلك من المآثر الحسان الدالة على معاليه في كل زمان اللهم كما نصرت به الدين وأيدته على اعدائك الكافرين وجعلته رحمة للعباد وعصمة للبلاد ونغمة لأهل الفساد فاكرم اللهم خلافته العزيزة بطول البقاء والزم اوامره وصوارمه أقوم الاضاء وحين بوأه الله المراتب العلية والافعال الزكية المرضية صرف همته لتشييد المساجد وتشهير المعاهد وخصوصا مسجد المدينة العليا الجديدة العنبرية الذي جعل له من الأوقاف داخل المدينة وخارجها ما هو مرسوم بالورقات الثلاث قبل هذه المواليات لها وقف شهيداه الواضعان لاسميهما عقب تاريخه مع ناظر المسجد المذكور في حينه وهو المكرم عبد الوهاب بن الناظر المكرم عبد العزيز حجاج على عين جميع اوقاف المسجد المذكور عمره الله بدوام ذكره داخل المدينة المذكورة وخارجها كل وقف منها على انفراده وحازه معاينة وجدد الحوز، ولما تحقق عند العلامة القاضي بحضرة مولانا العلية وخطيب منبرها العالي المخصوص لديه بترفيع المزية المصروف اليه خطاب القضاة بأيالته الحسنية قاضي الجماعة. ومصرف الاحكام المطاعة سيدي محمد أبو مدين بن حسين السوسي ما عليه الناظر المذكور من الحزم والسعي في المصالح والعزم أوصاه أن يعمل على ما يقربه الى الله من مرضاته. ويظفر بجزيل مثوباته. وفي اواسط رجب الفرد عام ثمانية ومائة وألف الحمد لله يشهد واضع اسمه عقب تاريخه بمعرفة المواضع المقيدة بالقوائم الست بمحوله مع ما في القائمتين اعلاه معرفة تامة كافية ويشهد مع ذلك بأنها محبسة على المسجد الأعظم من المدينة العليا المختصة عن الاذن

العالي بالله من قبل مولانا المنصور بالله الامام العدل المعظم المتواضع لذكر الله ورسله فرع الدوحة الحسنية وأمكن ركناها حامي حمى خلافة الاسلام مولانا اسماعيل بن مولانا المقدس مولانا الشريف الحسني أمده الله بعزيز تأييده وبمعونة نصره ورشده آمين وهي المسماة بالرياض العنبري عمره الله بدوام ذكره وحرسها حبسا يجري مجراها ولا يحيد عن طريقها وسبيلها مؤبدا ووقفا مخلدا الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فمن عرف ذلك كما ذكر قيد به شهادته في أواخر جمادى الثانية عام ثمانية ومائة وألف الحمد لله الذي جعل الخلافة شمسا من عنصر النبوة فاضت على أديم البسيطة أنوارها. وارتفع الى السُّهَا والفراقد منارها. وتألق بالاصباح نهارها ولاحت في سماء المجد بدورها وأقمارها. وهزت عطف الزمان انتشاء مناقبها الشريفة وأخبارها. وفاض لبركتها على أكناف المعمور خضمها الزاخر وتيارها. والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ظهرت نبوته قبل ولادته وبشرت الأحبار والرهبان بعموم رسالته وخرقت له حجب الآفاق وفرجت له السبع الطباق فحاز على كافة الانبياء والمرسلين خصال السباق. صلى الله عليه وعلى آله والرضى عن اصحابه صلاة كاملة ورضى تاما وسلم كثيرا اثيرا. أما بعد فان الله تعالى قد اختار لصلاح هذه المغارب من سعد به الحاضر والبادي والشاهد والغائب الامام المنتخب من عشرة النبي الذين علوا مناقب ومناصب. ورقوا الى اشرف المنازل والمراتب. الملك الهمام حافظ بيضة الاسلام. وكافل أمة النبي عليه السلام صاحب الفتوحات المتسقة النظام. جمال الانام. تاج الأمارة عز الاسلام. الذي أسفر عن صبح النصر العزيز نصله واشتمل على خواص الشرف الاصيل جنسه وفصله. وطابت فروعه لما استمد من ريحانة الجنة أصله. ذا العزم الأمضى والسعي الارضى. الملك المنصور أبا المآثر الحسان والمفاخر السلطان المجاهد مولانا اسماعيل بلغه الله من رضاه أقصى مسؤوله. وأعانه على جهاد عدو الله وعدو رسوله ابن مولانا الشريف بن مولانا علي جدد الله عليهما ملابس الرحمة وجزاهما أفضل

ما جزى الصالحين من ملوك هذه الامة لما ولاه الله أمر عباده. وبسط يده في أرضه وبلاده. ونصره على أعدائه وأيده في أرضه بملائكة سمائه. واستقر ملكه الشامخ البناء بمدينة العز مكناسة الغراء. دار ملك الجهاد وكرسي دار الإمارة المظفرة العساكر والأجناد. عصمها الله ووقاها. وحفظ بها كلمة الاسلام وابقاها فلما استقر بها ملكه الاشرف وانعقدت بالنصر العزيز راية الفتوحات على قناة العدل الذي عليه مدار الامور. وأعشا الى نور سراجه الوهاج الخاصة والجمهور. ضاقت المدينة المولوية بجيشه المنصور أمر أيد الله أمره. وأيد مجده وأدام تأييده ونصره. ببناء المدينة الجديدة العنبرية المختطة بالأمر السلطاني المؤيد بالتأييد الرباني. لا زال نافذا بعون الله ميسر المآرب ومطاعا له في جميع اقطار المغارب. فبنيت صانها الله من طوارق الحدثان وحاطها من سوء ما يجري به الملوان. وأسس بها مسجدا للخطبة عتيق وبني عن أمره العالي بناء حسنا وثيق. وصل الله عوائد صنعه الجميل لديها وعمره بدوام الذكر والعبادة الى أن يرث الله الارض ومن عليها. ولما كمل بناؤه وأعانه من له القوة والعون سبحانه على ذلك حمد الله تعالى وأثنى عليه. الذي وفقه وأعانه عليه. ورجا كمل الله رجاءه ان يدخل تحت عموم حديث الصادق المصدوق صلوات الله عليه وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا بنى الله له في الجنة أوسع منه وقوله صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا يبتغي به وجه الله العظيم بنى الله له مثله في الجنة الى غير ذلك من الأحاديث النبوية. وصحاح الاخبار المصطفوية وأمر أيده الله أمره عام ستة ومائة بعد الألف بجلب الماء له من عين البيضاء في قادوس مختص به ويكون الموضع الذي يجري فيه القادوس حبسا عليه من العين المذكورة الى المسجد الجامع المذكور في جميع الاملاك السلطانية وألزم ناظر المسجد المذكور في حينه وهو المكرم عبد الوهاب بن الناظر المسن المكرم محمد بن عبد العزيز حجاج مع من له النظر العام والأمانة الكاملة في أمر البناءات كلها السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها بداره العلية حرس الله رفيع اعتابها. وصان من طوارق الحدثان على ابوابها ناصح خدمته السلطانية في السريرة والعلانية وهو الطالب محمد بن الثقة

الخير خديم أهل كتاب الله المحب لآل بيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم السيد محمد الكاتب شهر الاندلسي نجارا الفاسي دارا ومنشأ
وقرارا بالوقوف التام على خدمة ذلك الماء حتى يصل الى المسجد
الجامع المذكور فوقفا عليه وصرفا كليتهما اليه حتى بلغ على مقتضى
غرضه السلطاني فجعل ثلاثة ارباعه للمسجد المذكور والربع الواحد
الباقي منه للسقاية التي هنالك بأزاء المسجد تقبل الله عمله وبلغه في
نصر الاسلام وصلاح الآنام أمله ولما علم من قوله صلى الله عليه
وسلم ما علم من أنه عليه الصلاة والسلام قال من بنى لله مسجدا
بنى الله له في الجنة أوسع منه أراد حصول تلك الفضيلة فأمر أيده
الله بزيادة صفين إثنين ليوسع بهما فزيدا على مقتضى نظره الى الامامي
المقرون بالبركة قبلي المسجد الجامع المذكور وصل الله سعده وأناله
الثواب الجزيل فيما قصده والحمد لله ولي التوفيق والتسديد المتكفل
لمن شكره بالمزيد ولمن توكل عليه بالاعانة والتأييد. وصلى الله على
سيدنا محمد نبيه الذي اصطفاه من العبيد وجعله السبب الاوصل في
نجاة الناجي وسعادة السعيد. وعلى آله وصحبه صلاة لا تنقطع أبد
الأبد ولا تبيد. فحبس من الاوقاف بداخل المدينة وخارجها ما يذكر
ويعين ويفسر بعد ان إن شاء الله فالذي بداخلها أمنها الله وحماها
جميع الدار المتصلة بغربي المسجد المذكور وجميع الدار ذات البيوت
المتصلة بشرقي المسجد المذكور وجميع الطراز المسند للسقاية الكبرى
المنشأة هناك قرب المسجد المذكور وهو الذي صار الآن دارا والحمام
الجديد المقابل لقبلى المسجد المذكور بفرنه ومنافعه وجميع الفرن الذي
بأعلى الحمام قبلى المسجد المذكور وجميع النصف الواحد على الشياع
في كافة فندق ابن عزوز صاحب افراك في شركته بالنصف الآخر
على مقربة من باب الرياض المواجه لسيدي سعيد بن أبي بكر نفعنا
الله به وجميع الحوانيت الثلاثة التي بأسفل باب الميضاة مع البيوت
المسندة اليه وجميع الحانوتين المتصلتين بالقنت المواجه لداخل الرياض
من بابه الأكبر باب ثلاثة فحول اسفل دار الباشا منصور الرامي
وجميع التسع حوانيت المتصلات بداخل الرياض أمام بابه النافذ لقرب
الولي سيدي سعيد مبدؤهن من الحانوت الثانية لحانوت القنت المواجه

للباب المذكور بصف واحد وجميع الحانوت الصغرى التي برحبة التبن عن يسار الصاعد غربا بعد دخوله من الباب المذكور والذي بخارجها جميع الأربعين حانوتا عن يمين الصاعد لباب المشاوريين أحد ابواب مكناسة وجميع موضع الاثنى عشر حانوتا المتصلة بها من جهة روضة سيدي عبد القرش وجميع التسع الحوانيت المتصلة بالأربعين من أعلى التي بناها حجاج وكل الحوانيت صف واحد في اعتمار صنعة الذميين عددها إحدى وستون حانوتا بجميع ما لذلك من المنافع والحرم وكافة الحقوق الداخلة والخارجة ليصرف من فوائد الحبس ما يفضل عما يحتاج اليه أصله من الوجوه الضروريات مما يبقى اصل الحبس معه محوطا فيما يحتاج اليه المسجد المذكور الجديد من إصلاح مبانيه ومياهه وحصره وزيت الاستصباح وراتب القائمين بأموره وغير ذلك مما يحتاج اليه ومن إنشاءاته المحبسة جميع المكتب المسند الى المسجد المذكور لتعليم أولاد المسلمين قراءة القرآن وجميع السقاية التي هناك صير على بنائها مائة مثقال دون الخشب وجميع المنجرة المتصلة بالمسجد المذكور لخدمة الخشب لاصلاح المسجد وأوقافه وصير في جلب الماء من العين البيضاء الى المسجد المذكور ما يذكر مفصلا من ذلك ثمانية وعشرون قنطارا من الزيت من معصرة مولانا السلطان المظفر المنصور وثمانية وعشرون ألفا من القادوس الثلثي مرفوع في جملته بين الفخار ألفا أوقية اثنان دراهم في جملة القادوس وحده وأربع كوشات من الجيار مرفوع في جملتها مائة مثقال دراهم وأجرة المعلم القوادسي عن عشرة أشهر ثلاث مائة أوقية دراهم وهي عن مدة خدمته كلها من ابتداء ذلك الى انتهائه أيد الله مولانا المنصور (تضبيب) والمال المرفوع في بناء الصفين الاثنين على يد الناظر المذكور اللذين أمر مولانا بزيادتهما قبلي المسجد الجامع صرة من التبر بيعت بمائة وثلاثين مثقالا دراهم وصيرت في بناءهما حسبما عين ذلك مولانا لهما في ذلك (تضبيب) وكل المال المصيّر في بنائهما وفي جلب الماء للمسجد المذكور وفي بناء السقاية والمكتب لتعليم الصبيان هو من مال مولانا الخاص به اخلص الله قصده الجميل وأناله فيما قصده الثواب الجزيل وخلد مآثره وآثاره وعم بالنصر العزيز منازله

وديارة ولما دام توفيق مولانا وتسديده حبس أدام الله أيامه ونصر أعلامه ماء آخر من الوادي على المسجد المذكور يطوى له قادوسه وحده ويصير المحل الذي يدفن فيه القادوس حبسا عليه كالأول في جميع املاك مولانا السلطانية من الوادي الى أن يصل للمسجد الجامع المذكور.

ومن ذلك تأسيسه مسجد الخطبة بالضريح الادريسي بزرهون ووظف به من يقوم بوظائفه الدينية وأوقف عليه أوقافا ذات بال وشيد مناره البهي الرائع ورتب به المؤذنين والموقتين وأودع به من آلات التوقيت كل عجيب وعين للمقيمين الرواتب الكافية وألزمهم القيام بما رشحوا له فالتزموه وبنى بجانبه الجنوبي مدرسة ملصقة به للطلبة والمهاجرين ورتب لهم كل ما يحتاجون اليه ويكون إعانة لهم على ما هم بصدده من التعليم والاقبال عليه بكل جد واجتهاد وحزم وعزم.

وسبب تحويل المدرسة بإزاء الجامع الاعظم من هذه الزاوية الادريسية لدار الاضياف بسراك الحرم الادريسي وزيادتها في المسجد المذكور هو طلب نقيب الشرفاء الادريسيين بزرهون وعدد من ابناء عمه والعامل والقاضي ذلك من جناب المخزن السعيد لضيق المسجد عن المصلين خصوصا في الجمع والمواسيم وذلك بتاريخ (...) فكتبت وزارة الأحباس لناظر زرهون تخبره بطلب الشرفاء وتأمره بتقديم ما يحتاج اليه من الصوائر على زيادة المدرسة في المسجد المذكور وبتعيين المحل الذي يصلح ان تنقل اليه دار الاضياف المشار اليها عند نقل المدرسة اليها وتوجيه البيانات الشافية عن ذلك كله مع ابداء رأيه في الجميع وذلك بتاريخ 7 جمادى الثانية عام 1343 فكتب الناظر مستظهرا مصلحة ما ذكر من التحويل وأن المحل الذي يصلح ان تنقل اليه دار الاضياف هو محل الأحباس الذي كان سجنا بحومة الحفرة حيث عينت الحكومة المحلية محلا آخر لتلاشي سقفه ووجه صحبته مواجب تقويم العراف بالقدر الذي يصار على المحلات وهو فرنك 58 500 وذلك بتاريخ 24 جمادى الثانية عام 1343 هـ. ثم بتاريخ 24 رجب عام 1343 هـ. ورد من الوزارة المذكورة كتاب مضمنه أن الامر أنهي الى علم سيدنا المقدس فقال تنقل وعن أمره الشريف

يقف الناظر بأرباب البصر لتقويم صائر نقل المدرسة لدار الاضياف ونقل دار الاضياف لمحل السجن المذكور وجعل موجبين بذلك وأعلاه سمسرة ما ذكر ثم كتب الناظر بتاريخ ثاني رمضان عام 43 مجيبا عن الصادر له في تقويم صائر نقل المدرسة مع صائر نقل دار الاضياف لمحل السجن فانه وقف بارباب البصر على محل السجن وجعلوا له موجبين أحدهما ببناء بيوت 7 سفلى محل السجن مقوم بفرنك 350 24 والثاني ببناء السفلي والفوقي بالمحل المذكور قوم ذلك بفرنك 550 29 كما قوموا صائر اصلاح دار الاضياف بسراك بفرنك 000 7 وانه اعلن سمسرة المناقصة في ذلك فوقفت في الموجب الاول بفرنك 500 18 ووقفت في الثاني بفرنك 250 25 وكذا وقفت في اصلاح دار الأضياف بفرنك 250 5 فوجهت الوزارة حوالة بنكية بفرنك 500 18 من قبل السجن وبفرنك 250 5 من قبل دار الأضياف وذلك بتاريخ 25 رمضان عام 43 ثم ارسل الناظر طالبا من الوزارة المذكورة حوالة بفرنك 605 1 من قبل تبديل مدخل دار الاضياف الذي بسراك فأرسلتها له الوزارة المذكورة بتاريخ 20 صفر عام 44 وبتاريخ 9 جمادى الثانية عام 1344، كتب الناظر معلما بإتمام إصلاح المدرسة ودار الاضياف ووجه موجب تقديم بناء المدرسة القديمة التي زيدت بمسجد الخطبة بناء على الوارد في ذلك من المخزن وبيان قدر ما يلزم لذلك من الصوائر والتحسينات وقدره فرنك 500 37 فأجيب من الوزارة المذكورة بالامر بإعلان سمسرة المناقصة ثم بعد ما ذكر وقع ارتفاع في مواد البناء وجعلت خريطة لما ذكر وقوم ما يلزم في الصوائر على الزيادة في المسجد تقويما آخر بفرنك 115000 وبعد المخابرة مع الوزارة وقعت المقاطعة اخيرا مع بعض المعلمين فيما ذكر بفرنك 60000 ووجهت الوزارة بتاريخ رجب عام 44 حوالة بفرنك 60000 ثم بتاريخ قعدة عام 44 كتب الناظر للوزارة معلما باتمام محل المدرسة المزيد في المسجد الأعظم وأن ذلك موافق لشروط موجب التقويم مبينا ما زيد في البناء الذي هو من الضروريات اللازمة للمحل الذي يشمله التقويم وطلب من الوزارة قيمة المزيد وقدره فرنك 7000 فوجهت الوزارة حوالة

بفرنك وذالك بتاريخ 11 حجة عام 1344» هـ. **وبنى** اي المترجم المرحاض وجلب له الماء لذلك كله وبنى دورا ومكاتب ومواضع عديدة لنزول الأضياف والضعاف والمنقطعين وأجرى على المصارف اللازمة في القيام بشؤونه جرايات وبنى عدة مكاتب لتعليم الصبيان القرآن الكريم واعتنى بذلك كامل الاعتناء **وبنى** قبة الضريح الادريسي المذكور بما تحتاج اليه من المنافع والمرافق وذلك كله عام عشرة ومائة والف ودليله ما قرأته منقوشا في الرخامة الملصقة في الجدار المواجه للداخل من باب قبة الضريح ودونك لفظه :

هاذه روضة بها خير هادي	بضعة المصطفى وعين الرشاد
ملك طهر الالاه به الغر	ب من الشرك والشقا والعناد
واستقامت له الحشود وقد كا	نت زمانا بالغي في كل وادي
فاذا ما نسبته فرسول الـ	ـله في الغرب رافع الاجداد
وتأدب فأنت ما بين صوم	وصلاة وسنــة وجهـــاد
وتلطف فأنت ضيف إمام	في حماه علاج كل فـؤاد
خصه خالق الخلائق بالفضـ	ل وأحيى به أقاصي البلاد
فسل الله ما تشاء من الفضـ	ل فليس لفضله من نفـاد
وتوسل بالمولى ادريس واقصد	في علاه بلوغ كل مـراد
وابتهل للالاه في نصر مولى	شأنه السعي في صلاح العباد
شاد هذا المقام والفعل منه	خــالص لكـــريمه الجواد
عام ألف ومائة بعد عشر	من سنين الشرور والاسعاد

أما باب حفاة هذا الضريح الذي منه يدخل لما ذكر من المسجد والمدرسة المقابل أي الباب للباب المعروف هنالك الآن لباب المعراض فكان تمامه عام إحدى عشر ومائة وألف ودليله ما قرأته مما هو منقوش في زليج أكحل بأعلى الباب وهذا لفظه :

هذا مقام الحسني الـذي	وصل أهل الله من بابـه
أنشأه السلطـــان محتسبـــا	للـه في مـوصول أسبابـه
على يد الكاتب في ايقش	ناظـر الأحبـاس في آلائــه
بشرى لمن قد جاءه زائرا	ومـــرغ الخد في أعتابـــه

على ما في البيت الثالث من مما لا يجوز في الصناعة الشعرية وعلى ما في البيت الرابع من المبالغة الشعرية التي لا ينبغي الاغترار بها اذ لا يجوز في الشريعة الاسلامية تمريغ الخدود بالاعتاب كيفما كانت وقد عده ابن حجر الهيثمي بل وما هو ادنى منه من الكبائر هذا ان لم يقصد به العبادة والا فهو كفر كما في غير ديوان وقد ذكر الشيخ زروق في قواعده أن الزيارة لا تجوز اذا كان هناك منكر من تقبيل جدران القبر وغيرها فكيف بالتمريغ انتهى.

فانظر هذا مع قول صاحب البستان ومن تبعه ان بناء الضريح يعني وما معه كان سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف وتيقن ان الحق ما نقلناه وبدليل المشاهدة أيدناه ثم بنى الحوانيت والفندق والحمام والسقايات وجلب الماء لذلك كله وبنى ضريح المولى راشد ومسجده مولى مولانا ادريس الأكبر وكافل ولده مولانا ادريس الازهر رحم الله الجميع ورضي عنهم آمين وبنى حول ذلك عدة بناءات ثم ادار البناء على الجميع ليطمئن الزائر والقاطن وذلك كله على يد عامله ابن الاشقر قاله في الدر المنتخب والحلل البهية وهو مخالف بظاهره لما للحلبي في الدر النفيس ولفظه أما المسجد الجامع الذي حذاء الروضة فقديم والله أعلم انه من عهد مولانا ادريس فيما يظهر ولم أقف على خبر أمره ولكن فهمت ذلك بالعرف المألوف أن المسجد بني بقرب قبره المبارك كما يفعل بقبور الصالحين وقيل انه محدث هـ. فقوله محدث يعني أحدثه غير المولى اسماعيل لان الحلبي كان في زمنه وألف تأليفه المذكور قبل بناء المولى اسماعيل لهذا الضريح بما احتوى عليه وكان انتهاء الحلبي من تأليف الدر المذكور يوم الاربعاء موفى عشرين من ربيع الثاني سنة ثمان وتسعين وألف، وهذه المخالفة انما هي بالنسبة للمسجد والذي يظهر ان المسجد الذي وصفه الحلبي بالقدم هدّه المترجم ووسع أكنافه وبالغ في تنميقه وإتقانه في التاريخ المشار اليه وبهذا تنتفى المخالفة والله اعلم، وقد قرأت فيما هو منقوش في خشب مظللتي باب المسجد المذكور وباب المدرسة الملصقة به ما لفظه النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا اسماعيل أمير المؤمنين.

ومن ذلك الضريح الادريسي بمحروسة فاس وكان تاسيسه له عام

ستة ومائة وألف ودونك نص ما يشهد لذلك :

ألا أرفع ناظريك التّي حينا تجد حسنا يسر الناظرينا
ومتع في المشاهد منك لحظا وما رقمته أيدي المتقنينا
ونزه طرف طرفك في رياض وأورده بها عذبا معينا
كأني من قباب جنان عدن أتت تدعو اليها المتقينا
علو شامخ في الأفق سام يلوح لقاعدين وقائمينا
وتوجني الجمال بتاج عز يدوم على دهور الداهرينا
فليس على قرار الارض مثلي من آثار الملوك الغابرينا
إذا ما شاهد الانسان صنعي وحسن تأهلي للآهلينا
يقول بلفظ إخلاص وصدق تعال الله خير الخالقينا
أنا مأوى العبادة في العشايا وفي الغدوات مثوى الصالحينا
إذا وافى الي غريب دار لصرف الدهر قد أمسى حزينا
يوفى عاجلا خيرا وأجرا ويوتى عاجلا دنيا ودينا
فهاذي هي المكارم والمزايا فدع ما يدعى للمدعينا
وكيف وقد أقمت على ضريح حوى حرما مدى الدنيا أمينا
ضريح إبن النبي المصطفى من خيار الانبيا والمرسلينا
محمد سيد الاكوان طرا حبيب الله رب العالمينا
عليه صلاة ربي كل وقت تحيي روحه حينا فحينا
الى مولاي ادريس المعلى تشد رحال ركب الظاعنينا
تود الناس لو حامت حماه ولو فوق البسيطة مسحبينا
فكم له من كرامات توالت تميزها عقول المخلصينا
يفيء عليه ظلي وهو ظل ظليل وارف للزائرينا
واحمي الشمس عنه وهو شمس يضيء شعاعها للمبصرينا
فيا بشرى لأهل الغرب بشرى ومازالوا به مستبشرينا
وأسسني وشاد علا بنائي على التقوى أمير المؤمنينا
سليل المنتقى من نسل فهر شفيع الأولين والآخرينا
أبو النصر المؤيد في البرايا بإذن الله خير الناصرينا
خليفة ربنا فينا علينا عليه اسبل الستر المبينا

شريف طاهر ملك همام إمام الأولياء المرشدينا
أناله ربنا نصرا عزيزا وفتحا دائما أبدا مبينا
وجرد سيفه المنصور حقا على القوم العداة الكافرينا
لدى مولاي اسماعيل فضل كثير لمن يرى في السابقينا
أدام الله في العلا بقاه على مر الليالي والسنينا
بإذن الله شد حزام حزم وعزم واعتناء المعتنينا
خديم علا حماه ابو علي بني الروسي نصيح الناصحينا
الى أن صرت في أبهى كمال ورب الناس يجزي المحسنينا
فيا من قام بي ورءا مقامي من الداعين والمتعبدينا
قل اللهم عفوا عن مسيء غدا من قيد غفلته مهينا
واسعد جمعنا هذا بفضل واصلح حال كل المسلمينا
وتاريخي بدا في زي شوق بيمن الله هادي المهتدينا
وصل صلاة اكمال بخير على خير الخلائق اجمعينا

ثم في عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف جدد هذا البناء على يد ولده الابر وخليفته الاطهر سيدنا الجد الأكبر مولانا زيدان ودونك شاهد ذالك :

بحمد الله يبدأ كل أمر له بال وبالحمد الختام
كذاك صلاة ربي كل وقت على المختار ما انسكب الغمام
محمد اشرف الكونين طرا وتاج الرسل فهو لهم إمام
وآل المصطفى الاطهار من قد سموا قدرا فهم غر كرام
واصحاب نجوم سما المعالي حموا دين الهدى ثم استقاموا
ألا يا زائرا بشراك هذا ضريح ابن الرسول له مقام
وذا مولاي ادريس أبوه إمام الغرب إدريس الهمام
سليل الأكرمين بحار جود نزيلهم عزيز لا يضام
لسنة جده المبعوث أحيا وكان الكفر عم له ظلام
أجاب الناس للاسلام طوعا ومن كرهوه عاجلهم حسام
لقد شاعت كرامته وذاعت سل الركبان أو من قد أقاموا
ألست ترى ذوي الحاج صفوفا على باب الضريح لهم زحام

فعند القبر سل مولاك واطلب   بذل والدموع لها انسجام
ترى سر الالاه هناك حقا   عيانا ليس يلحقه اكتتام
ولذ بحماه تدرك للأماني   هناك القصد يدرك والمرام
وسل تعط المنى من غير شك   مواهبه الجليلة لا ترام
به فاس تفاخر كل قطر   وحقا لها الفخار المستدام
بها الدين القويم بها علوم   بها العباد قد صلوا وصاموا
بها ما شئت من دين ودنيا   عراق لا يدانيها وشام
على التقوى مؤسسها بناها   وركن الدين ليس له انهدام
نعم بابن البتول سمت وجلت   بمدفنه لساكنها احترام
وقدام الامام ابو المعالي   ومن ولدته سادات عظام
هو المنصور اسماعيل مولى   أتته خضعا سام وحام
إلاهي ملكه خلد بعز   ونصر دام ليس له انصرام
وكن عونا له في كل أمر   وحط واحفظه يا من لا ينام
بتجديد الضريح يروم أجرا   من الرحمن ان فخر الآنام
على يد نجله النجم المرقى   الى العلياء فهو لها سنام
فزد مولاي زيدانا فخارا   بما أولاك مولاك السلام
لقد حسنت بك الايام حتى   كأنك في فم الدنيا ابتسام
فبارك يا إلاه العرش فيه   وابغه في اعتزاز لا يسام
فذي آثاره سرح جفونا   ترى حسنا يزينه الوئام
كأزهار بروض أو كدُرٍّ   نفيس زاد منظره انتظام
أءال البيت إني لكم محب   ولي في مدحكم أبدا غرام
وأنتم عروتي الوثقى وسؤلي   لديكم حرمة ولكم ذمام
وعنكم اذهب الرحمن رجسا   وطهركم مآثركم ضخام
ولستم بالذي ينسى محبا   لكم وبكم له أضحى اعتصام
وتاريخ البنا في الغرب يبدوا   لشخص بالحساب له اهتمام
على الهادي صلاة الله تترى   كعرف المسك يعقبها السلام
وآل ثم أزواج وصحب   يفوح شذاها ما غنى الحمام

أشار بلفظة الغرب لتاريخ البناء وهو 1133 ... اذ الراء تعد بمائتين

واللام بثلاثين والباء باثنين والألف بواحد والغين بتسع مائة.
وبنى منار مسجد الضريح المذكور عام ثلاث ومائة وألف، وشاهدُ ذلك ما وجد مقيدا في بعض التقاييد الموثوق بصحتها بخط من عرفت عدالته مما كان منقوشا على أحد جدرانه ونصه الحمد لله عن اذن سيدنا أمير المؤمنين. المجاهد في سبيل رب العالمين تاج الشرفاء الاطهار وشمس الخلفاء الأخيار. السلطان الجليل أبي النصر مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف. العلوي الحسني المنيف. أيد الله تعلى نصره. وأيد أوامره وخلد في المكرمات ذكره. آمين شيد هذا المنار البديع. ذو الشكل المؤنق الرفيع. على يد خديمه الأنصح. الحازم الأنجح. معظم شعائر الله. ومحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم القائد أبي علي بن القائد عبد الخالق الروسي تقبل الله أعماله وبلغه من خير الدارين آماله. وكمل صنعته المحكمة وتشييده البهي الاقوم عام ثلاثة ومائة وألف رزقنا الله خيره. ووقانا بمنه ضيره وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه. وجميع أحبابه وحزبه هـ.، وليس هذا المنار المنظور أعلاه هو الموجود الآن بالمقام الادريسي وانما هو منار كان قبله بني في التاريخ المذكور على الاقواس الى ناحية باب المسجد القديمة التي هي الآن عن يمين الداخل للقبة ومنها يدخل اليها وكان على شكل بديع مثمن مرصع بالزليج الملون ولما وقع توسيع المسجد وتجديده بعد العصر الاسماعيلي هدم هذا المنار في جملة ما هدم وشيد المنارُ الموجود الآن قبالة قبة الضريح في جوار الصحن الغربي هـ.
ومن ذالك المسجد الاعظم بطنجة ومناره البديع الرائق ومسجد القصبة القديمة بها، ومسجدان ومدرسة وحمام بثغر العرائش وذلك بعد فتحها عام واحد وتسعين وألف، ومسجدان بأصيلا وحمام ومسجد قصبة تادلة، وزاوية ابي محمد عبد القادر الفاسي بفاس ومسجد أبي العباس أحمد الشبلي دفين مكناس وضريحه، يدل لذلك ما قرأته بأعلا القوس الواقع يسار الذاهب من نهج القبابين لضريح السيد عبد الواحد الاشقر المجاور هو أي القوس لسقاية السبيل يسار الذاهب لضريح الشبلي المذكور ودونك لفظه :

يا ناظرا حرم الولي أحمد الـ شبلي وحسن بنائه المتوقـد
مولاي اسماعيل أسسه وهو تاج الملوك ونجل آل محمد

ومثله ايضا باللفظ بأعلى القوس الذي يذهب منه للضريح المذكور الآتي من صابة الزمراني، **ومن ذلك** مسجد أبي محمد عبد الله القصري العبدري ومسجد ابي العباس احمد بن خضراء وعدة مساجد داخل قصوره تتخلل بيوته ومسجد قصبة الولي الصالح المتبرك به موسى الدكالي دفين شاطيء البحر خارج باب شعفة احد أبواب سلا وحبس عليه جميع املاك اولاد أبي قاع سكان ثغر سلا الذين استغرقت ذمتهم بالمواجب الشرعية وقد وقفت على ظهير تحبيس الاملاك المذكورة ودونك نصه بعد الافتتاح بالحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والطابع السلطاني : كتابنا هذا اسماه الله واعز امره وادام مجده وفخره واطلع في سماء المعالي شمسه وبدره يتعرف منه بحول الله وقوته وجميل عنايته ومنته أنه لما ثبت لدينا بموجب الشرع الكريم استغراق ذمة أولاد أبي قاع القاطنين بمحروسة سلا أمنها الله وحكم عليهم بذلك بفتاوي أهل العلم حفظهم الله وحيزت املاكهم جميعا دورا وحوانيت وارضين واجنات وسواني وفندقا ودور عمل الصابون داخل المدينة المذكورة وخارجها من ملاليح وغيرها حسبما ذلك كله مقيد ومبين في رسم استغراق ذمتهم حسبنا ذلك كله حبسناها على مسجد قصبتنا السعيدة التي احدثنا بناءها بجوار الولي الصالح سيدي موسى الدكالي المسماة بالحريشة يصرف ما يتحصل من مستفاد الاملاك المذكورة وغلتها في مصالح المسجد المذكور ما عدا مائة اوقية أنعمنا بها على الفقيه المدرس السيد سعيد العميري تعطى له من مستفاد الأملاك المذكورة في كل شهر إعانة له على تدريس العلم بحضرتنا الهاشمية أسماها الله وإن تخلى عنها ترجع للمسجد المذكور حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا والله حسيب من بدل أو غير وولي الانتقام منه وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون والسلام وفي أوائل ربيع النبوي الانور عام أربعة وعشرين ومائة وألف.

ومن ذلك مسجد قصبة أكوراي واحتفل به وأوقف عليه أوقافا ذات بال منها الجنان العظيم المنفعة الحفيل بالغراسات المختلفة الأشكال الجيدة الثمار الكائن بأكوراي وقفت على ظهير تحبيس الجنان المذكور، ولفظه بعد الحمدلة والصلاة اليمن والاقبال وبلوغ الآمال إسماعيل بن الشريف الحسني رعاه الله ليعلم الواقف على كتابنا هذا اسماه الله أننا حبسنا جميع الجنان الكائن بأكوراي والذي كان لخديمنا القائد علي ويشوا على مسجد القصبة السعيدة التي بأكوراي لاصلاحه وتجديد حُصُره وسائر ما يليق به وما يحتاج اليه وبسطنا اليد للناظر الارشد خديمنا البسيد محمد الكاتب على حيازة الجنان المذكور للمسجد المذكور والتصرف فيه بما يظهر له ويراه سدادا ولائقا وحاصلا حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله ومتولي الانتقام منه وحسب الواقف عليه العمل به والسلام في الثاني عشر من صفر الخير عام أربعة عشر ومائة وألف وهذا شأنه في كل معهد ديني بناه او أصلحه او رأى أوقافه ربما لا تقوم بإصلاحه ورواتب الموظفين به وربما أمر المكلفين بنظارة الاحباس من قبله بقبض الربع من وجيبة أكرية الرباع المعينة فيصير في مصالح الاملاك حسبما وقفت على أمره بذلك للناظر أبي القاسم المسطاسي في عقد تحبيس على الطلبة الذين يقرأون حزب القرآن العظيم صباحا ومساء بالرحبة المرتفعة الموالية لباب السادات أحد أبواب المسجد الأعظم من الحضرة المكناسية وذلك بتاريخ أواسط المحرم عام اثنين وعشرين ومائة وألف، وجدد مسجد الاندلس الشهير بتازة على يد أحد غلمانه من عماله وذلك عام ثلاثة ومائة وألف يدل لذلك ما هو منقوش في الجبص بأعلى خزانة المصحف الكريم من المسجد المذكور يسار المستقبل بمحرابه على نحو مترين علوا من الارض ودونك لفظه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وسلم تسليما

أنا بيت العلوم لكل قاري يجاهد بالسكينة والوقار
فكم قدمت من سفر جلي نفيس من مصاحف والبخاري
أجامع أبدى أندلسا بتازا علاك العز من بعد احتقار

كساك الدهر حلة من سواد فعدت الى العمامة والازار
يـزورك بـالملائك جبريـل ليظهر ما غنمت من الفخار
وجدك المعظم باشا سعد غناء القاصرين من افتقار
غلام أبي الفداء أمير غرب وشرق في الحواضر والبراري
فيا من يرحم الضعفاء ويعفو ليغفر ما اعتمدنا من العثار
توفانا على الاسلام جـودا بمكة أو بقيع على اختيار
بحرمة من دعاك دعاء صدق وصلى في الفلات وكل قاري
يعاودني شبابي عـام لهجرة نور طيبة من نوار

استطراد أول بيت وضع للعبادة في الارض مكة المشرفة قال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة وروى الواحدي في البسيط باسناده عن مجاهد أنه قال خلق الله تعالى هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي سنة وأن قواعده لفي الارض السابعة السفلى **ويروى** أيضا عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عن جميعهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى بعث ملائكته فقال ابنوا لي في الأرض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من في الأرض ان يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل آدم وأيضا ورد في سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر ومجاهد والسدي أنه أول بيت وضع على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله تعلى قبل الارض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض تحته قال القفال في تفسيره روى حبيب بن ثابت عن ابن عباس أنه قال وجد في كتاب في المقام او تحت المقام أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحرمتها يوم وضعت هذين الحجرين وحففتها بسبعة أملاك حنفاء هـ. من مفاتح الغيب للفخر الرازي وقد ورد غير ما حديث في الترغيب في بناء المساجد ووعد الباني بالأجور والقصور **فمن ذلك** ما أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار ولفظه حدثنا بكار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة حدثنا

ابن ابي داوود وفهد حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر رفعه مثله قال ابن أبي داوود في حديثه قال ابن يونس ما رفعه أحد من أصحاب الاعمش غير أبي بكر قال أحمد فقيل لأبي بكر إنه لم يرفعه غيرك قال سمعته من الاعمش عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر ورفعه مثله قال أبو جعفر حدثنا محمد بن حرب النسائي حدثنا محمد بن عبيد عن أخيه يعلى عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله **حدثنا** ابراهيم ابن ابي داوود **حدثنا** سعيد بن ابي منصور حدثنا هشيم عن الحكم عن يزيد بن شريك عن ابي ذر ولم يرفعه وذكر مثله وزاد وكتبت له حسنة **حدثنا** يزيد بن سنان حدثنا ابو بكر الحنفي حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن ابيه عن محمود بن لبيد عن عثمان بن عفان سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة **حدثنا** ابن ابي داوود وفهد حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن ابي كثير عن محمود عن عمرو عن اسماء بنت يزيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له أوسع منه في الجنة حدثنا أبو أمية حدثنا مسلم بن ابراهيم الأزدي حدثنا شعبة عن جابر الجعفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال من بنى لله بيتا ولو مثل مفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة **حدثنا** علي بن معبد حدثنا اسماعيل بن عمر وحدثنا كثير بن عبد الرحمن العامري قال أبو جعفر وهو المعروف بالمؤذن حدثني عطاء بن أبي رباح حدثتني عائشة قالت سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول من بنى مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة فقلت يا نبي الله وهذه المساجد التي تصنع بمكة قال وذلك **حدثنا** يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب عن ابراهيم بن نشيط عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين عن عطاء بن أبي رباح عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من بنى مسجدا كمفحص قطاة أو أصغر بنى الله له بيتا في الجنة فإن قال قائل فقد جاء هذا الحديث مضطربا

فبعضهم رواه بنى الله له بيتا في الجنة وبعضهم رواه بنى الله له مسجدا في الجنة، وهذا اضطراب من الرواة فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عز وجل وعونه أن هذا ليس باضطراب منهم وقد كان ينبغي لك أن تجعل ما رواه الجماعة أولى مما رواه الواحد حتى تصح الآثار في ذلك ولا تضاد فإذا لم تفعل ذلك والله عز وجل المستعان فإن ذلك عندنا بمعنى قد ذهب عليك المراد به لان المساجد إنما تبنى بيوتا ثم تعود مساجد بالصلاة فيها وهي قبل الصلاة فيها بيوت لا مساجد وإن كان الذين بنوها بيوتا أرادوا أن تكون مساجد فإنها لا تكون كذلك حتى يصلى فيها فتكون بيوتا مساجد وإذا كان ذلك كذلك في الدنيا جاز أن يكون ما يثيب الله عز وجل به من بنى مسجدا في الدنيا أن يبنى له بيتا في الجنة ثوابا لذلك المسجد ما يراد به ثواب ما بنى في الدنيا وما بنى في الدنيا لم يكن مسجدا ببنيانه إياه يريد به المسجد حتى صلى المسلمون فيه وما بنى الله له في الجنة ثوابا عليه ليس مما يصلى فيه في الجنة لأن الجنة ليست بدار عمل وانما هي دار جزاء فبقي بعد بناء الله عز وجل إياه له بمثل اسم المسجد الذي بني في الدنيا قبل صلاة الناس فيه وهو بيت على ما في الاحاديث الأخر من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة فلم يكن بحمد الله في شيء مما روي في هذا الباب تضاد ولا اختلاف والله سبحانه وتعالى نسأله التوفيق.

الفصل الثاني فيما جدده من المساجد والمدارس

من ذلك المسجد الاعظم بعاصمته المكناسية وكان شروعه في التجديد عام سبعة ومائة وألف وانتهاء العمل فيه كان عام تسعة ومائة وألف، يدل لذلك ما قرأته في نقش لوح خشب بباب المقصورة التي يخرج منها الخطيب بالمسجد المذكور ولفظه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمان الرحيم ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون صدق الله العظيم وبلغ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أمر

بتجديد هذا المسجد الأعظم مولانا اسماعيل بن الشريف أيده الله عام سبعة ومائة وألف وكان الفراغ منه عام تسعة ومائة والف.

يـا أيها المنظـر الجديـد زيـنك الطالـع السعيـد
وقـر مـنك الأمير عينـا ومات من غيظك العنيـد

وما هو منقوش بأعلا السقاية من المسجد المذكور ولفظه الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده.

تأمل بعد حمد الله حسني وصل على محمد الشفيـع
فما أبصرت في الدنيا كشكلي أذكـر زهـر أيـام الربيـع
وللـوراد أسقـي سلسبيـلا فلي فخر بذاك على الجميع
بجامعنا الكبير سموت فخـرا عـلا شرفي بجانبها المنيـع
بأمر إمامنـا المنصور شادوا بنائي الرائـق الابهى الرفيـع
وتاريخي **إمعطـاش**[1121] هنيئـا وقاك الله من ظمإ وجوع

هـ. وما هو منقوش بخشب عنزته البديعة الاتقان العجيبة الصنع اللطيفة المنظر ودونك لفظَ ما هو منقوش في الجهة الموالية للصحن

ذي عروس من المحاسن تجلى باليواقيت رشحت واللـلآلي
وسراج الملوك بالغرب اسما عيل من دأبه اكتساب المعالي
كان عن أمره المطاع وجودي كن له حافظا أيا خير والي

وما هو منقوش بها ولفظه ايضا ولفظه :

بحمـد الله يفتتـح الكـلام كذلك صلاة ربي والسلام
على المختار مع آل وصحب كعرف المسك ما انسكب الغمام
أدم يا رب عز الدين وانصر إمامـا لا يعـاد لـه إمـام

وما هو منقوش بدائرة هذه العنزة من الجهة المذكورة ايضا ولفظه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولاحبة في ظلمات

الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وبوسط هذه الدائرة ما لفظه :

لك الحمد يا الله والأمر كله	فصل على سر الوجود محمد
إمام الورى طرا وقبلة آدم	نبي أتى بالخمس في كل مسجد
ومعجزة القرآن أكبر آيـة	فطوبى لمن يتلوه عند تمجد
على العنزات الفضل لي لتقرري	بمكناسة دار الامام المؤيـد
وجامعه اكرم ببيت إلاهنا	فكم حله من عالم متعبد
وتاريخ انشائي واظهار بهجتي	وحسني (فشا مجد) تراه بمشهد
وصلى إلاه العرش في كل لحظة	على أحمد الهادي وأشرف سيد

هـ. ومنقوش بدائرة هذه العنزة أيضا من الجهة المقابلة لمحراب المسجد الداخلي ما لفظه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين هـ. الى غير هذا مما هو منقوش بالقلم الكوفي وغيره في هذه العنزة المباركة، ونصب المنبر المرونق بالمسجد الأعظم الموجود لهذا العهد يوم الجمعة ثاني عيد الاضحى عام إثني عشر ومائة وألف على ما في بعض التقاييد التاريخية.

فائدتان الأولى قال القلقشندي أول من عمل المنبر في الاسلام سيدنا تميم الداري عمله للنبي صلى الله عليه وسلم وكان قد رأى منابر الكنائس[1] بالشام هـ. **قلت** ويدل له ما في أبي داوود عن الحسن بن علي بن ابراهيم بن أبي داوود عن نافع عن بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بدن قال له تميم الداري ألا اتخذ لك منبرا تجمع أو تحمل عليه عظامك قال بلى فاتخذ له منبرا مرقاتين هـ. وما في طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة وغيره قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع فقال إن القيام يشق علي فقال له تميم الداري ألا أعمل لك منبرا كما رأيته فشاور النبي صلى

---

(1) يذكرنا هذا في أسباب احتفال المغاربة بالمولد النبوي. د. التازي : دعوة الحق ـــ 1990.

الله عليه وسلم المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذه فقال العباس بن عبد المطلب إن لي غلاما يقال له كلاب أعمل الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم مره أن يعمله فعمله درجتين ومقعدا ثم جاء به فوضعه في موضعه هـ. وتميم هذا هو أول من أسرج السراج في المسجد كما بالاصابة من رواية الطبراني. وجدد مسجد سهب اللحم وهو المعروف اليوم باسم مسجد ابن عزوز على يد المسن المكرم السيد عبد الرحمن بن أحمد بن عزوز كما وقفت على ذلك في بعض التقاييد الموثوق بصحتها وكان تجديده له عام واحد وثمانين وألف **وجدد** مدرسة الشهود وهي المعروفة أيضا فيما سلف بمدرسة القاضي لقربها من محكمة القاضي اذ ذاك ولكون القاضي أبي الحسن بن عطية الونشريسي كان يدرس بها وأضيفت للشهود لوقوعها بأعلى سماطهم إذ ذاك كذلك، ومؤسس هذه المدرسة هو أبو يوسف المريني وتعرف اليوم بمدرسة تافيلالت لسكنى الطلبة الواردين من تافيلالت بها، وكان تجديد المترجم لها عام ثلاثين ومائة وألف ودليل ذلك ماهو منقوش بها على جدارها الشرقي قبالة الداخل وذلك في زليج أخضر على صورة محراب ونصه باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

بحمد الاهي أبتدي وصلاته ... على أحمد المختار طول المدا تترا
تأمل جمالي كي ترى الآية الكبرى ... أحاكي لزهر في السنا والعلا زهرا
تأنق في البنيان والوشي صانعي ... أنا منزل القراء حزت بذا فخرا
عن أمر أمير المؤمنين الذي سما ... بنسبته للمصطفى وعلا قدرا
أبي النصر اسماعيل كمل بهجتي ... بناظره السَّهلي قد سهل الأمرا
سليل العلا مزَّاج عبد الرحيم من ... بإتقانه الأوقاف يلتمس الأجرا
وكملت عام الألف مع مائة وزد ... ثلاثين شهرا لمولد أحبب به شهرا

فقوله على هذا كمل بهجتي معناه أصلح ماخرب مني ونمقني **وقد** غلط في فهمه بعض المتأخرين واغتر به صاحب الدر المنتخب المستحسن فقد قال بعض المتأخرين وأما المدرسة التي عن يسار المقابل لمحراب المسجد الكبير المقابل بابها لباب المسجد فقد رأيت تاريخها

في رخامة مقابلة للخصة وإن أمير المؤمنين مولانا اسماعيل هو الذي بناها نصه نظما بحمد الاهي في الأبيات المارة، ولاشك في خطإ هذا النقل إذ تقدم بناء هذه المدرسة وهي المعروفة بمدرسة القاضي ومدرسة الشهود وذكرها في روض ابن غازي أشهر من نار على علم كما أنه أخطأ في نسبة التاريخ للرخامة فإن الأبيات التي فيها التاريخ إنما هي منقوشة هناك في زليج أخضر كما قدمنا وكفى بالعيان برهانا، وأشنع من هذا ان صاحب (الدر المنتخب) المذكوز ماذكر هذا الذي قدمناه عنه حتى قدَّم متصلاً به أن مدرسة القاضي والشهود بانيها هو أبو يوسف المريني ومعلوم خارجا أنها هي التي عن يسار المقابل للمحراب المذكور ثم إثره ذكر أن باني التي على اليسار المذكور هو المولى اسماعيل وهذا أقوى دليل على أنه لا يتصور أن المدرسة المذكورة هي التي على اليسار المذكور فلم يميز بين مدرسة الشهود والقاضي وبين المدرسة الجديدة في كلام ابن غازي وظن أن التي على اليسار هي غير مسمى مدرسة الشهود فخلط. وماحرر ولا ضبط. وفي عام ست وتسعين وألف زلج صحن مسجد الأندلس بفاس وذلك بعد اتمام إصلاحه. وفي عهد صنع منبر جامع باب الحبسة وقد كتب في نقش خشب أعلاه بأحرف بارزة ما لفظه : الحمد الله حق حمده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده صنع هذا المنبر المبارك في خلافة مولانا إسماعيل بن مولانا الشريف أيده الله بعزيز نصره وكان إنشؤه على يد أبو ابي العلية القائد عبد الله الروسي تقبل الله منه وذلك في رجب سنة تسع ومائة وألف .

فائدة زخرفة المساجد وقعت في الصدر الأول فأول من بنى المسجد النبوي بالحجارة المنقوشة ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان بن عفان وناهيك به والنقش في اللغة تلوين الشيء بلونين أو ألوان كما في القاموس، **وأول** من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان وأن ذلك أواخر عصر الصحابة وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفا من الفتنة، ورخص في ذلك بعضهم وهو قول أبي حنيفة إذا وقع ذلك على سبيل التعظيم ولم يقع الصرف على ذلك من بيت المال هـ. قاله في فتح الباري ونحوه في عمدة القاري وزاد عقبه قلت

مذهب اصحابنا يعني الحنفية إن ذلك مكروه وقول بعض أصحابنا ولابأس بنقش المسجد معناه تركه أولى ولا يجوز من مال الوقف ويغرم الذي يخرجه سواء كان ناظرا أو غيره **فإن قلت** ما وجه الكراهة إذا كان من ماله دون مال الوقف **قلت** إما شغل المصلي به وإما إخراج المال في غير وجهه هـ. ولابن نافع وابن وهب جواز تزويق المساجد في قبلتها مالم يكثر **وقال** ابن المنير لما زين الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن الاستهانة هـ. من اختصار الرهوني ثم نقل عن ابن حجر والقسطلاني تعقب ذلك بأن المنع إن كان للبحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال وإن كان لخشية شغل قلب المصلي فلا لبقاء العلة والله أعلم؛ وفي المدونة ذكر لمالك ماعمل من التزويق في قبلة مسجد المدينة فقال كره ذلك الناس اي العلماء حين عملوه لأنه يشغل الناس في صلاتهم هـ. وقال ابن رشد في سماع عيسى من كتاب الجامع وتحسين بناء المساجد وتحصينها مما يستحب وإنما الذي يكره تزويقها بالذهب وشبهه والكتابة في قبلتها، وقد مضى ذلك في رسم سلعة سماها ورسم الشجرة من سماع ابن القاسم من كتاب الصلاة وقال في أول سماع موسى بن معاوية الصماد حين سئل ابن القاسم عن المساجد هل تكره الكتابة فيها في قبلتها بالصبغ شبه آية الكرسي أو غيرها من بوارع القرآن قل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها قال ابن رشد قال مالك يكره أن يكتب في القبلة في المسجد شيء من القرآن أو التزاويق ويقول أن ذلك يشغل المصلي قال، ولقد كره مالك أن يكتب القرآن في القراطيس فكيف في الجدر قال محمد ابن رشد هذا مثل ما في المدونة من كراهية تزويق المسجد والعلة في ذلك ما يخشى على المصلين من أن يلهيهم ذلك في صلاتهم وفي سماع ابن القاسم في رسم الشجرة تطعم بطنين قال مالك ولقد كره الناس تزويق المسجد حتى جعل بالذهب والفسيفساء وذلك مما يشغل الناس في صلاتهم ولابن وهب وابن نافع في المبسوطة إجازة تزويق المساجد وتزويقها بالشيء الخفيف ومثل الكتابة في قبلتها مالم يكثر ذلك حتى يكون مما نهى عنه من زخرفة المساجد أنظر الحطاب.

وقد بنى سيدنا عثمان المسجد النبوي بالحجارة المنقوشة والقصة المنخولة وبيضه بالقصة وجعل فيه طيقانا مما يلي المشرق والمغرب وذلك قبل أن يقتل بأربع سنين وجعل عمده حجارة منقوشة وبها عمد الحديد والرصاص وسقفه ساجا. **وهدمه** عمر بن عبد العزيز سنة احدى وتسعين وبناه بالحجارة المنقوشة المطابقة وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء والمرمر وعمل سقفه بالساج وماء الذهب وقال بعض أولئك العمال الذي عملوا بالفسيفساء إنا عملناه على ماوجدنا من صورة شجر الجنة وقصورها ولما صار عمر بن عبد العزيز إلى جدار القبلة دعا مشيخة من المدينة من قريش والأنصار والعرب والموالي قال لهم تعالوا احضروا بنيان قبلتكم لاتقولوا غير عمر قبلتنا فجعل لا ينزع حجرا الا وضع مكانه حجرا أنظر وفاء الوفاء للسيد السمهودي.

ولمولانا الجد المترجم أعظم إسوة بفعل سراة أهل القرن المشهود لهم بالفضل على لسان من لاينطق عن الهوى فيما قام به من بناء المساجد وتنميقها وبذل الجهد في إتقان الصنع فيها يسعه ما وسعهم.

ومما له مناسبة بهذا المحل من أعماله الخيرية ماتضمنه ظهير شريف له ودونك لفظه الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ثم الطابع الشريف بداخله اسماعيل ابن الشريف الحسني رعاه الله وبداخله. بلوغ الآمال. اليمن والاقبال مكررة مرتين كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره بيد حملته الفقراء المرابطين الأخيار الطلبة أولاد سيدي أبي موسى الدغوغي القاطنين بأند يتعرف أنهم مخرجون قبالة ما التزموه من قراءة المائتي ختمة من القرآن العظيم المهداة منها مائة لوالدنا المقدس المرحوم مولانا الشريف وثواب مائة لنا على رأس كل سنة بحيث لا سبيل لمن يقرب ساحتهم في قليل أو كثير ولمن يطوف بجانبهم في قليل أو جليل أو حقير رعيا لوجه الله تعالى ولما تحملوه من إهداء ثواب القرآن العظيم ومن قرب ساحتهم فوالله حتى نحفر جدره ونحسم بحول الله وقوته ذكره ونامر الفقيه القاضي سيدي عثمان بن الحسن أن يتولى خطة القضاء على كافة إخوانه الفقراء أهل أند لَيس غير وزكاتهم وأعشارهم (تضبيب) السيد

محمد فقد أذنا له أن يكون على كافة إخوانه أهل أند وازلنا حمل الخشب وكل من يلزمه ما يلزمه اهل البلاد في الوظائف إن كانت هناك وظائف، والرجل الذي دخل بيت أخيه سمحنا له، ومن قبض منه شيئا يرده وألا يخاف على نفسه وحسب الواقف عليه العمل بما فيه ولا بد والسلام وفي الثامن والعشرين من جمادى الثانية عام مائة وثمانية وألف، ونص كتاب شريف له في شأن المرابطين المذكورين بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف الى الوصيف عامر الدكالي بعد السلام فما حملك على أن تتعدى على المرابطين الطلبة اولاد السيد أبي موسى من بني دغوغ وهم عندنا موقرون محترمون قبالة قراءتهم الختمات من القران العظيم واهداء ثوابها لوالدنا المقدس المرحوم بكرم الله مولانا الشريف رحمه الله وقبالة قراءة ختمات من القرآن العظيم لنا وما راعيتهم لشيء من ذلك فالى الآن بالله الذي لا إلاه الا هو إن عدت تتعدى عليهم مرة أخرى أو بلغنا أنك طالبتهم بأعشار أو بغيرها حتى نحفر جدرك ونقصم ظهرك ان شاء الله فقد تركناهم على توقيرهم وأعشارهم وزكاتهم يعطونها لضعفائهم وأنت أترك سبيلهم واذا قرأت كتابنا هذا فرده لهم يبقى بأيديهم وان عدت لمزاحمتهم مرة أخرى ترى ما يلحقك ان شاء الله وإذا قبضت منهم شيئا فرد لهم متاعهم والسلام وكتب في اواسط صفر الخير عام ثمانية ومائة وألف، ونص ظهير آخر له في شأن المذكورين بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف كتابنا هذا أعزه الله تعالى بيد حملته المرابطين حفدة الولي الصالح السيد أبي موسى الدغوغي نفع الله به القاطنين بأند يتعرف منه بحول الله وقوته ويمنه وبركته أننا جددنا لهم حكم ما بأيديهم من ظهائرنا المباركة المبنية عن توقيرهم واحترامهم وإيثارهم وإعظامهم وأبقيناهم على عادتهم المعروفة وحالتهم المقررة المألوفة فلا سبيل لمن يخرق عليهم عادة أو يحدث في جانبهم نقصا ولا زيادة فهم لدينا محترمون لا يطالبهم أحد بقليل ولا كثير تجديدا تاما يعمل به الواقف عليه من جميع خدامنا ووصفائنا وولاة أوامرنا العلية بالله، ومن تعداه فلا لوم إلا عليه والسلام وكتب في الحادي والعشرين من ذي القعدة الحرام سنة إحدى وثلاثين ومائة

والف انتهت بألفاظها ومن أصولها نقلت.
وقد اقتفى أثره في تحرير هؤلاء المرابطين من الوظائف والكلف المخزنية وغير ذلك مما يلحق عامة الناس على الشرط المقرر في الظهائر المذكورة الامراء من أبنائه وحفدته من بعده فقد وقفت على ظهير ولده مولاي عبد الله بذلك بتاريخ ثاني وعشري ذي القعدة الحرام عام خمسة وأربعين ومائة وألف، وظهير سيدي محمد بن عبد الله المذكور بتاريخ رابع شوال عام سبعة وتسعين ومائة وألف وآخر لهم بتاريخ 22 رمضان عام 1202 وظهير لمولانا سليمان بن محمد بن عبد الله بتاريخ 14 رمضان عام 1211 وزادهم الانعام عليهم ببلادهم المعروفة بتيزرت وارق، ومائها الجاري، وظهير لمولانا عبد الرحمن بن هشام بتاريخ 4 ذي الحجة عام 1242 وظهير لولده سيدي محمد بتاريخ 8 شعبان عام 1282 وظهير لولده مولانا الحسن بتاريخ 26 جمادى الاولى عام 1292 وظهير ولده مولاي عبد العزيز بتاريخ فاتح القعدة عام 1312 هـ.

الفصل الثالث فيما بناه من القلع والمعاقل والقصبات

من ذلك الحصن الحصين الهائل قبالة سبتة، وعمَّره قوة واستعدادا وأودعه من آلة الحرب كل مدهش، وقلعة حذْو بلاد بني يزناسن من ناحية الساحل وذلك عام تسعين وألف وأخرى بطرف بلادهم أيضا بالمحل المعروف الى الحين الحالي بالعيون فبنيتا وعمرتا بألف من الخيل خمسمائة في كل واحدة وعززهما ببناء قلعة ثالثة قرب بلادهم أيضا على طريق ملوية وعمرها بألف فارس من عبيده بأولادهم، وقصبة توريرت التي كان بناها بنو مرين وأخنى الدهر عليها بعدهم وصيرها في خبر كان فأعاد بناءها من الاساس وعمرها بمائة فارس من عبيده بأولادهم وقصبة كرسيف وأنزل بها مائة فارس، وقصبة مسون وعمرها بمائة فارس من ابطال عبيده بأولادهم وقلعة تازا المجاورة لقلعتها القديمة وعمرها بألفي فارس تثنية من فرسان العبيد بأولادهم وقصبة الكور وعمرها بمائة فارس من العبيد بأهاليهم وقلعتا المهدومة والجديدة الواقعتان بين فاس ومكناس بسايس، وعمر كل واحدة منهما

بمائة فارس وذلك كله في السنة المذكورة وفي الحجة من العام المشار اليه بنى قلعة عين اللوح وقلعة بعين أزرو بسفح الجبل أيضا وعمر قصبة عين اللوح بخمسمائة فارس وقلعة أزرو بألف فارس، وفي سنة ست وتسعين وألف بنى قصبتي-باعليلو ووادي تاشوكت وقلعة دار الطمع وقلعة ياميوست وقلعة قصر بني مطير وقلعة بوطاطا وقلعة بالقصابي وقلعة على نهر ملوية وعمّر كل قلعة من القلع المذكورة باربع مائة فارس من ابطال صناديد العبيد وبنى قصبة ادخسان وعمرها بخمس عشرة مائة فارس من العبيد المتأهلين بأهاليهم وقلعة بداره بالعرائش وذلك بعد ان فتحها عام واحد وتسعين والف وقلعة بداره بأصيلا وقصبة أكراي واستعمرها بالعلوج ولازال عقبهم بها لحد الآن، وبنى برباط الفتح الابراج المربعة الشكل زيادة في القصبة الاثرية الشهيرة الى الزمان الحاضر وتلك الأبراج في الجهة الموالية للوادي وفي عام تسعة وتسعين وألف بنى قصبة إبن الكوش تحت جبل آيت يسري وفيه أيضا بنى قصبة تادلا وأنزل بها ولده أبا العباس أحمد الذهبي خليفة عنه في جيش من صناديد العبيد وقصبة سيدي موسى خارج باب شعفة بتقديم العين المهملة على الفاء أحد أبواب سلا وذلك عام واحد وعشرين ومائة وألف. وقفت على ظهير أصدره المترجم في شأنها يدل على شدة اهتمامه بها وكامل تشوفه لاكمالها ودونك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع المنيف خديمنا الأرضى السيد الحاج محمد بن ابراهيم معنينو أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد فاعلم ان خديمنا كاتبه أنهى إلينا جميع ما كتبت به من وقوفكم على ساق الجد في ذلك الأمر المبارك الذي وجهناك له من بناء تلك القصبة المباركة وأخبرنا بما يسر الله عليك فيه من وجود حجر البناء ميسرا مهيئا وسرنا ذلك سرورا كبيرا وانشرحنا به انشراحا كثيرا ودعونا لك بكل خير فالله ييسر عليكم ويعينكم بمنه امين وأنتم شدوا ارواحكم ثم شدوا ارواحكم في ذلك المبارك وما زلتم ان شاء الله تحمدون عاقبة تلك القصبة وتعرفون فائدتها ووالله الا جاءني بعض الناس وقال لي ياسيدي نصرك الله على اي شيء تخرج الوصفان للقصبة فأهل سلا يعطونك حومة العلو وحومة أخرى لسكنى

وصفانك وهي أحسن لهم وأولى فأعطيته بلعة مليحة عقوبة له على كلامه فيكم وسترته عنكم وأنتم الحزم ثم الحزم والله يزيد عليكم بمنه آمين والسلام وكتب في سادس شعبان المبارك عام إحدى وعشرين ومائة وألف، قلت تبعد هذه القصبة عن سلا بنحو ثلاثة كيلومتر وتعرف لدا العامة بقصبة جناوة وقد كان الخراب قد استولى عليها وكاد أن يصبحها في خبر كان لولا أن الله هيأ لصيانتها وتدارك البقية الباقية منها بالترميم والاصلاح وكنس أكداس الازبال التي استعمرتها أعواما الشاب المهذب الاخلاقي البشوش النشيط في الاعمال كرسى هنرى قنصل فرنسا ورئيس مصلحة عموم التجارة والصنائع بالمملكة المغربية فقد اعتنى بصيانتها اعتناء زائدا وصيرها بعد البلا روضا أريضاً. وبنى برج العدة خارج باب كبيش أحد أبواب قصبته الملوكية بمكناس وقصبة أبي عثمان سعيد المشتراءي خارج باب وجه عروس، وقصبة بوفكران أضيفت هذه القصبة للوادي المذكور لوقوعها على ضفته وبمقربة منها قصبة المنزه ويسكن هاتين القصبتين في الوقت الحاضر جماعة من الاشراف العلويين ابناء عم المترجم وبنى قصبة الكدادرة نسبة لفرقة من جيوش المترجم كان أنزلها بها مؤسسها المترجم وهي في الجهة الجنوبية من المدينة، وقصبة حرطان بفتح الحاء المهملة وسكون الراء وفتح الطاء المشبعة ثم نون وموقعها غربا من المدينة على ربوة مشرفة على المدينة وسفح وادي أبي روح، وقصبة المولى المستضيء وهي بمقربة من قصبة حرطان وتعرف اليوم بالقصبة الخالية قالوا وجه إضافتها للمستضيء أن السلطان المولى اسماعيل خيم في بعض اسفاره بالمحل الذي به موقعها فجاء الطلق لبعض حظاياه ثمَّ، فولدت المستضيء ولم يبرح السلطان من المحل حتى بنيت القصبة المذكورة كذا تلقيته من غير واحد من ذوي السن العالية والله أعلم بحقيقة ذلك، وبنى قصبة ايت عتاب الشهيرة التي لا زالت اطلالها شاخصة الى الحين الحالي وقصبة بولعوان من دكالة لا زالت قائمة العين حتى الان مكتوب على بابها : النصر والتمكين والفتح المبين لسيدي اسماعيل المجاهد في سبيل الله رب العالمين على يد وصيفه الى

عثمان الباشا سعيد بن الخياط،عام 1122. وقصبة وجان[1] ببلاد يعقيلة[2] بها أبراج أربعة وقصبة احددوا[3] بوسط أفرن[4] على ضفة الوادي ثمة جعل بها ستة عشر برجا في كل جهة من هجاتها الاربع أبراج أربعة وكان بناأه اياها تحت إشراف القائد سنان أحد قواد الدولة الاسماعلية المشاهير وذلك فر السنة الحادية والعشرين من القرن الثاني عشر ولما كمل بناؤها انزل بها القائد محمد أحددو والباشا عبد الكريم والباشا الخياط ثم استخلف فيها ولده ابا القاسم حسبما تلقيت ذلك من بعض الثقاة الاثبات من علماء سوس سكان أفران وقفت عليه في بعض التقاييد وفي هذه القصبة نزلت الجالية الفرنسية عند ذخولها لسوس وذلك عام 1335 وقصبة بقرى إكسل[5] بآيت بعمران ذات أبراج أربعة، وقصبة آيت بوبكر[6] من آيت بعمران بها أبراج اثنا عشر. وقصبتين بوادي تمنرت[7] بين قرية إكوز[8] وقرية إشت[9] وقصبة وادي الغاس المعروف بوادي ماسة وقصبة مولاي المامون بتزيمي[10] من تافيلالت والقصبة الشهيرة بناحية السيفة[11] وقصبة لبطرني[12] وقصبة أولاد عبيد بالمحل وقصبة كنبدار[13] وقصبة الخلفي وقصبة أولاد يعيش وقصبتي لوجارصة[14] وقصبة العبايدة وقصبة أولاد كروم وقصبة مزكيدة وقصبة الفيضة.
وقفت على ظهير لصورة المترجم باقطاعها لولده ابي محمد عبد الله هذا لفظه : بعد البسملة والصلاة والطابع الذي نقش داخله اسماعيل بن الشريف الحسني ايده الله بمنه وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم

---

(1) محل معروف بالقطر السوسي.
(2) قبيلة نهرة بالمحل.
(3) بكسر الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح الدال وضم الدال الثانية مشددة مشبعة.
(4) بفتح الهمزة.
(5) بكسر الهمزة وسكون الكاف المعقودة واللام.
(6) أهل باللغة البربرية.
(7) بفتح التاء المثناه وفتح الميم وسكون التاء محل معروف بسوس.
(8) بكسر الهمزة والكاف وفتح الواو وسكون الزاي.
(9) بكسر الهمزة وسكون الشين والتاء المثناة فوق وهذه القصبات التسع كلها بالقطر السوسي.
(10) بكسر المثناة فوق وازاري المشبعة وهذه القصبة وما بعدها بالصحراء فهو سلف المترجم.
(11) بكسر السين المهملة مشبعة بفاء مفتوحة محل شهر.
(12) بفتح اللام وسكون الموحدة تحت وفتح الطاء المهملة وسكون الراء فنون مكسورة مشبعة.
(13) بكاف معقودة فنون مفتوحة مشددة فموحدة تحت ساكنة فذال مجمعة مشبعة فراء ساكنة.
(14) بفتح اللام وسكون الواو بعدها جيم مفتوحة مشبعة فراء ساكنة فضاد مهملة مفتوحة فتاء.

الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا وسطر الدعاء.
يستقر بعون الله تعالى وتوفيقه الجميل هذا الظهير المبارك المحفوف بالخير المتدارك الجدير بفضل الله تعالى جميع أنواع الايثار والاكرام والانعام غير مشارك. بيد حامله المتمسك بالله ثم به ولدنا الأرضى، الاثير الاحظى، الاعز الارشد، الانجد الاسعد، مولاي عبد الله اصلحه الله وأثمر غرسه ورضى عنه وأرضاه يتعرف منه اننا أعطيناه ووهبنا عليه جميع البلاد المعروفة بالفيضة(1) بقاعدة سجلماسة حرسها الله بجميع ما اشتملت عليه الفيضة المذكورة من الأرض والديار والأشجار والنخيل والفسلان(2) وجميع القصبة المباركة التي من الله علينا ببناءها وانشائها بمنافعها ومرافقها الداخلة فيها والخارجة عنها وأذنا له حفظه الله أن يجوز ذلك كله عنا وان يحل فيه محل ذي المال في ماله وذي الملك في ملكه وان يتصرف فيه بأنواع التصرفات وسائر الانتفاعات دون معارض له ولا منازع وانعمنا عليه أصلحه الله حتى بخديمنا مسعود غرينطو الذي وكلناه على القيام بمنافع هذا الاصل المبارك وخدمناه في بنائه وحضانه وأصبناه الى وعده المذكور والقيناه له يتصرف له في منافعه ومآربه هذا الاصل وغيره ويصنع به ما شاء ويخدمه حيث شاء كما اذنا لكل من يقف على هذا المسطور الكريم من الفقهاء والقضاة والعدول أن يشهدوا علينا بمضمنه اذنا كاملا ونسأل الله من فضله العميم أن ينفع ولدنا المذكور بهذا الاصل المبارك وان يحفظه به قوام مرؤته وان ينيله به مرتبة عليا، وأن يجعله من الاسباب المعينة له على الدين والدنيا انه جواد كريم بمنه وكرمه آمين.
في الرابع عشر من شوال سنة سبع وعشرين ومائة وألف.
وبنى قصبة الشفارنة وقصبة النصر البوقاني وقصبة مولاي أحمد الذهبي وقصبة المنصورية وقصبة أولاد يوسف، وهذه القصبات الخمس مع القصبتين قبلهما بالمحل المعروف بتاينجوت من تافيلالت وقصبة المدرسة وقصبة ابن رقاصة وقصبة جنان مولاي الشيخ أحمد

(1) بكسر الفاء وفتح الضاد المعجمة
— بفتح الفاء وسكون الياء وهي الان خراب لم يبق منها غير الاطلال وليست الفيضة الموجودة اليوم من هذه في قبيلة ولادير.
(2) جمع فسيل وفسائل وفسلان صغار النخل.

انجال المترجم وقصبة المولى المكتفي ايضا وقصبة أوجارتي وقصبة أطرطار وقصبة عمارة وقصبة بني ميمون وقصبة الجار وقصبة أولاد عائشة وقصبة أولاد عدو وقصبة تيخلفين. وهذه القصبات الاثنى عشر كلها بوادي يفلي. وقصبة حَمَنِّي وقصبة تِغَدْوِيرْ وهاتان القصبتان بالغرفة. وقصبة أكْرِنْفودْ وقصبة مولاي اسماعيل وهاتان القصبتان بالسفالات الى غير هذا مما غاب عني وبما ذكرناه يعلم أصحاء مؤرخ الدولة كاتبها ووزيرها المعمر ابو القاسم الزياني ومتبوعيه وقصورهم حيث قال أن عدد ما بناه مولاي اسماعيل من القلع بالمغرب ست وسبعون قلعة شاهدنا أكثرها وقال ان هذه القلع ممتدة من وجدة الى وادي نون باقصى القبلة ومن توات الى آخر المعمور بالصحاري كلها ظاهرة يعرفها الخاص والعام، وأن المترجم وزع على هذه القلع من عبيده خمسة وسبعين ألفا وبتانوت ووجه عروص خمسة آلاف كلها فرسان واصحاب الباشا مساهل خمسة وعشرون ألفا كلها رماة ما عدا قوادهم وكانوا على غاية من الكفاية، كل قبيلة تدفع أعشارها في هري قلعتها لعولة جيشها وعلف خيلها طول ايامه، وأنه وقف على العدد المذكور في كناش الوزير اليحمدي ودفتر الكاتب سليمان الزرهوني وتواتر الخبر به هـ. قال ولما مات المولى اسماعيل انقطع عن عسكر القلع المدد ولم يلتفت اليهم أحد من الذين تولوا بعدهم ولا وصلهم بشيء فخرجوا للمعاش على انفسهم وأولادهم بالقبائل التي هم بها وامتدت ايدي النهب للقلع التي تركوها خاوية فأخذوا أبوابها وخشبها ولم يبق بها الا الجدرات وهكذا وقع بالمحلة التي كانت بمشرع الرمل لما ارتحل عنها العبيد أغار كل من وجدوه بها متأخرا نهبوه واخذوا جميع ما كان ثقل عليهم حمله ظنا منه أنهم يرجعون له وامتدت ايديهم لتخريب الدور وحمل ابوابها وخشب سقوفها لسلا يباع بها وكان بهذه المحلة دور وقصور ليست بالحواضر كل قائد يفتخر على الآخر ببناء فوق ذلك كله ولم يتركوا به الا الجدران قائمة وتفرق العبيد في القبائل أيام رحيلهم ولم يبلغ لمكناسة منهم ولا نصفهم كل من له قبيلة ومدشر قصده ورجعوا لأماكنهم التي الفوها ونشئوا بها وبعد ان بلغوا مكناسة لم يستقر بهم قرار لقلة ذات اليد وغلاء

الاسعار، وكانت ايام مجاعة فلم يبق بها الا القواد أهل اليسار وأهل الحرف الذين يتعيشون بحرفهم فتسللوا للمعاش بالقبائل والقرى وتفرق ذلك الجمع والبقاء لله، ومات منهم بمكناس أيام توالي الزلازل به نحو الخمسة الاف هـ. انظر الترجمان المعرب والبستان الظريف بات المتصلة بعاصمته المكناسية فسنورده بحول الله في فصل ما بناه من القصور.

الفصل الرابع فيما بناه من القناطير وجلبه من المياه للمساجد والمدن وأجراه بسقايات السبيل وما يلحق بذلك

من ذلك قنطرة الشيخ علي بن منصور الشهير وكان تأسيسه لها عام أربعة ومائة وألف وقنطرة دردورة الشهيرة المعروفة فيما سلف بقنطرة ابن يشوا وكان تأسيسه لها عام واحد ومائة وألف على ما في بعض التقاييد الموثوق بها والقنطرة الكبرى على الوادي الواقع خارج الزاوية الادريسية بزرهون وقنطرة اخرى على الوادي المذكور من ناحية قصر فرعون المعروفة اليوم بقنطرة سيدي صابر وقنطرة وادي ابي العمائر أسفل روضة الشيخ علي مكراز وقنطرة تانوت الشهيرة العديمة المثال وجدد قنطرة الرصيف وذلك عام خمسة عشر ومائة وألف وغير ذلك مما لم استحضره الان وأجرى عيون البركة من ضواحي سلا الى جامعها الأعظم ومرافق البلد ومد لاجراء ذلك الماء سورا عظيما عاليا لما شارف المدينة وهو المعروف بسور الأقواس وكان وصول الماء للجامع الأعظم ولسائر مرافق المدينة عام اربعة وعشرين ومائة وألف، وكان ابتداء العمل في جلب الماء المذكور الى سلا في فاتح جمادى الاولى عام ثلاثة عشر ومائة والف وتاريخ الوصول فاتح صفر عام اربعة وعشرين ومائة وألف واستغرق العمل فيه احدى عشرة سنة ولما اجراه حبس عليه مستفاد غلة الحوت الشابل الذي يصطاد بوادي العدوتين لاصلاح القناة التي جلبه فيها ودونك نص ظهير التحبيس منقولا من دفتر الأحباس هكذا[1] : حبسنا بحمد الله وقوته وشامل يمنه وبركته جميع الوادي المشرع المعهود لصيد الحوت الشابل بعدوة

(1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 20 — 21.

سلا حرسها الله على الماء الذي تفضل المولى سبحانه علينا باجرائه الى المسجد الجامع من الحضرة المذكورة ليصرف ما يستفاد من الوادي المذكور في إصلاح مجاري الماء المذكور وقنواته ويعد ما فضل من المستفاد لمصالحه ومنافعه وقدمنا للنظر في امر هذا الوادي وقبض ما يجب قبضه منه وصرف ما يصرف في مصارفه المذكورة خديمنا الانجد الأرشد السيد الحاج محمد معنينو لثقته وأمانته عندنا وبسطنا له اليد عليه وفوضنا له فيه دون معارض ولا منازع وعليه في ذلك بتقوى الله العظيم وأداء الأمانة فيما أسندناه اليه تحبيسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبدل عن حاله الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين. قصدنا بذلك نفع المسلمين والله لا يضيع اجر المحسنين بفضله وكرمه الواقف عليه يعمل به ولا يحيد عن جميل مذهبه والسلام وكتب في الاول من صفر الخير عام أربعة وعشرين ومائة والف هـ. من خط من نقل من الحوالة الاسماعيلية بمحروسة سلا.

وأدخل ماء عين عتيك لمدينة رباط الفتح وذلك عام خمسة وثلاثين ومائة وألف حسبما أفصح بذلك قاضي رباط الفتح السيد محمد بن محمد مُورينو الاندلسي الاصل الرباطي الدار في ديوان شعره أثناء قصيدة له مدح بها المترجم دونك لفظها :

فلله الكريم الحمد حقا	على نعمائه حمدا وفاها
ومن أسنى الايادي في البرايا	خليفته الموفق من حماها
أبان بنصل جده كل هزل	وزان بعدله فيها حلاها
وأيد ملة الاسلام صدقا	وملة غيره قهزا نفاها
فكم له من فتوحات وغزو	مشاهد نصره أوفت غناها
كطنجة والعرائش في افتتاح	ومهدية اجابت إذ دعاها
وها غير ذي المواطن مذعنات	وإرهاب لسطوته عراها
بأبطال كأطواد رواس	تبارك ربنا ظفرا حباها
جيوش أيدت بالنصر مما	من الله العظيم لقد أتاها
تراع الروم والاتراك مما	رأوا أن بلغوا حربا دهاها
ولا عجب لأن كانت جيوشا	له وهدي أوائله اقتفاها

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما



يتعرف من يقف على مسطورنا هذا المحفوف باليمن والإقبال الطالع في سماء معالي التحكيم ومن أفقي
الإجلال من القضاة والنظار وأهل الخبرة بالأحباس ومكاتبيها ومن إليهما أنه لما ثبت عندنا
أن من الجامع الكبير والصالح الحكيم بحضرة مكناسة كلأها الله وكان هنا جلب الماء الخارج عن سور
من العين التي منذ المدة إلى سقاية المسجد الأكبر الذي باغتلال بغداد ومن يخصه وإن ذلك يتوقف على التعاسر والبناء
والعلاج والإتقان أنتمى نظار الشريك من بناء على ذلك كله جميع مستفاد المشارع التي في سوادي
من بلاد القبائل بين عمر وتيمة العرائة لإضعياد الحوت في جميع الأماكن المعروفة منذ المدة بالوادي المذكور
على أن يكون جميع ذلك قبالة الماء المذكور للمسجد المذكور والربع الذي كان قبل هذا لإصلاح الساقية التي منذ المدة
يجعل الثلاثة أرباع الباقية للماء المذكور ويقوم الجميع في الماء المذكور خاصة في إتمامه وإصلاحه أمين
بالبناء وغيرها من جملة أوقاف المسجد المذكور يحتج بها حتى أنها حبسا مؤبدا ووقفا مخلدا لا يبدل عن حاله
ولا يغير عن سبيله ومن بدل أو غير فالله حسيبه وسائله ورام الانتقال منه وما كان من إصلاح الساقية
من ربع المشارع المذكورة يصير الآن من أوقاف المسجد المذكور حيث انعقدت للأربعة الباقية وجعلنا معه
منهما واحدا وسكنا للناظر الأحباس العامة والخاصة بسائر إيالتنا الشريفة الأمير العارف الفقيه
السيد محمد الكاتب الأندلسي يد الحوز التي في مهما كان احتسنا له يوم في حكم الحجة ما عيناه بمكما كليا
من غير منازع ولا معارض وحسب الواقف عليه من القضاة والعدول وأمضاه والإشهاد بما فيه وتنزيله
تسكينه بديوان الأحباس وحيازته بتلافيه والسلام في [illegible] جمادى الأولى من عام ثلاثة عشر ومائة وألف

وكم أحييت عدالته نفوسا | بتهيئة العلوم له سناها
وكم أحييت مجادته بلادا | بإجراء المياه لها تراها
كما احيا الرباط رباط فتح | بماء عتيق جدول في ثراها
وخلل ماؤه الفياض عذبا | أزقته فجاد به وباها
يقول لسان حاله كنت ميتا | فأحياني الهمام وما تناها
رؤوف بالضعاف يحب رفقا | ويجزر قاسطات عن هواها
فلو أن المفاخر والمزايا | بحور مالها أو من سهاها
وكل جميلة أذنت بنجح | فحيث الناس باعوها اشتراها
وقال لسان حال عتيق انى | روى في الاقاول من وعاها
بان الصالحين دعوا لأبقى | رسين الموج يحميني حماها
فكم عانى الملوك وكم أرادوا | وما لبث مياهي من بناها
فلما أن توجه لي إمام | سما عند الالاه الحق جاها
قريشي مجيد هاشمي | مراتب من سما نبلا علاها
لهو الغيث جودا أي أرض | يحل بها لقد بلغت مناها
وإنه نجل طه خير خلق | وفي نيل المنا أقوى عراها
أجبت نداءه لما دعاني | ولبينا وأقبلنا وجاها
وجئت مهرولا في كل صوب | الى الأقواس قد حزنا بناها
مددت طويل جيدي رغم أنفي | الى ذاك السراج به يباها
فقال انظر الى قدري وحسني | وقد ملئت جوانبه مياها
ومنه جرى الى الأنبوب كلي | وأرغمت الذي بالمنع فاها
وأخرج منه عند الباب حلوا | ليركع من جداولنا ضماها
وكيف تخلفي لما دعاني | أمير المؤمنين وقد نواها
مزايا ترضي مولانا تعالى | عظاما لم يزل يثني ثناها
يزين مساجد الرحمان راقت | بتعظيم له من قد رءاها
كجامع ذا الرباط لقد زانته | سقاية تروق الذي يراها
عنابيب ستة للعين زهو | بأقواس ثلاث لا تضاهى
وقد راق السقاية نبع ماء | بخصته الرفيعة في سماها
فيكرع من ضما ظما زلالا | ويسبغ طهره وراد ماها
فذا فضل الامام إمام فخر | أمير المؤمنين له علاها

لحسن يقينه في الله صدقا فبلغه المقاصد واقتضاها
لقد ألفيت أمره دون ريب على من قبله أمرا تباهى
هو المنصور بالمولى تعالى وظيفي اسماعيل علا ذراها
سمت علياه فخرا وانتسابا وطاب أصالة من فرع طه
عليه صلاة ربي ما استقامت دنا الاشيا بأمره أو قصاها
وآله والصحابة مع سلام ومن نهج الهداة بهم تلاها
وأيد نصر ملكه في ظهور وأسعد من بحبه قد تباهى
قبول قصيدتي ورضاه قصدي ودعوته التي يشفى هداها

هـ. من خط من نقل من خط ولد الناظم وهي كما ترى مختلة المباني ركيكة المعاني مجال النقد فيها طويل عريض منبئة عن أن ناظمها بمعزل عن صناعة القريض ولولا ما تضمنته من الفوائد التاريخية لضربنا عنها صفحا وطوينا دونها كشحا ! وأدخل ماء وادي بوفكران لعاصمته المكناسية فأخذ منه لقصوره وما بها من المساجد والحمامات ما فيه الكفاية وما فضل منه أنعم ببعضه على بعض الوجهاء وذوي الحيثيات من ولاة أمره ليجروه بدورهم والباقي حبسه على المسجد الأعظم وسقايات السبيل وخصصه بقادوس على حدته حسبما ذلك مفصل في عقود إشهاد بالحوالة الحبسية، وسنورد بعضها معززة بظهير كريم للحبس قريبا بحول الله كما حبس منه فاسين على الولي الصالح أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي دفين خارج باب وجه العروس أحد ابواب الحضرة المكناسية وظهير التحبيس لازال بيد حفدة أبي عثمان المذكور ووقفت عليه وقرأته تاريخه رابع جمادى الاولى عام سبعة ومائة وألف يقول فيه لتسقى به روضته وزيتونه وعرصته الى أن قال وهو قادوس التغزازة بحيث لا مدخل لأحد في ذلك الماء ولا في ذلك القادوس الى أن قال وعلى أولاد الولي المذكور حبسا مؤبدا ومن بدل أو غير فيه فالله يحاسبه وقد كاد المحو أن يستاصل هذا الظهير، **وأجرى** ماء عين تاكما للمسجد الاعظم بعد أن كانت الايدي العادية استولت عليه وصرف عليه مصارف ذات بال بعد أن وجه أرباب البصر القنويين المرجوع اليهم في حضرته المكناسية في ذلك حسبما قرأت

رسم ذلك بدفتر الحوالة، ودونك لفظه الحمد لله شهيداه وهما من المعلمين القنويين العارفين بقواديس الماء الجاري وقيمها وكم يدخلها من الزيت والاقامة في حال طيها وما ينفق عليها والصلاح والسداد في ذلك وغير ذلك من أحوالها وإليهما يرجع الآن في معرفة ذلك بمدينة مكناسة سئل منهما الوقوف على عين القادوس المجلوب فيه ماء الوادي للمدينة المذكورة وماء عين تاكمة المنجر من حبس الجامع الاعظم من المدينة المذكورة مبدؤه من السور القريب من سيدي أبي زكرياء الصبان نفعنا الله به الى المعدة التي بين باب المسجد المذكور وباب دار السيد مسعود اللب والاختبار لأحواله وتقويمه لأمر أوجبه فأجابا الى ذلك وتوجها نحوه ونظراه نظرا تاما واختبراه اختبارا كافيا عاما وقوما جميعه بعد كيله وعده والكشف عن بعضه بثمانية آلاف مثقال وأربعمائة مثقال دراهم صحيحة سكة تاريخية يختص قادوس ماء الوادي من ذلك بثلاثة آلاف مثقال وسبعمائة مثقال وثمانين مثقالا ويختص قادوس ماء العين بأربعة آلاف مثقال وست مائة مثقال وعشرين مثقالا ويفسر الجميع فعن قيمة قادوس ماء الوادي الذي قدره تسعة آلاف من القادوس الف مثقال واحد ومائة مثقال واحدة وخمسة وعشرون مثقالا من حساب أوقية وربع لكل واحد بحمله وعن قيمة زيت صلاقة لذلك كله قدره مائة قنطار وخمسون قنطارا من حساب رطلين ونصف لكل واحد وذلك بعد اختبارهما طي البعض الآن بذلك تسعمائة مثقال وسبعة وثمانون مثقالا ونصف مثقال والباقي في جير وتراب وحجر وآجر وأنصاف وثمن قفف وأجرة أجراء للشق والطي وأجرة المعلمين وماكول وغير ذلك وعن قيمة قادوس ماء العين قدره أحد عشر ألف قادوس ألف مثقال وثلاثمائة مثقال وخمسة وأربعون مثقالا من حساب التقويم المذكور وعن قيمة زيت صلاقة من حساب ذلك أيضا قدره مائة قنطار وثلاثة وثمانون قنطارا وثلث القنطار ألف مثقال ومائة مثقال وستة واربعون مثقالا والكل فيما ذكر من جير وتراب الخ. تقويما ظهر لهما فيه صلاح وسداد بعد بذل الطاقة والاجتهاد وبه قيدت شهادتهما مسئولة منهما في 14 رجب الفرد الحرام عام عشرة ومائة وألف المعلم الحاج حم

القنوي شهد الأمين أبو عزة بن أحمد التواتي القنوي شهد أديا فثبت الحمد لله أشهد الفقيه الأجل العلامة الافضل المدرس البركة قاضي الجماعة بالحضرة الهاشمية مدينة مكناس وهو محمد أبو مدين بن حسين السوسي أعزه الله تعالى-وحرسها بثبوت الرسم أعلاه الثبوت التام لصحته عنده وثبوته لديه بواجبه وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر وفي التاريخ أعلاه هـ. وبمحول هذا العقد ظهير التحبيس ودونك لفظه بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وءاله وصحبه وسلم تسليما عن أمر عبد الله. والمتعمد على الله. أمير المؤمنين. المجاهد في سبيل رب العالمين. اسماعيل بن الشريف كان الله له وليا ونصيرا. وعونا وظهيرا. بمنه آمين وبه كتب اسماعيل لطف الله به كتابنا هذا أعزه الله وأيد في الصالحات مسعاه. وأكرم باذخاره الحسنات مثواه. بمنه آمين يارب العالمين يعلم منه بحول الله وقوته أننا اجرينا ماء عين تاكما المذكور بمحول الرسم المنقول هذا من ظهره بالمعنى وهو المشسخ ؟ ثمة والمحبس على المسجد الاعظم بحضرتنا المحمية بالله مكناسة صانها الله على المهيع الذي كان عليه وموقوفا لديه ومن أجله من قديم الزمان ورددناه لاصله ماتصرفت فيه الأيادي داخل الفترة من زمن الخلافة بلا شرع ولا حقيقة بل بتعد وعدوان أيام كانوا بها فوضى ورفعنا عنه يد كل طامع فيه كائنا من كان وعلى أي وجه كان الا ما أجرى منه فيما هو من الاوقاف والمساجد والمدارس والسقايات بعد أدائهم من أوقافهم للمسجد الجامع المذكور ما أنفقه من حبسه على إجراء الماء المذكور كل بقدر نصيبه منه ومن رام إدخال الماء لداره وقدر على جلبه لانتفاعه به في جميع تصرفاته ويدعه له ولبنيه من بعده فها ماء الوادي يعطي ما لزمه فيه ويأخذ منه بقدر ما يحتاج منه بثمنه وقد عملنا هذا ابتغاء وجه الله من إدخال المنافع والمرافق في سبيله وأبقينا من الوقف والحبس المخلد على أبد الأبد ومن بدل أو غير فيه فالله حسيبه وسائله وحسب الواقف عليه من ولاة أمورنا وعهودنا العمل بمقتضاه ولا يخالفه ولا يتعداه ولابد ولابد ولابد والسلام في أواسط المحرم الحرام فاتح سنة ست ومائة وألف هـ.
ومن ذلك سقاية السبيل المعروفة بسقاية الذهب الواقعة بقنطرة

دردورة وذلك عام واحد ومائة وألف واعتنى بشأنها واهتم بها اهتماما زائدا وأوقف عليها أوقافا مهمة وقفت على عدة عقود تتضمن التحبيس عليها من ذلك ما لفظه الحمد لله شهد لدى شهيديه أمينُ الدار العالية بالله وناظر سائر الايالة الشريفة المعلم محمد بن محمد الكاتب الأندلسي ان مولانا المنصَور بالله تعالى مولانا أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسماعيل أيد الله أوامره وخلد مفاخره الكريمة ومآثره آمين حبس جميع الحوش المستدير بالحيطان غير ربع واحد منه بلا حائط الكائن بقصبة تزيمي المجاور من اسفل الحوش حبس مسجد صواغة الذي بيد الوقاد على وجه الجزاء على إصلاح الماء المجلوب بسقاية الذهب التي احدث بناءها مولانا المذكور بقنطرة دردورة خارج مدينة مكناسة وهذا العقد بتاريخ جمادى الاولى عام سبعة عشر ومائة والف هـ. واقتفى أثره في التحبيس عليها غير واحد من أنجاله وعظماء ولاته وقد أوردت بعض ذلك في تاريخنا اتحاف أعلام الناس، ومن ذلك سقاية قعر الهديم وسقاية باب منصور العلج وسقايتا باب الرايس وسقاية أبي الحسن علي منون وسقايات قصبة هدراش وباب الناعورة والسقاية التي بمحج حومة راس الشراطين من فاس القرويين حسبما وقع التصريح بذلك في قطعة شعرية منقوشة في زليج باعلى السقاية المذكورة كان أزيل ذلك الزليج ثم أعيد منكسا اي تنكيس اختل بسبب ذلك نظام ترتيب الابيات فصار لا يفهم منها غير بعض الاشطار وبيت التصريح باسم المترجم الى غير هذا مما تتبعه يطول.

الفصل الخامس فيما بناه أو جدده من الاضرحة

من ذلك ضريح الشيخ ابي يعزى بتاغيا من بلاد زيان وكان بناؤه لهذا الضريح عام اثنين ومائة والف حسبما وقفت على ذلك في بعض التقاييد الموثوق بصحتها وأمانة كاتبها، ثم قرأت في مدد التأييد التصريح بذلك.
وضريح الشيخ أبي شعيب دفين أزمور، وقباب رجال طيط، وضريح ابي عبد الله محمد الشرقي بأبي الجعد، وضريح أبي العباس ابن عاشر

بسلا وضريح ابن حرزهم بفاس وضريح ياقوتة المغرب العصماء مولانا
ادريس ابن عبد الله الكامل وضريح مولانا ادريس بن ادريس المذكور
وقد قدمنا التنبيه على ذلك قريبا، فضريح الشيخ الجزولي صاحب دلائل
الخيرات وضريح الامام السهيلي مؤلف الروض الانف وغيره والزيادة
المتصلة بقبة ضريح ابي العباس السبتي وضريح القاضي ابي الفضل
عياض وروضة الشيخ علي مكرار خارج باب ابي العمائر من مكناس
وروضة ابي زكرياء الصبان وروضة الشيخ عبد الله من حمد وروضتي
الشيخ محمد ابن عيسى وشيخه الحارثي وروضة ابي الرواين وروضة
الشيخ أبو إسحاق وروضة الشيخ فرج ابن لب الاندلسي الغرناطي
وغير ذلك. وجدد ضريح ابي القنادل يوسف الشريف احد الصلحاء
الذين شملتهم داره الكبرى الآتية الذكر، وكان تجديده له عام الف
ومائة واثنين وعشرين طبق ما قرأته منقوشا نقشا بديعا في رخامة
ملصقة بأحد جدرات الضريح المذكور ودونك لفظ ذالك : بسم الله
الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما
كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام هذا ضريح
الولي الصالح أبو المحاسن سيدي يوسف الشريف الشهير بأبي قنادل
نفعنا الله ببركاته آمين أمر بتجديد هذا الضريح المبارك الملك الامام
الجايل أبو النصر مولانا اسماعيل ايده الله ونصره أوائل المحرم فاتح
سنة 1122هـ. ويوجد هذا الضريح وراء دفة باب الدار المذكورة
يسار الداخل اليها الى غير هذا.

تنبيه البناء على القبور وتجصيصها مكروه وانْ بُوهي به حَرم ففي
المدونة ويكره تجصيص القبور والبناء عليها وفي النوادر وفي العتبية من
سماع ابن القاسم وكره مالك أن يرصص على القبر بالحجارة والطين
ويبنى عليها بطوب أو حجارة ثم قال ومن كتاب ابن حبيب ونهى
عن البناء عليها والكتابة والتجصيص وروى جابر ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى أن ترفع القبور أو يبنى عليها أو يكتب فيها أو تقصص
وروى تجصص وأمر بهدمها وتسويتها **وسئل** مالك عن القبر تجعل عليه
الحجارة ترصص عليه بالطين فكره ذلك وقال لا خيَّر فيه ولا يجير
ولا يبنى عليه بطوب ولا حجارة **وقال** اللخمي كره مالك تجصيص

القبور لان ذلك من المباهاة وزينة الحياة الدنيا وتلك منازل الآخرة وليس بموضع للمباهاة وانما يزين الميت عمله هـ. ولا تنفذ وصية من أوصى بالبناء على قبره فقد قيل لمحمد بن عبد الحكم في الرجل يوصي ان يبنى على قبره فقال لا ولا كرامة يريد بناء البيوت ولا بأس بالحائط اليسير الارتفاع ليكون حاجزا بين القبور ليلا يختلط على الانسان موتاه مع غيرهم ليترحم عليهم ويجمع عليهم غيرهم ، وليس لاحد أن يدفن في مقبرة غيره الا ان يضطر الى ذلك فان اضطر لم يمنع لأن الجبانة أحباس ليس لأحد فيها شيء، ويمنع مع الاختيار لان للناس أغراضاً في صيانة موتاهم وتعاهدهم بالترحم هـ. **وأما** تسنيم القبر فمطلوب شرعا قال الباجي في المنتقى، ومن السنة تسنيم القبر ولا يرفع قاله ابن حبيب، وفي البخاري في باب الجريد على القبر قال خارجة بن زيد رأيتني ونحن شبان في زمن عثمان رضي الله عنه وأن أشدنا وثبة الذي يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه هـ. قال العلماء يوخذ من هذا اذا علا القبر لغرض صحيح لا لقصد المباهات جاز.. ابن حجر : مناسبة هذا الأثر من جهة أن وضع الجريد على القبر يرشد الى جواز وضع ما يرتفع به ظهر القبر عن الارض، واخذ منه جواز تعلية القبر، وفي البخاري عن سفيان التمار العصفدي انه رأى قبره صلى الله عليه وسلم مسنما وروى ابن أبي شيبة هذا القول وزاد وقبر أبي بكر وعمر كذلك[1] وقال ابراهيم النخعي أخبرني من رأى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه مسنمة ناشزة من الارض عليها مَرمر أبيض وقال الشعبي رأيت قبور شهداء أحد مسنمة وكذا فعل بقبر ابن عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهم **وقال** الليث حدثني يزيد بن ابي حبيب انه يستحب ان تسنم القبور ولا ترفع ولا يكون عليها تراب كثير وهو قول الكوفيين والثوري ومالك واحمد واختاره جماعة من الشافعية منهم المزني أن القبور تسنم لانها أمنع من الجلوس عليها وفي ابي داوود عن القاسم قال دخلت على عائشة رضي الله عنها وقلت لها يا أمّه اكشفي لي عن قبره صلى الله عليه وسلم

(1) كنت ضمن وفد الحاج الذي رأى القبور الثلاثة مسنمة على ما رأى هؤلاء الناس

وقبري صاحبيه رضي الله عنهما فكشفت عن ثلاثة قبور لا مُشرفة ولا لاطية مسطوحة ببطحاء العرصة، وأولوا أحاديث النهي بانها محمولة على المبنية التي تطلب بها المباهاة وبأن رواية البخاري مقدمة، وبغير ذلك.

وأما بناء البيوت على القبور فظاهر المذهب منعه خلافا لابن القصار قال الحطاب ولا أعلم أحدا من المالكية أباح البناء حول القبر في مقابر المسلمين سواء كان الميت صالحا او عالما او شريفا او سلطانا أو غير ذالك وفي الابى وافتى ابن رشد بوجوب هدم ما ينى في مقابر المسلمين من السقائف والقبب والروضات وأن لا يبقى من جدرانها إلا ما يميز به الرجل قبر قريبه ليلا ياتي من يريد الدفن في ذلك الموضع وقدر ما يدخل معه من كل جهة دون باب ونقض ذلك لربه قال فان كان ذلك في ملك الرجل فحكمه حكم بناء الدور **وقال** بناء المساجد على القبور فمكروه ففي البخاري ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور قال العيني في عمدة القاري لدى كلامه على هذه الترجمة قيل الاتخاذ أهم من البناء فلذلك افرده بالترجمة ولفظها يقتضي ان بعض الاتخاذ لا يكره ودعوى العموم بين الاتخاذ والبناء غير صحيحة وكره مالك المسجد على القبور واذا بني مسجد على مقبرة دائرة ليصلي فيه فلا بأس، وكره مالك الدفن في المسجد هـ. **وفي** الفجر الساطع وقال البيضاوي لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الانبياء تعظيما لشأنهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها اوثانا لعنهم النبي صلى الله عليه وسلم ومنع المسلمين من مثل ذلك فأما من اتخذ مسجدا في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم ولا للتوجه إليه فلا يدخل في الوعيد المذكور هـ. نقله في الارشاد هـ. وفي ابن حجر لدى كلامه على أحاديث باب بناء المسجد على القبر ما نصه المنع من ذلك إنما هو حال خشية ان يصنع بالقبر كما صنع أولئك المحدث عنهم أما إذا أُمن من ذلك فلا امتناع هـ.، وعلى هذا يحمل فعل سيدنا الجد قدس ثراه **استطراد** زيارة القبور مندوبة مرغب فيها وقيل واجبة ولو مرة واحدة في العمر لورود الأمر به قال في فتح الباري ونسبه لابن حزم وقد ترجم لها البخاري واخرج

أحاديثها في مواضع من صحيحه كما اخرجها مسلم وأبو داوود والترمذي والنسائي وغيرهم، وقد أخذ العلماء من أحاديث زيارة القبور الاطلاق سواء كان الزائر رجلا أو امرأة وسواء كان المزور مسلما او كافرا لعدم الفصل في ذلك، قال النووي وبالجواز قطع الجمهور **وقال** الحازمي أهل العلم قاطبة على الاذن في ذلك للرجال وقال ابن عبد البر الاباحة في زيارة القبور إباحة عموم كما كان النهي عن زيارتها نهي عموم، ثم ورد النسخ بالاباحة على العموم فجائز للرجال والنساء زيارة القبور، **وروى** في الاباحة احاديث كثيرة منها ما أخرجه ابن أبي شيبة عن أنس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيارة القبور ثم قال زوروها ولا تقولوا هجرًا يعني سوءا، ومنها حديث ابن مسعود أخرجه ابن ماجة عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فإنها تزهد في الدنيا وتذكر في الآخرة وعند ابن عبد البر بسند صحيح ما من احد يمر بقبر أخيه المومن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام، ولما خرج الترمذي حديث بريدة قال والعمل على هذا عند أهل العلم لا يرون بزيارة القبور باسا وهو قول ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق، ولما روى حديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور قال هذا حديث حسن صحيح ثم قال وقد رأى بعض اهل العلم ان هذا كان قبل ان يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال والنساء، وأخرج ابن عبد البر في التمهيد من رواية بسطام بن مسلم عن أبي التياح عن عبد الله بن أبي مليكة ان عائشة رضي الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت لها يا أم المومنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمان ابن أبي بكر رضي الله عنه فقلت لها أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن زيارة القبور قالت نعم كان ينهي عن زيارتها ثم أمر بزيارتها، وفي التوضيح وحديث بريدة صريح في نسخ النهي عن زيارة القبور وكان الشارع ياتي قبور الشهداء عند رأس الحول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكان ابو بكر وعمر وعثمان رضي

الله عنهم يفعلون ذلك وزار الشارع قبر أمه يوم الفتح في ألف مقنع ذكره ابن أبي الدنيا وكانت فاطمة رضي الله عنها تزور قبر حمزة رضي الله عنه كل جمعة وكانت عائشة رضي الله عنها تزور قبر اخيها عبد الرحمن وقبره بمكة **وقال** ابن حبيب لا بأس بزيارة القبور والجلوس اليها والسلام عليها عند المرور بها كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسئل مالك عن زيارة القبور فقال كان نهى عنه ثم أذن فيه فلو فعل ذلك إنسان ولم يقل إلا خيرا لم أر بذلك بأسا، وفي التوضيح والامة مجتمعة على زيارة قبر نبينا صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكان ابن عمر اذا قدم من سفر أتى قبره المكرم فقال السلام عليك يارسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام يا أبتاه هـ. عيني باختصار وقال الحافظ أبو موسى الاصبهاني واستلام القبور وتقبيلها الذي يفعله العوام الآن من المبتدعات المنكرة شرعا ينبغي ان يجتنب فعله وينهى فاعله فإن ذلك فعل النصارى قال ومن قصد السلام على ميت سلم عليه من قبل وجهه فإن أراد الدعاء له تحول عن موضعه واستقبل القبلة هـ. عزيزي، وهذا كله ما لم يؤد الى فعل منكر من اختلاط الرجال بالنساء وضرب الصدور وشق الجيوب وقول الهجر وغير ذلك مما ورد النهي عنه وتقريع فاعله وإلا فالحرمة وبالاخص للنساء وخصوصا من تخشى فتنتها أو الافتتان بها كما هو واضح مقرر في الفروع والاصول غني عن جلب الادلة عليه في موضوعنا هذا وبالله التوفيق.

وأما تقبيل القبر وسائر الاماكن الشريفة بقصد التبرك فلا مانع منه شرعا ففي عمدة القاري نقلا عن شيخه زين الدين لدى كلامه على ما ذكر في الحجر الاسود من صحيح البخاري ما نص الغرض منه وأما تقبيل الاماكن الشريفة على قصد التبرك وكذلك تقبيل أيدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية وقد سأل أبو هريرة الحسن رضي الله عنهما ان يكشف له المكان الذي قبله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سرته فقبله تبركا بآثاره وذريته صلى الله عليه وسلم، وقد كان ثابت البناني لا يدع يد أنس رضي الله عنه حتى يقبلها ويقول يد مست يد رسول الله صلى الله عليه

وسلم وقال ايضا وأخبرني الحافظ ابو سعيد بن العلاء قال رأيت في كلام احمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الامام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل منبره فقال لا بأس بذلك قال فأريناه للشيخ تقي الدين بن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول عجبت أحمد عندي جليل يقوله هذا كلامه أو معنى كلامه وقال وأي عجب في ذلك وقد روينا عن الامام أحمد أنه غسل قميصا للشافعي وشرب الماء الذي غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة، وكيف بآثار الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولقد أحسن مجنون ليلى اذ يقول :

أمر على الديار ديار ليلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وفي صحيفة 422 من الجزء الخامس من مسند الامام احمد المطبوع بمصر سنة 1313 ما لفظه، حدثنا عبد الله حدثنا أبي حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا كثير بن زيد عن داوود بن أبي صالح قال أقبل مروان يوما فوجد رجلا واضعا وجهه على القبر فقال أتدري ما تصنع فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب فقال نعم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم آت الحجر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله هـ. وهذا يكفي دليلا على الجواز وإن تكلم في بعض رجال سنده، **وقال** المحب الطبري ويمكن ان يستنبط من تقبيل الحجر واستلام الاركان جواز تقبيل ما في تقبيله تعظيم الله تعالى فإنه إن لم يرد فيه خبر بالندب لم يرد بالكراهة قال وقد رأيت في بعض تعاليق جدي محمد بن ابي بكر عن الامام ابي عبد الله محمد بن أبي الصيف أن بعضهم كان اذا رءا المصاحف قبلها واذا رءا أجزاء الحديث قبلها واذا رءا قبور الصالحين قبلها قال ولا يبعد هذا والله اعلم في كل ما فيه تعظيم لله تعالى هـ. وفي فتح الباري لدى كلامه على من لم يستلم الا الركنين اليمانيين (فائدة) استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الاركان جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من ءادمي وغيره فأما

تقبيل يد الادمي فياتي في كتاب الأدب وأما غيره فنقل عن الامام
أحمد أنه سئل عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه وسلم وتقبيل منبره
فلم ير به بأسا واستبعد بعض اتباعه صحة ذلك ونقل عن ابن أبي
الصيف اليماني أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف
وأجزاء الحديث وقبور الصالحين وبالله التوفيق هـ. ونقل كلامه هذا
في تحفة المخلصين محتجا به فانظره وهذا كالقيد لما قلناه آنفا عن أبي
موسى الاصبهاني وغيره والله تعالى أعلم **وقال** التوسل بصالحي
الاموات فلا مانع منه شرعا ايضا ومن أدلة جواز ذلك ما أخرجه
الطبراني في المعجم الصغير صحيفة 103 (طبع دهلي من اقليم الهند)
ونصه حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقري المصري التميمي حدثنا
اصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي
عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن
سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف الى
عثمان بن عفان في حاجة له فكان عثمان لا يلتفت اليه ولا ينظر الى
حاجته فلقي عثمان بن حنيف فشكى ذلك اليه فقال له عثمان بن حنيف
إيت الميضاة فتوضأ ثم إيت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل اللهم
إني اسألك وأتوجه اليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة
يا محمد إني أتوجه بك الى ربك جل وعز فيقضي لي حاجتي وتذكر
حاجتك ورح الي حتى أروح معك فانطلق الرجل فصنع ما قال له
عثمان ثم أتى باب عثمان فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان
بن عفان فأجلسه معه على الطنفشة وقال : حاجتك فذكر حاجته
فقضاها له، ثم قال له ما ذكرت حاجتك حتى كانت هذه الساعة
وقال ما كانت لك من حاجة فائتنا ثم ان الرجل خرج من عنده فلقي
عثمان بن حنيف فقال له جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي
ولا يلتفت إلي حتى كلمته في، فقال عثمان بن حنيف والله ما كلمته
ولكن شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه ضرير فشكا
عليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أفتصبر فقال
يا رسول الله انه ليس لي قائد وقد شق علي فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم إيت الميضاة فتوضأ ثم صل ركعتين ثم ادع بهذه الدعوات

قال عثمان بن حنيف فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط لم يروه عن روح ابن القاسم الاشيب بن سعيد ابو سعيد المكي وهو ثقة وهو الذي يحدث عنه أحمد بن شبيب عن ابيه عن يونس بن سعيد يزيد الايلي وقد روى شعبة هذا الحديث عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة والحديث صحيح وروي هذا الحديث عن عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر وقد وهم فيه عون بن عمارة والصحيح حديث شبيب بن سعيد هـ. **قلت** وهذا كاف في رد استدلال على سدّ باب جواز التوسل بالاموات بالاستسقاء بعم نبينا سيدنا العباس ونص في الجواز وإدعاء الخصوصية بخير الانام لا بد له من دليل وقد طرق هذا الموضوع الحافظ المنذري في فصل التوسل من كتابه الترغيب والترهيب.

الفصل السادس فيما بناه من القصور والدور

من ذلك قصبته المحتوية على الدور والقصور والمعاقل المدهشة والأبراج الشاهقة والسقائل العجيبة التي ضربت بهياكلها الضخمة الأمثال بين عظماء الدول سلفاً وخلفاً الى غير ذلك من بساتين تنشرح لزهرتها الصدور وحدائق تبتهج بها النفوس ومزارع تلهي الرضيع وتسلي قلب الشجي الحزين **فمن** قصورها التي لا زالت ولا تزال صفحات التاريخ المغربي موشاة بذكر جمالها وكمالها قصر المحنشة والمدرسة المزرية بدائعهما بالبديع وضخامة آثارهما بما بناه الأولون على اختلاف عناصرهم وتباين اديانهم وتباعد أزمنتهم وبهذين القصرين سكنى الجلالة السلطانية وحرم العائلة الملوكية الكريمة حتى الآن (وبالاول منهما كانت ولادتي). **ومنها** داره الكبرى ذات القصور العديدة والمصانع المنيعة المريعة والحصون المدهشة الحصينة والأوضاع العجيبة المتناسقة والأسوار الضخمة الشامخة الرائقة في أعين عشاق الآثار المتجولين من سواح أقطار المعمور المستعذبة في اذواق أولي الألباب

الداخلين المعتنين المتأملين تفيد ذوي الأبصار عبرة وذكرى تقصر النعوت دون وصفها وتنحت البيوت في جوفها قال ابو عبد الله أكنسوس في جيشه العرمرم، ولو شاهد المنصور الذهبي سورا واحدا من اسوار السلطان مولانا اسماعيل لعلم ان ما افنى فيه عمره من ذلك المنزل المسمى بالبديع(1) انما هو في التمثيل كدار ابليس التي تباع في عاشوراء يلعب بها البنات ولا تحتاج المشاهدة الى إقامة البينات هـ. تبلغ سعة جل جدرانها مترا ونصفا ويبلغ ارتفاع سمك غالبها خمسة عشر مترا. **فمن** القصور المربعة في هاته الدار الجامعة أصناف المحاسن والفخار قصر الستينية الفسيح الفائق ذو المنظر البهيج الذي تجسم فيه الانشراح ورفرفت على طالعه الميمون أعلام الافراح وجر ذيول العجب على الزوراء وازدرى بالزاهرة والزهراء وأخجل قباب الشام والخورنق والاهرام ينيف طوله على مائة ميتروا وعرضه على خمسين كان له ايام شبابه مباح فسيح محيط بجوانبه الاربع محمول السقف على اعمدة الرخام الناصع البياض على راس كل عمود كرسي من المرمر البديع المزخرف بالنقش العالي المبرهن على كمال صنعة براعة الصانع واقتداره على ابراز كل غريب فتان تستوقف لطافته الأنظار ويحير عجيب اتقانه النظار اصطفت تحت ظل ذلك المباح الظليل أبواب قبب متقابلة بسائر جوانبه الاربع يتخللها دور وقصور فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين تجسمت فيه الابهة والبهاء وحير وضعها الهندسي أهل النهي، ورصع فسيح تلك الارض طوله والعرض بالزليج المختلف الألوان وصهاريج صافي الرخام وجوانبه الباهض جمالها وترتيب نظامها القاذفة عن انابيبها الماء المعين الذي يغار من صفائه الزئبق واللجين وألبست جدرانها حلل الجبص الموشاة بأبرع وشي وأغلاه وأعلاه وتمنطقت بمنطقة من الزليج ذي الالوان المختلفة المذهل بمتقن تطريزه المرضعة عن الرضيع حوت من كل اصفر فاقع واحمر قاني وابيض ناصع وأسود حالك واخضر وأزرق ما تنشرح بمراه الصدور وتنطفي به لواعج المصدور لا يقصر ارتفاع تلك المنطقة عن قامة

(1) د. التازي : قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا... مطبعة فضالة — المحمدية — 1970.

في غاية الاستقامة بشمال هذا القصر منار يسر الناظرين متجل في حلة سندسية خضراء متوج بتاج مموه بخالص الابريز تلوح على نواحي القصر منه لوائح السراء، ووجه تسمية هذا القصر بالستينية وجود قبب به، لها مزيد أبهة وبهاء ومن جملته كونها مسقفة بالعمل المعروف عند أهل حرفة النجارة بالستيني فأعطيت التسمية للقصر كله من باب تسمية الكل باسم الجزء الأعظم وما عدا ذلك وهو جل القبب الاسماعيلية في سائر قصوره مقبو بالجيار والآجور مزخرف بالجبص البديع النقش. وفي هَذا العصر صار محل سكنى مؤلف هذا الكتاب وفي روضه فيه قال صديقه الحميم الفقيه المؤرخ أبو عبد الله محمد بوجندار مساجلا للاديب الشهير نابغة لبنان الشيخ رشيد مصوبع وقت اتفاق اجتماعهما بذلك الروض وذلك ثاني عشر جمادى الأولى عام ستة وثلاثين وثلاث مائة وألف.

قم بي الى اللذات قبل فواتها ... هذى الرياض الزاهرات فواتها
نشتاقها بعد الفراق لانها ... أحيت لنا الارواح بعد مماتها
طاب الغبون بها على شمس الاصيـ ... ـل وطيرها الشادي على دوحاتها
قد زينت مكناسة بجمالها ... كالخال زين للدما وجناتها
فكأنما هي جنة الفردوس فيـ ... ـها ما يروق العين من لذاتها
ان قام يعبس قلب مكروب أسى ... اسدت لعابس قلبه بسماتها
واذا تنسم طيبها ميت الهوى ... أحياه ما حيَّاهُ من نسماتها
حسناتها ليست تعد وحسبنا ... أن السرور يكون من حسناتها
والحسن والاحسان بعض صفاتها ... والأنس والايناس بعض هباتها
نرنو لها فنخال طلعة ربها ... في البشر والاشراق من زهراتها
ونحار هل حاكت جميع صفاته ... أو أنه الحاكي جميل صفاتها
نشرت لنا كفاه من طيب النهى ... ما كان أطيب من شذا نفحاتها
وطوت عواطف قلبه وُداً لنا ... مثل المدام الصرف في كاساتها
لا زال بدر علاه في سمواته ... يسمو على الجوزاء في سمواتها

وقال ايضا مساجلا لصفى ودنا حليف الفضل والأدب الفقيه سيدي محمد بن اليمني الناصري حين اجتماعهما فيه ايضا لدي قال مفتتحا

لله من مجلس رقت حواشيه	وشاه بالحسن والاحسان واشيه
تنسي قلوب الالى حلوا بساحته	من السرور على المدا غواشيه
وكيف لا وأريج الروض أرجه	بما به تنتشي عقول ناشيه
أما ترى الدوح في أرجائه رقصت	زهوا وعجبا ببادي الفضل فاشيه
ذاك العلي الذي العلياء تخدمه	والسعي يقدمه لدا مماشيه
بحر العلوم ابو زيد ابن زيدان من	بدر العلا في علاه لا يماشيه
لازال يرقى من العلياء ذروتها	ولا أنيل . مناه فيه واشيه
ما سرى الهم عمن أم ساحته	وطاب في مجلس رقت حواشيه

ومنها، أعني القصور الاسماعيلية، قصر النصر الذي كان أسسه زمن خلافته في دولة اخيه السلطان الأفخم مولاي رشيد ذلك القصر المتسع الأكناف المعروف اليوم بدار لالة بني بحومة الدريبة بمقربة من مسجد القصبة الملوكية التي تقام به الصلاة يوم الجمعة وبه يكون احتفال الجلالة المولوية لصلاتها عند حلول ركابها الشريف بالعاصمة المكناسية حتى الآن.

ومنها قصر مولاي زيدان، ومنها قصر الشعشاع ولا يقصر قصر من هذه القصور عما فصلناه في القصر السابق : قصر الستينية في الابهة والزخرفة وان اختلفت اوضاعها في الاستطالة والتربيع ولا يخلو واحد منها عن صروح شامخات يشرف منها على ضواحي مناظر مكناس الطبيعية المختلفة الشكل ما بين منخفض ومرتفع وارجائه الأريجة.

ومنها القصر المعروف بالكشاشين وهو عبارة عن فسيح مستطيل ذي أساطين مصطفة مبنية بالجيار واللبن والحجر عليها اقواس مرتفعة فاقع لونها تسر الناظرين بعضها قبالة الداخل وبعضها عن اليمين والشمال كلها مقبوة السقف كان هذا القصر معدا للطبخ وشئونه وخزن لوازمه وسكنى القيّمات بمباشرة ذلك من وخش الرقيق وحشم الحاشية الملوكية تتخلل هذه القصور وتكتنفها مناهج مستطيلة مقبوة السقف ذات ابهة ومهابة في سقوفها كواة ينفذ منها الضوء لتلك الشوارع التي ساد السكون فيها، من تلك الشوارع ما خر سقفه ومنها ما هو قائم السقف حتى الآن رغما عن التخريب الذي استاصل شافة

تلك المحاسن وغيَّر ماء بهجتها الذي كان ءَاسِنِي فمع الاسف خلعت تلك المباني حلل الزينة وتوحشت بعد الانس تلك الربوع وأخنى الدهر بجديدها وتولى متسلط النحس على سعيدها فانتثر عقد نظامها وتفرقت انقاضها في اقطار المغرب وبنيت منها المساجد والمدارس والرباطات والدور حسبما افصح بذلك ابو القاسم الزياني في روضته وحفظته لنا تقاييد اسلافنا الكرام وتلقيناه عمن تلقاه منهم وكشطت حلل تلك الجدرات التي طالما جرت على المتطاول ذيول الاعجاب وبدت عيون كواتها العديدة التي جفت جفونها المنام لما دهاها حال اطمئنانها من الاغتيال وحق لمن بقي به رمق بعد ان اخذ على حين غفلة ان يتنبه، وباعين النجوم في السهر يتشبه، وقد حفر هطال دموع تلك العيون في خدود تلك الجدرات أخدودا اسفر عن كونه كان وعاءً لقنوات مجاري ماء الأمطار المنسدلة من اعالي السطوح الى اسفل الوادي الساري في تخوم الارض وقد احاط هذه الدار العظيمة المقدار التي هي في الحقيقة مدينة بالاسوار الضخمة الشامخة والأبراج والسقائل حتى صارت كأنها مركز حربي هائل ولا فند ان قلت كانت مركزا حربيا من أعظم مراكز العالم الحربية وقد ادركنا بقية أعمدة الرخام وكراسيه التي كانت محمولة مباحات القصور الملوكية عليها متراكما بعضها فوق بعض منها ماهو ظاهر ومنها ما غطاه الثرى يعثر عليه بالحفر وقد كان الكثير من ذلك ملقى بباب قصر المحنشة ولم يزل كذلك الى ان دخلت الدولة الحامية فنقلت بعضه لدور كبراء موظفيها والبعض الآخر للجنان العمومي الذي احدثته بالمحل المعروف بالحبول بفتح الحاء، وقد تلقينا من آبائنا انهم تلقوا من آبائهم ان جميع تلك الاعمدة مع كراسيها كان ملقى بقصر الستينية وغيرها من القصور المذكورة، ومنها نقله السلطان المولى الحسن لقصر المحنشة المشار اوائل دولته، وكم اتخذت من ذلك الرخام من جوابي وصهاريج وزليج والواح لعتبات الأبواب وغيرها ورتج وغير ذلك وفرقت في بقاع المغرب وكثيرا ما كان يقع العثور عليها على الاعمدة والكراسي الرخامية تحت الثرى عند حفر اساس أو غيره في ردم تلك المباحات التي لازالت الآثار الدالة عليها شاخصة الى الآن كما انه لا زال يعثر

على زليج الارض وقنوات مجاري المياه للصهاريج والجوابي لسائر فروع القصور السلطانية عند ما تدعو الحاجة لنقل تراب أو حفر أساس ونحوه، وكانت مدة الاشتغال في بناء قصور هذه الدار أعني دار الخلافة الموسومة باسم الدار الكبرى حتى الآن ثمانية أعوام اذ كان الشروع في ابتداء تأسيسها على ما قاله الزياني وغيره بعد وفاة السلطان المولى الرشيد وجلوس السلطان المولى اسماعيل على منصة الملك قال اليفرني في النزهة وكانت مبايعته رحمه الله في الساعة الثانية من يوم الاربعاء سادس عشر ذي الحجة متم عام اثنين وثمانين وألف ووافق ذلك ثالث عشر ابريل من سنة 1670 سبعين وستمائة وألف م. هـ. وقريب منه في روضة التعريف وقد اشرنا لما يتعلق بذلك فيما مر وكان انتهاء العمل فيها سنة تسعين وألف ويشهد لذلك ما هو متوج به ما بها من النقش البديع المضمن فيه تاريخ اتمام العمل فيها ودونك لفظه.

دار الخلافة لاح نور قبابها تختال بين رياضها وهضابها
فكأنما الانهار في جناتها يمنى الملك الفخم يوم عبابها
مولاي اسماعيل من جرثومة نقل الائمة جده اوصى بها
يا راصدا لطوالع من سعدها فنظام شملك [1090] في عضادة بابها

ومن باهر تاسيساته السرداب الهائل الكائن تحت ارض فسيح مشور قبة الخياطين ذو الأساطين المحكمة البناء والأقواس الضخمة الشاهقة تمر فوقه الركبان وتجر عليه الدواب الصخور العظيمة وتسير السيارات البخارية المشحونة بالاثقال العظيمة آناء الليل واطراف النهار بل جعلت فوقها جنات ذات أشجار وبقول، وصارت تسقى بالماء كل آونة فلم يؤثر عليه شيء مما ذكر يعرف هذا البناء اليوم بحبس قارة، ويقال انه كان من جملة السجون المعدة للأسارى وغيرهم من أصحاب الجرائم العظيمة يبيتون به ليلا ويخرجون نهارا للخدمة قال أبو القاسم الزياني وكان في سجونه من اسارى الكفار خمسة وعشرون ألف أسير ونيف وكانوا يخدمون في قصره منهم الرخاميون والنقاشون والحجارون والحدادون والبناءون والنجارون والزواقون والمهندسون

والمنجمون والاطباء ولم تسمح نفسه بفداء الاسير بحالٍ قط أي وانما كان يفدي ببعضهم من اسر من المسلمين وكان في سجونه من اهل الجرائم العظيمة كالسارق والقاطع والقاتل نحو الثلاثين كلها تقيل بالخدمة مع اسارى الكفار ويبيتون بالسجون والدهاليز تحت الأرض، قال وامر الشيخ اليوسي مع المعتصم إبنه عام حجهما وهو عام واحد ومائة والف بأن يبعث النصارى يعني اسرى العرائش الى حضرته فبعثوهم وكانوا ألفا وثمان مائة فكان يخدِّمهم في بناء قصوره أي الخارجة عن قصور الدار الكبرى لانتهائها قبل التاريخ المذكور كما تقدم من جملة غيرهم من الاسارى والمساجين ومن الليل يبيتون بالدهليز هـ.

قلت استعمال المساجين بالخدمة نهاراً وجعلهم بالسجن ليلاً هو السند الذي تفعله الدولة الحامية مع المساجين من الاهالي وكأنها اخذت ذلك من فعل المولى اسماعيل ولايعرف اليوم الباب الذي كان يدخل منه بهذا السرداب والدخول اليه في الوقت الحاضر انما يقع من ثقب في سطحه حذو الجدار المحيط ببراح قبة الخياطين المذكورة من الجهة الغربية.

ومنها القصر المعروف اليوم ببين القبب الكائن بباب القاري الداخلي المجاور غربا لباب زين العابدين وقبلة لجناني البحراوية والاترجية وهما من الجنان السلطانية، ومنها القصر المعروف بدار لال صفية الذي به اليوم سكنى ابناء عم الجلالة السلطانية العلامة النقاد مولانا العباس بن مولانا عبد الرحمان بن هشام المقابل بابه الحالي لباب منصور العلج، **ومنها** القصر المعروف اليوم بدار البقر ويعرف بابه بباب مسعود بن العربي يتصل هذا القصر بقصري المحنشة والمدرسة وبقلعة العبيد الشهيرة اليوم بباب مراح محل سكنى المماليك الملوكية في العصر الحاضر وموقع هذا القصر أعني قصر دار البقر شرقي صهريج السواني ومن جهة الجنوب النهج العمومي هناك أضيف القصر للبقر لأن السلطان الأكمل المقدس مولانا الحسن كان جعله مقر البقر الحلوب الذي يقام من حليبه في سائر الظروف السنوية تموين الحليب لداره العلية كما جعله مقرا للقيمين بحلبها تحت اشراف أمين حتى يصل لمحله

بالدار المولوية ليد المكلف بتقسيطه على افراد العائلة الملوكية ثمه، والزائد على التقسيط من الزبد المخرج منه على ما اقتضته انظاره السامية وأوامره العلية يجمع ويحمل لجنابه العلي كل سنة حيثما كان من ايالته السعيدة، والعادة في كل بقرة انقطع حليبها نقلها للعزائب السلطانية ويوتى بالحلوب بدلها وبذلك كان الحليب لا ينقطع من الدار السعيدة في سائر فصول السنة وعلى ذلك استمر العمل الى اخر الدولة العزيزية ثم انقطع وفنى السكان المقيمون وخرب القصر وصار براحا تزرع فيه البقول والخضراوات، والعادة المحكمة الى الوقت الحاضر هو دخول سلطان الوقت عند الاياب من حفلة صلاة الأعياد من باب مسعود المذكور للدار العالية تيمنا بالسعادة التي في اسم من نسب اليه وقد كان صلى الله عليه وسلم يغير الأسماء القبيحة ويحب الفال الحسن. **ومنها** قصر الخيل ذلك القصر الباهي الباهر الذي لم يزل اثر بنائه التاريخي دينا للاوائل على الاواخر تحيط به اقواس مرتفعة من جهاتها الأربع وهذا القصر هو الذي اشار اليه أبو القاسم الزياني بقوله : وجعل لها اصطبلا لربط خيله وبغاله طوله فرسخ مسقف بدائرة البرشلة على سواري وأقواس هائلة، كل فرس مربوط في قوس وبين الفرس والفرس عشرون شبرا يقال انه كان مربط اثنى عشر ألف فرس مع كل فرس سائس ونصراني من الاسارى لخدمته. وفي هذا الاصطبل ساقية للماء مقبوة الظاهر وأمام كل فرس محل مفتوح كالمعدة لشربه، وفي وسط هذا الاصطبل قبب متعددة لوضع سروج الخيل على اشكال مختلفة هـ. وفي هذا الاصطبل هري عظيم على طول الأروى لخزن الشعير المعد للعلف يسع شعير المغربين. وهذا الهري لا زال قائما حتى الآن الا انه قد خرّ بعض سقفه وهذا السقف بعضه الآن مساو لارض الأروى وبعضه الآخر بارز عنها وبه أبوابه. وغير خاف ما كان لهذا الامام من الولوع التام والمحبة البالغة في الخيل وبذل طائل الاموال في جلبها وصيانتها **قال** أبو عبد الله اليفرني وله اي المترجم اعتناء بجمع الخيل العتاق وانتخاب الصافنات الجياد هـ. وقال ابن دفين طيبة الطيبة العربي بن عبد السلام الفيلالي يقصد اروية الصافنات الجياد ويحضر الموكلين بها من القواد يبحثهم عن اجناس

خيله ويفسر لهم أبا كل فرس وجده وجدته وأمه على اختلاف أوصافها وألوانها وأسنانها ثنياتها وربعاتها وقراحها ويعرفهم بأنسابها وربما هددهم وضيق عليهم غاية التضييق ليلا يستفزهم وخيم الطمع لبيع فرس عتيق ويحضهم على صرف البال لعلفها والبراقع والجلال والكل نصب عينيه لا يتكل في أمر على غيره هـ. وناهيك انه بنى لها قصرا بديعا فاخرا وفيه يقول الكاتب أبو حفص عمر الحراق :

أنا قصر العتاق من الجياد ... بناني الله في نحر الأعادي
على يد عبده المنصور حقا ... وصلت على القصور بكل نادي
وكيف لا أصول على المباني ... واسماعيل قد أسمى عمادي
وشيدني بتوفيق ويمن ... وعمرني بآلات الجهادي
وروع بي الصليب وعابديه ... فنال العز من رب العباد
أدام الله ملكه في هناء ... وأعقابه إلى يوم التنادي

هـ. **قلت** قوله بناني هو بالباء في أوله من البناء ضد الهدم ولايصح أن يكون بالفاء من الفناء بمعنى العدم لأنه إنما يتعدى بالهمز وهو في البيت متعد بنفسه ولأن الاتيان به في طالعة مديح بناء ذلك القصر مما يتشاءم منه لأنه دعاء باعدامه وهو كالمنافي للمقصود.

استطراد روى الواقدي أن أول من ركب الخيل اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام قال وإنما كانت الخيل وحشا لا تطاق أن تركب حتى سخرت لاسماعيل فكان أول من رسنها وركبها ونتجها **وقال** ابن الكلبي يقال انه أخرج الله تعالى مائة فرس من البحر لها أجنحة وكان يقال لملك الخيل الخير فكان سليمان عليه السلام يراهن بينها ويجريها ولم يكن شيء أعجب اليه منها **وروى** أن ابن عباس رضي الله عنهما قال أول ما اشتهر في العرب من تلك الخيل أن قوما من الأزد من أهل عمان قدموا على سليمان بن داوود عليهما السلام بعد تزويجه بلقيس ملكة سبإ فسألوه عما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم حتى قضوا من ذلك ما أرادوا وهموا بالإنصراف فقالوا يانبي الله ان بلدنا شاسع وقد أنقصنا من الزاد فمر لنا بزاد يبلغنا الى بلدنا فدفع إليهم سليمان فرسا من خيل داوود وقال هذا زادكم فإذا نزلتم

فاحملوا عليه رجلا وأعطوه مطردا واحتطبوا وأوروا ناركم فإنكم لن تجمعوا حطبكم وتوروا ناركم حتى يأتيكم بالصيد فجعل القوم لا ينزلون منزلا إلا حملوا على فرسهم رجلا بيده مطرد واحتطبوا وأوروا نارهم فلا يلبثون إلا قليلا حتى يأتيهم صاحبهم بصيد من الظباء والحمر والاروى فيأتيهم بما يكفيهم وفضلا عن ذلك فقال الا زديون ما لفرسنا هذا اسم إلا زاد الراكب فكان ذلك أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل فاصل فحول العرب من نتاجه، وأول من اختار الفرس من البشر آدم عليه الصلاة والسلام اذ لما عرض عليه ما خلق من الأشياء وسماه باسمه فقال الله له اختر ماشئت من خلقي فاختار الفرس فقال له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ماخلدوا وباقيها مابقوا بركتي عليك وعليهم ماخلقت خلقا أحب الى منك ومنهم ثم وسمه بغرة وتحجيل فصار ذلك من لدنه كان داوود نبي الله وخليفته في الارض يحب الخيل حبا شديدا فلم يكن يسمع بفرس يذكر بعتق أو حسن أو جري الا بعث نحوه حتى جمع ألف فرس و لم يكن يومئذ في الارض غيرها فلما قبض الله داوود ورثه سليمان وجلس في مقعد أبيه قال وما ورثني داوود مالا أحب الي من هذه الخيل هـ. من حلية الفرسان ملفقا والمراد بالارث هنا حيازة التصرف لا الملك اذ الانبياء لا يورثون كما جاء في الحديث الذي رواه ابو بكر الصديق رضي الله عنه محتجا به في مسألة فدك والعوالي بمحضر الصحابة وهم الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم. وقد أقسم تعالى بالخيل في كتابه فقال وهو أصدق القائلين والعاديات ضبحا وعلى انها الخيل ذهب ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء واكثر المحققين وهو مختار ابن جرير روى ذلك مرفوعا. قال الكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اناس من كنانة فمكث ماشاء الله ان يمكث لا ياتيهم منهم خبر فتخوف عليها فنزل جبريل عليه السلام بخبر مسيرها، **قال** الفخر : فان جعلنا الالف واللام في العاديات للمعهود السابق كان محل القسم خيل تلك السرية وان جعلناهما للجنس كان ذلك قسما بكل خيل عدت في سبيل الله.

واعلم أن ألفاظ هذه الآية تنادي أن المراد هو الخيل وذلك أن الضبح

لا يكون الا للفرس، واستعمال هذا اللفظ في الابل يكون على سبيل الاستعارة كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر، والعدول عن الحقيقة الى المجاز بغير ضرورة لا يجوز وأيضا القدح يظهر بالحافر ما لا يظهر بخف الابل، وكذا قوله فالمغيرات صبحا لانه بالخيل أسهل منه بغيره، وقد روينا أنه ورد في بعض السرايا واذا كان كذلك فالأقرب ان السورة مدنية لان الاذن بالقتال كان بالمدينة وهو الذي قاله الكلبي هـ. وقد ورد في فضلها ووجوب اتخاذها ورباطهاوحفظها وصونها والوصية بها أحاديث كثيرة ليس المحل لسردها.

وفي المباني الهائلة بالاسطبل المار الذكر هيكل الهري الماثل وهو هيكل عظيم هائل اشتمل على اهرية منها هري سبع قبب وقد دخلنا هري سبع قبب هذا فوجدناه انتصب في بناء مهول مدهش يمثل عظمة بانيه وكمال اقتداره وبه قبب ست تتوسطها قبة عظيمة هي سابعة القبب كان هذا الهري معدا لوضع السلاح الحربي.

وقد كان السلطان المقدس مولانا الحسن اتخذ هذا الهري لخزن البارود وبطرف هذا الهيكل باب يصعد منه لقصر المنصور بدون درج يشتمل هذا القصر على عشرين قبة في كل جهة خمس على نسق بديع وشكل هندسي رفيع وبكل قبة شباك يشرف الناظر منه على العاصمة وبسيطها وعلى ما حواليها ينيف ذلك الصرح والهيكل المحمول عليه على مائة ميتروا وعرضهما على السبعين. قال أبو القاسم الزياني وبداخل هذه القصبة نحو خمسين قصرا كل قصر بمسجده وحمامه وميضاته لا يفتقر لغيره وهذا شيء لم يبن في دولة عربية ولا عجمية في الجاهلية ولا في الاسلام وكان عنده بأبواب قصوره على ما ذكروا ألفا ومائتان من الخصيان السود وكل واحد بمن يخدمه من السودان هـ.

ومن تأسيساته قدس تراه المعصرة الفاخرة البناء الواقعة في الجانب الشرقي من حومة (روى مزيل) التي صارت الآن معملا للصناعة الحديدية يقال ان زيتون حمرية كان بها يطحن، **ومنها** الهريان العظيمان الموجودان بازاء صهريج السواني أحدهما يحتوي على ثلاثمائة وخمس واربعين أسطوانة طوله مائة ونيف وثمانون ميتروا وعرضه لا يقل عن تسع وستين ميتروا كان هذا الهري على جانب من الضخامة عظيم

يشخص للعيان بسطة ملك منشئه ومقدرته على كل عجيب كان سطحه بمثابة برج عظيم يوضع عليه من الآلات الحربية كل مدهش غريب الشكل مُتَناهٍ في العظم بالنسبة لزمانه الغابر وقد لعبت أيدي البلا بجديده وخرت سقوفه التي كانت تضاهي شوامخ الجبال ومع الأسف فلا زالت عوامل الخراب عاملة فيه الى الوقت الحاضر وهو اليوم وكر للبوم والهوام وأنواع الحشرات، وهذا الهري هو الذي قال فيه أبو القاسم الزياني وجعل بها هريا لخزن الزرع مقبو القنانيط يسع زرع أهل المغرب كله هـ. وقد كان جعل لسطحه طريقا تستوي مع الارض في بعض الجهات يقال إنها كانت مصعد للجمال الحاملة للقمح فتذهب بأحمالها فوق السطح حتى يوضع حول الكوة المفتوحة فيه لصب القمح لذلك الهري منها فيستغنى بذلك عن فتح باب الهري اللاصق بالارض إلا عند حصول موجبه ولو لم يكن من آثار عظم ثروة ملكه قدس الله روحه ألا هذا الهري وما أعد له وما ذكر من صفات الخزن فيه لكفى فكيف وسائر تصرفاته الهائلة إنما هي بعض آثار ثروته البعيدة عن الوصف، والهري الآخر بازاء سابقه متصل به لا زال صين السقف حتى اليوم رغما عما نبت عليه من الاشجار حتى صار كانه غابة من عدم المباشرة ومن يهتم بتعاهد إصلاحه، بهذا الهري عدة آبار في غاية العمق عذبة صافية وجعل لكل بير دولبا عظيما ينقل منه الماء ويصبه في المجاري المعدة له الى ان يصب بالصهريج : صهريج السواني المذكور يبلغ طول هذا الهري سبعا وسبعين ميتروا وكسرا وهو الذي قال فيه أبو القاسم الزياني وجعل بجواره يعني جوار الهري المتقدم الذكر سواني للماء في غاية العمق مقبو عليها وفي أعلاها سقالة مستديرة لوضع المدافع والمهاريز ترمي لكل ناحية هـ. قلت وقد تهدمت تلك السقالة ولم يبق لها في الوقت الحاضر اثر وجعل بمقربة من هذين الهريين صهريجا كالبحيرة يجتمع فيه الماء الجاري في تلك المجاري تسقى من فيضه رياض وبساتين، ينيف طول هذا الصهريج على ثلاثمائة ميتروا وعرضه على مائة وأربعين ولم يكن مقصده المحمود في حفر تلك الآبار واختراع ذلك الصهريج يرمي لتلك الغاية فقط بل لغرض اشرف وأسمى وأهم لايفعله الا المهرة

السياسيون الكاملون وتلك الغاية هي بقاء سكان المدينة في اطمئنان في حالتي السلم والحرب مع عتاة البربر إذ المياه الداخلة للمدينة إنما تأتي من بحبوحة القبائل البربرية وقد حفظ التاريخ ما كان لهم من التمرد وإباية الامتثال للاوامر المخزنية وعدم تلقيها بالسمع والطاعة والنظر لمن عداهم وبالاخص سكان الحواضر بعين الصغار والاحتقار واقل ما يتوصلون به لاذاهم صرف المياه عنهم والماء ضروري في حياة عموم الانسان بل كل شيء حي ولذلك يرى كل كيس متامل لا تعزب عن علمه مقاصد العقلاء ذوي الآراء السديدة والافكار المصيبة ان تطمح نظر هذا السلطان العظيم الشأن فيما يوطد الأمن ويجلب الراحة لرعيته عموما ولمن بعاصمة ملكه من السكان خصوصا ولذلك تراه بالغ في تحصين هذه القلعة فأحاطها بأسوار عديدة لا يخلو سور منها عن سقالة وابراج مشحونة بالعدة والعدد وادخر بها من الأقوات والدخائر والقوة الحربية ما تومن معه كل عائلة وتكسر به شوكة كل عاد باغ ومارق عن الطاعة، ولزوم الجماعة، ولم يزل يبالغ في التحصين حتى صير عاصمة ملكه حاضرة في بادية وبادية في حاضرة بحيث يمكن لأهلها الاستغناء عن كل ما يجلب اليها من الخارج من زرع وضرع فلهم من المزارع بداخل سورها ما هو فوق الكفاية لأنواع الحراثة ورعي الماشية والجدرات الحصينة وراء الكل ومحيطة بالجميع والابواب ذوات الابراج والصقائل المدهشة الحصينة مغلقة في وجوه البغاة ذوي الشقاق ولم يكن ذلك لخوف منه ولا لجبن فيه كما توهمه الجهلة الحاسدون ومن في قلبه مرض من الملحدين والقاصرين اذ قد قص التاريخ لنا ما كان مجبولا عليه من الشجاعة والاقدام وقوة الجأش فقد قال مؤرخ الدولة العلوية أبو القاسم الزياني وبالشجاعة أدرك السلطان مولانا اسماعيل ما أدرك وبلغ ما بلغ رحمه الله وكيف يتوهم جبنه وخوفه ذو بصيرة والبربر الذين احتاجت العاصمة، الى كل هذا التحصين من اجلهم لم يستقر لمحصنها أبي النصر مولانا اسماعيل قرار حتى نهض اليهم وأوقع بهم الايقاعات التي تحدَّث التاريخ بها حتى استأصل قوتهم وسلبهم السلاح والكراع وصيرهم عملة لبيت المال ولأهل العاصمة يعيشون في مهنة ذلك لاغير حتى

كانت المرأة تخرج والذمي من وجدة الى وادي نون ولايوجد من يسألهما من أين والى اين و لم يبق بالمغرب سارق ولا قاطع ومن ظهر عليه شيء وهرب يوخذ في كل قبيلة مر بها وفي كل قرية وكلما بات مجهول الحال بحلة او قرية يثقف بها الى أن تبين براءته وإن تركوه فانهم يواخذون به ويؤدون ما سرقه واقترفه من الجرائم كالقتل وغيره كما قاله الزياني وغيره وقد قدمنا ما فيه الغنية والكفاية من شواهد ذلك أم كيف يرقى الى ذلك فكر ذي لب وهو يرى ويسمع ما حفظه التاريخ من أحوال عواصم الدول الكبار من المبالغة في التحصين حتى ان الاستانة عاصمة تركيا قد أحاط بها بانوها الأولون من الروم قبل حلول تركيا بها جدرات ثلاثة عظيمة متوالية في كل جهاتها ثلاثة واما الرابعة فالبحر متصل بها وحتى ان عاصمة مدينة دهلي اعظم مدن الهند بل مدن الاسلام كلها بالمشرق سورها المحيط بها لا يوجد له نظير قاله ابن بطوطة وغيره عرضه احدى عشر ذراعا ويمشي في داخل السور الفرسان والرجل من اهل المدينة الى آخرها قال واسفله مبني بالحجارة واعلاه بالآجور وابراجه كثيرة متقاربة قال وهي من بناء الكهان وحتى ان تَدْمُرَ بفتح التاء وسكون الدال وضم الميم احدى مدن الشام الشهيرة التي بلغت من التوثيق وشدة التحصين ما نسبت به الى البناء السليماني بمباشرة الجن والشياطين في ترصيف بنائها قال في معجم البلدان هي من عجائب الابنية موضوعة على العمد الرخام زعم قوم انها مما بنته الجن لسيدنا سليمان عليه السلام ونعم الشاهد على ذلك قول النابغة الذبياني :

إلا سليمان اذ قال الالاه له قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيش الجن إني قد أمرتهم يبنون تَدْمُرَ بالصفاح والعمد

وأهل تدمر يزعمون ان ذلك البناء قبل سليمان بن داوود عليهما السلام باكثر مما بيننا وبين سليمان ولكن الناس اذا رأوا بناء عجيبا جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان والى الجن هـ. وأصله للحافظ وفي كتاب مذاهب الأعراب وفلاسفة الاسلام ما نصه قالوا ولاكنكم اذا

رايتم بنيانا عجيبا وجهلتم موضع الحيلة فيه اضفتموه الى الجن وقال العرجي :

سدت مسامعها لقرع مراجل   من نسج جن مثله لا ينسج

وهكذا السور المحيط بأنطاكية فقد تحدث التاريخ بعظمته عرضا وعمقا ولنقصر السير في مستمع هذه المهامِه وفيما ذكرناه تنبيه للمنصف من سنة أوهامه على ان مباهاة العظماء من ملوك الجاهلية والاسلام بالبناءات الهائلة امر معروف ومهيع مسلوك غير مخوف، **ففي** نفح الطيب ولاخفاء أنه أي البناء يدل على عظم قدر بانيه ولذلك قال أمير المومنين ناصر الدين المرواني باني الزهراء رحمه الله حسبما نسبهما له بعض العلماء :

همم الملوك اذا ارادوا ذكرها   من بعدهم فبألسن البنيـان
ان البناء اذا تعاظم قـدره   أضحى يدل على عظيم الشأن !

ومنها الصّرح الشاهق المبني فوق ساباط الباب المعروف قبل بباب الخلاء كما ياتي وفي العصر الحاضر بباب الرايس ذو الأقواس العشر خمسة عن يمين المار فيه ومثلها عن شماله المحمولة على الأعمدة الحجرية العظيمة التي لازالت قائمة ماثلة لهذا العهد أربعة عن اليمين ومثلها عن الشمال.
ومنها الصرح الهائل الذي كان فوق القصر المعروف اليوم بروى الجزارة الواقع بعقبة الضريح الاسماعيلي أمام مكتب الاستعلامات الآن، والهري العظيم الموجود إلى الوقت الحاضر داخل عرصة البحراوي الشهيرة كان هذا الهري في زمن السلطان المولى الحسن معدا لخزن الحطب، والصّرحان معا أصبحا في خبر كان، وإنما سمي القصر بأروى الجزارة لأنه كان معدا لنزول الجزارين الملازمين للحضرة السلطانية في الظعن والاقامة وربط دوابهم به بعد تخريبه فيما خرب وزوال بهجته وزينته.
هذا بعض ماعثرنا عليه وشاهدناه من الآثار الاسماعيلية لهذه القصبة

السلطانية وقد وصفها غير واحد من الأروبيين الذين شاهدوها أيام
زهرتها وجدتها أو استخدموا في بناءاتها منهم الأسير مويت الفرنسي
في كتابيه اللذين وضعهما في وصف المملكتين الرشيدية والاسماعيلية
وشرح قضية أسره فيهما، قال ما ملخص ترجمته إنها أي القصبة في
الجنوب الشرقي للمدينة وأن ابتداء بنائها كان عام أربعة وسبعين
وستمائة وألف وطولها أكثر من عرضها كما أن عرضها من الجانب
الجنوبي الغربي أقل من الجانب الجنوبي الشرقي ولها ثلاثة أبواب أعظمها
الذي بالجانب الجنوبي الشرقي ويسمى باب الخلاء أي المفضي لخارج
المدينة على جانبيه برجان عظيمان عاليان مربعان على كل واحد منهما
ثلاث شرافات على هيئة نور السوسان بنتهما الأسارى عام سبعة
وسبعين وستمائة وألف، وهذا الباب يقابل المقبرة والباب الثاني يسمى
باب الحجر لبنائه بالحجر المنحوت وهو المقابل (لروى مزيل) والثالث
يسمى باب المدينة وهو المقابل لها ثم هذه القصبة لها ثلاثة أسوار من
جهة الشمال الشرقي عرض أولها ستة أشبار وعلى طرفيه برجان مربعان
ذوا شرافات وعرض السور الثاني ثلاثون شبرا وبين هاذين السورين
فسيح مربع يسمى (روى مزيل) والثلاثون شبرا التي في عرض الحائط
الثاني لم تستمر في عرض الحائط كله بل أسقط البناءون منها حتى
صار البارز منه عشرة اشبار بُني على طرفيه جداران صغيران عرضهما
ثلاثة اشبار وعلوهما قامة وبينهما داخل الجدار المذكور يطوف على
القصبة العبيد الساكنون بالأبراج من غير أن ينظر اليهم أحد لا من
داخل القصبة ولا من خارجها واما السور الثالث فهو سور قصر
الحريم وهو اعلى من الأولين وبه كوات وفرج وعليه يطوف عبيد
الدار المخصيون وليس على القصبة من الجهة الأخرى الا سور واحد
عرضه عشرة اشبار وله ابراج متينة شاهقة مربعة من جملتها معقلان
أحدهما في جانب القصبة الشرقي والآخر في جانبها الغربي وفي الجانب
الجنوبي من هذه القصبة قصبة صغيرة بنيت سنة ثمانين وستمائة وألف
مسيحية تسمى الوداية عرض اسوارها ستة اشبار ولها أبراج مربعة
بشرافاتها تفصل بين القصبتين مقبرة قال وللقصبة الاسماعيلية منظر
رائق من بعيد قال وتتصل بها مدينة مكناس من الجهة الشمالية الغربية

قال وفي عام واحد وثمانين وستمائة وألف اشترى مولاي اسماعيل الجنات المجاورة للجنان الذي أنشأه على هيأة أكدال بمراكش وكان قصده ان يجعل دائرته ثلاثة كيلومترات وقد أكمل عمله في شهر واحد استخدم فيه في إبان المطر الغزير الأسارى والعبيد والقواد والاشراف وغيرهم كما خدم فيه بنفسه وكذا خدم بنفسه في بناء قصوره هـ.

ومنهم استيوارت سفير جورج الاول ملك الانجليز الى المترجم وسفارة هذا السفير كانت عام واحد وعشرين وسبعمائة والف بقصد طلب فداء الأسارى الأنجليزيين الذين كانوا في خدمة صاحب الترجمة وقد كان في رفقة هذا السفير جون ويندوس[1] فألف رحلة سماها الرحلة الى مكناس تكلم فيها على هذه السفارة وما شاهد فيها من العجائب قال لم يتكلم احد قبلي على هذه البلاد غير ليون الافريقي ومرمول وكل ما نصّه مرمول موافق لما شاهدناه وإن مستندي فيما أنصه في هذه الرحلة إما المشاهدة وإما اخبار الاسراء من ابناء جنسي وغيرهم بما شاهدوه ثم قال : بعد ان ذكر أن خروجه من بلاده كان في رابع عشر شتنبر سنة عشرين وسبعمائة والف وان وصوله لجبل طارق كان في عشري اكتوبر عَامَه ونصُّه ما راج بين السفير وبين عامل تطوان الباشا احمد بن علي الريفي وانه بعد المخابرة مع العامل المذكور ووصول ذلك لعلم السلطان امر عامله الباشا احمد بالاذن للسفير في القدوم للحضرة المكناسية وللعامل المذكور بالقدوم للحضرة السلطانية كذلك، وذلك في ثالث ماي من العام المذكور ما حَاصله : حللنا بتطوان سادس ماي وأقمنا بها الى الثالث عشر من يونيه وفي عصر اليوم نفسه خرجنا من تطوان ولم نزل نوالي السير الى ان وصلنا قصر فرعون في فاتح يوليه وفي يوم الاثنين ثالث يوليه حللنا بعاصمة السلطان مكناس قبل شروق الشمس فوجدنا الباشا أحمد المذكور مخيما بمحلته التي جاء بها من تطوان لضواحي العاصمة وقد كان أخذ

---

(1) WINDUS John.
A Journey to Mequinez : the residence of the presente of Fez and Morocco, on the occasion of commodore Stewart's Emassy thirther for the redemption of the British captives in the year 1721.
London : J. Tonson, 1725.

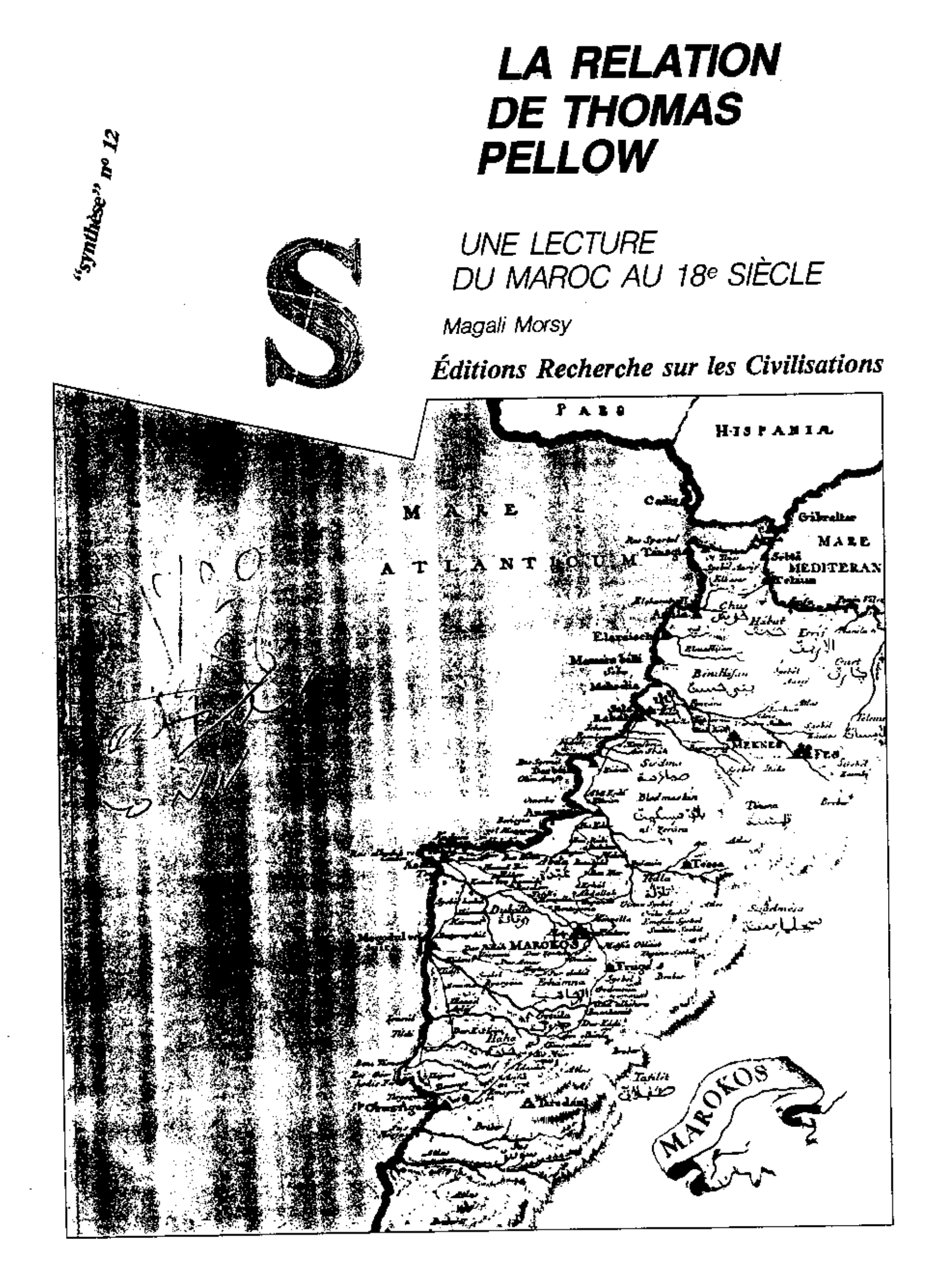
LA RELATION DE THOMAS PELLOW

"synthèse" n° 12

UNE LECTURE DU MAROC AU 18e SIÈCLE

Magali Morsy

Éditions Recherche sur les Civilisations



طريقا غير الطريق التي جئنا عليها ولما دخلنا مكناس انزلنا الباشا أحمد ضيوفا بداره ثم أمر السلطان بانتقالنا منها ونزولنا بدار الذمي بن عطار حيث انها أوفق لنا، وفي يوم الخميس سادس الشهر صدر لنا الاذن بملاقاة السلطان بواسطة بعض قواده، ورد علينا بمحل نزولنا في لفيف من الحرس ياتون بنا للبساط الملوكي فتوجه السفير بمن في معيته ممن جاء معه يقدم موكبه رجلان من الحرس في بزتهم الرسمية ثم الموسيقى تصدع بنغماتها ثم السفير وحاشيته محدقة به ثم بقية من جاء برفقته من الحشم وفي آخر الموكب اسارى الانجليز راجلين وقد كان صدر الامر السلطاني بألا يقرب أحد من السفير وحاشيته أيا كان ما عدا الباشا ومن هو مكلف من طرفه، ولما وصلنا لباب منصور ترجل السفير وسائر من كان بمعيته من الركبان ودخلنا فمررنا على ثلاث أو أربع براحات ثم جلسنا على دكان بالحجر وبعد ذلك أعلمنا بخروج السلطان من بيته ثم دخلنا الى بيت[1] متسع وجدنا به السلطان نفسه على رأسه مظل ووراءه حرسه مصطفة على صورة الهلال وبيدهم مكاحلهم مسندين لها على اكتافهم رؤوسها الى السماء وأرباب دولته مصطفون صفان عن يمينه ومثلهما عن يساره لابسون بزتهم الرسمية موسيقا تصدع بالحانها المطربة ولما بقي بيننا وبين السلطان ثمانون أرضة تقريبا وقفنا وسكتت الموسيقى ثم نزل السلطان عن فرسه بسرعة عجبنا منها ثم سار يصلي ودام وجهه على الارض ثم ركب فرسا أدهم مؤدبا مهذبا وبمقربة منه عبيد ينشون عنه الذباب وعلى راسه مظل لا يفارقه يحمل ذالك المظل عبد قوي نشيط يتتبع الفرس حيثما مال لكي لا تلحق الشمس السلطان والسلطان متقلد بسيف مغشى بالذهب مرصع بالزبرجد الاخضر وسرج فرسه من قماش أحمر قاني مزركش بالذهب وفي يسار السرج كابوس مغشى وبيد السلطان حربة، ثم بعدما امتطى السلطان فرسه قدم ابن عطار السفير للسلطان وسماه باسمه ثم صففنا امام السلطان وأدينا تحية الملك فأوما لنا برأسه وقال لنا مرارا بونوا بونوا وامر السفير برد بريطته على رأسه وقد رأينا التراب على وجهه لما مثلنا بين يديه ثم إن السفير

(1) لعل الصواب حقل بدل بيت.



ناول السلطان، بواسطة من قدمه، الكتاب الذي أتى به من ملك دولته ملفوفا بالحرير وقال إن أميري وجهه اليك ليعبر لك عن نيته في المهادنة وتوثيق عرى المحبة بين الدولتين وأخبره بالهدية التي اتى بها لجلالته من ملكه وطلب قبولها منه فأجابه السلطان بما سر به وواعده بإسعافه بما يؤمل، ثم وقعت المفاوضة بينهما في شأن أسارى الجانبين فقال المولى اسماعيل للسفير : إن الاسارى الاغنياء الذين عند دولتكم من المسلمين يفدون أنفسهم من مالهم والضعفاء يفديهم باشا تطوان، ثم قال بعد هذه الجمل الانجليز لا يبيعون ولا يشترون في الاسارى، فاجاب السفير بانه يتمنى ان يفعل السلطان مثل ذلك مع أسارى الانجليز يمن عليهم بالرجوع الى بلدهم وهذا من كرم السلطان واحترامه لدولته، وقال إن كلام ملكه في شان هؤلاء الأسارى ليس هو لاحتياجه اليهم بل هو في غنى عنهم اذ كل سنة يهيء مائة الف نسمة بحرية وانما تكلم في شانهم فراراً مما يلحقه من العار قال فكره السلطان أن يصغى لتمام هذا الكلام وقطع كلام الترجمان مرارا ولم يفهم احد منا ما كان يقوله له ثم بعد هذا ناول السفير السلطان عقد شروط المهادنة وأعلمه انه ممضى بخط الملك جورج فرد عليه قائلا : إنّ قولي كخط يدي، وعلى كل حال سأسعف رغبتك وأعلمه بأنه سيوجه أمير البحر لديه الحاج عبد القادر سفيرا للدولة الانجليزية ثم أمر السلطان السفير بان يختار تسعة من الأسارى ابناء جنسه في مقابلة فطوره، قال فقمنا بين يدي الملك ورجعنا القهقرى لان قواعد البلاد تمنع من استدبار السلطان، قال وبعد ذلك قدم ابن عطار من قبل السلطان ليطلعنا على القصور السلطانية فذهب بنا الى براح مستطيل تحيط به مباحاة محمولة على اعمدة من الرخام غير منقوشة وعلى تلك الاعمدة اقواس مزينة بالجص المنقوش الممثل للزهور على الكيفية العربية وأبواب قبب هذا القصر وسراجيمها متسعة يتخللها الهواء وارضه وجدراته مفروشة بالزليج المختلف الالوان يبلغ ارتفاع زليج الجدرات عن الارض مترا ونصفا فاكتسب بذلك منظرا بهيجا ترتاح له الارواح، وبهذا القصر سكنى الاميرة عائشة إحدى حظايا الامير ومن هذا القصر ذهب بنا لمحل آخر طوله ربع ميل أنجليزي وعرضه

ثلاثون قدما وبهذا المحل هري به عدد كثير من الاسلحة في اغشيتها وثلاثة صفوف من المرافع محمولة عليها السروج وفي بيت خاص ابواب العرائش وهي من حديد كان أخذها مولاي اسماعيل من الاصبان مع عدد من المصنوعات الحديدية المختلفة منها الاسياف الرومية، ومن هذا الهري ذهبنا لمحل آخر به بناء عظيم واسع محيط به مباح وفي هذا المحل امرأتان من نساء السلطان وهما مالكتا القبة الخضراء، ثم مررنا بأزقة مستطيلة مفروشة بالزليج، ومنها دخلنا روضا كبيرا تحيط به عدة اشجار من السرو وذلك الروض منحدر عن الارض بنحو عشرين مترا يفصل هذا الجنان جدار طوله نصف ميل تقريبا يسمى ذلك الجدار الاطْرُنجية سعته نحو خمسة أمتار وفوق ذلك الجدار سرائر لدالية العنب وغيره وعليه عربة يركبها الملك ويجرها به النساء والخصيان، ثم مررنا في أبنية اخرى منها المربع والمستطيل فرأينا مرة بعد أخرى النصارى بأعلا الجدرات مشتغلين بركز الواح البناء بمراكز العود الثقيلة ويغنون، وطال تفسحنا في القصور مدة ثم رجعنا الى السلطان فوجدناه راكبا أمام قبة بها عدد من السلاح والرماح وغير ذلك والقيمون عليها ثمانية وعشرون أسيرا من اسارى الانجليز، ولما قرب السفير من السلطان قال له بونوا بونوا، وساله هل استحسن ما شاهده من القصور فقال أنها من أحسن قصور بلاد الله فقال السلطان الحمد لله ثم تقدم أمام السلطان جماعة القيمين المذكورين وأدوا تحية الملك فسالهم السلطان عن جنسيتهم فاخبروه انهم انجليز فمن عليهم حينا بالفكاك من الاسر وأذنهم في الذهاب مع السفير فشكر السفير صنيعه ذلك وانصرف وفي سابع الشهر المذكور وجه لنا السلطان للاستطلاع على قصوره مرة اخرى فقدم معنا قائد، وكان وصولنا الى القصور عند الساعة التاسعة صباحا فدخلنا اولا بيوتا متسعة مملوءة عملة رجالا وصبيانا يشتغلون في صنعة السروج وسائر المكاحل واجوية السكاكين وغير ذلك فلما رأوا السفير ازدادوا نشاطا وإقبالا على اشغالهم بكل اهتمام وتمادوا في صنائعهم المغربية واظهروا قوتهم واقتدارهم ومهارتهم في ذلك ما اوجب اعجاب السفير بهم ثم مررنا بأبنية شاهقة غير مزخرفة على ابوابها حرس خصيان العبيد

لا يبيحون المرور الا لمن له الاذن السلطاني في الذهاب معنا ثم اطلعنا على جنان مغروس بالفصة لخيل القصر يحيط بذلك الجنان مباحان من جانبيه امام كل مباح شباك من خشب منقوش يصعد للمباحين المذكورين بدرج مزلجة وبعد مرورنا بهذا المحل وصلنا أحسن موضع رأينا وهو قصر بوسط هذا المحل به روض فيه من شجر السرو وغيره كل يانع وسواني هاذين المباحين كلها من الرخام قيل إنها من عمل الرومان حملت من وليلي لمكناس والاقواس المحمولة على هذه السواري وابواب المحال التي احتوت عليها جميعها مزخرف بالنقش البديع، وفي هذا المحل جاءتنا من بعض حظايا الملك عدة فواكه من تمر وزبيب وبطيخ ولوز وتين وغير ذلك من الحلويات المغربية المتنوعة واعتذرت عن الاطعمة بكون رمضان لا يكون الطبخ فيه في ذلك الوقت فسررنا بتلك الفواكه والحلويات وقد كان لحقنا العطش من طول المشي ثم جلسنا في احد المباحات وناولتنا بعض إماء القصر وكلهن سود اللون لابسات للحلي: الدماليج والقرط متوشحات الصدور بالعقود والسلاسل الذهبية وغير ذلك من الحلي المغربي وسمعنا أن نساء الملك كن ينظرن الينا ونحن لا نراهم، وبعد فراغنا من الأكل أطلعنا على بناء جيد محيط به مباح مزلج بوسطه براح فيه خصص وصهاريج من الرخام مرتفعة تتخللها سواقي وبهذا البناء هري للأمتعة وبيوت للمال (خزائن وبيوت المال) وتحت اقواس هذا المباح ابواب لكل باب دفتان تفتح تلك الابواب عن بيوت مربعة غير مرتفعة وفي بعض تلك البيوت عدد كثير من المكاحل مختلفة الأنواع معلقة على نظام بديع يستلفت الانظار وببعضها عدد كبير من الرماح المتنوعة منها رمح من رماح السودان له أربع حرب برأسه وقبضته من العود الثمين أخذ هذا الرمح من أمراء السودان وشواقير حربية متعددة وشواشي الحديد ومكاحل متسعة الافواه جعابها من النحاس وغير ذلك من الاسلحة، وليست هذه الاسلحة من صناعة البلد فيمكن ان تكون أخذت من النصرى الذين ماتوا في حرب (دون سي باستيان)(1) ويمكن ايضا أن تكون اخذت

(1) القصد إلى ملك البرتغال Don Sebastian الذي لقى مصرعه في وقعة وادي المخازن عام 986 هـ / 1578 م.

في فتح المدن التي اخذها المسلمون من الاصبان والبرتغال ثم مررنا ببعض البيوت مغلقة يوجد بها الذهب والفضة وغير ذلك من النفائس الثمينة وبها أيضا اموال السلطان ومتولى حراسة ذلك احد الخصيان يسمى مرجان الكبير ثم وصلنا آخر تلك البيوت فاذا عدد كثير من السيوف على غاية ما يكون من الترتيب والتحسين بها بعض سيوف النصارى وبالجملة فقد شاهدنا بهذه الخزائن من الاسلحة ما لم يكن يخطر لنا وجوده عند ذلك السلطان قبل ذلك ببال، وبعد ان طفنا على المحال المذكورة ذهبنا الى محل كان معدا لسكنى بعض حظايا السلطان به عدة سرر مجتمعات تحمل نحو العشرين نسمة وشاهدنا بهذا المحل ايضا حمامات وقببا بديعة الحسن والجمال، ثم مررنا بعد ذلك ببناءات أخرى يشتمل اكثرها على براح مستطيل ومباحات تحتها بيوت غالبها ارضية وأبواب تلك الابنية على شكل وقياس واحد غير ان بعضها مموهة بالذهب منقوشة احسن نقش ولكونها مغلقة لم ندر ما بداخلها، ورأينا ببعض الاجنة خصة تتفرع منها جداول للماء حسنة ومررنا ايضا على بيت به كتب الرسول الدينية ثم مررنا بقبب عظيمة سقفها ملون بلون السماء به تزويق مثل النجوم وسطه كدارة الشمس وكل ذلك من الذهب وذلك مما يبرهن على المهارة في تلك الصنعة الحسنة وتلك القبب بعضها معد لخزن ما ياتي للسلطان من هدايا النصارى التي شاهدنا منها كروسات سبع او ثمان والبعض الاخر معد للنفائس والذخائر من الاسلحة وغيرها وباحدى تلك القبب ثريا البلار التي قدمها هدية سفير الملك جورج الذي جئنا بمعيته وعند انصرافنا من القصر اطلعنا على بناء ضخم عالي الجدرات غير مزخرف اعده السلطان لقبره وقيل ان بداخله سلسلة ممتدة من السقف الى الارض يعلق بها تابوته، ثم ذهبنا مرة اخرى لزيارة قسم آخر من القصر فمررنا على مساحة مرتفعة تفصلها طريق ضيقة شاهدنا بها عددا كثيرا من الفئران تحفر الارض كالقنية تجري من ناحية الى اخرى تغطي الارض كثرة اذا دنونا منهم هربت ثم اذا جزنا عادوا لما كانوا عليه، وفي انتهاء هذا المحل وجدنا واديا به اشجار الرمان

والتفاح وقد بنى السلطان فوق الوادي قنطرة يكتنفها حائطان لتسهيل المرور، ومن هذا الطريق يمر السلطان الى اصطبله ودائرة هذا القصر نحو اربعة أميال مربعة تقريبا وبقربه كدية يشرف عليه منها وهو مبني باللوح من غير حجر ولا آجور بخلاف الأقواس والسواري فبناؤها بالحجر والآجور ومن شدة اتقان ذلك البناء صار كأنه حجرة واحدة يتجلى لراءيه بغاية الضخامة جداره الموالي للمارة طوله تقريبا ميل وعرضه خمسة وعشرون قدما، وبداخل القصر براحات مستطيلة تدور بها مباحات على الوصف المار وهي مزلجة وبوسط بعض تلك البراحات بساتين منخفضة عن الأرض بها شجر السرو في رونق بهي يسر الناظرين، ويوجد أيضا بالقصر عدد من القبب والقبة بناء مربع له جدار غير منقوش ماعدا أبواب القبب فإنها غير مزخرفة بالنقش ومباحاتها على ستة أقواس وداخل القبة متسع مزلج الأرض والجدرات ارتفاع زليجها نحو القامة وسقوفها مزخرفة مموهة بالذهب من أعجب صنع وأتقنه وسُطح القبب مقرمدة بالقرمود الأخضر مربع الشكل متسع من أسفل ضيق الأعلى قيل أن ثلاثين ألف نفر وعشرة آلاف بغل كانت تشتغل كل يوم ببناء ذلك القصر وذلك مقبول إن اعتبرنا أن ذلك كله من عجين الجير والتراب فقط، وإن كل جدار يستوجب خدمة كثيرة والبناء كله لائق وموافق لطبع البلادات الحارة بيوته كلها سفلي وجدراتها متسعة ضخمة ولذلك تكون البيوت باردة مع شدة الحرارة وإذا تأملت تعلم أن السلطان لايدفع في بناءاته ولا في نفقة الحروب فلسا واحدا وأنه بنى ذلك القصر الضخم من غير أن يلزمه ادنى مصروف إنما يجازي القيم على البناءات بإمرة على قبيلة مثل البلادات الكائنة بين مكناس وتلمسان وهذه البلادات متسعة ولكنه إن قابلنا المصاريف الواجبة على القيم في أجور الخدمة مع مايربحه في الوظيف نجد أن القيم لم يحصل له أدنى ربح ولا خسارة ماحصله من الوظيف يصرفه في البناء فيكون باعتبار ذلك لا لهُ ولا عليه، وكان هذا السلطان ولوعا بالبناء ولكن ولوعه بالهدم أكثر من ولوعه بالبناء، وقيل في ذلك لو بقي كل ما بناه لوصل بناؤه إلى فاس من غير مبالغة والمسافة بين فاس ومكناس ستون كيلومترا ومن يوم بويع له وهو

مشغول بالبناء يفتح ويسد وذلك لاشغال أمته ومن كلامه في ذلك (إن جعلت فيراناً في كيس وتركتها من غير حركة أكلت الكيس وهربت) ومراده لايترك أمته تتفكر ! وقد رأيت مساحة متسعة جدا وقد وقع العزم في الشروع في بنائها، وقد حفر بخزن البُر والبارود والأسلحة وكذلك الفضة تحت الأرض خزائن متسعة، وقيل إن السلطان يقتل من عاين خزائن ذهبه وقد دام ملكه من يوم بويع له الى هذا الوقت ثلاثا وخمسين سنة هـ.

قلت باب الخلاء المتقدم الذكر في كلام الأسير مويت هو المعروف اليوم بباب الرايس وإنما كان يسمى باب الخلاء زمن خدمة هذا الأسير بالبناءات الاسماعيلية والا فقد صار باب العمارة وفي وسط القصبة ومن هنا يفهم أنه لم يصف القصبة بتمامها لأنها زادت بعده كثيرا حسبما مر بك بعض ذلك في وصف صاحب الرحلة الانجليزية والباب المفضي اليوم للخلاء من تلك الجهة هو باب الناعورة البراني والمقبرة التي أشار لمقابلة باب الرايس لها هي مقبرة سيدي عمرو الحصيني ومقابلتها له ليست حقيقة بل هي مقابلة في الجملة لان الخارج من باب الرايس تكون المقبرة عن يساره وقد حال الجدار المار فيه ماء شرب المدينة المقابل لباب القصر الملوكي المسمى بالمدرسة بين المقبرة والباب المذكور، وأما باب الحجر فإنه لا زال يعرف بهذه الاضافة الى الآن وهو الذي يدخل عليه لحومة سيدي النجار ويمر فوقه لحومة الدريبة وكلام هذا الاسير فيه يدل على ان باب ابي العمائر الواقع خارج هذا الباب لم يكن في زمنه وكذلك باب المرس وإنما حدثا بعده وهذا الاسير أعني مويت المذكور قد كان المولى اسماعيل منَّ عليه بالفكاك من الأسر في جملة سبعين أسيرا عام واحد وثمانين وستمائة وألف مسيحي، واما باب المدينة الذي ذكره فهو المعروف بباب منصور العلج وكلام هذا الاسير نص في كون اصل هذا الباب للمولى اسماعيل فولده مولاي عبد الله إنما نمقه كما أوضحنا ذلك في إتحاف أعلام الناس وأما القصبة القصيرة التي قال الاسير إنها في الجانب الجنوبي الشرقي فهي قصبة هدراش ونسبته إياها للوداية لعل ذلك كان لسكنى الودايا بها أول الامر والمقبرة الفاصلة بين القصبتين هي مقبرة

الحصيني المتقدمة الذكر، واما قوله روى مزيل فهو عنده آخره راء والشائع في ألسِنة العامة آخره نون والذي يكتبه الموثقون والمتفاصحون آخره لام، ويذكر ان مزيل المضاف اليه كان قيما على روى خصوصية هناك وهو من ارقاء السدة الملوكية، وبالاسف فقد اصبحت مشيدات هاتيك القصور بلاقع ولم تلق لتلافي اشلائها من راقع استعمرتها انواع العصافير والحشرات ودرست معالم تلك الزينة الثمينة وخربت تلك القبب بل انمحت آثارها وجعل عاليها سافلها والى الله عاقبة الامور ولما وقفت على تلك الرسوم الدارسة المستوحشة بعد ان كانت مؤنسة وطال تدبري في مبداها والمثال تذكرت ما انشأه ابن عربي الحاتمي في كتاب المسامرات لما دخل الزاهرة فوجدها بلاقع اذ قال :

ديار باكناف الملاعب ترتع   وما آن لها من ساكن وهي بلقع
ينوح عليها الطير من كل جانب   فتصمت احيانا وحينا ترجع
فخاطبت منها طائرا متفردا   له شجن في القلب وهو مروع
فقلت على ماذا تنوح وتشتكي   فقال على دهر مضى ليس يرجع

وخيل لي أنها تنشد في قول من قال ·

الله أخر مدتي فتأخرت   حتى رأيت من الزمان عجائبا

وليس يبعد من طريق الاعتبار ان تكون الحكمة في سرعة تخريب تلك القصور وغيرها مما ياتي من البناءات الاسماعيلية على عظمها وثخانة بنائها القاضيين بالنظر للعادة بتأبيدها في الجملة جعل ذلك في مقابلة هدم قصر البديع الذي كان أسسه بمراكش السلطان ابو العباس احمد المنصور السعدي الملقب بالذهبي لفيضان الذهب في زمانه حتى قيل أنه كانت ببابه اربع عشرة مائة مطرقة تضرب الدينار دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الاقراط والحلي وشبه ذلك، المبتدإ تأسيسه في شوال عام ستة وثمانين وتسعمائة واتصل العمل فيه الى عام اثنين وألف ولم يتخلل ذلك فترة وفي عام تسعة عشر ومائة وألف أمر مولانا اسماعيل بهدمه فهدمت معالمه وبددت مراسمه وغيرت محاسنه وفرق جمع حسنه وعاد حصيدا كأن لم يغن بالأمس قال في نزهة

الحادي : تاملت لفظ البديع فوجدت عدد نقط حروفه بحساب الجمل مائة وسبعة عشر وهذا القدر هو الذي بقي فيه البديع قائما عامرا فانه فرغ منه عام اثنين والف وشرع في هدمه عام تسعة عشر ومائة وألف فمدة بقائه بعد تمام بنائه مائة وسبعة عشر سنة على عدد اسمه وذلك من غريب الاتفاق انتهى. وكون الجزاء من جنس العمل امر معهود في التصاريف الالاهية في كثير من الجزئيات وليس هذا بمزاحم لما أشار البعض اليه في حكمة هدم البديع من كون انقاضه صارت بعد هدمه كالراجعة لأصولها اذ ما من نقطة مغربية الا وصار اليها في الاغلب بعض انقاضه كما ان القوة المخزنية كانت ألزمت وقت بناء البديع سائر النقط المغربية حمل ما قدرت عليه مما لديها من مقومات بناء قصر البديع المذكور وايصاله الى محل بنائه **قال** في النزهة حتى انه وجدت بطاقة فيها ان فلانا دفع صاعا من جيار حمله من تنبكتو وظف عليه في غمار الناس هـ. فكان تفريق اجزائه بعد الهدم وفق ما جمعت عليه حين البناء وذلك ايضا جزاء من جنس العمل جزاء وفاقا والحكم والنكت لا تتزاحم على أن ما ذكروه هو حكمة لهدم البديع وهذا الذي اشرنا اليه هو حكمة لهدم ما شيده سيدنا الجد هادم البديع برد الله ثراه وعادة الله ما ارتفع شيء الا وضعه.

وفي كل شيء لـه ءايـة تـدل على انـه الواحـد

فليعتبر بذلك البصير وليراقب فيما ياتي وما يذره الآخذ بالنواصي الوارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وليعلم أنه كما يدين يدان **ومن** تأسيساته الفائقة العجيبة التي لم ينسج على منوالها ناسج مدينة الرياض العنبري جوار قصبته السعيدة لازال موقعها الى الان بدخول الغاية يعرف لدى الجمهور بالرياض خارج باب زين العابدين أحد ابواب المدينة اليوم كان عينها لأخواله الوداية عام ألف وثمان وثمانين كما في الروضة السليمانية وامرهم ببناء دورهم بها وفيها كانت دور العمال والكتاب وذوي الحيثيات من اعيان الدولة. **قال** ابو القاسم الزياني : وكانت مدينة الرياض زينة مكناسة وبهجتها وبهاء آثار اهل دولة مولانا اسماعيل كل من كان له وظيف بخدمته بنى داره بها

وتنافس العمال والقواد في بناء القصور والدور فقد كان بدار علي بن يشو اربعة وعشرون حلقة يجمعها باب واحد وكانت دار عبد الله الروسي واولاده اعظم منها كانت حومة، وامثالهما من القواد، وبنى كل عامل مسجدا في حومته وبوسطها المسجد الاعظم الاسماعيلي ومدرسته وحمامه وفنادقه واسواقه الموقوفة عليه وكانت تنفق فيها البضائع التي لا تنفق بغيرها هـ.

هذا وقد طارت الركبان وقص التاريخ لنا ما كان لسيدنا الجد الاكبر السلطان المولى اسماعيل من الاهتبال بامر هذه المدينة مدينة الرياض المذكورة وما كان لذويها لديه من شفوف المكانة وناهيك أنها كانت كرسي الوزارة في دولته بل كانت محط رحال أولي الامرة من رعيته في عاصمته وشيد فيها المسجد المتقدم الذكر فيما مر في فصل المساجد وأسس فيها الدور والقصور والحمامات وغير ذلك من الرباع والعقار ووقف الجميع على ذلك المسجد الزاهر، ومع هذا الاهتمام العظيم بتحصين هذا السعي المشكور المكين من هذا الامام العظيم منشيء مدينة الرياض حتى تدوم قائمة بنفسها في سائر الشئون والاغراض لم ينفع حذر من قدر فلم تعش المدينة بكل بناءاتها الدينية والدنيوية الا خمسا وخمسين سنة قضتها كلها في ازدهاء وازدهار لا تحوم نحو ساحتها الأكدار وطالع السعد على ارجائها مشرق وخميس اليمن والاماني باكنافها محدق وفي هذه المدينة يقول الفقيه الكاتب ابو حفص عمر الحراق من قصيدة يخاطب بها كتاب الحضرة الامامية.

أكتاب الامام لقد سعدتم بآثار لسيدنا سديدة
دنوتم من قصور ابي المعالي وقد كانت منازلكم بعيدة
وما دار تقرب منه إلا مباركة بلا ريب سعيدة

قال في (الدر المنتخب المستحسن) وقد اجازه السلطان على هذه القصيدة باربعمائة مثقال نفذها له عند عامله الباشا علي بن عبد الله الريفي فقبضها منه في الحال هـ. **قلت** هذا، وأبيك، الكرم ونخوة الملك فالاربعمائة مثقال في ذلك الزمان من الامر ذي البال تقوم بما لا تقوم

به اليوم(1) اربعمائة الف فرنك، ومن ابواب مدينة الرياض هذه باب الخميس الذي لازال قائم العين حتى الآن وكان بناؤه عام ثمان وتسعين والف حسبما قرأته في ابيات منقوشة في زليج متوج به الباب المذكور ودونك لفظه :

أنا الباب السعيد سموت فخرا سمو البدر في الفلك السعيد
سنا مولاي اسماعيل يــدوا على ذاتي المنوطة بالسعــود
ففي وقت سعيد قد بنـاني وورخ نشأتـي جود المشيــد 1098

ثم لما قضى الله بخرابها ونثر نظام عقد محاسنها قيض لنقض محكم بنائها السلطان المولى عبد الله نجل مؤسس قواعدها على تقوى من الله ورضوان فأمر النصارى وغيرهم بهدمها لأمر عرض له في الحال اعتراه بسببه شبه اختلال وذلك الامر هو ما ذكره صاحب الدر المنتخب من أنه كان اذا جن الليل اجتمع من سكانها القواد والاعيان وتذاكروا الأمور الواقعة في الآفاق والبلدان وتذاكروا فيما بينهم وإن أرادوا أمرا عليه صمموا ويدبرون الأمر حتى يكون ما عليه عولوا فنصر مولاي احمد الذهبي أولاً كان في مدينة الرياض المذكورة وفيها اتفقوا على عزله ونصر مولاي عبد المالك في الرواية المشهورة وفيها عزلوا مولاي عبد المالك وردوا مولاي أحمد، وفيها اجتمع رأيهم على نصر مولاي عبد الله وكان مولاي عبد الله اذا فعل فعلا اجتمعوا وتحركوا فكان مولاي عبد الله لأجل ذلك لايبلغ مناه وإذا أراد مولاي عبد الله ان يبرم أمرا اجتمعوا وقالوا هذا أمر لا نفعله بوجه ولا بحال فبلغ الخبر لمولاي عبد الله فأعرض عن ذلك الامر الذي أراد كأنه لم يبق له ببال وأرسل الى العبيد الذين بمشرع الرملة ومن كان غائبا من جنده وكساهم وفرق عليهم الاموال وكساهم وزادهم في الراتب وقدمه لهمّ على الكمال ففي فجر يوم السابع والعشرين من شوال عام ثلاثة واربعين ومائة وألف حشد تلك الجموع وأعد ءالة الهدم وركب فرسه ووقف على تل مشرف عليها وأمر بالهدم من كل ناحية

---

(1) ابن زيدان يتحدث عن وقته .

والناس نيام فمن أسرع وحمل رزقه وقشه نجا ومن لا معين له بقي قشه تحت الردم وارتحل الوداية لفاس الجديد مع إخوانهم وتفرق غيرهم بالمدينة فما مضت عليها عشرة ايام الا وصارت كدية من تراب يعشش فيها البوم و لم يبق بها إلا الاسوار والجدرات قائمة كما قاله ابو القاسم الزياني وغيره والبقاء لله وحده وله سبحانه وتعالى الامر من قبل ومن بعد، وقد صار موقعها من مزارع العاصمة المكناسية ومراعي مواشيها ولا زالت الى الوقت الحاضر بعض الاطلال قائمة بها وقد كانت تلك المزارع فيما سلف معدة لنزول الجيوش السلطانية عندما يحل ركابها الشريف بالعاصمة المذكورة وأحدث بها الآن محال لسكنى اليهود لضيق حارتهم عنهم. **ومن** تأسيساته حارة اليهود التي بها سكناهم الآن أسسها عام ثلاث وتسعين وألف كما بتاريخ الضعيف وغيره وأمر باخراج أهل الذمة من المدينة وإسكانهم بالمحل المؤسس من أجلهم فسكنوه واخليت دورهم التي كانت وسط دور المسلمين بالمدينة ثم سكنها أهل تافيلالت الذين بفاس بأمر من السلطان. **ومن** تأسيسات مولانا اسماعيل قصبة بريمة التي لازالت قائمة العين والاسم الى الحين الحالي الواقعة غربا من قصبة قصور الملك السعيدة، وقد وقفت في بعض العقود الموثوق بها على بعض ما يتعلق بذلك ونص الغرض منها كان الجناب العالي بالله مولانا ابو النصر تملك جميع ارض بريمة خارج الحضرة الهاشمية محروسة مكناس وأعطى مولانا المنصور ثمنها وأمر ببناء حوانيت خارج باب المشاوريين بالثمن المذكور لكون الارض المذكورة من أوقاف جامع الخضراء وفضل من الثمن المذكور من بناء الحوانيت مائة مثقال وكان المتولي لذلك عن أمر مولانا المنصور بالله تعالى القائد الارضى الاجل الاحظى خديم المقام العالي بالله أبا العباس أحمد بن الفقيه الاكمل المرحوم بكرم الله سيدي أبي يعزي العرائشي أشهد الآن أنه صير بجانب الحبس في المائة مثقال كذا في سنة اثني عشر ومائة وألف هـ.

ومن تأسيساته قصبة جناح الامان الشهيرة الى الآن ومنها قصبة قعر وردة التي لازالت قائمة العين والاسم الى الحين الحالي وكان تأسيسه اياها عام واحد ومائة والف وأسس باب الجديد على ما في بعض

التقايد الموثوق بصحتها عام خمس ومائة وألف، ومنها القصبة المعروفة بقصبة سيدي سعيد الواقعة خارج باب وجه عروس أحد ابواب العاصمة المكناسية وهى لازالت قائمة آهلة بالسكان اشراف علويين وعيرهم الى الحين الحالي، واسس القصبة المعروفة اليوم بتيزيمي الكبرى خارج باب البراذعيين القديم التي موقعها الآن عن يسار الداخل من باب البراذعيين الجديد الذي هو من تاسيسات المترجم وكان تأسيسه له عام سبعة أو ثمانية وتسعين والف، وقد بسطنا الكلام في ذلك في اتحاف اعلام الناس وهذا الباب هو الذي يعنون عنه بهذا الاسم الآن فالجدار الذاهب عن اليسار المذكور من الباب الجديد المذكور الى الباب القديم امامه هو لقصبة تيزيمي الكبرى والمذكورة والباب الذي عن يسار الداخل للباب القديم المذكور هو لها وبين البراح الذي يباع فيه الخشب الآن كل يوم جمعة بعد الصلاة ولازالت هذه القصبة قائمة آهلة أيضا الى الآن، ولفظ تيزيمي بكسر أوله وثانيه المعجم بعده ياء ساكنة وميم مكسورة بعدها ياء ساكنة هو إسم لقبيلة من عمل سجلماسة نقلت لسكنى القصبة المذكورة وهذه القصبات كلها متصلة بالمدينة شارعة ابوابها فيها ما عدا قصبة أبي عثمان سعيد فانها منفصلة عن مدينة مكناس نعم كانت متصلة بمدينة الرياض العنبري المتقدمة الذكر والوصف. وهذا ما وسعه علمنا مما أسسه سيدنا الجد المترجم في العاصمة المكناسية من الدور والقصور والقصبات وأني على يقين من أنه إنما هو قل من كُثر اذ لا نسبة لما انهدَّ منها واندثر اثره مع ما بقي مما مر بك إذ قال أبو القاسم الزياني ومن يوم مات المولى إسماعيل والملوك من بنيه وحفدته يخربون تلك القصور على قدر جهدهم وما أكملوا نصفها مدة من نحو مائة سنة هـ. **قلت** ولا زالت يد التخريب عاملة إلى الحين الحالي في تلك الحصون والأسوار الهائلة ولضخامة الآثار الاسماعيلية وانتشارها في سائر الأقطار المغربية توهم بعض الجاهلين أن ذلك فوق مقدور البشر واعتقد أنه من عمل الجانّ. والحال إن البناءات الاسماعيلية الهائلة إنما هي أثر من آثار بانيها الدال على علي همته ووافر ثروته وعظم دولته ونفوذ كلمته وكمال اقتداره وحزمه وصرامته في سائر أطواره ولذلك أزرت مبانيه بما بناه الفراعنة

والأكاسرة حتى قال بعض حذاق الشعراء.

لقد بنت الملوك بناء فخر به ذكرت على مر الدهور
وأبنية الامام أبي الفداء سليل المصطفى الليث المصور
أتم ضخامة وأجل قدرا وأجمل منظرا أبهى قصور
وفي كل البلاد له حصون لتأمين المسافر في المرور
ولو قيست مبانيه بما قد بناه من تقدم في عصور
لكان لها اعتزاز وافتخار ببهجة حسنها وبَنَا الأمير
فدونك فاستمع قولي مصيخا فإن مقالتي ليست بزور
وفي مكناسة الغرا دليل كمثل الشمس في صفة الظهور
فرحمة ربنا عدد الرمال على ملك تسامى عن نظير

وقال الوزير أبو عبد الله محمد بن ادريس.

قل للذين استعظموا من جهلهم إيوان كسرى أو بنا الأهرام
لم يبن ملك قد تقدم ما بنى مولاي اسماعيل في الاسلام

وقال أبو عبد الله اليفرني في (روضة التعريف) ولا شك أن له نصره الله في مكناسة من البناءات والمصانع الغريبة ماينسي جنان الدنيا ومنها شعب بُوان ويبخس ذكر البديع ما تعاقب الملوان، وفي ذلك أنشد بعض أصحابنا حيث يقول.

أمكناسة أني لرؤياك آمل وإن عاقني شغل من الدهر شاغل
فأنت التي حزت المفاخر كلها ومنك تنشت في البلاد الفضائل
إذا افتخرت مراكش ببديعها ففي القبة الخضرا تضيق الأقاول
وإن ذكرت مصر بجامع أزهر ففي الجامع الخضرا بدور كوامل
لك الفخر يامكناسة قد حويته كأنك بحر والبلاد جداول

وقال أبو القاسم الزياني أن مباني المولى اسماعيل بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه شيءٌ تذهل عند مشاهدته العقول وتعجز عنه قدر الدول القديمة والحدثة قال: ولاتلحق ضخامة مبانيه مابنى كسرى في المدائن ولا الفراعنة في مصر ولا الروم برومية

والقسطنطينية ولا اليونان بأنطاكية والاسكندرية ولا العماليق بالشام ولا مابناه بنو أمية ولا بنو العباس ولا العبيديون ولا المرابطون ولا الموحدون ولابنومرين ولا السعديون، قال ولقد شاهدت الكثير من إثار الدول المذكورة فما رأيت أثرا أعظم من ءاثاره وأضخم من بنائه وأكثر من قصوره لأن من بنى من هذه الدول إنما يعتني بتشييد قصر وتنميقه والمولى اسماعيل لم يقتصر على قصر ولا على عشرة ولا على عشرين بل جعل مباني الدول كلها في بطن قلعته بمكناسة كما يقال كل الصيد في جوف الفرا وقال وقد شاهدنا آثار الأقدمين بالمشرق والمغرب وبلاد الترك والروم فما رأينا مثل ذلك في دولهم ولا شاهدناه في آثارهم بل لو اجتمعت آثار دول ملوك الإسلام لرجح بها ما بناه السلطان الأعظم المولى اسماعيل رحمه الله في قلعة مكناسة دار ملكه ولم تزل تلك البناءات على طول الدهر قائمة لم تخلقها عواصف الرياح ولا كثرة الأمطار والثلوج ولا آثار الزلازل التي تخرب المباني العظام والهياكل الجسام وقد تبع الزياني على مقاله هذا من نسج على منواله كصاحبي الجيش العرمرم والاستقصا وتعقب ذلك بعض فضلاء المصريين بما هو مبسوط مع ما ناقشناه به في إتحاف أعلام الناس [1]

وجدد أسوار طنجة التي خربها النصارى عند فتح المسلمين لها وأسس دارا له بقلعتها بثغر العرائش وذلك بعد أن فتحها عام واحد وتسعين وألف كما مر وأسس دارا له بقلعتها أيضا بثغر أصيلا، وأسس الدور والقصور العديدة لأولاده بسجلماسة، لكل واحد قصرا أو دارا وأعطى لكل على حدته نخيلا وأرضا للحراثة والغراسة ومن يقوم به من المماليك كل على قدر رتبته ومكانته لديه. ومن ذلك قصبة مولاي المامون بتزيمي.

---

(1) القصد إلى الشيخ محمد فريد وجدي الذي قال : ان هذا الكلام فيه غلوّ عظيم لا يصح أن يصدر من مؤرخ... وقد برَّرَ النقيب ابن زيدان أقوال المؤرخين المغاربة بما تواتر لديهم من أخبار منتقداً قول فريد وجدي الذي اقتصر فقط على الاستبعاد دون حجة يرتكز عليها .
أنظر الاتحاف ـــ المجلد I ص 181ـــ182.

الباب التاسع عشر فيما غرسه من الجنات والبساتن

من ذلك غابة الزيتون المعروفة بحمرية، غرس بها مائة ألف شجرة من شجر الزيتون كلها أينعت وأثمرت ثم حبسها على الحرمين الشريفين مكة والمدينة وقد كانت هذه الأرض تسمى فيما قبل بأبي حفص تملكها المترجم بالمعاوضة الشرعية. وقفت على عقد المعاوضة، ونص الظهير لمن عينه المترجم للنيابة عنه في عقدها ودونك نصوص ذلك، فلفظ الظهير بعد الافتتاح من عبد الله تعالى أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين المجاهد في سبيله ناصر الدين مولانا اسماعيل بن مولانا الشريف ونص الطابع اليمن والاقبال اليمن والاقبال اليمن والاقبال اسماعيل بن الشريف الحسني رعاه الله أيد الله تعالى بعزيز نصره أوامره وظفر عساكره وخلد في الصالحات مآثره وأسعد بمنه موارده ومصادره ءامين ءامين ءامين قدمنا بحول الله وقوته خديم جانبنا العلي والنجل الذي احرز من اشراط النباهة والنجابة المقدم والتالي القائد الاوحد الاثير الانبه الأحفل الارضى الحازم الاحظى القائد علي بن يعقوب اليوسفي المكناسي دارا وصل الله إنجاده وأحرس على المسالك الحميدة والمساعي الجميلة إصداره وإيراده لحيازة الاراضي التي لنا بحوزة حضرتنا العالية بالله مكناسة وبيان حدودها وتعيينها واخراجها من يد من كانت له وعلى عقد المعارضة بما يظهر له منها بغيرها التي له على ملك أناس المتصلة بأراضينا المجاورة لحضرتنا المذكورة وعلى الصلاح في ذلك والسداد تقديما أمضاه بعلائه وكساه رائق سنائه لعلمنا بانه أهل لما اليه قدمناه وأحق بما أسندناه اليه وأوليناه والله يصل توفيقه ويجعل السداد والنجح رفيقه بمنه والسلام وفي يوم الاحد رابع وعشرين من محرم الحرام فاتح سنة ثلاث وتسعين وألف عرفنا الله خيره وبركاته هـ.، ولفظ عقد المعاوضة الحمد لله انعقدت المعاوضة ببركة الله تعالى بين الشريف الاوجه الخير الانزه الاحظى الاتقى الانقى السيد محمد دعي بسيدي حم ابن ادريس بن وحود المنوني الحسني وبين القائد الحاج علي بن يعقوب المذكور أعلاه النائب

عمن ذكر أعلاه بحكم ما ذكر أعلاه في جميع الارض المعروفة بأبي حفص المشتملة على سقي وبعل التي على ملك الشريف المذكور الكائنة خارج باب القورجة أحد أبواب مكناسة يحدها سهب الطبال والطريق الممرور عليها لفاس وتتصل بساقية خنفر وبطريق عين السلوقي وفي جميع الارض التي للجانب العلي البعل الكائنة ببراكة خارج باب البراذعيين من المدينة المذكورة يحدها الارض المعروفة ليوسف النحال قبلة ومقطع الريح غربا ويحدها أرض سيدي علي بن قاسم الشريف المنوئي من الجهتين والطريق الآتية من قبور الطوال وتتصل بأرض عزوز التي على ملك الشريف المذكور أولا وذلك بأن أخرج الشريف المذكور نفس ملكيته عن ارض أبي حفص التي كانت له عوضا عن أرض براكة التي صارت له بسبب المعاوضة المذكورة كما أخرج القائد المذكور نفس ملكية المنوب عنه عن أرض براكة التي صارت للشريف عوضا عن الارض التي صارت للجانب العلي المعروفة بأبي حفص المشتملة على سقي وبعل معاوضة صحيحة تامة بتة بتلة على سنة المسلمين في معاوضتهم ومرجع دركهم وتملك كل واحد ما صار له عوضا عما صار عنه تملكا تاما على السنة في ذلك والمرجع بالدرك بعد النظر والتقليب والرضى صحيحا كما يجب من ناب عن نفسه فعن نفسه ومن ناب عن غيره فعنه عرفا قدره شهد به عليهما بحال كمال الاشهاد وعرفهما أواخر القعدة من عام ستة وتسعين وألف الحق فيه والطريق الآتية من قبور الطوال صح به المعروفة صح به شهد عليهما بما ذكر أواخر صفر عام اثنين ومائة وألف أحمد ابن محمد لطف الله به وعبد السلام بن محمد هـ.، **قلت** والى هذا الجنان اشار الاسير مويت بقوله : رفي عام 1681 اشترى مولاي اسماعيل الجنات المجاورة للجنان الذي أنشأه على هيأة اكدال بمراكش وكان قصده أن يجعل دائرته ثلاثة كيلوميترات وقد اكمل عمله في شهر واحد واستخدم فيه في إبان المطر الغزير الاسارى والعبيد والقواد والاشراف وغيرهم كما خدم فيه هو بنفسه هـ. **ومن ذلك** الجنان المجاور لقصر الخيل طوله فرسخ وعرضه ثلاثة أميال كان به من شجر الزيتون العدد العديد ومن انواع الفواكه كل عجيب

غريب وقد تقدمت الاشارة اليه فيما نقلناه عن ابي القاسم الزياني لدى كلامنا على قصر الخيل وقد صار هذا البستان دورا للجيوش السلطانية وغالب دوره لا تخلو من غراسات مختلفة الانواع وغالبها الزيتون حتى إن المحل يعرف اليوم باسم الزيتون فإذا أطلق لا ينصرف الا اليه، وغالب ظني أن اتخاذه دورا للسكنى كان زمن السلطان سيدي محمد بن عبد الله حفيد صاحب الترجمة ومشيد مفاخر الدولة من بعده إذ هو الذي أسس جامع الازهار هناك، وبنى دارا لسكناه بإزائه وهي المعروفة اليوم الدار البيضاء وبها جعلت المدرسة الحربية للضباط المغاربة وأنزل لفيفا من الجيوش السلطانية كالحرس لقصره، وهذا الجنان هو المشار اليه بقول (جون ويندوس) وجدنا واديا به أشجار الرمان والتفاح وقد بنى السلطان فوق الوادي قنطرة يمر عليها الى اصطبله والله أعلم، ومن ذلك جنانا البحراوية والاترجية المعروفان بهذا الاسم الى الآن وهما المشار اليهما بقول (جون ويندوس) ومنها دخلنا روضا كبيرا تحيط به عدة أشجار من السرو وذلك الروض منحدر بنحو عشرين ميترا يفصل هذا الجنان جدار طوله نصف ميل تقريبا يسمى ذلك الجدار الاطرنجية غير انه سمي الجدار الفاصل بين الجانبين بالاترجية، ومن ذلك الجنات الاربع التي بداخل القصر السلطاني المعروف بالمنشة وهي عرصة الرخام وعرصة الزحاف، ويقال لها عرصة البلنز وهو السرو وعرصة للا فاطمة والعرصة القديمة وهذه الجنات كلها لازالت قائمة العين وكل ما عداها مما اشار اليه (جون ويندوس) وغيره من الاروبيين اضمحل واندثر اثره والبقاء لله وحده.

***

الباب العشرون في عدد ما خلفه من البنين والبنات والاحفاد وبعض الازواج والسراري

قال ابو القاسم الزياني : وكان لمولاي اسماعيل من الاولاد رحمه الله على ما قيل وتواتر به الخبر خمسمائة ولد ذكر ومن البنات مثل ذلك، والذي خلف من أولاده وعقب على ما شاهدناه عيانا في دفتر مولانا أمير المومنين سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله إذ كان يصلهم في كل سنة وكنا نتوجه لتفريق الصلة عليهم بسجلماسة مائة دار وخمسة دور لاولاده لصلبه وأما الذين لم يعقبوا أو عقبوا وانقطع عقبهم فليسوا في الدفتر وأما الحفدة والأسباط فكان عددهم في أيام سيدي ألفا وخمسمائة وستين وزادوا اليوم في دولة السلطان مولانا سليمان ولا زال نصره الله يصلهم على دفتر والده ومن زاد يزاد واجبه **وأما** الذي لحقناه من أولاد مولانا اسماعيل لصلبه في دولة سيدي محمد رحمه الله فثمانية وعشرون واحدًا نعرفهم بالاسم والصفة ومن بناته لصلبه ثمانية وعشرون أنزلهم السلطان رحمه الله بقصر (حمّ فكـ) ورتب لهن العولة والكسوة والصلة في كل سنة ومعهن الحفيدات اللواتي لا أزواج لهن وكل واحد من هاؤلاء المائة والخمسة دور لاولاده لصلبه الذين في الدفتر هـ. وفي صحيفتي **65/38** من المؤلف المعنون بحكايات حوادث بالمغرب على عهد لويس الرابع عشر لمؤلفه الاب (بيسنو) وفي قصره نحو خمسمائة امرأة من سائر الاجناس وكن لا يزرن بعضهن بعضا الا بإذن خاص منه... وكان يحملهن من حين الى آخر للتفسح في بساتينه ويركبهن على البغال هـ. وقال مؤلف رحلة الوافر في خاتمتها بعد ذكره وفاة مولاي اسماعيل : وقد ذكر بعض من لقيته من عبيد مشرع الرمل في المغرب ان ملزومة دار الملك في عولة عياله وأزواجه وجواريه ونهايتهم عددا سبعمائة من الازواج والجواري والله أعلم والدراري بل والاولاد بلا حساب يبلغون ألف سرج على ما ذكر لى بعض من لقيته : في كل يوم سبعون صحفة من القمح بكيل الغرب وما يفوقها من لحم وسمن وزيت وخليع وملح وإبزار وحطب وغير ذلك مما لا بد منه في المؤونة وان كل ما يدخل

بيت ماله في كل عام بعد تفريق المطالب على الجند وما يحتاج اليه اهل داره وعسكره في المال الصامت دون غيره ستمائة(1) قنطار أبدا وزيادة وذلك قريب لما وجدته في بعض التقاييد بعد وفاته ان جملة ما في بيت ماله سبعمائة ألف قنطار من الفضة المضروبة دراهم ومثل ذلك من الذهب المضروب دينارا ومثل ذلك من الفضة المسبوكة وجعلت أرحية مع الذهب في الخواب والقلال وفروض العود وبني عليها الحيطان الى غير ذلك مما لم اقف على ذكر ونص فيه، فسبحان مالك الملوك والله يوتي ملكه من يشاء وهو القاهر فوق عباده ولا غالب الله لا إله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون هـ. **فمن** أولاده المشهورين منهم السلطان مولانا عبد الله أمه خناثة بنت بكار والسلطان مولاي احمد وأخوته الاشقاء زيدان والحفيد والمتوكل والسلطان ابو الحسن علي واربعة إناث أمهم عائشة ومباركة، والسلطان مولاي عبد المالك وإخوانه الاشقاء عبد الرحمان والحسين أمهم معزوزة مالكة والسلطان سيدي محمد وأخته آمنة أمه شاوية والسلطان المستضيء وإخوانه الاشقاء بناصر والحسين وغيرهم أمهم عودة دكالية والامير سليمان الكبير أمه شاوية وموسى الهادي أمه أبهار دكالية والسلطان مولاي محمد وأخوه الشريف أمهما رومية ومولاي الطالب أمه مالكة.والرشيد وإخوانه الاشقاء بناصر وبناصر أمهم حيانية وعبد الكريم واشقاؤه الحران وهاشم والفضيل وأختهم سكينة أمهم عبلة. المقتدر أمه دكالية وكان مع أخيه أبي مروان بسوس وأبو فارس أمه حيانية. ابو القاسم أمه زعرية وعبد السلام ومحمد الضيف امه طليقية والناصر أمه مراكشية فطوم والفضيل أمه علجة وعبد الله امه فاطمة ورديغية، الامير ابو النصر أمه دليمية وحفيد الاخلاف مولاي علي، والامير المهتدي الذي ثار بثغر سلا أيام أخيه محمد امهما شاوية وسليمان الصغير والتقي أمهما مالكية وعبد الحق أمه مالكية وخاله الحوات والرشيد الكبير ومحمد أمهما لاولاد حمامة الشيخ الكبير أمه أمة. محمد الحبيب أمه زبيدة، ومولاي زيدان الصغير

المتوفاة في يوم الجمعة سابع جمادى الاولى سنة 1127 سابع وعشرين ومائة وألف.

أمه حليمة السفيانية العشوة والشيخ الصغير أمه زهرة المالكية، ومولاي زين العابدين وشقيقه جعفر وموسى أمهم شاوية، وداوود أمه أمة، والمامون الصغير أمه شاوية، وعبد الله أمه أم العز التباع وإدريس وشقيقه المهدي وأختهما ست الملك[1] أمهم شاوية اسرور السفاح وإخوانه محرز والمعتضد ومحمد الغرفي أمهم شاوية والطاهر وعبد المالك أمهم دكالية والسعيد أمه أمة لاولاد سيدي بن عيسى ادريس وإخوانه الاربعة أمهم شمس الضحى شاوية، والشريف والمرتجى أمهما شاوية ايضا ذات الخال، وعبد الملك أمه مسك الجيوب سفيانية، ومحمد بن رحمة السلاوية، وسعيد الصغير أمه حيانية، وعبد الله بومناد أمه فضة دكالية، ومولاي بناصر والمعتمد أمهما مارية العلجة، وعبد القادر أمه من أولاد اسفير، والخالد أمه عبلة المالكية وعبد المامون أمه تادلاوية والوليد الكبير أمه فلانية، والمعتمد أمه ملكية، والحاكم وشقيقه الكبير أمهما دكالية، مولاي مبارك أمه دكالية عبد الواحد أمه مالكية، والسالم وشقيقه هارون وست نفيسة أختهم أمهم كوثر شاوية، والوليد المثلث أمه سونة الدرعية وعبد المالك الصغير والطالب الصغير والمترجي والمعتني امهما غنيمة شاوية، ومحمد أمه رقية سعيدية، وأبو فارس وأكبر ولده رحمه الله مولاي محرز ومولاي الحسن ازداد بعد الخامس والعشرين من اولاده وهو الذي قتل اولاد اخيه مولاي يوسف عام **1162** ثم تسبب في خراب دار ابن اخيه مولاي الشريف بن زين العابدين، والعثماني وسيدي محمد أمهما من ثغر آزمور وعبد الله والطيب أمهما كناوية وعثمان الثاني أمه مالكية، والطائع أمه من اولاد الحج عربية والمعتصم وست الملك أمهما علجة مولاي الحران وأخوه محرز أمهما أم السعد مالكية، الشريف وأخته صفية أمهما شاوية، وعبد الهادي الكبير وعبد الهادي الصغير أمهما أمة، ويوسف الصغير أمه أمة، ومحمد بن الطليقية، وسليمان بن الجامعية وأخته ومعاوية والحسن أمهما البستان من دبدو

(1) ست الملك هي التي رافق ركبها الامام الحسن اليوسي الى حج بيت الله عام 1101 هـ. — 1690/1689 : د. التازي: أمير مغربي في طرابلس 1731/1143 — مطبعة فضالة — المحمدية — 1976 — ص. 37 .



الاميرة لالة خناثة زوجة السلطان المولى اسماعيل ، من الاميرات اللاتي اسهمن فى حياة المغرب الدولية وكانت ضيفة على ليبيا صحبة حفيدها محمد الثالث حيث خفت سيدات طرابلس لاستقبالها والترحيب بها وذلك خلال عام 1143 و 1144 هـ (1731 ـ 1732 م) .

والرسم بريشة الفنانة الاسبانية اميليا ر. ف. المعروفة بلوحاتها الناجحة فى شمال المغرب ، وقد عاشت فى الصحراء المغربية حسب افادة الاستاذة امينة اللوه التي نشرت الصورة بمجلة المغرب التي كانت وزارة الشؤون الخارجية تصدرها (عدد مايه 1963) .

عن كتاب أمير مغربي في طرابلس للدكتور عبد الهادي التازي صفحة 88 .

والقائم ابن خالة هذا المذكور مولاي أبو مروان وأخوه يوسف أمهما أمنبهية والمكتفي أمه دكالية وعبد الرحمان أمه شاوية، وعبد الرحمن المثلث أمه ملكية ومولاي المستضيء أمه جميلة الملكية، وعبد الله أمه حصينية، والمعتمد الصغير أمه شاوية ومحمد الاقرع وأخوه سليمان والحسن أمهم من سفيان ومحمد أمه بخارية هـ. من تاريخ الضعيف **قال** في الظل الوريف وفيهم يعني أولاد المترجم أنشد بعض أدباء مراكش الحمراء بمدحه فيها نصره الله واستطرد ذكر أولاده الاماجد فقال :

أولاده غر ضراغمة أسود   يتسابقون الى الطريق الاحمد
لاغرو ان ساروا بسير أبيهم   فالليث يسري سيُره في الفرهد
جمعوا المئاثر والمفاخر كلها   وهم الغياث بكل روع اكمد
فهم الملاذ اذا الحروب تشابكت   واذا الهموم مشت بقلب الاكمد
وهم الملوك على البرية كلها   وهم السراة لمغور أو منجد
ما منهم الا كبير قدره   كالغصن في غلوائه المتأود
ان النجوم صغيرها لكبيرها   ترعاه عين الناظر المتودد

هـ. **ومن أزواجه** الشريفات والحرائر ذوات العقد زيادة على من ذكرنا مولاتنا عائشة بنت الشريف الاصيل السيد بلقاسم العلوي القاطن ببني زروال القبيلة الشهيرة بالجبل ومعتقة له أي المترجم لم أقف على اسمها برسم صداقها لفتك الارضة به والحرة الاصيلة السيدة ميرة بنت الشيخ محمد بن الشيخ عبيد الحاجي والسيدة حليمة بنت المرابط أبي المحاسن يوسف بن البشير بن الحيلاني بن مالك إبن خدة الولي الصالح الشهير المزارة. وقد وقفت على عقود أصدقة السيدات المذكورات اليك نصوصها على الترتيب. الحمد لله الذي له الحكمة البالغة. والنعمة السابغة. والملك الكبير. ملك الملوك يوتي الملك من يشاء ويعز من يشاء وهو المريد القدير الواحد الأحد. الفرد الذي استحال عليه العدد. فلا يدركه في ذاته بتعدد صفاته التكثير. الملك الحق فلا ينجده المعين. ولا يرشده النصيح ولا يشاركه الوزير. الحكيم الذي فتق الاكوان فاذعن له الابداع وانقاد له الاختراع. واطاعه التصوير. تفرد بالوحدانية فلم يتخذ صاحبة ولا ولدا. وأحاط بكل شيء علما

واحصى كل شيء عددا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير. تجلى لأبصار البصائر نور جلاله. وفاض على السموات والارض عظيم جوده وكريم نواله فهو الغني المحض ومن سواه الفقير. وتبارك الله رب العالمين الذي نطق الحي والجماد من تعظيمه بلسان وان من شيء الا يسبح بحمده ما بين سر واعلان ونعوذ بالله من سخطه ونستجير وسبحان من أنشأ النفوس البشرية وسواها وادار على من اصطفى منها واختار كؤوس معرفته حتى رواها فوضح حقها الاكيد وظهر قدرها الكبير. ونحمده سبحانه على نعمه الباطنة والظاهرة. فكلما بهرت الالباب مننه الوافرة. وآلاؤه المتواترة. فشأننا العجز وصفتنا التقصير ونشهد انه الله الذي لا الاه الا هو ليس في الوجود الا فعله. اجرى الأقدار على حسب ما اقتضاه واختاره حكمه وعدله لا يسئل عما يفعل بما اقتضته الحكمة البالغة والتدبير شهادة تتارج نفحات الاخلاص من ازهارها. وتسفر غرر التوحيد من مطالع انوارها. ونجدها عتادا اذا زخرفت الجنان وسعرت السعير. ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي حاز له في الانبياء قرية التفضيل والتقديم. وافترض على العالمين فرض الصلاة عليه والتسليم درجة يئس منها المثيل وعجز عنها النظير. وأفرده بالفخر الأجلى والقدر الاعلى فعرف فضله الملأ الاعلى والفلك الأثير. ابتعثه الله والجاهلية الجهلاء تصول. وحرمات الله تجتث منها الفروع والاصول فقر الرجفان وارتفع العدوان وسهل العسير. صلى الله عليه وعلى ءاله وصحابته. وعترته وقرابته. التي كانت تهتدي بهديه فيما يشير. وتسدي بانوار مراشده وتسير **أما بعد** هذه الفاتحة التي تجلت وجوه المسرات المستمرات خلال اختتامها وافتتاحها. وتأرجت أزهار تحميد الله وتمجيده من بين أدواحها ووضحت في ليل الخبر تباشير صباحها. والمقدمة التي تكفلت للاعمال بنجح مالها والامال بفوز قداحها. فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل البيت أمان لأهل الأرض وعنه صلى الله عليه وسلم قال معرفة آل محمد صلى الله عليه وسلم براءه من النار وحب آل محمد صلى الله عليه وسلم جواز على الصراط والولاية لآل محمد صلى الله عليه وسلم أمان من العذاب وقال صلى الله عليه وسلم حب

آل محمد صلى الله عليه وسلم خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اثبتكم على الصراط أشدكم حبا لأهل بيتي ولأصحابي وقال صلى الله عليه وسلم أن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح مَن ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك إلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة الحسان. والآثار الواردة عن السلف الصالح والأعيان سيما من خصه الله تعالى بخلافة الأرض. واصطفاه لسلطنتها في الطول والعرض. الشهير الحلم والأناة في معمور الأرض. صاحب الفتوحات والمكارم الشهيرة. والمآثر الحسان التي هي أوضح من شمس الظهيرة. الامام المنتخب من عترة النبي الذين علوا مناقب ومناصب. ورقوا إلى أشرف المنازل والمراتب. سيف الله الذي اشتمل بالطهارة يافعا وكهلا. وكان مذ كان لخلافة المسلمين أهلا المجاهد الذي تلقى راية الجهاد بالاستحقاق. وقام بفرضه كفاية عمن دونه من ملوك الآفاق. ذو الشرف الأثيل والمجد الأصيل السلطان المظفر تاج المعالي مولانا اسماعيل. بن مولانا الشريف. الرفيع القدر المنيف. الغني بحسبه الباهر. ونسبه الظاهر عن التعريف. قدس الله روحه الطيب. وسقى لحده الشريف من الرحمة الغمام الطيب. بن مولانا علي رفع الله درجته في أوليائه وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وشهدائه. أبقاه الله وآثاره في نصر الدين باقية صالحة. وكتائبه في سبيل الله غادية رائحة. وأقلام رماحه لآيات النصر العزيز شارحة. واعداء الله لحزبه مذعنة وإلى سلمه جانحة. ولما علم السيد الشريف المرفع العفيف سيدي بلقاسم من شرفاء بني زروال مقاسم مولانا السلطان في بحبوحة الحسب. وملاقيه في ذروة النسب. وصل الله عزة شرفه. ونفع بمحبته ومحبة سلفه. ماورد في محبة السلطان مطلقا من الأحاديث النبوية. وصحاح الأخبار المصطفوية وأن السلطان ظل الله في الأرض فمن غشه ضل ومن نصحه اهتدى سيما من اصطفاه الله لذلك من بيت نبيه عليه السلام فمحبته سعادة. والاعتصام بحبله المتين فوز بالحسنى والزيادة. رغب شكر الله رغبته في مصاهرة الملك الهمام. فخر السيوف والاقلاع من عزة تؤيد قدرة الله اقتداره. وصنعه الجميل يجري على قطب التوفيق مداره ونصره العزيز يعمل

في سبيل الله أسنته وشفاره السلطان المجاهد أبو النصر مولانا إسماعيل نضر الله وجهه وتقبل جهاده. وشكر دفاعه عن حوزة الاسلام وجلاده. بابنته السيدة الشريفة. الحسنيه المنيفة. الفقيهة العفيفة. خير البنات وأبر المصونات. وارثة معاليها من أمها وأبيها. البكر العذراء الحل للنكاح. السيدة عائشة. وهي مكفولة صونه. وربية حجابه وخدره. صان الله شبابها. وقرن باليمن والبركة اسبابها فأسعف المولى المنصور رغبته. وصدق في ذلك قصده ونيته وقبل منه ذلك قبولا تاما على كتاب الله العظيم جل شأنه. وسطع في الآفاق نوره الباهر ووضح للمهتدين برهانه. وعلى السنة التي أوضح المصطفى صلى الله عليه وسلم دليلها. واقتفى الأئمة الراشدون رضا لسبيلها. وامتثالا لما أمر الله تعالى به من حق الزوجات من الامساك بالمعروف في نص القرآن. واتباعا لقول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان. على صداق جملته بين نقده المعجل. وكالئه المؤجل. مائة مثقال ذهبا وذلك من قديم عرف ساداتنا الأشراف الذين شرفت على البسيطة أنوارهم. وارتبع في البيت الحسني مقدارهم. خلد الله للاسلام شريف دولتهم العلوية. وأنار جهات البسيطة بأنوار معدلتهم السنية. دفع المولى المنصور. لوالد الزوجة جميع المهر المذكورة. ووسع أفضاله العميم الزوجة المذكورة باماء ثلاث وجوهر نفيس وحوائج ملوكية من الذهب الابريز تناسب رفيع قدره كما هي عادته شكر الله انظاره وعمر بالنصر منازله ودياره. وغير ذلك من الحوائج التي تناسب ذلك في اللباس. وكلاهما غني عن الوصاه. بالآداب الكريمة والخلال المرتضاه شهد على مولانا أمير المؤمنين أعلا الله قدره وأحيا في أئمة العدل ذكره. بما تقيد عنه نصره الله تعالى في هذا العقد السعيد من إبرامه. واثبات أحكامه. وهو أيده الله بحال كمال الاشهاد وتمامه. وعلى والد الزوجة بما ذكر فيه عنه وهو بحال كمال الاشهاد. وعلى أتم الأحوال المسوغة لهذا المراد والله يجعلهما من أهل السعادة دنيا ودينا. ويسلك بهما من التوفيق سبيلا مبينا. وصلاة الله عوداً وبدءاً على سيدنا ونبينا ومولانا محمد رسوله الكريم وسلم تسليما هـ. **الحمد لله** واصل أسباب الملك الشامخ المديد الظلال ومانح

المنح التي لا تمر شواردها بالبال وملهم الشكر فالشكر مستدعي المزيد من النوال فتبارك الله رب العالمين تفرد في جبروته بالوحدانية والعظمة والجلال. وتنزه في ملكوته عن الشركاء والنظراء والامثال. وتقدس في نعوته عن سمات التغير والانتقال. والاتصال والانفصال. نحمده سبحانه على ما أسبغ علينا من الانعام والافضال. ونشكره على ما أولى من عميم الآلاء الدائمة الانكساب والاتصال. ونشهد أن لا إلاه إلا الله وحده لاشريك له عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال. ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي ختم به النبيئون والارسال. صفوة الخلق المخصوص بمزية الكمال. الحال من رتب الاصطفاء بالمحل البعيد المنال. صاحب الشفاعة المدخرة إذا شهدت الجوارح وحقق الحساب ودقق السؤال صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه ليوث النزال. العاملين بعده في نصرة الدين سُمر العوالي وبيض النصال. وعلى من اقتفى أثرهم فيما لهم به من محامد الصفات ومحاسن الخلال صلاة وسلاما دائمين متلازمين بدوام ذي الجلال **أما بعد** حمدا لله الذي نصر من يقوم بحقوق المسلمين والاسلام جهده. وخلص لوجهه الكريم في الدب عن رعيته نيته وقصده. وقطع به حزب العدو الكافر وصده، وصرفه عن وجهته التي كان أملها ورده. وبسط على الأنام في معمور الأرض من ظل عدله ما تنشرح به الصدور والقلوب. وتبلغ من صلاح الدين والدنيا ما هو غاية المرغوب والمطلوب. فإن مولانا أمير المؤمنين. عز الاسلام والمسلمين وسيف خلافة الله في العالمين. الملك الهمام الذي لاعلاء كلمة الله اهتزازه وارتياحه. وفي سبيل الله عزمه وبأسه وسماحه. ولجهاد أعدائه تخر جياده وتميل رماحه. ومن أفقه الأعلى تنشأ سحابه وتهب رياحه. صاحب الفتوحات المتسقة النظام. والمواهب الجسيمة والمنح العظام. أبا المآثر والمفاخر. ونخبة الملوك المجاهدين الأوائل والأواخر. ذا الشرف الأثيل. والمجد الأصيل. السلطان المظفر تاج الملوك أبا النصر مولانا اسماعيل ابن مولانا الشريف. الرفيع القدر المنيف. بن مولانا علي الحسني العلوي أبقاه الله رفيعا علاؤه. هامية لديه منن الله وآلاؤه مزدانة بكواكب السعد سماؤه. محروسة بعز النصر أرجاؤه مكملا من فضل

الله في نصر الاسلام. وكبت عبدة الأصنام أمله ورجاؤه لما علم أن من اعتق أمة وتزوجها كان له أجران كما صح في صحيح الأثر عن الصادق المصدوق سيد البشر صلى الله عليه وسلم وعلى آله سيد العرب والعجم. الذي رغب أمته في التناكح ليكاثر بهم الأمم. فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال انكحوا إني مكاثر بكم. وقال صلى الله عليه وسلم انكحوا أمهات الاولاد فإني أباهي بهم يوم القيمة الى غير ذلك من الاحاديث النبوية وصحاح الأخبار المصطفوية اشهد على نفسه شهيديه أيد الله أمره وأبد فخره وأدام تأييده ونصره. أنه اعتق مملوكته فلانة الفلانية ومن وصفها كذا عذراء بالغ عتقا ناجزا صيرها به من حرائر المسلمين فيما لهن وعليهن بحيث لم يبق عليها ذكر رق ولا عبودية سوى الولاء فإنه باق عليها حسبما أحكمته سنة سيد المرسلين في ذلك ولما تم عتقها وكمل عملت انها حرة لا سبيل لأحد عليها خطبها وصل الله له أسباب سعده. ونصره بالنصر العزيز فما النصر الا من عنده. من نفسه لنفسه الشريفة. وطلبها كما يطلب أحدنا نكاح المرأة العفيفة. فما أجابت بشيء الا الرضى والقبول. وقالت يا خليفة الله في أرضه أنت غاية المنى ومنتهى السول. فحينئذ خلد الله سلطانه. ومهد أوطانه. تزوجها على بركة الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على صداق مبارك جملته كذا وكذا نقدا وكالئا دراهم قديمة سكة تاريخه من حساب اربعين موزونة في كل مثقال صير لها بزيمين ذهب وزنهما كذا معاينة وتفضل عليها ايده الله ونصره وحسن إثره وأثره بفضل النقدين كما هي عادته وبرئت ذمته الرفيعة مما ذكر الابراء التام انكحها نصره الله من نفسه لنفسه للولاء الذي له عليها بعد تفويضها ذلك اليه التفويض التام واستيمارها الاستيمار الشرعي اللازم العام فنطقت نطقا فصيحا. فقالت فوضت أمري لسيدي أعز الله نصره. وخلد في الصالحات ذكره ورضيت بزوجيته رضى صحيحا. وتفويضا صريحا. وقبل ذلك مولانا المنصور وألزمه نفسه والله تعالى بمنه يصل توفيقهما ويجعل اليمن والبركة رفيقهما. بمنه وحوله. وجوده وطوله وفي كذا هـ. **الحمد لله** العزيز الوهاب. ملك الملوك ورب الارباب. يوتي الملك من يشاء ويعز من

يشاء جل شأنا وعز سلطانا. فاقام على ربوبيته الواجبة في كل شيء خلقه برهانا الواجب الوجود ضرورة اذ كان وجود ما سواه امكانا. الحي القيوم حياة دائمة أبدية منزهة عن الابتداء والانتهاء فلا تعرف وقتا ولا تستدعي زمانا. العليم الذي يعلم السر واخفى احاط بكل شيء علما وادركه عيانا. القدير الذي ألقت الموجودات كلها الى عظمته يد الخضوع استسلاما وإذعانا. المريد الذي بيده تصاريف الاقدار فان منع منع عدلا وان منح منح احسانا. نحمده سبحانه على ما أولانا من الصنع الجميل. وعودنا من الخير الجزيل سرا وإعلانا ونشهد ان لا إلاه الا الله وحده لا شريك له شهادة نجدها نورا بين أيدينا وتكون على الرضى والقبول فينا عنوانا. ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أقرب الرسل مكانة وأرفعهم مكانا. رسول الرحمة الذي جعل طاعته من العذاب المقيم أمانا. صاحب الشفاعة والمرتبة التي لم يعطها الله سواه انسانا. وأنزل عليه كتابه تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وتبيانا. فصدع صلى الله عليه وسلم بأمر من اختار ذاته الطاهرة واصطفاها وأدى أمانة الله ووفاها. مؤيدا بالمعجزات وأي معجزة ككتاب الله الذي لا تنقضي عجائبه. فهو ابن الحق الذي تهدي في ظلمات البر والبحر كواكبه. وأشرقت الارض بنور ربها وآياته وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته. صلى الله عليه وعلى آله وصحابته وأسرته الطاهرة وعصابته. واصهاره وقرابته. الذين كانوا في معاضدته اخوانا. وعلى اعلاء امره الحق أعوانا. نجوم الملة وأقمارها. وغيوثها الهامية وبحارها. وسيوف الله التي لا تنبوا شفارها. وأعلام الهدى التي لا تبلى آثارها. صلاة لا تزال سحائبها ثرة. وتحية دائمة مستمرة. ما لهجت الألسن بثنائهم. ووقفت المفاخر على عليائهم. وتعلمت المواهب من آلائهم. وقصرت المحامد على مسمياتهم واسمائهم. **اما بعد** هذه المقدمة التي كرمت اختتاما وافتتاحا. ووجدت في ميدان الرضى والسعد وبلوغ الأمل واحراز المقصد مقرا ومراحا. واوسعت العيون قرة والصدور انشراحا. فان من المعلوم الذي لا يحتاج الى دليل والمسلم الذي لا يتطرق اليه تعليل. ولا يخاف على تحكمه وارد نسخ ولا عارض تاويل

ما خول الله هذه الايالة الاسماعيلية كتب الله نصر كتائبها. وجعل مئاثرها قلائد تجعلها الايام فوق نحورها وترائبها. من الكمال الذي وردت غير مرافعة حياضه. والمجد الذي تفيأت رياضه. والعدل الذي رفعت فوق العباد ظلاله. والفضل الذي استشعرت شيمه وخلاله والجهاد الذي تلقت رايته بالاستحقاق. وقامت بفرضه كفاية عمن دونها من ملوك الافاق. وان الله سبحانه اختارها لنصر دينه في هذا الاقليم. فضاء بنورها ليل الصبح البهيم. واينع دوح العز فليس بالمصوح ولا بالهشيم. ولما كانت هذه الشيم منوطة بمولانا امير المومنين. عز الاسلام والمسلمين. وسيف خلافة الله في العالمين. الملك الهمام. حافظ بيضة الاسلام. وكافل أمة النبي عليه السلام. صاحب الفتوحات المتسعة النظام الذي اسفر عن صبح النصر العزيز نصله. واشتمل على خواص الشرف الأصيل جنسه وفصله. وطابت فروعه لما استمد من ريحانتي الجنة اصله. ذو العزم الأمضى. والسعي الأرضى. السلطان المظفر تاج المعالي ابو النصر مولانا اسماعيل ابقاه الله وقواعد ملكه راسخة راسية. ومعالم فضله سامية عالية. وخلد في سبيل الجهادي مفاخره الباقية. ابن مولانا الشريف بن مولانا علي جدد الله عليهما ملابس الرحمة. وجزاهما افضل ما جزى الصالحين من ملوك هذه الامة. بادر الاصيل المرفع الذي تأسست على المجادة أركانه. واشتهر في الشياخة الرفيعة مكانه. حيث المجد راسخ القواعد. والسلف كريم الغائب والشاهد. المخصوص من هذه الايالة الحسنية بالاحظاء. والعز الشامخ البناء. الشيخ محمد بن الأصيل المرفع الذي له الحسب المشهور. والسعي المحمود المشكور. الشيخ عبيد الحاجي وصل الله له عادة انعامها. وأعانه على القيام بحق خدمة علي مقامها الى المراقي السامية الشما. وترامى بهمته الى احراز المناصب النبيهة وسما. وهي رغبته وصل الله سعادته. وانجح ارادته. في مصاهرة أمير المؤمنين السلطان مولانا اسماعيل ابقاه الله تسطر في ديوان المجد أخباره. وتروى على الايام مئاثره وآثاره. بأخته الحرة الماجدة المصونة. الدرة النفيسة المكنونة. البكر العذراء البالغ الحل للنكاح. شقيقته ميرة صان الله جمالها ومكانها. ورفع قدرها الجليل وشأنها. فأسعف المولى المنصور

بعد استخارة الله تعالى رغبته. وصدق في ذلك قصده ونيته. وقبل ذلك منه قبولا تاما لعلمه أيد الله أمره بانه يحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وخصوصا الكريم المئاثر في الدفاع عن الدين. فخر السلاطين المجاهدين. وشمس الخلفاء من ابناء سيد المرسلين على كتاب الله العظيم عز شانه وسطع في الافاق نوره الباهر ووضح للمهتدين برهانه. وعلى السنة التي اوضح المصطفى صلى الله عليه وسلم دليلها. واقتفى الأئمة الراشدون رضوان الله عليهم سبيلها. وامتثالا لما امر الله تعالى به من حق الزوجات من الامساك بالمعروف في نص القرءان واتباعا لقول النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عندكم عوان. على صداق جملته نقدا وكالئا مائة مثقال ذهبا وذلك من قديم عرف ساداتنا الأشراف. القائمين بالعدل والانصاف. ووسع افضاله العميم الزوجة المذكورة بامتين ثنتين وحوائج ملوكية على عادة قدره الرفيع شكر الله آلاءه ونعمه. واسعده فيما قصده ويممه. وبعد تقديم الاستيمار. واقتضاء الاذن من مقامها الرفيع المقدار. وتحصيل ما يجب في هذا الباب شرعا على سبيل الاختيار وقبولها ذلك مصرحة به وبالموافقة على فعل شقيقها الشيخ محمد المذكور لكونه وليها شهد على مولانا أمير المومنين أيد الله أمره بما تقيد فيه عنه وهو بحال كمال الاشهاد وعلى الولي والزوجة بما فيه عنهما الولي بحال كماله والزوجة بما وصفت به في الموفى عشرين من القعدة الحرام عام سبعة ومائة وألف وصلى الله عودا وبدءا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما هـ. **الحمد لله** الذي جعل الملوك كفا للأكف العادية. ومرتع العباد في ظل العافية. وأسا لمبادىء الديانة. وصلة للرعايا باسباب الرعاية والصيانة. فهم ظل الله على الأنام وخصوصا من اصطفاه من بيت نبيه عليه السلام الذين علوا مناقب ومناصب. ورقوا الى اشرف المنازل والمراتب. والحمد لله ذي العظمة والجلال. المتعالي قدرا وشأنا. المنفرد بنعوت العز والكمال. فليس يضاهي مجدا وسلطانا. الواجب الوجود. الذي نصب على وجوده أدلة للخلق وبرهانا. وأفاض عليهم عوارف جوده تفضلا منه وامتنانا. وتعرف لهم بأنواع التعرفات ليزداد الذين آمنوا إيمانا. وأجرى الاقدار

عليهم ببديع التصرفات ليتحققوا بألوهيته تحققا وإيقانا. نحمده ونشكره على ما خولنا وأولانا ونشهد ان لا الاه إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب لقائلها يوم الفزع الأكبر أمانا. وتنيله من المولى الكريم قربا ورضوانا. ونشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه من خلقه وخليله. أشرف الانبياء شيما واوضحهم برهانا رحمة هذه العوالم. ومعدن الفضل والمكارم. الذي وسع البرية جودا وعمهم إحسانا صلى الله عليه وعلى آله الاطهار. وصحابته الاخيار. الذين اوضحوا الحق تبيانا وبدلوا في مرضاة ربهم النفوس. وكرهوا رفيع المأكل والملبوس وكانوا لهذا الدين المحمدي قواعد وأركانا. صلاة وسلاما دائمين متلازمين تكون لنا بركتهما روحا وريحانا **أما بعد هذه** الفاتحة التي فتحت للنجم كل باب. ومتت الى التوفيق بوسائل واسباب فإن محبة اهل البيت فرض واجب وافضل الدخائر وأسنى الرغائب. فمحبتهم سعادة. والولاية لهم فوز بالحسنى والزيادة. فقد ورد على النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال معرفة آل محمد صلى الله عليه وسلم براءة من النار وحب آل محمد صلى الله عليه وسلم جواز على الصراط والولاية لآل محمد صلى الله عليه وسلم أمان من العذاب وقال صلى الله عليه وسلم حب آل محمد خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني في اهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهدا وقال صلى الله عليه وسلم أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة واغصانها في الدنيا فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وقال صلى الله عليه وسلم يرد الحوض من اهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين وقال صلى الله عليه وسلم اثبتكم على الصراط اشدكم حبا لأهل بيتي فتعظيم قرابته صلى الله عليه وسلم من تعظيم حرمته وللجزء من الحرمة ما للكل أماتنا الله على محبته ومحبة آل بيته ومحبة أصحابه سيما من قلده الله أمور خلقه. واطلعه بدرا كاملا في سماء سعده وملكه الخلافة حيثما توجه وقصد واناله ارثه اياها عن أبيه الأمجد الملك الهمام من اشرق بنور ايالته الاسلام وتشرفت بوجوده الليالي والأيام. الشهير الحلم والاناة في معمور الارض شرقه وغربه الميمون النقيبة في سلمه وحربه

المصنوع له في أعدائه عناية من ربه. فارس الحرب. وأسد الطعن والضرب. المشتهر بعلو ملكه في ملوك الشرق والغرب شمس أرباب المفاخر. وعزيز أملاك الذخائر. ونخبة الملوك المجاهدين الاوائل والاواخر. ذو الشرف الاثيل. والمجد الاصيل. السلطان المنصور بالله تاج المعالي مولانا اسماعيل ابقاه الله وأيامه عن غرر السعد سافرة. وأقسامه من النصر العضد وافرة وكتائبه ظاهرة ظافرة. والحوادث عن مقامه شاردة نافرة. ابن مولانا الشريف بن مولانا علي جدد الله عليهما ملابس الرحمة بفضله ولما علم المرابط الارضى. الأنجب الدين المرتضى. السيد ابو المحاسن يوسف بن السيد الشهير. الأنبه الأثير. السيد الجيلاني حفيد الولي الصالح. الحاج الناصح. المربى السالك. الشهير بن خدة سيدي مالك. أفاض الله علينا من بحر كراماته ما ورد في محبة أهل البيت من الاحاديث النبوية. على قائلها أفضل الصلاة والسلام. وخصوصا من اختاره الله منهم للخلافة وجعله كهف الارامل وثمال الايتام. بادر أنجح الله قصده الى سبق هذه الخصلة التي لم يسبقه اليها امثاله وهي مصاهرة الملك الأعظم مولانا اسماعيل خلد الله سلطانه. ومهد أوطانه فرغب في ذلك رغبة محب صدوق فلما اتصلت رغبته وانثالت. وتمادت وتوالت. تلقى المولى المنصور رغبته بالقبول. وفتح له أبواب الامال البعيدة المنال والوصول فصاهره بابنته المكنونة البركة المصونة. السيدة حليمة صان الله شبابها. وقرن باليمن والبركة اسبابها. وهي بكر عذراء حل للنكاح في حجر والدها وتحت ولاية نظره على صداق مبارك جملته بين نقده المعجل وكالئه المؤجل مائة مثقال دراهم قديمة سكة التاريخ تزوجها وصل الله له اسباب سعده. كما حلى اجياد المنابر بالدعاء لمجده. وجعل جنود السماء من جنده. ونصره بالنصر العزيز فما النصر الا من عنده. على كتاب الله العظيم. وعلى سنة نبيه المصطفى الكريم شهد على مولانا المنصور بالله بالقبول والرضى وهو أعلا الله قدمه بحال كمال الاشهاد وعلى والد الزوجة بما ذكر فيه عنه وهو على أتم الاحوال المسوغة لهذا المراد والله تعالى يجعلهما من أهل السعادة دنيا ودينا. ويسلك بهما من التوفيق سبيلا مبينا بالنبي وآله وفي كذا هـ. كما بالأصل.

الباب الواحد والعشرون في عدد ما خلف في سجونه من الأساري وارباب الجرائـم

قال وانت الانجليزي الذي ورد لمكناس في معية سفير الدولة الانجليزية الباشدور (شارل ستيوارت) فيما حكاه عن نفسه في رحلته الموسومة بالسفر الى مكناس أن حُلولهم بمكناس كان ثالث شهر يونيو سنة 1721 على الساعة الرابعة صباحا وان مقابلة السفير للسلطان كانت سادس الشهر المذكور وأن مبارحته لمكناس كانت سابع عشر يوليو وصحبته من الاسارى الممنون عليهم بالفكاك من قبل السلطان مائتان وست وتسعون قال وكان اذ ذاك بمكناس من الأسارى اربعة عشر ومائة ألف فمن الانجليز ثلاثمائة أسلم منهم تسعون ومن الاصبان أربعمائة ومن البرتغال مائة وخمس وستون ومن الفرنسيس مائة واثنان وخمسون ومن هولاندا تسع وستون ومن جنوة خمس وعشرون ومن اليونان أهل جزيرة موريا ثلاثة هـ. **قال** مؤرخ الدولة ابو القاسم الزياني في الترجمان المعرب وكان في سجونه يعني المترجم من أسارى الكفار خمسة وعشرون ألفا ومن أهل الجرائم العظيمة كقاطع الطريق والمتلصص نحو ثلاثين ألفا وكلهم يخدمون نهارا ويبيتون بالدهاليز ليلا ومن مات منهم يدفنه في البناء ولم يبق منهم لأهل الدعاوي والفساد محل ياوون اليه ويمتنعون به حتى أن مجهول الحال اذا بات في حلة او دشرة يقبضونه الى ان تتبين براءته وان سرحوه يؤدون ما سرقه ونهبه او اقترفه من الحرام **قال** واعتكف السلطان على بناء قصوره وغرس البساتين والبلاد في أمن وعافية يخرج الذمي والمرأة من وجدة الى وادي نون ولا يجدان من يسألهما من أين والى أين والرخاء المفرط لا قيمة للزرع ولا للأدام ولا للماشية ولم يبق بالمغرب سارق ولا قاطع طريق ومن ظهر عليه شيء وهرب يؤخذ في كل قبيلة مر بها وفي كل قرية وكلما بات مجهول الحال بحلة أو قرية يثقف بها الى أن يتبين براءته وان تركوه فانهم يواخذون به ويؤدون ما سرقه واقترفه من الجرائم كالقتل وغيره فكانت ايامه غزيرة الأمطار كثيرة البركة في الحراثة والفلاحة والتجارة والامن والرخاء والخصب لم يقع

غلاء طول أيامه إلا مرة واحدة بلغ القمح فيها ست أواق للمد والشعير ثلاث أواق ورأس الضأن ثلاث اواق ورأس البقر من المثقالين الى المثقال والسمن والعسل رطلان بموزونة والزيت أربعة أرطال بالموزونة هـ. قلت الاوقية عبارة عن اربع سنتيمات والموزونة عبارة عن سنتيم واحد.

الباب الثاني والعشرون في محبة رعيته له واغتباطها بأيامه الزاهرة

في الباب الاخير من (سلوك الطريق الوارية) لدى تعرضه لكُمَّل النساء ما ملخصه من جملتهن المرأة المسنة المقعدة جدتنا للام السيدة آمنة بنت العلامة سيدي عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي انها كانت تجيء عندهم على وجه الضيافة عند ابنتها في قفة زرْزاي[1] ليلا وترجع كذلك ليلا قال وكانت تتكلم مع والده على شأن السلطان مولاي اسماعيل وهو يحكي قول الناس هذا : مولانا اسماعيل خلقنا في أيامه وكبرنا وتزوجنا في ايامه وولدنا في أيامه وكبر أولادنا وتزوَّجوا في ايامه وولدوا في ايامه ولا عرف أحد منتهاه فقالت له السيدة ان هؤلاء لو علموا ما وراء مولانا اسماعيل لم يقولوا هذا القول فقال لها سيدنا الوالد انت موقرة محترمة أنت وأهلك ومن تعلق بكم والناس في أمر لستم انتم فيه فقالت أنا أطلب الله أن لا يتركني بعده ولو يوما واحدا، يا سيدي علي اذا غاب مولاي اسماعيل تخلق صورة وتذبح عند راس ماء وادي فاس ويهبط دمها في الوادي فيدخل للديار والمساجد والحمامات من لم يشربه يغتسل به فقال لها ما اسم هذه الصورة قالت النفاق هـ. الغرض فاستجاب الله دعاءها فتوفيت أوائل الحجة عام 1139 **قال** أبو الحسن علي مصباح في سنا المهتدي فلم يزل متعرفا للناس بمعروفه الجزيل. وعاطفا للدهر وقلوب بنيه بفعله الجميل. يفيدهم ما استفاد. ويوثرهم في كل ناد. ايثار الأمهات للأولاد. في حياء عظيم. وتواضع جسيم وميسم وسيم. وسمت حسن. وأدب مستحسن. وعقل ثاقب. ورأي صائب. وتدبير جزل. وقول فصل وحكمة هامة. وسياسة تامةٍ ووقار وحلم. وجلال وعلم. حتى فدوه بالآباء والأمهات. وصار ملبى متى قال هات. وودوا أن لو يزاد في حياته من أعمارهم لما نالوا في مدته الغراء من مرادهم. وقضوه من أوطارهم. ورفعوا كف الضراعة الى الله مبتهلين. وقاموا في

---

(1) القصد الى زرزاي حمَّال خاص ج. زرزاية يمتازون بالأمانة ولهم نقيب خاص بهم انظر كتاب (فاس قبل الحماية) للأستاذ لوتورنو، تعريب محمد حجي ومحمد الاخضر.

أجواف الليال متبتلين داعين الى الله عز وجل أن يطيل حياته فيهم ويرفع به عنهم خطوب الأعادي ويكفيهم وينشدون في ذلك الحال بلسان المقال.

دعتك قلوب المخلصين وأخلصت وقد طاب منها السر لله والجهر
ومدت الى الله الأكف ضراعة فقال لهن الله قد قضي الأمر

وفي عام خمسة وتسعين وألف ألَم بالمترجم مرض ألَّم المخلصين من الرعية فلجؤوا إلى الله وتضرعوا إليه سبحانه في أن يشفي امامهم فاستجاب دعاءهم ولما طلع على الأنام بدر محياه المشرف غب احتجاب فرحوا واستبشروا وتهافتوا على راحتيه الكريمتين تهافت الفراش على ضوء السراج وحمدوا الله واثنوا عليه وزال ما كان بهم من الضنا والضجر.

الباب الثالث والعشرون في بعض ما قيل فيه من الأمداح

من ذلك قول رب الفصاحة والبلاغة الاديب الشيخ عبد الحق بن مخلوف الحسيني رحمه الله مادحا صاحب الترجمة ومعارضا لشاعر المامون :

سرا سحر ريح الصبا فتذكرا ... وكان الهوى أمرا عليه مقدرا
أظن التي أصحته دون خبائها ... إذا غضبت يمسى الوشيح مكسرا
هلالية في صهوة العز والغنا ... لها منبت في فوقها نسامخ الذرا
تروح وتغدو بين ابيض ومخدم ... واسمر عسال وأشعث أغبرا
تراوحها الارواح في كل تلعة ... تفوت عليها من ربى الشيخ عنبرا
ويخلفها ريح الخزامى فتنثني ... باضوع من مسك سحيق واعطرا
بما يعرف الوش المسهم حسمها ... ولاتسأل الركبان عن بعض ما جرا
لما عزة ان يسيم ضيماجنا بها ... بساع وضاها أو ترى الرح أحرا
يريد الضحى في سدفة الليل وجهها ... إذا أسفرت عنها القناع المعصفرا
كأن ثناياها إذا إفتر ثغرها ... بريق ريق لاح طورا فامطرا
وقد زاد حمر الدل منها ملاحة ... بذوب لها قلب السجى تحسرا
وبين الفرود والغصون تنافس ... يبينه من النسيم إذا سرا
سقى ربعها نوء السِماكين ديمة ... وغيثا مصيبا صيب المزن ممطرا
ونور في أرجائه النور صوبه ... بتلك البطاح الناعمات ودثرا
عدمنا جياد الخيل إن لم نُشِرْ بها ... على جيهاليك من النفع أكدرا
يقدمها المنصور صدر كتائب ... تنال المنى أو تترك الجوعيترا
أخو الحرب لاينبىء عند لبوسها ... تجرد منه الحرب للحرب فسورا
طويل نجاد السيف مهما رأيته ... ترى عسكرا مجرا وجيشا مظفرا
بعيد المقر لاترى فوق وجهه ... لثامايقيه الحر والقَرَّ في المدا
طوته السرايا فس المصايف والشتا ... واخمره أن يقطع الدرا قفرا
و............ في كل حده ... ترى في لعاب الشمس فيهن الجرا
لعوب بأطراف الرماح مجرب ... صموت اذا ما القوس منه توترا
تعوّد خوض الهول طفلا فما أنت ... مشيبته تغيره حتى تمهرا

تهاب ملوك الارض منه عزيمه　تقُدُّ الحمام المشرفي المذكرا
اعز بني الدنيا جنابا وحوزة　واسمى بني الايام قدرا ومفخرا
فاياه ما تلقاه والله حافظه　يمد ثغورا أو يجهز عسكرا
فان زرته زرت المكارم والعلا　وان مسبت الهزبر الغضنفرا
وان عظمت منه النفوس جلالة　فأعظم منه ان تأملت مخبرا
فظاهر اسماعيل أحسن ظاهر　وأحسن منه ما اسره واضمر
ولله نفس في حساه شريفة　تناجيه اذا ناجيت فردا مطهرا
وتكبر الاملاك في كل بلدة　ويأبي لخوف الله أن يتكبرا
من المعشر الغر الذين توارثوا　جميل الثنا والمجد اكبر إكبرا
سراة وأبناء السراة بفضلهم　يطبق من سمث الثرا الى الثرا
بَهَالِيل فاسئل من مكان جيادهم　بلاد ندى كأنها لكسرى وقيصرا
ليوث لهم في الشرق والغرب وطأة　يخبر عنها من رءا السيف ابترا
غيوث إذا ما الغيث عز مطاره　في المعصرات تمطر الناس أبحرا
أناس لهم فضل على الناس كلهم　فقربهم قرب وبعدهم مرا
فيا أطهر الاملاك قلبا ومحتدا　ويا أشرف الاشراف أو نفسا وعنصرا
ويا أشجع الشجعان في حومة الوغى　اذا انجبت جرد السوابق عنترا
ويا واجدا في العين وهو كتيبة　تخوض به بحرا من الهند أخصرا
بقيت لدين الله تنصر جزبه　وينصرك الرحمان نصرا مؤزرا

وقول بعض آل البيت حسبما بتاريخ رحلة الوافد في هجرة الوالد تأليف الفقيه الاديب الحاج عبد الله بن العلامة الصالح الحاج ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن دعى الزرهوني نزيل رباط تانسفت بأعلى وادي نفيس قال في ختامها : وقد وجدت بتركة الفقيه العلامة سيدي محمد ابن ناصر الجدميري المغوسي المنقرص من تضيك بأعلى وادي مال ابيانا لبعض اهل البيت عام 1134 مدح بها الامير المذكور يعني مولاي اسماعيل نصها : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم تسليما. الحمد لله الذي جهل دولتكم خير دولة لمن تذكر تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وجعل فضل ايالتكم الاسماعلية الحسنية تشكر ولا تنكر، وأقام بكم أود الدين وخضر

شوكة ظلم المعتدين ونشر برماح العز والفتح بنودكم، ونصر برياح العرب عساكركم وجنودكم، وأشرف في سماء السداد شمس أرائكم، وأحرها بشهاب عزمكم الثاقب كل ما رد من اعدائكم فاصبح الملك شديد الاركان، بادي الضوء بعيد الصيت في كل مكان. فخضعت لهيبته عتاة الاكاسرة، وتضعضعت لسوطته الاسود الكاسرة، فقام هني الظهر على منبر النصر تاليا انا فتحنا لك فتحا مبينا، فانفطرت لبناه افئدة احزاب المنافقين وغدا لامنهم مبينا نحمده على ما يسر لكم من السلامة الكاملة واسبابها ونشكره اذ آواكم الى رياض الفتح وأذخلكم من اسعد ابوابها حمدا وشكرا دائمين بدوامه نستزيد بهما المامول من أنعامه، ونصلي ونسلم على سيدنا ومولانا محمد النبي الخاتم، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المقربين الظاهرين صلاة وسلاما يستنفذان وسع القراطيس وأبحر المداد ويستنفذان من اشراك وكيد الاضداد.

بشراك ملك ثابت ممدود ... تعنو لتأمل دائما وتعود
واليمين والاقبال والعز الذي ... أعطاك من فضله معهود
يا سيد الاقبال يامن ملكه ... ظل بسيط وافر ومديد
لله درك من مليك فِكْرُه ... سَيُضِي اذا عنت خطوب سود
ولكم عز إذا أرجعت كل العدا ... لو أنهم يوم الطعان أسود
اجهدت خيلك في المهامد والفلا ... سنتين عن حرم الرجال تذوذ
فنعم لقد انجبت نفسك تبتغي ... راحاتنا يا ايها الصنديد
خضعت المعامع والقفار مدرعا ... بالصبر وهو على سواد شديد
يا غالبا بالله حرب عداته ... انت الهمام المالك الودود
انى لادعو الله دعوة صادق ... اشفاقه بخلوصه توكيد
لم آل جهدا من دعاء خالص ... عقب الاصلاة اذا الانام رقود
بسلامة وغنيمة مغبوطة ... ورياسة ببقائها التمهيد
الفت شملا طالما أودى به ... من قبلك التشتيت والتبديد
ونظمت در الملك في سلك المنى ... يبلى الزمان وانه لجديد
امنت قطر الغرب فاخضعت به ... كل البقاع وانبع الجلمود
لك نية حسنا وعزم صادق ... وتجلد يوم الجلاد شديد
الله قلدك الخلافة فارعها ... فهي الامانة حفظها مقصود

لكن بعون الله قمت بحقها فبدا بذاك الفتح والتأييد

وفي آخر القصيدة يقول :

شاكرا إحسانكم، وذاكرا امتنانكم، عبدكم محمد بن عمر الحسني افاض الله عليه من ابحر نوالكم الزاخرة وألبسه من رضاكم حللا فاخرة فإذا لحظت عين عنايتكم لحظه، بلغ من كل مأمل حظه. والسلام بعد تقبيل السُّلام. في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة .... كذا.

ومن ذلك قول البدر المشرق الوضاح. أبي الحسن سيدي أحمد بن علي بن أحمد مصباح. كما في الباب الثالث من سنا المهتدي. في التعريف بالوزير اليحمدي :

أهاجتك دار باللوى أم ظباؤها فاضمرت أشواقا بعيدا شفاؤها
وأعملت نص العيس أدنى لها الوجى حثيث رسيم طال منه اشتكاؤها
إذا ما حدا الحادي أطارت خفافها حصى أجرع قد صبغته دماؤها
فرقت لشكواها الحواة واشفقت لما لقيت أطب الفلاة وشاؤها
قطعنا عليها فدفدا بعد فدفد شهيا لنا تأويبها وسراؤها
وقد ضمرت حتى كان جسومها بسطر الفلا نون الحروف وراؤها
لئن شفها الأعياء أو مسها الظما فمكناسة راحاتها وارتواؤها
بلاد هي الدنيا بأجمعها التي أضاء على كل البلاد ضياؤها
فجناتها الزهراء والزهر أهلها وأربعها الزهرا ودجلة ماؤها
اذا ما رأت أعلامها نفس مدنف معنى تداعى للرحيل عناؤها
ونصر على أمنائها وقصورها مزايا جسام ليس يخشى فناؤها
فتانوتها مثل السما وقبابها بدر وأمير المؤمنين سناؤها
إمام الهدى بحر الندى جابة الندى ببيض الردى يردى العداة انتضاؤها
اذا عصمة الدنيا تراع فإنما بأرماح اسماعيل كان احتماؤها
فتى لاح في أفق الخلافة للورى كشمس الضحى لا حان يوما خفاؤها
فأحرزها قسرا غداة تقاصرت عن إدراك هاتيك الذرا كبراؤها
فساس رعاياها وأسس للعلا مآثر غرا ليس يخشى امحاؤها
تهاب بهاليل الملوك نزاله وهل نازلت أسد الشراة ظباؤها
قد امتد فوق الشرق والغرب صيته ودانت من الدنيا له عظماؤها

له في الرعايا سيرة عمرية وبين يديه من لؤى لواؤها
هنيئا أمير المؤمنين فقد بدت مزاياك أقمارا وأنت سماؤها
ظفرتم بملك المنذرين وتبع وأكرم بدنيا أنتم خلفاؤها
وقد علمت عليا قريش بأنكم اذا نقض الطيشُ الحبا حلماؤها
وكم من قريض سار في الدهر جودة قوافيه في مدحكم علماؤها
وكم نعمة أولاكم الناس شكرها لأن كان منكم بدؤها وانتهاؤها

وقول بعضهم من قصيدة

إلى مدحه سيق الحديث وان جرت على غيره الأمداح ممن أطالها
إمام عنت شم الأنوف لأمره وغادر بالغارات ذلا جلالها
وصال فنالت كفه المجد كله ولم تدرك الأيدي السواقي مصالها
أحاطت يداه بالخلافة بعدما أراد رجال آخرون اغتيالها
وماسلموها عنوة عن مودة ولكن بحد المشرفي استقالها
ومابرحت تدعوا بطول بقائه قلوب بأفعال الجميل استمالها

وقول الأديب الكبير السيد العربي بن عبد السلام الفيلالي صاحب الدرة المكنونة المعروف بإبن دفين طيبة من قصيدة :

فبعده قام حسام النصر وحاتم الجود وشمس العصر
المرتضى السامي الامام الاوحد الملك العدل الهمام الأسعد
الفاضل المعظم الكبير من ينتهي لرأيه التدبير
أسعد من حل سرير الملك الكامل المجد بغير افك
أبو الوفا المنصور اسماعيل الفارس المظفر الجليل
من لاح نور الشمس منه وأضا ولم يزل سيفا صقيلا منتضا
كالبدر فخرا وكبحر في كرم والزهر زهرا وكدهر في همم
مَن مَلك الغربَ وسوف يملِك شرقا وجُند الترك فيه يهلك
تهابُه العُرب وتخشاه العَجم والأسد إن مال إليها وهجم
هبت بعز نصره الرياح وسعد المساء والصباح
وانقادت الدنيا له انقيادا حتى غدت أيامه أعيادا
فهو غمام واكف السحاب يهمي على الوهاد والهضاب

مازال غيثا مستهل الجود ... ورحمة فاضت على النجود
قد نال من أيامه مناه ... واستحكمت في قصده يمناه
فهو ذو عقل ورأي ودها ... وأدب ففاق أرباب النهى
ونال ملكا راسيا سلطانه ... وأفق عز ربحت أوطانه
ودولة أموالها مجموعة ... وطاعة أقوالها مسموعة
أفرس من جال على جواد ... اكرم من جرت به العوادي
من جلب الأماثل الكبار ... والنبهاء الجلة الأخيارا
تكفل الله بعز نصره ... ووقف السعد بباب قصدره
وقرن الله به السعادة ... ولم يزل والخير فيه عادة
جوهر مجد لم يُشب بعرض ... وسهم فهم ناهض لغرض
أيامه مواسم الأيام ... أضفى بها الستر على الأنام
وبث في الأصحاب منه النِّعما ... وشمل الرفد لديه النُّدما
وأوضح الحق وأبدى المذهبا ... وأخرج الناس من أيدي النهبا
ودوخ الأرض وارسى الدولة ... فلم تكن للظالمين جولة
فأشرق السعد على الخلافة ... ولم يحاول أحد خلافة
وحاز كل شيمة كريمة ... ليث الوغى وجابر الهزيمة
إلى عفاف ودهاء ولسن ... قاد إليه كل مقصد حسن
ماشئت من مجد وحسن السيرة ... ومن خصال برة أثيرة
سمت به الولاة والخدام ... ورسخت في عزة الاقدام
وأقبل السعد وأغضى الدهر ... وأخلص السر له والجهر
وأقبل النصر وجاء الفتح ... وأنجز الوعد وصح الربح
وعادت الأيام في شباب ... والوقت قد نادى بفتح الباب
هاذي هدية على قدر الهمم ... في مدح مولاي المظفر الامام
تحيي خير ملك للمغرب ... سائلة وجه الرضى للعربي
نجل دفين طيبة المنورة ... خديم هاذي الدولة المكرمة
عبد السلام بالبقيع الأسعد ... بين بنات المصطفى والولد
ثم صلاة الله والسلام ... على الذي به انجلى الظلام
محمد وآله الأخيار ... وصحبه وجملة الأنصار

وقال :

أبدر تجلى أم بدا ساطع الفجر فأنواره دأبا ثـواقبها تجري

أم الشمس بالاشراق للنطح أشرفت علي دبران الليل للردع والزجر

أم العسكر الجرار يلقي قنابلا كأمواج بحر رام فيضا الى البر

يعقبه شوقا ويقـدم قائـدا كتائبه المخصوص بالعز والنصر

إمام الهُدى السامي الى كل ذروة من المجد اسماعيل مستكمل الفخر

كمي يرى فرع الكماة بصارم شجاع فيلقى القوم منكشف الصدر

ومن قبله كانت قريش جحَاجِحا تلقف طعن السمر بالأوجه الغر

اذا هز في الميدان كعب معسل سقى زمرة الأعداء من مشرب مر

تهاب الجياد الصافنات نزالـه كما ارتعد العصفور من صولة الصقر

له الشرع ميزان لدا السخط والرضى وفي الاخذ والاعطاء والنفع والضر

فضائله ليست تعـد فانـه حليم يرى الانصاف للعبد والحر

حليف الوفا والعهد والجد والجدا فأخباره تنبيك عن طلب الخير

عن القول غير الحق والصدق مُعرض فيطوي مريد المكر قلبا على جمر

كريم متى اعطاك أغنى وضيغم له بطشة للفتك بالناب والظفر

مليك تصدى للصليب وحزبه فعطل اصنام الخبائث والكفر

له الفتح في كل المعاقل ءاية فان رياح النصر قدامه تسري

به زلزلت ارض الجزائر خيفة كما اهتزت الأهرام بالرعب من مصر

يجر الى وهران جيشا عرمرما تضيق به الهيماء من هَوْجَل قفر

تصير له فيئا ديـار واهلهـا ويرهقها ذلا على الرغم والقهر

وللبَلدة الخضراء تونس يقتدي فيزهى له المثوى ويسعد بالأمر

كذا قاله نجل الحكيم محمـد ووافق اهل الكشف والعلم والسر

له الذكر عن أهل التواريخ ثابت تناقله الاثبات مكتنز الذخـر

يقوم شديد الامر بدءا وينثني لما كسر التشديد بالربط والجبر

متى يستطيع الترك حرب مدرب يدير رحى الهيجاء بالرفع والجر

ضَرُوب له في الطعن نشوة شارب وكان بريء العِرض من طَرب السكر

سل الوحش والطير الغوادي بوارحا تفوه عن الأعجام بالحادث الأمر

بما قد غدا للذئب رزقا مقسما وطارت به الغربان في الجو للوكر

وقل للتتار الغالبين لمن مضى قضا كم وافى الكيل مستقبل العصر

فكم من خباء خاب فيه رجاؤكم … ومن منجنيق كيدهم رد للنحر

وقول صاحب الأنوار الحسنية :

قد ضجت الأرض انجاد وأغوار … وأسجمت من جفون الدهر أمطار
تبكي على فقدها الرشيد أكرم من … حطت بناديه أقتاب واكوار
جَمُّ المواهب رَحب الفضل وافره … قطب المعالي ونجمها ومدرار
يبكي عليلا عليه كل مختبط … وكل مصطلم شطت به الدار
وكل بَاكٍ وشَاكٍ من ظلامته … لظلمة الظلم في أحشائه نار
كم ذاد عنا خطوبا لو يصادمها … طود لدكت له في الأرض أحجار
لايختشي في مقام الحق معدلة … ولا يناله في نصح الورى عار
ياأرأف الناس بالمظلوم مهما عدا … دهر عليه وفرت عنه أنصار
تهنيه في جنة الفردوس منزلة … عمته من نعمة الالاه أستار
ومن طرائف رحماه ورافته … مواهب لا لها حد وإحصار
بشرى لآل الرشيد في مصابهم … قد صافحته بدار الخلد أبرار
واتحفت نزله بكل مكرمة … وبشرته بأن الله غفار
دامت سحائب غفر الله واكفة … على تراه شموسها وأقمار
لولا خليفته المنصور قد جاءنا … من بعده درست للملك آثار
لكن تداركنا المولى ببيعته … فرت كروب بها وسح مدوار
ننال عزا وجاها من مكانته … ومن ندا كفه تسيل أنهار
فَاصرمْ أمولاي اسماعيل حبل عدا … إذ قد طغى كفرهم والبغي والدار
وافتح قرى للنصارى واسْبِ سِبيهُم … وافن طاغيهم فالله قهار
بادر وزاحم عداة الدين في عدد … لهم من الله أمداد وإظهار
واستعملَن جيشَك المنصور في ثغر … خالية هاذي أزمان وأعصار
هذا هو العز والدين القويم الذي … جاء الكتاب به وصح اخبار
إحم حمى الدين وامح من يعانده … لقد سمى قدركم وعز آثار
ثم الصلاة على المختار من مضر … ماغردت أيكة وغنى أطيار
وآله والصحاب الغر كلهم … فهم حماة لهذا الدين أنصار

وقال وزيره عبد الحق السحيمي

فمن أرضهم ريح الصبا تتضوع … ومن نورهم بدر الأسنة تلمع

وفي حيهم ثار الهياج عشية ... فبات زئير الأسد في الحي يسمع
إذا ارتحلوا ليلا فضوء رماحهم ... لهم فيه عن ضوء الكواكب مقنع
وبين أسود الغاب بيض أوانس ... وهل لأسود الغاب في الناس مطمع
وعيشك ما أدري وأين خيامهم ... نساء أم ِ الغزلان في الحي رتع
وما انكرت عيني من الحسن مارأت ... وإن الشموس في الهوادج تسطع
وتحت رماح القوم كل مدجج ... ظلوم غشوم بالدماء مدرع
اذا نظرت عيني غزالا مبرقعا ... أشارت لليث في الحديد مقنع
وما ضربوا حمر القباب عليهم ... وفيهم جبان بالنزال يـروع
وفي البلدة الحمراء شمس منيرة ... تـراقبها عينـاي آنـة تطلـع
لها في سواد القلب أشرف موضع ... وليس لها عند الأجانب موقع
فلله ماحملت قلبي من الهوى ... وفيه كناس للظباء ومرتـع
ألم يان للحي الذين ترحلوا ... رجوع وهل عصر الشبيبة يرجع
سقى الله أرضا حلها نور شمسه ... له في الحشا عند شفيع مشفع
ولا روع الرحمن سرب عقائل ... نـوازع آمـالي اليهن نـزع
لهن عهود لاتضيع حقوقها ... ولست أرى عهد الكرام يُضيع
فيا أخت حامي الحي يوم نزالهم ... و يابنت من يدري العفاة وينفع
ودادي محفوظ على ماعهدته ... لديكم أم الود العميم مضيع
رعى الله أيام الشباب فإنها ... مـواسم فيها للنفـوس تمتـع
وحيا القصور الخضر صوب غمائم ... مباركة تهمى عليها وتهمـع
قصور بها المنصور يحمي حقائقا ... من الرمي فيها الخير للخلق أجمع
يجمهر اسماعيلُ منها كتائبـا ... تكاد قلوب الشرك منها تصدع
فلله منه النفس والحرب ترتمي ... بموج المنايا والأسنـة شرع
وماافتر ثغر قبل تقبيل سيفه ... ولله سر في الخلائق مودع
وكم ليلة باتت بها الخيل عوما ... بحورا من الظلماء والناس هجع
وما سر منه النفس غير سرية ... يخب إلى الأعداء فيها ويرفع
ولم تك أيام الرخى تستفزه ... ولاكان يوما في الشدائد يضرع
فلله ماضمت ثياب أبي الفدا ... من المجد والتقوى وماهو يصنع
يباشر في كل الأمور أموره ... بقلب نقي للمكـارم منبـع
أعز الالاه الدين بابن نبيه ... وما إن يُعز الدين الا سَمَيْذع

فيا ابن الأُلى سارت بمدح جدودكم　رفاق لها بين السباسب مهيع
الستم سراة المسلمين وأسرة　محبتهم يوم القيامة تنفع
إذا أطعموا يوم الوليمة اشبعوا　وان طعنوا يوم الكريهة وقعوا
ألستم شموسا في الورى ووجودكم　أمان لهم من كل ما يتوقع
إذا سدتم الأملاك شرقا ومغربا　فما سادهم الا القبال الموقع
وان كان فيهم للخلافة زينة　فمنصبكم فيها أجلّ وأرفع
بقيت لهذا الدين تعلي منارَه　وقدرك من بين الملوك مرفع

وقول العلامة الكاتب الفقيه الأديب أبي حفص عمر الحراق من قصيدة بلغت في الرقة الغاية وذلك بعد فتح العرائش :

ومن عجب تروم الروم حربا　بسهل او حزون او جبال
وقد شهدوا العرائش يوم جاءت　بها الاجناد تزحف للقتال
وجربت الامور وجربتني　كأني كنت في الامم الخوالي

وهي طويلة أجازه الممدوح عليها بجائزة سنية حسبما في الدر المنتخب وقد كان المترجم كثيرا ما ينشد عند نزول الأمر المهم البيت الأخير من الابيات الثلاثة فاقترح يوما على كتابه وادباء حضرته تذييله فأتى كل في ذلك بالمرقص المطرب من المقطعات وفي مقدمتهم الحراق المذكور. وقول العلامة الخطيب مفتي فاس وأديبها الشريف ابي محمد البوعناني :

الا ابشر فهذا الفتح نور　قد انتظمت بعزكم الأمور
وطير السعد نادى حيث غنى　قد انشرحت بفتحكم الصدور
وضوء النصر ساعده التهاني　ونور الفجر نحوكم يدور
وقد وافتكم الخيرات طرا　وطاب العيش واتصل السرور
حميتم بيضة الاسلام لما　بثغر الخلق قد حدث الثغور
فجاهدتم وقاتلتم فانتم　لدين الله أقمار بدور
وأطعمتم صوارمكم لحوما　لدَى الهيجاء صاحبها كفور
ففقتَ البدر يوم السلم حسنا　وفي يوم الوغى الأسَد الهَصُور
وثغر للعرائش قد تبدى　لقدركم على الشعرى الظهور

لقد كان الملوك يُساوموها ... وراموها وبان لها النفور
فلما جئتها نادت وقالت ... اليك يحق مولانا السرور
ملكت قياد ساكنها بـذل ... فما اغنى الحصار ولا العبور
قهرتهم بابطال عظام ... على الهيجاء كلهم جسور
فكم رأس من الكفار أمسى ... قطيع الرأس مجرورا يخور
وكم نحر قلادته رماح ... وسن الرمح مركزه النحور
وكم قتلى وكم أسرى بأرض ... وكم جرحى دماؤهم تفور
تمر بها الطيور فتتقيها ... وبات الذيب وهو لها شكور
وأضحى الناس كلهم نشاوى ... على طرب وما شربت خمور
فبشراكم فهذا الفتح نور ... وبشراكم به من الغفور
به زادت مآثركم علوا ... وقد عظمت به لكم الاجور
الا يا اهل سبتة قد اتاكم ... بسيف الله سلطان ونور
إذا ما جا لسبتة في عشي ... تناديه اذا كان البكور
ووهران تنادي كل يوم ... متى ياتي الامام لنا يزور
متى ياتي ويفتحها سريعا ... ويلحق اهلها منه الثبور
ألا يا معشر الكفار هذا ... يبيدكم وليس له فتور
فيهزمكم ويقتلكم ويسبي ... وسيف الحق في يده ينور
أيا مولاي قم وانهض وبادر ... لأندلس وانت بها الأمير
وجاهدهم وحاربهم وفرق ... جموعهم فربكم النصير
ولا يمنع بفضل الله منها ... كما قد قيل بر أو بحور
لسان الحال ينشد كل يوم ... ومعنى الحال تفهمه الصدور
بقرطبة تنال المجد طرا ... ويأتي العز والملك الكبير
وذالكم بعون الله سهل ... ومن بركاتكم أمر يسير
أيا مولاي اسماعيل هذا ... عبيدكم الضعيف المستجير
يناديكم بناديكم ويدعوا ... دعاء لا توهنه الدهور
فيا رب البرية يا إلاهي ... يا راحمي ويا نعم المجير
أثب هذا الامير بكل خير ... ولا تجعل تجارته تبور
وابق الملك فيه وفي بنيه ... ولو كرهت زيود أو عمور
ونحن رعية نرجو هناء ... وبالسلطان تنتظم الامور

عليكم من عبيدكم سلام مدى الدنيا يضمخه العبير
يؤم جنابكم ما قال حب ألا ابشر فهذا الفتح نور

وقول العلامة الأديب ابي عبد الله محمد بن الطيب بن احمد ابن يوسف بن احمد الشريف العلمي صاحب الأنيس المطرب :

نصرت أمير الدين يامطلع النصر فجا للردى ذا الطي والدين للنشر
وأوصلت حبل الدين بعد انصرامه بصارمك الهندي والبيض والسمر
مليك يرى في الحرب بين كماته كبدر وهاذي النجم تحنوا على البدر
يريك طغاة تحت حافر طرفه وما هي الا الصيد في مخلب الظفر
عقول العدا طارت الى وكر سلمه كما طار شوقا ذو فراخ الى الوكر
له راحة بيضاء تحمر بالدما وءاونة تصفر من هبة التبر
إمام به في المغرب الكل يقتدي وقد أمه كل العوالم في العصر
بنى كعبة الايمان في حرم الهدى وأسسها من فوق قاعدة البر
فان يبن اسماعيل في البيت كعبة يحج اليها الناس في موسم النحر
فقد شاد في الدين المتين سميه بنا كعبة قامت على عمد الذكر
وابلغ دعوى الدين شرقا ومغربا الى ان هدا السارين في البر والبحر
وشمر عن ساق القتال لمن بغى وشد حزام الحزم والعزم في الخصر
واقبل في جند هو البحر هيبة فمن هول ذاك الجند حدث عن البحر
اتاه رجال في الوغى فكانهم رجال اتوه من حنين ومن بدر
ففرّق جمع الكافرين وهدهم واهلكهم بالطعن والقتل والاسر
وعوضهم ثوب الفخار بذلة وابد لهم سكنى العمارة بالقفر
فأذن فيهم للرشاد مؤذن دعاهم الى الاسلام والطرق الغر
معاشر اهل الكفر كفوا نفوسكم وتوبوا الى المولى وتوبوا الى الخير
فهذا الذي يسقي بقطر دمائكم بطون الثرى لو كنتم عدد القطر
لئن لم تكونوا مهتدين لهديه فوالعصر ان الكافرين لفي خسر
همام يبيد الظالمين بجنده وأبطاله كالليل والانجم الزهر
تصلي على راس العداة سيوفه وتضرب في الهامات بالشفع والوتر
فكم سجدة للسيف فوق ظهورهم وكم ركعة للعاليات على الصدر
تخامر قلبي غمرة من مديحه فاغدوا وبي منها خمار بلا خمر

ومن يرو آثارا له استعيده فيحسب بي وقرا وما بي من وقر
وأصبح إن أذكر جميل خصاله من الشوق سكرانا ولست بذي سكر
براحته الأنهار تجري من الندا ويوجد في الانهار ما ليس في البحر
وليس يبالي إن خلا بيت ماله وقد ملأ الأقطار بالحمد والشكر
أيا ملكا ينهي ويأمر في الورى نصرت بأمر الله في النهي والأمر
ولازلت ملحوظا بعين رعاية من الله محفوظا من الميل والجور

وقوله :

لك العز والتأييد والفتح والنصر أيا ملكا يصبوا له البر والبحر
هزمت جيوش الكفر في كل معرك وشيدت ركن الدين فانتقض الكفر
وفككت أسرى المسلمين من العدا ومنك الأعادي لايفك لهم أسر
طويت بساط الغنى من بعد نشره فأصبح مطوي الرشاد له نشر
وأخصبت أرض الله بالعدل للورى فأشرق فيها النور وابتسم النور
ودانت له الدنيا وخافك أهلها وردت إلى أحكامك البيض والسمر
حكمت ولكن باجتهاد موافق ليهنيك ماترجوا الاصابة والأجر
جنـودك كالليـل البهيم مخافـة ولـكنها أبطـالها الأنجم الزهـر
تقدمها خيل عتاق إذا عدت تكاد تجاريها الرياح ولا الطير
فمن أدهم تبيض منه قـوائم ومن أشهب حر على ظهره حر
يثور به في أوجه القوم طاعنا فتحسبهم طيرا أحاط بها الصقر
فكم راحة بيضاء تحمر بالدما إذا انعقدت للحرب أودية خضر
وقائع إن مرَّت وفات زمانها سيبقى على مر الليالي لها ذكر
أمولاي أمنت البلاد وأهلهـا فلله رب الناس ثم لك الشكر
مآثرك الحسناء زانت مدائحي فأصبح شعري فيك يحسده الشعر
أراه ولا أدري إذا ماتلوتـــه هو الشعر مكمول الصفات والسحر
أتتك عروس في قبولك مهرها ومن يخطب الحسناء لم يغْله المهر
ولا زلت محفوظ الجناب مؤيدا لك العز والتأييد والفتح والنصر

وقال :

يا خير من ولي أمر العباد فاعدم الغي وأبقي الـرشاد

أنت الذي أخرجت بيت الهدى | والعدل من حي الردى والعناد
أيدت بالنصر العزيز وكم | رعت العدا بالصافنات الجياد
دانت لك الخلق فما أحد | إلا له كرها إليك انقياد
لما أبى الكفار أن يهتدوا | واستكبروا حتى طغوا في البلاد
أذقتهم وسط بيوتهم | صاعقة مثل ثمود وعاد
حتى غدوا قتلى دماؤهم | أودية يجري بها كل واد
وألسن العدل تنادي بهم | هذا جرى أهل الردى والفساد
جاءتك في الحرب ملائكة | ناصرة الحق غلاظ شداد
فأصبح الكفار أوجههم | مغبرة يعلو عليها اسوداد
وخرب الله ديارهم | من بعد ما كانت كذات العماد
كانما ملكك بين الورى | عام رخاء بعد سبع شداد

وقول العلامة النقاد المؤرخ الثقة الثبت ابي محمد الشريف سيدي عبد السلام القادري الحسني :

علا عرش دين الله كل العرائش | وهد بنصر الله قصر العرائش
وكل عريش منه ثلت عروشه | ورجت به رجا صواعق نابش
واسلم للاسلام من بعد كفره | بوقع سيوف لا برشوة رائش
اتاهم من الايمان جيش مؤيد | فناجزهم ما بين رام ورائش
وثار عليهم كل سهم غشمشم | وكل كمي سارع الضرب باطش
علوهم باسياف أسالت رءوسهم | وساروا سريعا بين طاو وطائش
وحاشوهم حوز البزاة بغاثها | وقد اثخنوهم فيه اثخان فانش
فما لبثوا ان طالبوا الأمن في الوغى | وذلوا لدين الله ذلة داعش
وهان عليهم كل هول وهائل | وربقة اسر بعد طول تهاوش
ترى كلهم في الارض بادي ذلة | كئيبا كسيفا باله غير ناعش
يساق بأيدي الجيش سوق مهانة | يهز حشاه الخوف هزة راعش
يعض يدا أو ينتف الرأس واللحى | لان لم يمت من قبل موت الهوارش
كانهم الغربان قص جناحها | وبلت بوبل من كواكب حافش
هنيئا بعز المومنين وجمعهم | واذلال أهل الكفر أهل الفواحش
بهذا ليهن عيش كل موفق | بهذا ليفرح دائما كل عائش

لنا النصر والبشرى لنا بامامنا هزبر الوغى غيظ العدو المنافش
أبو النصر اسماعيل ناصر ديننا وحامي الحمى بالمرهفات البواطش
زعيم سلاطين الورى وإمامهم وسيد أفيال الورى دور خادش
مليك له يمن به صار كلنا يروح ويغدوا في اجل معائش
مبارك ميمون النقيبة في الثرى له الفتح في اوساطها والهوابش
اباد حصون الكفر بالسيف والقنا وما اذعنت من قبله لمباشش
فسل عامري معمورة عن فتوحه وسل طنجة من قبل هذا العرائش
لقد كان دينا فتحها فانقضى به كذلك ما في الارض من كل هامش
به سعدت اهل المعارف كلها فأصبح من جرعاه لهفة عاطش
نعم انه من نبعة نبوية وفرع زكي طيب النشر عارش
لذاك ملوك الأرض طرا تهابه فكلهم من بين مرمى وداهش
وما الترك الا في دواءٍ دهتهم صدورهم جاشت بأعظم جائش
لك الفتح محدود فجاهد عدونا وحشهم وما اوفى لهم كل حائش
فلا تخش حيا ما حييت فإنه لك النصر عند الملتقى والتهاوش
عليكم من الرحمان عين كلاءة تصاحبكم عند اشتداد المداهش
ودام لكل المسلمين ظلالكم ودمنا له في طيبات المداحش

وقول علامة عصره وأديبه الناظم الناثر المغير الجماع أبي عبد الله محمد بن قاسم بن محمد إبن زاكور في موشح رق وراق ومن خطه نقلت :

نظمتُ حلى المبدي جميل الصفات
فجاءت كما العقد بجيد المهات

فريد المنى منظوم بفضل الامير
أمير به موسوم جناح الكسير
يلوذ به المظلوم فنِعم النصير

له هجمة الأسْدِ وفتك البزات
وفيه حيا الخود وحلم التقات

وعفة ذي النسك ونفع المطر
ورائحة المسك وحسن القمر

بقيت سنا الملك منيل الغرر
تمل ذوي الود بكأس الهبات
أيا مركب السعد وعين الحيات
أمولاي اسماعيل أشمس الملوك
بمدحك صار القيل كدُر السلوك
وكاد من التسهيل على من يحوك
ينال بلا قصر رقيق السمات
كما فاح من نجد لطيف النبات
يزيد به ذوقا غرامُ اللبيب
وينعم من يشقى بهجر الحبيب
وراقمه يرق على ابن الخطيب
فخذه كما الشهد مع الرشفات
حكى جار عن قصد هوى الغانجات

وقال :

املى الهنا والسعد ودد نصر لمولانا مؤبد
وسعادة معقودة ببنوده في كل مشهد
وسلامة تهدي له الـ ثامال واضحة المقلد
وصرامة تجني له زهر المنى من كل مقصد
وعزائم تسبي له الـ أعداء من مثنى وموحد
وغنائم تجبى له ممن عن الاذعان عرد
مولاي اسماعيل من جُند الالاه به مؤيد
مولاي اسماعيل من جمع العداة به مبدد
ملك علا فوق العلا والعفو عن ذي الجرم يشهد
ملك تناهى حمده اذ ليس من في الناس يحمد
فالسعد من انصاره والحلم رائده المسدد
وله من الرعب الذي يفني العدا جند مجند
أو ليس من ابناء خيـ ـر الخلق مولانا محمد
صلى عليه الله ما دامت مواهبه تجدد

والــــرعب كان يؤمـــــه شهرا فيخذل كل مبعـد
لا بـدع في ان يقتنـــي ما لـلأب الولـد الممجـد
يـغشى الوغـى مستـبشرا والبـاس منها قـد توقـد
والضرب ابـرق ثم ارعـد والطعـــــن اتهم ثم انجد
والسمر تغرس في الكـلا والبيض في الاعناق تغمـد
والارض تحكـــي حلـــة بـدم المجدل والمقـــدد
فهنـاك يزهـد في الدنـــا اذ ليس في الاقدام يزهـد
وهنـــاك يعظــم بشره والويـل منـه لكـل اصيـد
فيفـــــل جمع كماتها ويحل منها مــــا تعقـــد
يثنـــي نجاة مـــن انثنــي ويقـد جلـدة مـن تجلـد
والليث ابطش ما يكــو ن اذا تـبسم او تـأود
شبـه بـه المقـدام ليـــ ث اللـه حمزة ذاك المهنـد
أوجـــده المولى ابـــــا حسن مدمـــر مـــن تمرد
أو فـارس اليرمـوك سيـــ ف اللـــه خالـــد المخلـد
أو صاحب الصمصام ليـــ ث القادسيـة حين يهنـد
أوجـــده النـفس الزكـــــ ية من سنـا المنصور احمد
دع ذكـر بسطـام وعنـــ تـرة الفـــوارس حين يجرد
وربيعـــة بـــن مكــــرم ودريدهـم واخيــه معبـد
ومـــــلاعب لاسنـــــة وابن الطفيـل خليـل أربـد
هـــذا الملاعب للأسنـــــ ة اذ جبين الحرب أسود
هـــذا المصادم والمقـــــا وم والمسدد والمؤيـــــد
هـــذا المضارب والمطـــا عن فضل هذا ليس يجحد
هـــــذا المقـــــوم رمحه في ثغـــرة البطــــل المزرد
هـــذا المبـــدد مـــن تـأ لب في الغواية أو تـــردد
هـــذا المرفـــع كل أو رع والمغفــــر كل أوغـــد
هـــذا المنظـــم فضلـــه عقـــد اللئــــالي تبــــدد
هـــذا الـــذي بحلي المفـــا خـر والمآثـــر قـد تفـــرد
هـــذا الـــذي بحلى المحا مـد والممادح قـد تـــزود
هـذا الـذي يـروى أحـــا ديث الفضائل عـن مسدد

هـذا الـذي عـادت بـه ... أفراحنـا والعـود أحمد
فحياتنـا بوجـوده ... للـه ماأهنـى وأرغـد
وحياتنا عن جوده العذب ... الموارد لـيس تطـرد
أخليفـة اللـه الـذي ... كل الفخـار إليـه يسنـد
شعـري ازدهـى بمديحكـم ... حتى ازدرى بحلى الزبرجد
أربى تنـاسق نظمـه ... بكـم على العقـد المنضد
فاخلـع على أعطافـه ... حلل الرضى فبذاك يسعـد
ووقـاك مـن أسماك مـن ... شر تصوب أو تصعـد
وبقـيت يـاشمس الهدى ... ركـن الملاذ لمن تشهـد
وأصعـد أمير المؤمنيـ ... ـن ودم قرير العين وأسعد

وقال :

الله أكـرم آل ديـن محمـد ... بمليكهم نجل الشريـف الأمجد
مولانـا اسماعيـل مـن نقماتـه ... لم تقتـرب ونوالـه لم يبعـد

وقال :

اللـه فضلنـا على مـن قبلنـا ... بمليكنـا مـولاي اسماعيـل
فالشهب من عزماته مذعـورة ... والقطـر يحسد نيلـه والنيـل

وقال :

زنـد سعـد أورى ... والهنا جاءنا سافـر
وتـوالت بشرى ... بهمام لنـا ظافـر
بالذي قـد أعـرى ... موج بحر الندا الوافر
مـلك البريَّـا ... من عداه الردى نالوا
زاهـر المحيـا ... ذو نوال له بالوا
مـن سناه أغنـى ... عن سنى ناله البدر
وشبـاه أفنـى ... كل من شأنه الغدر
ونـراه أدنى ... منه من داره مصر
واجب عليـا ... مدحـه مابـدا آل

وعـــلا الثريـــــا   وتلى الصبح آصال
مستطـاب مدحــه   مستبين الكرامـات
مستتم نصحـــــه   عم حتى الجمادات
لايــزال صبحـــه   مستنير العلامــات
جاءنـــا وهيبـــا   له في المجد ارقال
لم يـــزل غنيـــا   عن نجوم إذا حالوا

وقال :

حـــدث عـــن منـــاقب   مولانا الرفيع القدر الأكمل
حـــاصر الكتـــائب،   ونار الوغى بالبيض تشعـل
يخجـــل السحـــائب،   بـالجود الـذي مـازال ينهل
أيـــن جـــود حـــاتم،   من جود الذي ساس البريا
نافـــذ العــــزائم،   مُعيـدُ السرور الميت حيـا
ديمة النــــــوال،   ملاذ الورى شرقـا وغربـا
فـــلا زال حـــالي،   بالعز الذي يعلو أو يرقـا
أربَّ الجـــــلال   طوق ملكه بالـنصر طوقـا
أزيـــن المواسيـــم   أيامـن حـوى ملكـا عليـا
لــــولا أنت غـــانم   لكـان الهنـا عنـا غنيـا
أفخـــر الخلائـــق،   أغـوث الـورى بـرا وبحرا
حـــويت اللطائــــف   وأودعتها بالـــقسر قصرا
دمت فيـــه قاطـــف   من نخل المنى والسعد تمرا
ثغـــر اليمـــن بـــاسم   وطير المنـى يشدوا هنيـا
أزيـــن المواســـم   أيا من حوى ملكا عليـا

وقال :

حي الهناء والسرور   مـدى الدهـــور   بمولــد المختــار
المصطفى بدر البدور   شافي الصدور   بالنــور والأسرار
وبابنه بحر البحور   در النحـــور   معفـــر الأشرار
من قد حكى يوم الكفاح   بين الرمـــاح   ليث الثرى في الغيل

عين الرشاد والصلاح قـطب الفـلاح مـولاي اسماعيـل

شمس الملوك أجمعين إذ لا قريـن واسطـة العقـد

لـولا أمير المؤمـنين نـور مـبين للقـرب والبعـد

حكى جميع المسلمين في العـالمين كفًا بـلا زنـد

إذ هو عنوان النجاح بحر السمـاح يفيض فيض النيـل

عين الرشاد والصلاح قـطب الفـلاح مـولاي اسماعيـل

أتاك مولد الرسول ياابـن البتـول فاصطد به الأفراح

في قصدك الذي يهول كل العقـول بحسنـه الـوضاح

فالبس به برد القبول يـا كل سول يـارحمة الفتـاح

فلو حبي طير الصباح نطقـا لصاح بـاحسن الترتيـل

عين الرشاد والصلاح قـطب الفـلاح مـولاي اسماعيـل

وقال العلامة الجليل المشارك سيدي عبد السلام جسوس :

رفعت منازل سبتة أصواتها تشكو اليكم بالذي قد هالها

مع بادس وبريجة فتعطفـوا وتنبهوا كي تسمعوا تسئالها

يابـن النبـي الهاشمي محمـد قل ياأمير المؤمنين إنـا لها

فلقد قضيتم للعرائس حاجة مع طنجة فاقضوا لِذي آمالها

عار عليكم أن تكون أسيرة بجواركم وجنودكم تعزى لها

إن لم تكونوا آخذين بثارها من ذا يفك من الوثاق حبالها

لاتسمعن من جاهل ومثبط ومصعب من جهله أحوالها

إن الذين تقدموا قد جاهدوا بنفوسهـم وبمالهم أمثـالها

فتملكـوا أملاكهـا وديارهـا وتقسمـوا أمـوالها ورجـالها

فابعثْ لها أهل الشجاعة عاجلا حتى تراهم نازلين جبـالها

وأمدهـم بمعونـة وبقـوة كيما تقطع بالعـدا أوصالها

وارفع لهذا الغرب رأسا أنه في الضعف مادام العدا نزالها

أبقـاك ربي للخلافة عُـدة تقفوا الشريعة مُؤثراً أفعالها

واقبل هديةَ من أتى بنصيحة يبغي الثواب ولاتقل : من قالها

وقول أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي من قصيدة له.

مولاي اسماعيل ياشمس الورى يامن جميع الكائنات فدى له

ما أنت إلا سيف حق منتضى　　الله من دون الخليقة سله
من لا يرى لك طاعة فالله قد　　أعماه عن طرق الهدى وأضله

وقول بعض كتابه من قصيدة كما بروضة التعريف.

ألا قل لمن شق العصا كان يبتغي　　ورام لهذا الملك بالهزل ينسخ
فمولاي اسماعيل باز محلق　　إذا صرصر البازي فلا ديك يصرخ

وفي أحسن ماقرأته لبعض المعاصرين في مدحه قول شاعر الدولة المطبوع مخلص ودنا الفقيه الأديب أحد كتاب الحضرة السلطانية

السيد الحاج عبد الله القباج من قصيدة :

على أرض مكناس السعيد سلام　　كروض أريض قد سقاه غمام
على مائها العذب الزلال تحية　　يطيب بها فيها الهوى ويشام
على من بها من صالحين وسادة　　من الله رضوان حماه ذمام
على قبر اسماعيل فيها تحية　　وخير ثناء والثناء وِسام
أمير وأيمُ الله كان مهندا　　وليثاً وغيثاً للعلا وهمام
وكان يحب العلم والدين والهدى　　ويحمي حمى العلياء فيه قوام
وكان يهاب الحق والحق مرْغم　　وتخشاه هذي الأرض وهي رغام
وضاقت بها في كل صقع عبيده　　وحامت عليهم حين حام وحاموا
وأجناده كان البخاري أمامهم　　إذا سار ساروا أو أقام أقاموا
وأبراجه في كل شطر شواهد　　على أنه بين الملوك عصام
قوي شديد أبيض القلب أسمر　　عظيم وأبناء العظيم عظام
بلى إن اسماعيل أنفق عمره　　على أبلق طرف بفيه لجام
تضيق به البيداء عند امتطائه　　ويعروه في وقت المسير هيام
وكم مرة راموا لحوق قتامه　　فاعجزهم قبل اللحوق قتام
على ظهره للطائعين مغانم　　وفي غرتيه للعصاة حمام
فقل لجهول راح ينكر فضله　　مثلك بين الناس ليس يلام
أيبصر خفاش الضلال الضيا وهل　　يرى الشمس أعمى في حشاه ضرام
تعال بنا يا منكر الفضل بيننا　　إلى كتب التاريخ فهي ضخام
وسلها عن اسماعيل في كل صفحة　　تجده كريما والملوك كرام

تجد محتدا في الملك أعرق خيمة ومجدا له فوق العلاء خيام
قضى الله أن يجري القضا بمراده وأن يغلب الأيام وهي طغام
وأن يملك الأقصى وأن يبلغ المنى وأن لا يجارى جاره ويضام
وأن ينظم الملك الذي كان شمله شتيتا وجمع الشمل فيه نظام
فأعوامه الستون بالأمن قد مضت كيوم وأيام الأمان منام
عجبت لإسماعيل وارته حفرة ووافاه من قبل الرحيل سقام
هنيئا لمكناس بروضته التي تزار وفيها للأريج مقام
وبالقصر والاسطبل والقصر بابه دليل على ما كان فيه ينام
لئن غاب اسماعيل عنا فهذه ضراغمه كالراسيات جسام

ومنها أي أمداح المترجم قول بعضهم :

حللت حمى الإمام فما أبالي بمن في الأرض من عات وعال
ولدت بظل عزته التي لم تزل تسمو بعزة ذي الجلال
مليك نالت الأملاك طرا به العليا فكان أبا المعالي
له قدر جليل الخطر باق مدى الدنيا على مر الليالي
تعد له الملوك بكل قطر مماليك البساط أو الموالي
إذا بزغوا نجوما في علاهم إذا فابوا الفدا شمس المعالي
نئا بمقامه السامي فكل يحاوله تعرض للمحال
لدى مولاي اسماعيل خرت جباههم الجميع على التوال
فألحق منهم الأدواء منه وسلطان المدائن بالنعال
وماعظمت بنو مروان إلا بقومك خير أصحاب وآل
فأنت لسمط أملاك تحلت به الايام واسطة الائالي
لك التصدير بينهم فمن لم ينل منك السيادة فهو خالي
ظهرت بكل مكرمة توالت على الأكوان من سابق وتالي
وقمت بنصر دين الحق حتى علا والكفر يأذن بالزوال
سحبت على العرائش ذيْل قهر غدت منه الأعاجم في وبال
فأصبح رهط أصفر في جديد من الذل الملم بها وبالي
فما منعتهم منها حصون ولا كور الصواعق من محال
وطنجة مذ عراها الرعب كادت تملكك القياد بلا قتال

لما عانوا بمهدية قبيلا … فلاح بها الفلاح على الضلال
وذل بها الصليب وآل عنه … العباة به إلى شرٍّ المثال
وفر حماته رغما فولت … كماتهم منكسة العوالي
فلم تنفعهم سمرٌ ولا ما … أعدوا من ظُبى بيض النصال
فآل الأمر أن لاذوا بلُج … على فرق يذيب وسوء حال
فريح النصر حيث سرت سار … وصبح الفتح حيث حللت جال
إذا جندت ذا لجَبٍ عظيمٍ … يضيق له الفضاحين المجال
بسود كالأسود على عرابٍ … مسومة هياكل كالتلال
كأغوال تجول بهم وهم في … ذرا منها كأمثال الجبال
يودون الحمام إذا تلظى … لظى الهيجا وأفرط في اشتغال
فمنٍ ماض وفي يمناه ماض … سرى كالبرق في هام الرجال
ومرات وسنُّ الرُّمح ناتٍ … لديه في الطلا من كل قالي
كسوتهم السيادة فارتدوها … ورضتهم على غر الخلال
فجلوا عند ما حلوا الحمى من … مكين رضاك مبسوط الظلال
فها جيد الرياسة في سناه … بسلكهم المنظم خير حالي
وسعدهم بأمرك في صعود … وضدهم بقهرك في انسفال
وخيرهم بفضلك في مزيد … وصرف الخطب عنهم في انخزال
فصاروا غالبا نسكا كراما … سراة للعلا صدق المقال
أطال الله عمرك للبرايا … وحاط بك البر رمايوالي
وحصن بيضة الاسلام حفظا … بنصرك فالمهيمن خير كالي
وقربك العيون مدا طويلا … من الاسلام قاص أو موالي
وحفكَ بالمنى والنصر منه … جزاءً عن مآثرك الجوالي
وقابلك الرضى منه فما أن … تشاهد غير آثار الجمال

ومما تضمن مدحه كتاب كتبه العلامة النحرير أبو الحسن الشيخ الحاج علي بركة من حضرة المترجم إلى أخيه الشيخ أحمد بركة ونصه :

منَ الراجي عفو الرب من كل ما وِزْر … علي، إلى الأسنى أخيه الرضى البر
سلام عليكم آبق متأرج … ورحمة مولاه تسخ كما القطر
وبعد فأنا قد حططنا رحالنا … بمكناسة الزيتون باليمن واليسر

بيوم الخميس من أوائل شهرنا ونحن بحمد الله طرا على خير
كما نرتجي من ربنا طول عمرنا يمن بذاك في المقام وفي السير
وإن أمير القوم قد هش للقا وأبدى من الاقبال ماليس في الفكر
وقابل بالاجلال والوصل والرضى وبالغ في الترحيب والعطف والبشر
أدام الالاه نصره وعــــلاءه وسنى له الاسعاد في كل ما عصر
ونحن على ازماع رحلتنا إلى ازديار أمام الغرب في أول الأمر
وبعد إلى فاس بتيسير ربنا ونسأله سبحانه الفوز بالخير
وتسهيل ما رمناه في كل حاجة على نمط يُرضيه من غير ما عُسر
بجاه رسول الله صفوة ربنا عليه صلاة الله نترا بلا حصر
وأصحابنا يحيونكم بسلامهــم خصوصا عليا ذا المآثر والبر
ومن نحن في مأواه في خير مكرم أبو حسن مأوَى المفاخر والقدر
وبث سلاما منا في الأهل كلهم وفي كل خل أو صديق أخى بر
ونحمد مولانا على كل نعمة ونلهج دأبا بالثناء وبالشكـر
ونثني على خير الورى بصلاتنا عليه كما التسليم في كل مادهر
وآله والأصحاب والزوج جملة ومن كان في نهج هُداهم على أثر

استطراد قد مدح صلى الله عليه وسلم وسمع المدح وأثاب عليه واستنشده وأنشد بين يديه وفي مسجده الشريف وكان يرتاح لسماعه وقال أن من الشعر حكمة وفي رواية حكما رواه البخاري وأبو داود وابن ماجة عن أبي بن كعب مرفوعا ورواه أحمد والشافعي مرسلا عن عبد الرحمن الأسود بن عبد يغوث ورواه الترمذي من حديث ابن مسعود وقال غريب، **وقد** خلع صلى الله عليه وسلم بردته الكريمة على كعب بن زهير لما أنشده قصيدته اللامية الشهيرة التي يقول في أولها مادحا له صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبـول

وبشر سيدنا حسان بالجنة والوقاية من النار لما قال في قصيدته الشهيرة :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند اللـه في ذاك الجزاء

قال له صلى الله عليه وسلم جزاؤك الجنة ياحسان ولما بلغ قوله فيها.

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال له صلى الله عليه وسلم وقاك الله حر النار ياحسان، وكذلك بشر النابغة الجعدي بالجنة بسبب قوله :

بلغنا السما مجدا وجودا وسؤددا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له صلى الله عليه وسلم إلى أين يا أبي ليلى فقال الجنة بك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أجل ان شاء الله فقضت له دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال لسيدنا حسان هات ماقلت في وفي أبي بكر فقال حسان قلت يارسول الله :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
التالي الثاني المحمود شيمته وأول الناس طرا صدق الرسلا
والثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاق العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا
خير البرية أتقاها وأرأفها بعد النبي وأوفاها بما حملا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقت ياحسان دعوا لي صاحبي قالها ثلاثا إلى غير هذا مما يطول، وقد جلبنا من ذلك جملة وافرة تسر الناظرين في كتابنا (إعلام الحاضر والباد)[1].

(1) الاسم الكامل لهذا المخطوط : إعلام الحاضر والباد، بقطع أوداج من زعم ان الادب في ترك مديح صفوة العبّاد» ويحتوي جزءه الأول على ما يسميه المؤلف (حدائق) أربعة، تقع في 478 صفحة ويلاحظ عدم وجود الجزء الثاني...
وهذا المخطوط يحمل في الخزانة الملكية رقم 12430 ز.

الباب الرابع والعشرون في وفاته

توفي رحمه الله ورضي عنه وقدس روحه ظهر يوم السبت الثامن والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف وفق ما هو منقوش برخامة ضريحه ودونك لفظه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد هذا ضريح كهف الأرامل واليتمى وعصمة المساكين والأيامى أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين مولانا اسماعيل ابن مولانا الشريف قدس الله روحه وأسكنه من الجنان فسيحه قبضه الله لكرامته ظهر الثامن والعشرين من رجب عام تسعة وثلاثين ومائة وألف طيب الله ثراه وأسكنه أعلى عليين وأبقى الخلافة في بنيه إلى يوم الدين هـ. وتولى غسله رحمه الله الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري والعلامة أبو علي الحسن بن رحال المعداني التادلي وهذا الثاني هو الذي تولى الصلاة عليه قاله في الدر المنتخب والحلل البهية وزاد في كناشة اليحمدي ما نصه وأدخله قبره ولداه الامجدان الانجدان مولاي علي الاعرج الشريف والحاج الابر مولانا زين العابدين وأبنه دفن عند العشاء يعني من يوم وفاته. ودفن بإزاء ضريح أبي زيد عبد الرحمن بن عياد المجدوب من قصره الفاخر بمكناسة الزيتون وقد رثاه غير واحد من أدباء دولته وأشار لتاريخ وفاته **فمن ذلك** ما هو منقوش برخامة ملزقة بالجدار الشرقي من قبة الضريح قبالة وجه المترجم برد الله ثراه ودونك لفظه لاإلاه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده :

أيا زائرا قبر الامام أبي النصر	تأدب له واخضع وقل فزت بالبشر
سلام كنشر المسك والعنبر الشحر	عليك انجل المصطفى الطيب الذكر
ورحمة مولانا وأزكى تحية	ورضوانه الباقي إلى غابر الدهر
لمولانا اسماعيل من خضعت له	رقاب عتاة العرب والعجم الصفر
توفاه مولاه عزيزا مكرما	إلى الملا الأعلى الذي جاء في الذكر
وكنا نُرجى منه ماترتجي الرُّبا	إذا ما عراها المحل من وابل القطر
وكان لواء النصر يخدم بابه	ويحفظه الرحمن من كل ذي مَكر

له همم تسموا على كل همة وأقربها فوق السماك لمن يدري
ويحمي حمى الاسلام نصحا ورحمة ويُكسب معدوما ويجبر ذا كسر
وكان لدا الهيجا إماما مقدما إذا طاشت الأحلام من شدة الذعر
وكان صفت له الضمائر وانطوت(1) على كرم الأخلاق والشيم الغر
إلاهي بالرضوان اكرمه والمنى وعامله ياذا الفضل بالعفو والغفر
لئن كان هذا الفضل غيبه الثرى فإن الثنا أبداه في كل ما قطر
مكارم لايحصى مدى الدهر عدُّها وهل لِنجوم الأُفقِ ياصاح من حَصر
مضى ومضت تلك الخصال وغيبت محاسنه مذ حل في روضة القبر
عن البحر حدث مابقيت بما تشا ولاحرج فيما يحدث عن بحر
وفي عام تسع والثلاثين قبله إلى مائة من بعد ألف من الدهر

وفي ذلك ما هو متوج به زليج حائط قبة الضريح المذكور أيضا ولفظ ماقيه الغرض منه.

تاج الملوك إمامهم وضياؤهم سبط الرسول وبضعة المختار
مولاي اسماعيل خير بيوتنـا نجل الشريف وطلعة الأسرار
بيت المكارم والسيادة والندى قطب الجلالة معدن الاكبار
ورث المجادة كابر عن كابر والمجد مجدهم بـلا إنكـار
قد طالما عبد الالاه بليلـه ونهاره وسطا على الفجـار
جبَر الكسير وكم أسير قد فدى بنفـائس الأمـوال والأحجـار
وبنى المساجد والمدارس طائعاً متواضعـاً لمليكـه الجبـار
كم عفر الوجه الكريم على الثرى بسجوده شكرا بلا استكبار

ومنها :

فتح المدائن والحصون بجُنْده وجهـاده وحسامـه البتـار
نشر العطا غفر الخطا ستر الغطا أغضى الحيا من حمله الستار
مد الامان على الأنام بظله وسقى الحيا من كفه المدرار

---

(1) هذا البيت ساقط من حيث الوزن في شطره الاول وتصحيحه أن يقال :

صفـا وصفـت عنـه الضمـائر وانطـوت على كـرم الاخـلاق والشيـم الغـر

قل للمفاخر لاتفاخر واعترف لكماله بالعجز والاقصار
ماذا تقول لفضل آل محمد وهم الغياث لكل خطب طاري
وهمُ الكرام إذا حللت بجاههم وهمُ الأمان لأرضهم والجار
من ذا يعدُّ عليٌّ فضلا في الورى وانا طَويت المجد تحت جدار
في عام **لبى شرف** داع إلاهه قد صار في كرم مع الأبرار

ووافقت وفاته من التاريخ المسيحي 21 مارس سنة ست وعشرين وسبعمائة وألف وكان ابتداء مرضه على ما في نشر المثاني ثاني يوم من شهر جمادى الأولى من العام المذكور. فتكون مدة مرضه على هذا ثلاثة أشهر ضاعف الله له عظيم الأجور. وأناله الحظ الأوفر من شفاعة جده الشفيع المبرور آمين آمين.

وهذا ما يسر الله على جمعه من مآثر ومفاخر هذا الامام العظيم المقدار الذي عنت لسطوته الأبرار والفجار. في سائر الأمصار والأقطار وماجلبته بالنسبة لما اغفلته قل من كثر وإنما فتحت الباب لمن يأتي من بعدي من أولي الألباب. جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم ومن الأعمال التي لاتنقطع بالموت بمنه وكرمه آمين.

وكان الفراغ من جمعه وتحريره وتهذيبه بُعيد عشاء ليلة
الخميس خامس عشري رجب الفرد الحرام عام ستة وأربعين
وثلاثمائة وألف موافق تاسع عشري يناير سنة
ثمان وعشرين وتسعمائة وألف بمحروسة مكناسة
الزيتون وصلى الله على سيدنا ومولانا
محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره
الغافلون وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

وكان الفراغ من نسخ هذه النسخة من النسخة المخرجة من الأصل ليلة السبت التاسع والعشرين من القعدة الحرام عام تسعة وأربعين وثلاثمائة وألف بقلم كاتبها لمؤلفها محمد بن المفضل بن محمد غريط غفر الله ذنبه وستر عيبه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

وبعده بخط كاتب النسخة المنسوخ منها المذكور مالفظه قال كاتبها عفا الله عنه لما أتممت نسخ هذا الكتاب قرظته بهذا التقريط الأوجز. وإن كنت أكمل من المتمني وأعجز. فقلت أما بعد حمدا لله مقدر اخبار الأشياء قبل الانشاء. العلي الحميد الفعال لما يريد. الكفيل حمده بالمزيد الذي يوتي الحكمة من يشاء الأول بلا ابتداء. الاخر بلا إغياء. القوي الذي لا يلحقه كلّ ولا إعياء والصلاة والسلام على من غبطت عصره الأعصار. وشرفت بملته الأقطار والأمصار. وربحت ببيعته الأنصار. ولم يرعها من الهيجاء إعصار. ولا خطر لها عن اقتحام الأخطار أقطار. سيدنا ومولانا محمد الموصوف بالخلق العظيم. في الذكر الحكيم. الذي عجزت طوال الألسن عن معارضة سوره القصار. وتجلت اسراره لذوي البصائر والأبصار. وعلى آله وصحبه وعترته الطاهرة أهل الخلافة الباطنة والظاهرة. وأولي الأمر الذين طاعتهم متأكدة. ومآثرهم لا تزال متجددة. يقف دون حدها الاسهاب فكيف الاختصار. فمما يفتخر به المغرب. ويبتهج بصنيعه المطرب. ويغتبط الأديب النجيب. بحسنه العجيب. هذا الكتاب الفذ الجامع. لما يشنف المسامع. المسمى بالمنزع اللطيف. في التمليح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف. تأليف سيدنا الشريف المعظم. الذي تناسق به عقد الفخار وتنظم. البحاثة العلامة. رب البلاغة الذي لو أدركه قدامة. لقبل أقدامه وأمل استعماله لديه واستخدامه. مالكُ أزمْة العلوم. سالك ماعز سلوكه عن ذوي الفهوم والحلوم. المطلع الخبير. بما يضيق عنه التعبير. الاريحي الجواد الذي من أرهف لقلمه حداً ودام لبحر كرمه حدا. هام في كل واد. النقيب الأرفع. الأروع الأنفع. مولاي عبد الرحمن بن مولانا زيدان. حرس الله فكره. وأجرى على الألسنة شكره. ولعمري أن جنابه الجليل. لحقيق بما قيل :

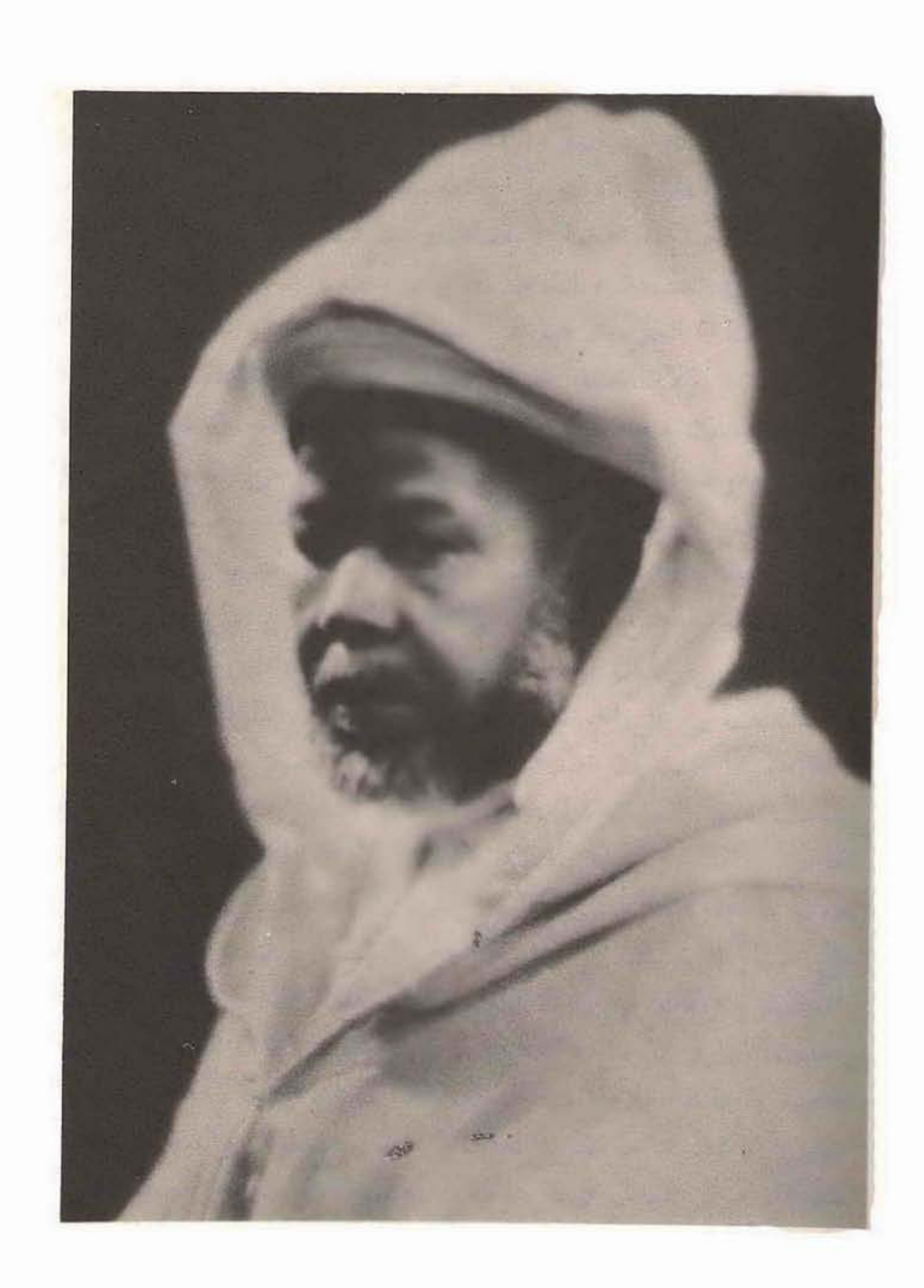
(وحرمة الأدب يأأهل الأدب   أن الشريف قد أتانا بالعجب)

أتانا بصوان ضم كل يتيمة. تفوق حسنا وقيمة. ونتيجة كانت الأعصر القديمة. عن مثلها عقيمة. ونديم أنيس. لايمله جليس ومتحف من مكنون الصحائف. بما لا يوجد في المتاحف. محتو على أبواب

وفصول. يعِزُّ إليها من غيره الوصول. فيتنقل الناظر فيه بين تعريف. وذكر نسب شريف. وولادة سعيدة. وصفات حميدة. ومشيخة ومعلومات. وخشية من مالك المحيا والممات. وذكر أوقاف. وعدل وانصاف. وتواضع وحلم وسيرة سديدة. وتنظيم مملكة وجيوش عديدة. وشفقة على الرعية وكرم. واعتناء بأهل العلم المحترم. ومحبة للأشراف. وإحسان للضعاف. وصدق فراسة عالية. وفتوحات متوالية. وعلائق سياسية. وضبط أنساب سكان الحضرة المكناسية. وذكر القضاة والخلفاء من الأولاد الشرفاء. والوزراء والنقباء. وولاة الأمر من حجاب ونظار وأمناء. والسفراء إلى الدول والأطباء. والشعراء الأدباء والبناءات والبساتين. وماخلف من البنات والبنين. وبعض الأزواج والسراري. ذوات الفخار الساري. وما خلف في السجون من أهل الجرائم والأسارى. من أجناس النصارى. وذكر الأمداح الفائقة. والوفاة التي هي مآل كل نفس ناطقة. ولابدع في الاهتمام. بترجمة حياة ذلك المولى الهمام. فإنه الملك الذي قام منه الاسلام أقوى مدافع. فطهر ثغوره بمساويك المدافع. وصك صيته الاسماع. وفقأت شوكته عيون الأطماع وقلم بنزع السلاح أظفار النزاع والعناد. وقصر عنان البغي بقصر الخيل على الأتباع والاجناد. الرجل بكل معنى الكلمة الذي رهبت السيوف سيفه والأقلام قلمه. سقى الله ضريحه طيب رحمته. وقابله بفضله ونعمته. وجزى أبر أبنائه. على احتفاله واعتنائه. بتدوين أنبائه. وبأي لسان أثنى على ماألفه. مع استغنائه بذاته المشرفة. عن حلل المديح المفوقة. وإنما حسبي إن أقر بعجزي. وأنشد وإن كان إنشادي لايجزي.

أرسلن من الحاظهن سهاما	فتدلَّه الصب الوحيد وهاما
حور أوانس ما المدام معتقا	إما أدرن من الحديث مُداما
وإذا خطرن أرين مايصبوا له الـ	غصن القويم تثنيا وقواما
وإذا بسمن أرين دراً ناصعا	يُنسي الجواهر بهجة ونظاما
تيمنني وسلبنني ميلي إلى	مَن طالما اسمعت فيه ملاما
عجبا لهن غوانيا يغنين من	جعل المعارف والعلوم أماما
هاتيك غيد ضمهن مؤلف	يستوجب الاكبار والاعظاما

تأليف سيدنا أبي زيد الذي ... قد حل من مجد الجدود سناما
علامة العصر الذي أضحى لنا ... في علم تاريخ العصور إماما
من يُذهب الأيام في درس وفي ... كتب يزيل اللبس والابهاما
من جُمعت لذاته في نيل ما ... صار الألى شغفوا به إعلاما
مولى بصحبته يفاخر صاحب ... ويرى بها أين انتهى الاكراما
ماحل روضَه وافد إلا رآ ... ه مرحبا في وجهه بساما
من ليس يصرفه عن الجود امرؤ ... يخشى على موجوده الاعداما
نال الوسام لفضله ولرفعة ... في صدر مكناس تلوح وساما
مولى عرتْه على المآثر غيرة ... فرعى وشد لحفظهن حزاما
مولى حبَا الأدباء والفضلاء ما ... أبدى الخفي وزيف الأوهاما
وأتى بمنزعه اللطيف مضمنا ... أنباء مولى أيد الاسلاما
مولاي اسماعيل من أنباؤه ... تستجلبُ الأبصار والأفهاما
ذلك المليك الأعظم المقدام من ... أبدى الملوكُ لعزه استسلاما
مولى له الصيت الذي ملأ الدنا ... ومهابةٌ تسترهب الضرغاما
وجلالةٌ وسياسةٌ بنفوذها ... ساد الملوك وسدد الأحكاما
وشمائل طابت فطيب عرفها الـ ... أوراق والأقلام والأرقاما
وجيوش نصر أطفأت حركاتُها ... من كل عاص تيمته ضراما
ملك به مكناسة الزيتون لم ... تك في الفخار وفي السمو تسامى
فجزى الالاه سليله بصنيعه ال ... أبهى وزاد جنابه إنعاما
وأدامه في عزة ورعاية ... ما صافحت ريح الصباح خُزامى





الفهارس

اعدتها : لطيفة الكَندوز

باحثة بالمعهد الجامعي للبحث العلمي



فهـرس الأعـلام الشخصيـة

تـنـبيــــه

رتّبت هذه الفهارس وفقاً للحروف الهجائية.
هذا ولم نراع ألفاظ ابن أو أبو عند الترتيب.

ـ أ ـ

— ب —

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

- ح -

— خ —

— د —

ـ ذ ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

— ن —

— ص —

— ض —

— ع —

— غ —

ـ ف ـ

— ق —

— س —

— ش —

— هـ —

— و —

— ي —

فهرس
أسماء القبائل والعشائر والأجناس

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ك

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ص ـ

ـ ع ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ و ـ

ـ ي ـ

فهرس
الأعلام الجغرافية

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

- ج -

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

ـ ز ـ

ــ ط ــ

ــ ك ــ

ــ ل ــ

ــ م ــ

— ن —

— ص —

— ع —

— ق —

— ش —

— و —

— ي —

فهرس
عناوين المؤلفات

ـ ا ـ

— ب —

— ت —

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ز ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ك ـ

ــ ل ــ

ــ م ــ

— ف —

— ق —

— س —

— ش —

موضوعات مختلفات